السلفية

وأعلامها في موريتانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطّبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

تمّت الطّباعة في:
دار ابن حزم - بيروت

السلفية

وأعلامها في موريتانيا

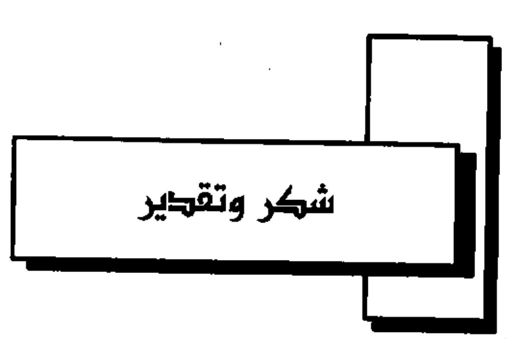
« شنقيط »

عرض لتاريخ السلفية والأشعرية
وما له علاقة بذلك من الحركة العلمية والجهادية
من دخول الإسلام إلى القطر ٦٣ سنة إلى ١٤١٣ سنة هـ

تأليف
الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين



هذا الكتاب كان في الأصل رسالة ماجستير
قدّمت في قسم العقيدة بجامعة أم القرىٰ ونوقشت
بقاعة المحاضرات الكبرىٰ بنفس الجامعة
ونالت تقدير ممتاز



شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه التي لا تحصىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1] . . . والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد بن عبد الله خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله، وعلىٰ آله وصحبه أولي الفضل والدرجات . . . وبعد:

فأشكر الله عزّ وجلّ الذي منّ علي بنعم كثيرة، أعظمُها نعمةُ الإيمان، وأشكره أن منّ عليّ بإنجاز هذا البحث، وأسأله أن يجعله مسدداً، كما أسأله عزّ وجلّ أن يوفقني لشكر نعمه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

واعترافاً بالفضل لأهله، وعملاً بقول الرسول ﷺ فيما أخرجه الترمذي رحمه الله ـ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[2].

أقدم شكري وفائق تقديري واحترامي لشيخي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور أحمد طلعت غنام، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة، وصبر علي صبراً جميلاً، ومنحني من وقته الثمين الشيء الكثير، وأمدني ـ حفظه الله ـ بتوجيهاته المفيدة، وإرشاداته القيمة السديدة، التي أنارت لي الطريق التي سرت عليها، حتى أنهيت هذا البحث . . فجزاه الله عني خير الجزاء وأمد في عمره، ونفع بعلمه، وختم لي وله بالصالحات.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى سعادة المشرف الثاني فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد أحمد أبو السعادات الذي تفضل مشكوراً بقبول إكمال الإشراف على هذه الرسالة فأسأل الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، راجع سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/٢٩٨ ـ ٢٩٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م.

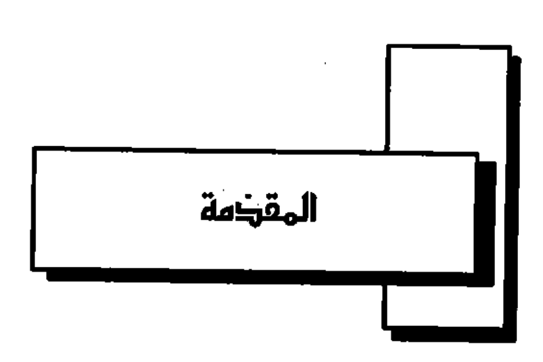
كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى القائمين على أمر جامعة أم القرى ورابطة العالم الإسلامي، اللتين قامتا بالتنسيق والتعاون فيما بينهما، من أجل مساعدتي على إكمال دراستي حتى تم قبولي في الدراسات العليا . . فأرجو من الله عز وجل أن يزيد هاتين المؤسستين عزاً ورفعةً، وأن يجزي عني القائمين على أمرهما أحسن الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأكرر شكري وتقديري للقائمين على أمر كلية الدعوة وأصول الدين والدراسات العليا بجامعة أم القرى، وإدارة المنح الدراسية برابطة العالم الإسلامي على ما يبذلونه من الجهود المتواصلة في خدمة العلم وطلابه، وأخص منهم أصحاب السعادة والفضيلة الدكتور علي بن نفيع العلياني، عميد الكلية، والدكتور أحمد عطية الله الزهراني، وكيل الكلية سابقاً، ورئيس قسم العقيدة حالياً والدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، وكيل الكلية حالياً، والدكتور أحمد الناصر الحمد عميد الدراسات العليا، والشيخ مراد سليمان عرقوسي مدير إدارة المنح الدراسية، برابطة العالم الإسلامي، جزى الله الجميع خير الجزاء على ما قدموه من مساعدة جليلة في قبولي في الجامعة وما أسدوه من خدمات وما بذلوه من جهد متواصل في خدمة طلاب العلم، وتوفير كل ما يسهل لهم طريق الحصول على الاستفادة العلمية المنشودة. فجزاهم الله عني وعن طلبة العلم أحسن الجزاء، وأمدهم بعون من عنده وبارك في جهودهم، وأمد في أيامهم، إنه على كل شيء قدير. .

وما كان لي أن أنجز هذا العمل إلا بعون من الله ـ تعالى ـ ثم بمساعدة قوم آزروني فيه، وشدوا عضدي، سواء من داخل جامعة أم القرى، أم من خارجها، فلهؤلاء مني جميعاً جزيل الشكر وخالصه، وعظيم التقدير ووافر الثناء، وأرجو من الله العلي القدير أن يجزيهم عني أحسن الجزاء، إنه على ما يشاء قدير.

ثم أتقدم بجزيل الشكر وفائق التقدير إلى شيخي الفاضلين الكريمين، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن سيدي الحبيب، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وقراءتها، وتقويمها، فأسأل الله عز وجل أن ينفعني بتوجيهاتهما السديدة، وأن يجعل ما قدماه من وقت وجهد في ميزان حسناتهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *



الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.. وبعد:

فقد شاءت قدرة الله عزّ وجلّ أن يَسر لي بمنّه وكرمه، الالتحاق بقسم العقيدة في الدراسات العليا، بجامعة أم القرىٰ، بمكة المكرمة، رعاها الله تعالىٰ بفضله.

وبعد نجاحي من السنة المنهجية، أخذت أفكر في موضوع مناسب يصلح للكتابة، فوقع اختياري بعد إجالة الفكر، وإمعان النظر، والبحث، علىٰ موضوع: **(السلفية وأعلامها في موريتانيا).**

سبب اختياري لهذا الموضوع:

يعود السبب في اختيار هذا الموضوع إلىٰ رغبتي في المساهمة في بيان منهج السلف وعقيدتهم، والتعريف بأعلام الفكر السلفي في بلاد شنقيط، والتنويه بهم، لأن في ذلك نصراً للحق، وتشجيعاً لأهله، واعترافاً لهم بالجميل.

هذا في حين أنّ العقيدة السلفية لم تنل حظاً من الدراسة في هذا البلد لا من أهله ولا من غيرهم، ولا يكاد الجيل المعاصر يعرف شيئاً عن العقيدة السلفية في هذا القطر، لخلو المكتبات من أي دراسة مرجعية علمية، تتناول العقيدة في هذه المنطقة، وإن حوت هذه المكتبات شتاتاً من

مؤلفات الشناقطة التي قلما تتحدث عن الجانب العقدي السلفي.

ولا نرىٰ ضرورة لعرض الأسباب التي جعلت الباحثين في الدراسات الإسلامية لا يتوجهون ولو قليلاً إلىٰ البحث في الاتجاهات العقدية، والدينية، بوجه عام في هذا البلد، علىٰ الرغم من أنّ علماء الشناقطة ما حلوا بقطر من الأقطار الإسلامية إلا وخلفوا فيه ذكراً حسناً، واستأثروا بإعجاب أهله.

ولما كان هذا الموضوع بحاجة إلىٰ الدراسة رأيت أن أكتب فيه لأضيف إلىٰ المكتبة الإسلامية إضافة متواضعة علىٰ قدر جهدي، ربما كانت قاصرة، ولكنها علىٰ كل حال جديدة في موضوعها، غير مسبوقة في مجالها.

وقد حاولت أن نبدأ البداية الصحيحة بالتأصيل لمنهج السلف وعقيدتهم، وأن نؤسس من منظوري ـ القاصر ـ لتاريخ الفكر العقدي السلفي في بلاد شنقيط، ونلقي الضوء علىٰ المسار العقدي في المنطقة، لا حباً في ركوب الغرر، أو الخوض فيما غم، بل رغبة في سد فجوة في تاريخ الدراسات العقدية يحلو للدارسين غض الطرف عنها وتجاوزها، إما إشفاقاً علىٰ النفس من غموضها وعناء البحث فيها، وإما اتقاء لما قد تسبب للباحث عنها من حرج إن هو حاول أن يزعزع أو يشكك فيما قد قر في الأذهان بشأنها.

وقد رأيت من المناسب والمفيد أن نقدم لذلك بنبذة تعرف بالقطر الموريتاني، وتلقي الضوء علىٰ تاريخ دخول الإسلام فيه، وعلىٰ الحالة الاجتماعية والثقافية والدنية في تلك البلاد.

الصعوبات التي واجهتني:

لا أريد أن أستعرض جميع الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث فهي محسوسة من نبض الكتاب، معروفة لكل من أراد البحث في

موضوع بكر، ولو في بيئة أوفر إمكانيات من تلك التي بحثت فيها..

وأكتفي فقط بالإشارة إلىٰ أنني ركبت الصعب، وقرّرت أن أخوض في المجهول عندما تصديت للكتابة في هذا الموضوع، فقد أقدمت علىٰ البحث فيه ودقات قلبي تتسارع خشية أن تصرفني ضحالة المادة العلمية عن إماطة اللثام عن السلفية وأعلامها في القطر الموريتاني، لصعوبة جمع مصادر ومراجع هذا البحث لتفرقها في مكتبات أقطار متعددة، وندرة الكثير منها، وخاصة المخطوطات التي لا يتمّ الحصول عليها إلا بشق الأنفس.

وأقول ـ والله علىٰ ما نقول شهيد ـ إنني قد عانيت مشقات كثيرة في إعداد هذا العمل المتواضع، وصرفت فيه جهداً غير هيِّن، وتطلب إنجازه حمل عصا التسيار، والإصغاء إلىٰ كثير من المشايخ البارزين، وأهل العلم الذين يحملون في صدورهم بقية من أخبار السالفين.

لقد تطلب إنجاز هذا البحث المتواضع ركوب كثير من الصعاب، والمعاناة في الرحلات داخل المملكة العربية السعودية، وفي داخل موريتانيا أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها إليها، وذلك لجمع المادة العلمية والحصول علىٰ المصادر والمراجع الضرورية لهذا البحث، وخلال هذه الرحلات قابلت عدداً كبيراً من العلماء والدعاة المهتمين بالدعوة إلىٰ العقيدة السلفية وخاصة في القطر الموريتاني، وحصلت منهم علىٰ المعلومات التي لها علاقة بالبحث، موثقة بتوقيعهم، أو مسجلة بأصواتهم في أشرطة. وفي الوقت ذاته، راسلت عدداً من العلماء، والدعاة السلفيين الموريتانيين الموجودين في بعض الدول العربية الأخرىٰ، وأرسلوا إلي المعلومات التي طلبت منهم، مكتوبة، ومؤرخة، وموثقة بتوقيعهم.. وأثناء هذه الرحلات، والمراسلات، حصلت علىٰ عدد كبير من الكتب والبحوث التي تتناول جوانب مختلفة من مجالات الحياة في البلاد، والتي لها علاقة بالموضوع، وعكفت علىٰ دراسة مئات المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة، واستخرجت منها كل ما له صلة بموضوع البحث، من قريب أو من بعيد.

وبعد جهد متواصل، تمكنت بعون الله وتوفيقه، من جمع المادة العلمية التي غطت معظم جزئيات الموضوع، وأبرزت بقدر المستطاع وجود السلفية وأعلامها في مراحل مختلفة من تاريخ البلاد.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل بعد المقدمة على ثلاثة عشر فصلاً يسبقها تمهيد، وتليها خاتمة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

التمهيد: السلف والسلفية، ومنهجهم في العقيدة، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف السلف والسلفية.

المبحث الثاني: منهج السلف في دراسة العقيدة.

الفصل الأول: نبذة عن موريتانيا.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بموريتانيا.

المبحث الثاني: دخول الإسلام في موريتانيا.

المبحث الثالث: المجتمع الموريتاني، طابعه وطبقاته.

المبحث الرابع: ثقافة المجتمع الموريتاني من خلال المحاضر.

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

التمهيد: لمحة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل نشأة المحاضر.

المطلب الأول: التعريف بالمحاضر، نشأتها وتطورها.

المطلب الثاني: أهداف المحاضر.

المطلب الثالث: عوامل انتشار التعليم المحضري.

المطلب الرابع: نظام المحاضر.

المطلب الخامس: ظروف الدراسة في المحاضر.

المطلب السادس: المناهج الدراسية في المحاضر.

المطلب السابع: حركة التأليف في المحاضر..
المبحث الخامس: الاتجاهات الدينية في المجتمع الموريتاني.
الفصل الثاني: المرابطون وأسس دعوتهم.. وفيه مبحثان:
المبحث الأول: التعريف بالمرابطين وبداية دعوتهم.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: التعريف بالمرابطين.
المطلب الثاني: بداية دعوة المرابطين.
المبحث الثاني: أسس دعوة المرابطين.
وفيه أربعة أسس:
الأساس الأول: التعليم والتربية الإسلامية.
الأساس الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
الأساس الثالث: الجهاد في سبيل الله.
الأساس الرابع: العدالة الاقتصادية.
الفصل الثالث: منهج المرابطين العقدي والرد علىٰ تهم ابن تومرت.
وفيه تمهيد ومبحثان:
التمهيد: السلفية قبل قيام دولة المرابطين.
المبحث الأول: منهج المرابطين العقدي.
المبحث الثاني: تهم ابن تومرت للمرابطين والرد عليها.
الفصل الرابع: دخول الأشعرية في المغرب وانتشارها في موريتانيا.
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: دخول الأشعرية في المغرب.
المبحث الثاني: انتشار الأشعرية في موريتانيا.
الفصل الخامس: عودة الفكر السلفي إلىٰ البلاد.
وفيه تمهيد ومبحثان:
التمهيد: حالة البلاد قبل دعوة الإمام ناصر الدين.
المبحث الأول: الإمام ناصر الدين، دعوته وجهاده.

المبحث الثاني: مدرسة المجيدري.. وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: نشأة مدرسة المجيدري والتعريف بمؤسسها.
المطلب الثاني: حاملا لواء مدرسة المجيدري من بعده.
المطلب الثالث: منهج مدرسة المجيدري في العقيدة.
الفصل السادس: الشيخ [باب] ومنهجه في العقيدة.
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: التعريف بالشيخ باب.
المبحث الثاني: منهجه في العقيدة.
الفصل السابع: تلاميذ الشيخ باب وتأثيره العام على العقيدة:
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: تلاميذه.
المبحث الثاني: تأثيره العام على العقيدة.
الفصل الثامن: الشيخ الأمين منهجه في العقيدة، وأثره في موريتانيا.
وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: التعريف بالشيخ الأمين.
المبحث الثاني: منهجه في العقيدة.
المبحث الثالث: أثره المباشر على العقيدة في موريتانيا.
المبحث الرابع: الجدل حول مؤلفاته، وأثرها في موريتانيا.
الفصل التاسع: نشاط تلاميذ الشيخ الأمين في الدعوة السلفية في موريتانيا.
الفصل العاشر: الشيخ [بداه] نشاطه ومنهجه في العقيدة.
وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: التعريف بالشيخ بداه.
المبحث الثاني: نشاطه.
المبحث الثالث: منهجه في العقيدة.
الفصل الحادي عشر: المدارس السلفية المتفرعة عن مدرسة بداه.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مدرسة العون للتعاليم الإسلامية.

المبحث الثاني: معهد الفاروق.

المبحث الثالث: مدرسة أحمد بن المرابط.

المبحث الرابع: مدرسة محمد محمود بن أحمد يور.

الفصل الثاني عشر: مؤسسات سلفية ذات طابع مختلف.

وفيه تمهيد وثمانية مباحث:

التمهيد: لمحة عن أسباب كثرة المعاهد والمدارس السلفية في موريتانيا المعاصرة.

المبحث الأول: مدرسة الفلاح.

المبحث الثاني: جمعية الدعوة السنية السلفية لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي.

المبحث الثالث: معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا.

المبحث الرابع: مركز الدعوة السعودي في موريتانيا.

المبحث الخامس: المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

المبحث السادس: معهد ابن عباس.

المبحث السابع: مدرسة الهدىٰ لتحفيظ القرآن الكريم.

المبحث الثامن: المعهد الإسلامي السلفي في كيفا.

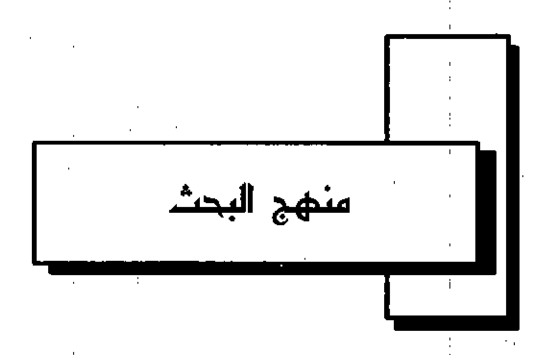
الفصل الثالث عشر: فقهاء ومثقفون سلفيون.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم نتائج البحث.

الملحقات..

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



منهج البحث

سلكت في هذا البحث المنهج الذي يتمثل في الأمور التالية:

١ ـ ركزت على نقاط اعتبرتها دليلاً على سلفية من وجدت فيه وهي: دعوى الاقتداء بالسلف الصالح في عقيدتهم، ومنهجهم، وإقامة الدليل على ذلك بالأمور التالية:

أ ـ التمسك بالكتاب والسنة في أصول الدين وفروعه، وفي السلوك.

ب ـ وجود بعض الأمثلة التي تدل دلالة واضحة على صدق هذه الدعوى، وأن صاحبها مرتض لمذهب السلف في العقيدة، ومتبع له، وفي الغالب تكون الأمثلة من مبحث الصفات، الذي هو أصعب المباحث العقدية، لوقوف الأشاعرة بالمرصاد، وهم الغالبية في المنطقة ـ لمن يخالف مذهبهم، ويرفض التأويل في آيات الصفات وأحاديثها.

ج ـ نبذ البدع بجميع صورها وأشكالها، وخاصة بدعة علم الكلام وبدعة التصوف، المنتشرتين في شمال وغرب إفريقيا.

د ـ إظهار البراءة والتجرد من جميع الفرق المنحرفة المخالفة لأهل السنة والجماعة.

٢ ـ ربما أكثر من النقول والشواهد لتقرير قضية معينة، وغالباً يكون ذلك لبيان موقف السلف من مسألة مهمة، أو لإثبات سلفية من تناولتهم في البحث لأن كثرة النقول والشواهد تزيد الموقف جلاء..

٣ ـ خرجت الآيات القرآنية بذكر السورة، ورقم الآية، وخرجت

الأحاديث النبوية والآثار، إلا جزءاً من حديث واحد اتفق عليه البخاري ومسلم، ورد في هامش الكتاب ضمن كلام للحافظ الذهبي نقلته من كتابه سير أعلام النبلاء.

٤ ـ رجحت بين الأقوال المتعارضة، ودعمت ترجيحي بالدليل حسب الاستطاعة.

٥ ـ ربما أعلق في الهامش علىٰ الأقوال المخالفة لمذهب السلف وأرد عليها، وذلك حين يكون جعل الرد عليها في صلب الموضوع يؤدي إلىٰ انقطاع التسلسل الفكري للموضوع الأساسي.

٦ ـ حرصت علىٰ أن تكون مصادر البحث أصلية، واقتضت طبيعة البحث أن تكون فيه مصادر، ومراجع حديثة، بل إنّ بعض الفصول قد اعتمدت فيه علىٰ الدراسة الميدانية، والمقابلات الشفوية.

٧ ـ التزمت بذكر المصدر الذي تلقيت عنه المعلومة سواء أخذتها من كتاب أو في مقابلة شفوية، أو غير ذلك، مع التوثيق الكامل الذي يتناسب مع المصدر.

٨ ـ شرحت المفردات اللغوية التي تحتاج إلىٰ إيضاح وبيان من كتب اللغة المعتمدة.

٩ ـ شرحت الأمثال التي وردت في البحث، وبينت معانيها، سواء في ذلك ما هو من الأمثال العربية القديمة، أو الأمثال الموريتانية، التي اشتهرت عنهم بلهجتهم [الحسانية].

١٠ ـ شرحت الألفاظ والمعاني التي وردت بغير اللغة العربية سواء باللهجة الموريتانية [الحسانية] أو بغيرها.

١١ ـ عرفت ما رأيت أنه بحاجة إلىٰ التعريف من المصطلحات العلمية، والفرق، والدول، والقبائل، والمدن، والقرىٰ، والأماكن، والمواقع الحربية.

١٢ ـ ترجمت لمن ظهر لي أنه يحتاج إلىٰ ترجمة، إما لأهمية قوله أو لكونه عالماً مغموراً، أو لكثرة النقل عنه، أو لأهميته في الموضوع، الذي ترجم له فيه، ولم أترجم للمشهورين من الصحابة، ومن بعدهم، وذلك لكثرة من وردت أسماؤهم من الأعلام كثرة ملحوظة، فربما يؤدي الاشتغال بتراجمهم إلىٰ خروج البحث عن طبيعته، وتضخم الرسالة إلىٰ حد فوق العادة، إذ لو ترجمت لكل علم ورد اسمه لكان هذا البحث في أسفار عدة.

وبعد، فقد بذلت جهدي في هذا البحث المتواضع، فإن كنت قد وفقت فيه فذلك من فضل الله ومَنِّه وكرمه، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان.. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

وحسبي أنني لم أدخر وسعاً، ولا آليت جهداً، ولكن أنّى يكون لبشر أن يدرك الكمال، والكمال المطلق لله عزّ وجلّ وحده؟

هذا، وأسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن أكون قد وفقت فيما أردت، وأن يجعله وسيلة إلىٰ مرضاته، إنه سميع مجيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنبت.

وصلّىٰ الله علىٰ نبينا محمد خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الطيب بن عمر بن الحسين

مكة المكرمة ـ ١٤١٣/١١/١٥ هـ

التمهيد

السلف والسلفية ومنهجهم في العقيدة

ويشتمل علىٰ مبحثين:

المبحث الأول: تعريف السلف والسلفية.

المبحث الثاني: منهج السلف في دراسة العقيدة.

* * *

المبحث الأول
تعريف السلف والسلفية

أ ـ السلف والسلفية في اللغة:

اتفق علماء اللغة على أنّ السلف يطلق على الماضي المتقدم، قال الجوهري: «سلف يسلف سلفاً أي: مضى، والقوم السلاف المتقدمون، والجمع أسلاف، وسلاف، والسلف نوع من البيوع يعجل فيه الثمن، وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم، والسالف والسليف المتقدم، والتسليف التقديم»[(١)].

وقال الرازي في مختار الصحاح: «سلف يسلف بالضم مضى، والقوم السلاف المتقدمون، والجمع أسلاف»[(٢)]، والسلفية نسبة إلى السلف[(٣)]. وفي لسان العرب لابن منظور: «سلف تقدم، والسالف المتقدم، والسلف والسليف والسلفة الجماعة المتقدمون»[(٤)].

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، المجلد الأول ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤ تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشيلي، وأسامة مرعشيلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤ م.

(٢) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ص ٣٠٩، تحقيق وترتيب حمزة فتح الله ومحمود خاطر، طبعة مؤسسة الرسالة، دار البصائر، دمشق، بيروت ١٤٠٥ هـ.

(٣) عبد الكريم محمد السمعاني، الأنساب ٣/٢٧٣، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ١١/٥٨، طبعة مصورة عن طبعة بولاق بها تصويبات، وفهارس متنوعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

وعرف الفيروزآبادي السلف بأنه: الماضي المتقدم، ثم قال: والسلف محركة، السلم، اسم من الأسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض وكل عمل صالح قدمته، وكك من تقدم من آبائك وقرابتك»[1].

وجاء في القرآن الكريم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

قال الطبري بعد أن ذكر اختلاف القراء في قوله تعالىٰ: ﴿ سَلَفًا ﴾ أولىٰ القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بفتح السين واللام لأنها اللغة الجوداء، والكلام المعروف عند العرب، وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم، فتأويل الكلام إذن: فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون إلىٰ النار كفار قومك يا محمد من قريش وكفار قومك لهم بالأثر»[3].

وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: سلف تقدم، ومضىٰ وسلف له عمل صالح تقدم، والقوم السلاف المتقدمون، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف»[4].

وقال الراغب الأصفهاني في كتابه: المفردات في غريب القرآن: «السلف المتقدم، ولفلان سلف كريم أي: آباء متقدمون وجمعه أسلاف»[5].

---

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٦٠ ـ ١٠٦١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٦.

(٣) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٥/ ٨٥، الطبعة الثالثة، شركة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٨٨ هـ.

(٤) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٠٢، طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ.

(٥) الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٩، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت [د. ت].

ب ـ مفهوم السلف والسلفية في الاصطلاح:

إنّ مفهوم السلف والسلفية تتنازعه الفرق الإسلامية حيث تحاول كل فرقة من هذه الفرق أن تنتسب إلىٰ السلف أو تتسمىٰ بأهل السنة[1] دون غيرها.

ولكن مفهوم السلف ينصرف إلىٰ أهل القرون الثلاثة الأولىٰ التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون دون من وصف بالبدعة[2] كالشيعة[3]،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: السنة هي ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً، الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ ص ١٠٩، تقديم محمد عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، ١٤٠٣ هـ، ويذكر أنّ مصطلح أهل السنة يطلق ويراد به معنيان: أحدهما المعنىٰ الأعم، وهو ما يقابل الشيعة، وهذا المعنىٰ تدخل فيه الفرق الإسلامية سوىٰ الشيعة، فيقال: المنتسبون للإسلام قسمان: أهل السنة والشيعة، أما المعنىٰ الأخص، فهو يقابل المبتدعة، وأهل الأهواء عامة، وقد نصّ الإمام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني علىٰ أنّ من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنّة والجماعة، وإن أصاب بكلامه السنة حتىٰ يدع الجدل ويسلم للنصوص» أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ١/١٥٧، ١٦٥ ـ ١٦٦، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٢ هـ، والدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي: مناهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٥ ـ ١٦، الطبعة الأولىٰ، الدار السلفية، الكويت ١٤٠٧.

(٢) البدعة: ويسمىٰ فاعلها مبتدعاً عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة.. الشاطبي، الاعتصام ١/٣٧، دار المعرفة، ببيروت [د. ت] وباب بن الشيخ سيدي، الذكر المشروع وغير المشروع، ص ٢، مخطوط شخصي.

(٣) الشيعة هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ علىٰ الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم أو بتقية من عندهم. وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلىٰ العامة، وإرساله. وقد انقسم الشيعة إلىٰ عدّة طوائف يجمعها القول بوجوب التعيين والتنصيص علىٰ الإمامة، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي، والتبري، قولاً وفعلاً، وعقداً إلا في حالة التقية، =

والخوارج(١)، والقدرية(٢)، والمرجئة(٣) ....

= ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ويميل بعض طوائفهم في أصول الدين إلىٰ الاعتزال، وبعضهم إلىٰ السنة، وبعضهم إلىٰ التشبيه» الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ١٤٦ ـ ١٤٧، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٤ هـ والأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١/ ٦٥، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩ هـ، والبغدادي الفرق بين الفرق، ص ٢١ ـ ٢٣، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، [د. ت].

(١) الخوارج: ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلىٰ الموضع الذي خرج فيه أولهم علىٰ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد أن أجبروه علىٰ قبول التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ وقبله طلبوا منه أن يرفضه ويتوب معللين لذلك بأنه كفر بسبب التحكيم، كما كفروا هم وتابوا، وقد انقسم الخوارج إلىٰ عشرين فرقة، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وتكفير أصحاب الكبائر ويرون الخروج علىٰ الإمام إذا خالف السنّة حقاً واجباً. الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١١٤ ـ ١١٥، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٤، ٧٢، والمقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ٢/ ٣٥٤، مكتبة الثقافة العربية بالقاهر، [د. ت]. ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٠، دار الفكر العربي [د. ت].

(٢) القدرية نفاة القدر نسبوا إلىٰ القدر لنفيهم إياه حيث قالوا: إنّ الأمر أنف أي أنّ الله تعالىٰ لم يقدر علىٰ خلقه شيئاً مما هم عليه، وقد حدثت هذه البدعة في زمان المتأخرين من الصحابة رضي الله عنهم ـ علىٰ يد معبد بن خالد الجهني البصري، وقد أخرج مسلم القصة في ذلك عن يحيىٰ بن يعمر قال: أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، قال: فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، وذكر اجتماعهما بعبد الله بن عمر وأنه سأله عمن يقول بهذه المقالة فقال ابن عمر: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنّ لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر» صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٠ ـ ١٥١، ٥٥ ـ ١٥٦، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت] وراجع خطط المقريزي ٢/ ٣٥٦، وابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٩٢، ٥٩٣، حققها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩١ هـ.

(٣) الإرجاء علىٰ معنيين: أحدهما بمعنىٰ التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، وإطلاق اسم المرجئة علىٰ هذه الجماعة بالمعنىٰ الأول صحيح، لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلىٰ =

والجبرية[1]، والجهمية[2]، والمعتزلة[3]، وحين دار النزاع في أصول الدين بين الفرق الإسلامية، وحاول الجميع الانتساب للسلف، أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً خاصاً يطلق على من تمسك بالكتاب والسنة، واقتدى بالسلف الصالح في فهم الإسلام وتطبيقه.

= يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، وقيل: الإرجاء تأخير علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة». الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ١٣٩، والمقريزي، الخطط ٢/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠، والبغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٠٢.

(١) الجبرية هم الغلاة في نفي استطاعة العبد على الفعل، وإضافته إلى الرب تعالى، وهم أصناف: الجبرية الخالصة، وهي التي لا تنسب للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة، وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، ويرى البعض أنّ الأشاعرة من أصناف الجبرية، وقد نفى الشهرستاني ذلك بقوله: فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري». الملل والنحل ١/ ٨٥، وراجع خطط المقريزي ٢/ ٣٤٩.

(٢) الجهمية أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأنّ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل بالله تعالى فقط، وأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله عزّ وجلّ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ودارت الرحى، وزعم أنّ علم الله تعالى حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره». الأشعري، مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٨، والبغدادي الفرق بين الفرق ص ٢١١ ـ ٢١٢، والشهرستاني الملل والنحل ١/ ٨٦ ـ ٨٧.

(٣) المعتزلة ويتسمون بأصحاب التوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، واختلف في وقت ظهور المعتزلة، فيرى البعض أنّ ظهورهم بدأ في قوم من أصحاب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ـ فاعتزلوا السياسة، وانصرفوا إلى العقائد، وأكثر العلماء على أنّ رأس المعتزلة واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد وأصحابهما، وتنبني عقيدة المعتزلة على أصولهم الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإثبات الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد افترق المعتزلة إلى عشرين فرقة، كل فرقة تكفر سائر الفرق الأخرى». الأشعري، مقالات الإسلاميين ٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، =

وقد اختلف في تحديد مدلول كلمة السلف، فيرىٰ البعض أنّ السلف (كل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره)[1].

وذهب البعض إلىٰ تحديد السلف زمنياً بأنهم من عاشوا في الفترة ما بين القرن الأول من الهجرة النبوية إلىٰ القرن الخامس، والخلف ما كان بعد ذلك»[2].

وهذان القولان بعد البحث والتنقيب لم أقف لهما علىٰ دليل يتعضدان به، مع أنه مما يترتب عليهما أن يكون أئمة الشيعة، والخوارج، والجهمية، والمرجئة، والمعتزلة، وغيرهم من الطوائف المبتدعة، داخلين في مفهوم السلف، وهذا باطل لأن هذه الطوائف خرجت عن مذهب السلف[3].

ويحدد أبو حامد الغزالي في إلجام العوام السلفَ بالصحابة والتابعين[4].

= والبغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٤ ـ ١١٤، والشهرستاني: الملل والنحل ١/٤٣ ـ ٤٤، والمقريزي: الخطط ٢/٣٤٥، وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٨٨ ـ ٥٨٩، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٤ ـ ١٥٩.

(١) محمد علي الفارقي التهانوني: كشاف اصطلاحات الفنون ٤/١٥ حققه الدكتور لطفي عبد البديع، وترجم نصوصه الفارسية الدكتور عبد النعيم محمد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

(٢) حاشية أحمد بن محمد الصاوي: الخلوتي علىٰ تفسير الجلالين: ٣/٤٩، دار الفكر ١٣٩٣ هـ، وحسن المشاط: رفع الأستار علىٰ طلعة الأنوار ص ١٣، الطبعة بدون تحديد تاريخ ولا مكان.

(٣) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء، والنحل ٥/٣٣، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ١٤٠٥ هـ، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص ٣١٣، والدكتور محمد أحمد خفاجي: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، تحليل ونقد ١/٢١، الطبعة الأولىٰ، مطبعة الأمانة، القاهرة [د. ت] والدكتور مصطفىٰ حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ٢٥٣، الطبعة الثانية دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٤٠٥ هـ.

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٥ طبعة صبيح وانظر القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ٢/٣٩، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٣ هـ.

وذهب آخرون إلىٰ أنّ السلف هم الصحابة والتابعون وتابعوهم[1].

وهذا القول هو الراجح، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه وفيه أنّ رسول الله ﷺ سئل: أي الناس خير؟ فقال: قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..»[2].. الحديث.

وأما من قال: إنّ السلف هم الصحابة، والتابعون، فالظاهر أنّ ذلك داخل في الحديث.

وليس مجرد هذا التحديد الزمني كافياً في الانتساب الصحيح للسلف، بل لا بدّ أن يضاف إلىٰ ذلك موافقة الكتاب والسنة في العقيدة والشريعة والسلوك، فمن خالف رأيه ما جاء في القرآن الكريم، وثبت في السنّة النبوية المطهرة، فليس بسلفي، وإنْ عاش في القرن الأول للهجرة، ذلك أننا نجد بعض من عاشوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم ـ وهم ضلال مضلون بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف ومنهجهم، أمثال عبد الله بن سبأ[3] الذي قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ أنت الإلٰه حقاً وزعم

---

(1) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١١٩، تحقيق: الدكتور علي سامي النشار والسيدة سعاد عبد الرازق، الطبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٨٩ هـ، والشوكاني: التحف في مذاهب السلف ص ٤٥، تقديم وتعليق سليم بن عيد الهلالي، وعلي حسن علي عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء ١٤٠٩ هـ، ومحمد أحمد الشنقيطي: شرح إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ص ٨٩، دار العلم للجميع [د. ت].

(2) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١١/٥٤٢، الطبعة السلفية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع [د، ت].

(3) هو عبد الله بن سبأ الضال المضل، ويقال له: ابن السوداء، يهودي من أهل صنعاء، أظهر الدخول في الإسلام في زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتجول في بعض الأقطار الإسلامية، وبث في المسلمين أفكاره المنحرفة المضللة، فكان رأس الفتنة، وموقدها، ومؤجج نارها، وجامع حطبها من أشتات الناس، ورذالهم البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٢٥، ٢٣٣ ـ ٢٣٤، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٩ ـ ٣٠.

أنّ علياً لم يمت، ولم يقتل، وأنّ فيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولىٰ عليه، وأنه هو الذي يأتي في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وابتسامته، وأنه سينزل إلىٰ الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً[1].

ونافع بن الأرزق[2] الذي تبرأ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكفر مخالفيه من المسلمين، واستحلّ دماءهم، وأنكر رجم الزاني المحصن»[3].

ومعبد بن خالد الجهني[4] الذي ظهرت بدعته في القدر في زمان المتأخرين من الصحابة رضي الله عنهم ـ كما تقدم قبل قليل.

لذلك ينبغي أن نتثبت في كل ما لدينا من أخبار وآراء نقلت إلينا علىٰ أنها تمثل مذهب السلف حتىٰ نعرضها علىٰ الكتاب والسنة، وما ثبت عن

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/٨٦ ـ ٨٨، والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٧٤، والمقريزي: الخطط ٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٢) هو نافع بن الأزرق الحنفي خرج في البصرة في عهد عبد الله بن الزبير، واشتدت شوكته، وكثرت جموعه، فبعث إليه عبد الله بن الحارث جيشاً كثيفاً بقيادة مسلم بن عبس بن كريز بن ربيعة، واشتد القتال بين الطرفين حتىٰ قتل مسلم أمير الجيش، وقتل أمير الخوارج نافع بن الأزرق، وكان ذلك في عام ٦٠ هـ، وقيل في عام ٦٥ هـ. الشهرستاني: الملل والنحل ١/١١٨ ـ ١١٩، والبغدادي: الفرق بين الفرق ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) المقريزي: الخطط ٢/٣٥٤، والأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٦٨ ـ ١٧٤، ومحمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٤) هو معبد بن خالد الجهني، البصري، سمع الحديث من ابن عباس، وابن عمر، ومعاوية، وعمران بن حصين، وغيرهم، وشهد يوم التحكيم، وهو أول من تكلم في القدر في الإسلام، ويذكر أنه أخذ ذلك عن رجل من النصارىٰ من أهل العراق، يقال له [سوس] وقد كانت لمعبد عبادة، وفيه زهادة، وقد وثقه ابن معين وغيره في حديثه، ووصفه الحسن البصري بأنه ضال مضل، واختلفوا في موته، فقيل: صلبه عبد الملك بن مروان، وقيل: خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج بن يوسف فعذبه بأنواع من العذاب ثم قتله، وأرخوا موته في سنة ٨٠ هـ ويقال: بعدها. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١٨، وابن كثير: البداية والنهاية ٩/٣٤، مكتبة المعارف، بيروت [د. ت].

السلف الصالح رضي الله عنهم، فمن كان على هذا النهج فهو سلفي، وإن عاش في عصور متأخرة، ومن خالفه فهو غير سلفي وإن عاش في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

وعلى ذلك فإنّ السلفية كما عرفها بعض العلماء المعاصرين هي «ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالأمانة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضٍ مثل الخوارج، والروافض[1]، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة[2]».

أما كتب الفرق، فغالبية أصحابها يعرفون السلفيين ومذهبهم باسم: أهل الحديث والسنة، وربما ذكروهم باسم [الصفاتية].

يقول الأشعري في بداية كلامه عن مذهب السلف: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنّة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئاً،

---

(١) الروافض: هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية، وآخرين من الصحابة، رضي الله عنهم، وسموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال: هما وزيرا جدي محمد ﷺ فرفضوا رأيه، فسموا بالروافض، وقيل سموا بالروافض لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: سموا رافضة لكونهم رفضوا الدين، وهم مجمعون على أنّ النبي ﷺ نصّ على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك، وأعلنه، وأنّ أكثر الصحابة رضي الله عنهم ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأنّ الإمامة لا تكون إلا بنص، وتوقيف، وأنّ الإمام لا يكون إلا أفضل الناس وأنّ علياً كان مصيباً في جميع أحواله، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٨ ـ ٨٩، والمقريزي: الخطط ٢/ ٣٥١، والشهرستاني الملل والنحل ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) أحمد بن حجر: العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ١/ ٦، الطبعة ١٣٩٠ هـ.

وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنه سبحانه علىٰ عرشه»[1].

ويذكر البغدادي السلفيين باسم أهل السنّة، والصفاتية معاً، فيقول: من أهل السنّة أئمة الفقه، فريقي الرأي والحديث الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله، وفي صفاته الأزلية، وتبرءوا من القدر، والاعتزال، وأثبتوا رؤية الله بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، مع إثبات السؤال في القبر، ومع إثبات الحوض، والصراط، والشفاعة، وغفران الذنوب التي دون الشرك، وقالوا بدوام نعيم الجنة علىٰ أهلها، ودوام عذاب النار علىٰ الكفرة، وقالوا بإمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وتبرءوا من أهل الأهواء الضالة، وأوجبوا استنباط أحكام الشريعة من الكتاب والسنّة، وإجماع الصحابة، وأوجبوا طاعة السلطان فيما ليس بمعصية.

ويدخل في هذه الجماعة أئمة المذاهب الأربعة، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأصحابهم، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولم يخلطوا فقهه بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة»[2].

أما الشهرستاني فقد ذكر السلفيين باسم أصحاب الحديث[3]، وعنون لهم فصلاً بالصفاتية، ثم قال: اعلم أنّ جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالىٰ صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة،

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/٣٤٥، والإبانة عن أصول الديانة: ص ٥٣، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥ هـ.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣١٣ ـ ٣١٥.

(٣) الملل والنحل: ١/١٠٣.

والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة، لا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل: اليدين، والوجه، ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية.

ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات، والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية، والمعتزلة معطلة»[(١)].

وقد أطلق على السلفيين في بعض المراحل بعد اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره اسم [الحنابلة] لأنه لم يبق على مذهب السلف في هذا الدور إلا الحنابلة، أتباع الإمام أحمد بن حنبل، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات»[(٢)].

وفي الحقيقة أنّ الفرق الإسلامية المختلفة ظلت على مدى التاريخ تعلن ارتباطها بالسنة، وكل طائفة تدعي أنها على النهج القويم، والطريق المستقيم، وتحاول الانتساب للسلف، حتى أنّ لفظ السلف أصبح يطلق في عرف كثير من المتأخرين من علماء الكلام والتفسير على أئمة المذاهب المختلفة الذين ينتمون إليها، ويوجبون على جميع الناس تقليد هؤلاء الأئمة فيما ذهبوا إليه من آراء، ومعتقدات.

ولهذا كان سلف الأشاعرة[(٣)] غير سلف المعتزلة، وسلف الشيعة غير

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٩٢.

(٢) المقريزي: الخطط ٢/ ٣٥٩، والدكتور مصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ٣١ وراجع كتاب ابن حجر فتح الباري ٣/ ٤٠١ - ٤٠٢، ١٣/ ٤٥٥.

(٣) ينتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، المولود عام ٢٦٠ هـ صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها: [الإبانة عن أصول الديانة]، [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين]، وقد توفي الأشعري عام ٣٢٤ هـ على قول الأكثرين، وكان معتزلياً فرجع عن الاعتزال، ورد على المعتزلة وبين تناقضهم.
ومن مذهبه: أنّ الواجبات كلها سمعية، وأنّ العقل لا يوجب شيئاً، وأن لله صفات =

سلف الخوارج، وأصبحت كلمة السلف واسعة المدلول[1].

ولكن إذا أردنا أن نميز بين السلفيين والفرق الأخرىٰ المنتسبة للإسلام، بصفة دقيقة ـ فلا بدّ من ضوابط موضوعية تكون مقياساً للانتساب الصحيح للسلف خاصة وأنّ مفهوم السلف تثار حوله نزاعات حيث تحاول كل فرقة أن تنتسب إلىٰ السلف، أو تتسمىٰ باسم أهل السنة، أو تدَّعي أنها

= أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، دلت أفعاله عليها، لا يمكن جحدها، ككونه تعالىٰ عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، والكلام عنده: معنىٰ قائم بالنفس سوىٰ العبارة، والعبارة دلالة عليه من الإنسان، فالمتكلم عنده من قام به الكلام، والأشاعرة يتفقون علىٰ إثبات الصفات الذاتية بالعقل بدون تأويل، ويختلفون في صفات الفعل والصفات الخبرية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، واليد، والوجه، علىٰ فرقتين:

* فرقة تأول جميع ذلك.

* وفرقة تفوض فيه، ولم تتعرض للتأويل، ويقال لهم الأشعرية الأسرية، والإيمان عند الأشعري هو التصديق بالجنان، والقول باللسان، والعمل بالأركان فروع الإيمان.

أما أفعال العباد، فإنّ الأشعري يقول فيها: والعبد قادر علىٰ أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة، وبين حركات الاختيار والإرادة، ويسمىٰ هذا الفعل كسباً فيكون خلقاً من الله تعالىٰ، إبداعاً وإحداثاً وكسباً من العبد، حصولاً تحت قدرته.

وقد أعلن الأشاعرة أنهم يدافعون عن العقيدة السلفية بواسطة علم الكلام، أو بالطرق العقلية، وأنهم يعدون امتداداً للسلف، وأطلقوا علىٰ أنفسهم اسم [الخلف]، تمييزاً عن من سبق أبا الحسن الأشعري. الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٩٤/ ١٠٣، والمقريزي: الخطط ٢/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠، وابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري، ص ٣٤ ـ ٣٥، ١٤٧، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ، وابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٦٥، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولىٰ، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت ١٤٠٥ هـ، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٦٠ ـ ١٧٢، ومصطفىٰ حلمي: قواعد المنهج السلفي، ص ٣٢١.

(١) الدكتور محمد السيد الجلنيد: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل: ص ٥٢، الناشر: شركة عكاظ بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ والدكتور: محمود أحمد خفاجي: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ص: ٢٠.

لا تخالف منهج السلف وعقيدتهم على الأقل.

ولا شك أنّ من تتبع المنهج العقدي عند شيوخ المدرسة السلفية سوف يجد ضوابط موضوعية تجمع بين فكر السلفيين في القديم والحديث، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصحابة رضي الله عنهم ـ المنقول بواسطة المحدثين، هذا الفهم الذي وصفه المقريزي بقوله: «ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن شيء مما وصف الله به نفسه الكريمة، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بل كلهم فهموا ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا لله تعالى صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، ونحو ذلك، مع نفي مماثلته للمخلوقين.

فأثبتوا رضي الله عنهم ـ بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء من ذلك، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت»[(١)].

إنّ أبرز سمات السلفيين التي تميزهم عن الفرق الإسلامية الأخرى في القديم والحديث هي: تقديم النقل على العقل، ورفض التأويل الكلامي، والاستدلال بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقوف عند النص»[(٢)].

هذه هي قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي، وهي تعتبر عنواناً مؤشراً على اتباع مذهب السلف، والاقتداء بهم، في فهم الإسلام، ولذلك: فإنّ مدلول السلفية: أصبح مع التطور التاريخي لظهور الفرق

---

(١) الخطط: ٢/٣٢٦.

(٢) مصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ٢٥٣ ـ ٢٦٣.

الإسلامية منحصراً في المدرسة السلفية التي حافظت علىٰ العقيدة والمنهج الإسلامي طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقوه جيلاً بعد جيل، وأبرز سماتهم التمسك بمنهج النقل»[1].

هذا ويمكن أن نستخلص مما تقدّم أنّ السلف هم: «أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون، دون المبتدعين، ثم أصبح مدلول السلفية اصطلاحاً يطلق علىٰ من تمسك بمذهب السلف، وترك مذاهب المبتدعة، ولذا فإنّ مذهب السلف غير منحصر في مرحلة زمنية معينة كما زعم الدكتور البوطي[2]، ولكنه ممتد إلىٰ العصر الحاضر، ولله الحمد ـ حيث ما تزال توجد إلىٰ حد الآن جماعة مؤمنة تدين الله عزّ وجلّ وفق عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، وسوف يستمر ذلك ويزداد بإذن الله تعالىٰ ـ حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها. والله الموفق.

* * *

(١) محمد الهبراوي: عقيدة ابن تيمية الحنبلي: تحقيق للعقيدة السلفية ودراسة للمنهج السلفي التيمي والأشعري ص ٤٤ ـ ٤٥، منشورات دار الحكمة، دمشق، بيروت، [د. ت]، ومصطفىٰ حلمي: ابن تيمية والتصوف ص ٧، دار الدعوة، الإسكندرية، [د. ت] وقواعد المنهج السلفي ص ٢٣.

(٢) ألف الدكتور سعيد رمضان البوطي كتاباً بعنوان: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، وقد ردّ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان علىٰ هذا الكتاب بكتاب آخر سماه: نظرات وتعقيبات علىٰ ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان، من الهفوات، وتضمن هذا الكتاب ـ علىٰ الرغم من صغر حجمه ـ ردوداً قوية علىٰ كتاب الدكتور البوطي واعتمد مؤلفه في ردوده علىٰ الكتاب والسنّة، وأقوال السلف، وعلماء السنة، وقد طبع الكتاب للمرة الثانية في الرياض عام ١٤١١ هـ فليراجعه من أراد التوسع في هذا الموضوع.

المبحث الثاني

منهج السلف في دراسة العقيدة

لقد جرىٰ عمل السلف الصالح في حياة الرسول ﷺ علىٰ اتباع كتاب الله المنزل، وسنّة رسوله الكريم ﷺ، والرجوع إليه في كل ما شجر بينهم، معتصمون بحبل الله، لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله، وإذا أراد أحدهم معرفة شيء في الدين والكلام، نظر فيما قاله الله ورسوله، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل»[1].

وقد نهىٰ النبي ﷺ أصحابه عن الجدل، وصرفهم عنه إلىٰ ما يتصل بالأمور النافعة.

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله ـ في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم: أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا عجزة إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتىٰ ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم علىٰ أنبيائهم، وضرب الكتب بعضها ببعض، إنّ القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٤١، وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق ص ٩٨.

فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلىٰ عالمه»[1].

وقد أخرجه البخاري في كتابه خلق أفعال العباد بلفظ آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون[2].

فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تضربوا بعضه ببعض، ما علمتم منه فقولوا، وما لا فكلوه إلىٰ عالمه»[3].

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدىٰ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[4].

علىٰ هذا المنهج الذي رسمه رسول الله ﷺ والذي يعتمد علىٰ الكتاب والسنّة، والوقوف عند نصوصهما، والابتعاد عن الجدل في الدين،

---

(١) مسند الإمام أحمد: تحقيق أحمد محمد شاكر رقم ٦٧٠٢، ٢٢٨/١٠، طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م. قال أحمد محمد شاكر إسناده صحيح وهو أيضاً رقم: ٦٦٦٨، بلفظ خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون. . .، قال أحمد محمد شاكر إسناده صحيح.

(٢) التدارؤ: التدافع والاختلاف، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١٠٩/٢، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٩ هـ.

(٣) خلق أفعال العباد ضمن عقائد السلف: ص ١٥٤، تحقيق علي سامي النشار، وعمار جمعي الطالبي، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ م.

(٤) سنن الترمذي ٥٥/٥، مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م، ومسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٢٥٦/٥، فهرس محمد ناصر الدين لرواته من الصحابة، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م، وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله ١١٩/٢، طبعة دار الفكر، بيروت، [د. ت] والآية رقم ٥٨ من سورة الزخرف.

سار سلف هذه الأمّة، فابتعدوا عن المناقشات الجدلية، وكرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، فلم يتكلموا إلا في ما جاء فيه العلم، وبينه الرسول ﷺ»[1].

ويذكر المقريزي ذلك بقوله: ولم يكن عند أحد منهم أي الصحابة رضي الله عنهم ـ ما يستدلّ به على وحدانية الله تعالى ـ وعلى إثبات نبوّة محمد ﷺ، سوى كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية، ولا مسائل الفلسفة، ومضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا»[2].

ويصور الشهرستاني موقف السلفيين وتمسكهم بالكتاب والسنّة عند ظهور بدع المعتزلة بقوله: إنّ السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام، ومخالفة السنّة التي عهدوها من الأئمة الراشدين، تمسكوا بمنهاج المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، منهم مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، فسلكوا طريق السلامة، وقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنّة، ولا نتعرض للتأويل»[3]، بل نعلمُ قطعاً أنّ الله

---

(١) البخاري: خلق أفعال العباد ضمن عقائد السلف ١٥٤.

(٢) المقريزي: الخطط ٢/ ٣٥٦.

(٣) لفظ التأويل: يستعمل في ثلاثة معانٍ: أحدها: أنّ التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدليل يقترن به، وهذا المعنى للتأويل هو المقصود هنا، وهو الذي اصطلح عليه كثير من متأخري المتكلمين والأصوليين.

المعنى الثاني: أنّ التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب في اصطلاح المفسرين للقرآن الكريم، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل.

والمعنى الثالث: من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: **﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق..﴾** سورة الأعراف الآية: ٥٣، شيخ الإسلام ابن تيمية: الرسالة التدمرية ص ٢٩، الطبعة الثالثة، نشر قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ١٤٠٠ هـ، والفتوى الحموية الكبرى ص ٤٠ ـ ٤٢، وابن أبي العزّ الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٢ ـ ٢٣٥.

عزّ وجلّ لا يشبهه شيء من المخلوقات وأنّ كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره»[1].

هذا هو نهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة الإسلام الذين ساروا علىٰ طريقتهم في دراسة العقيدة، وفي تلقي الإسلام وفهمه، وتطبيقه، فكانوا جميعاً لا يتجاوزون الكتاب والسنّة، ولا يبحثون عن الدليل في الطرق الكلامية، ولا مسائل الفلسفة لتصديقهم، بأنّ ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق، وهو ما كان عليه المؤمنون الأولون من المهاجرين والأنصار.

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «ولم يستوعب الحق إلاّ من اتبع المهاجرين والأنصار، وآمن بما جاء به الرسول ﷺ علىٰ وجهه»[2].

وقد درج علماء المدرسة السلفية علىٰ هذا النهج علىٰ امتداد التاريخ الإسلامي لإيمانهم ـ العميق ـ بأنه لا نجاة إلا باتباع الكتاب والسنّة، وما أجمع عليه سلف الأمّة، وما استجد بعد ذلك من أصول عند المتأخرين، محدث مبتدع في الإسلام مسبوق بإجماع السلف علىٰ خلافه، والنزاع الحادث بعد إجماع السلف مقطوع بخطئه»[3].

وبهذا المنهج الذي يعتمد علىٰ الكتاب والسنّة، وقف علماء المدرسة السلفية في وجه المتكلمين والفلاسفة، واستعاضوا بأدلة القرآن والحديث عن التأويلات الكلامية لدىٰ شيوخ المعتزلة والأشاعرة»[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إنّ العلوم الإلهية والدينية سمعيَها

---

(١) الملل والنحل: ١/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) الفرقان بين الحق والباطل ص: ٨٥، وراجع: عقيدة باب بن الشيخ سيدي ص ٤، مخطوط عندي صورة منه.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ١٦، ٤١ ـ ٤٢، وبداه بن البصيري: الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد ص ١، مخطوط عندي صورة منه.

(٤) مصطفىٰ حلمي قواعد المنهج السلفي ص ٢٦٣.

وعقليها إنما تؤخذ من الرسول ﷺ ويجعل ما جاء به هو الأصول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية علىٰ أنّ ما قاله حق جملة وتفصيلاً.

وأيضاً فإنّ الأنبياء والرسل إنما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به، وأحقهم بقيامه، وأولاهم بالحق فيه»[1].

وقد أكمل الله عزّ وجلّ هذا الدين وأتمّه في حياة الرسول ﷺ فلم ينتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ إلا وقد بين كل ما يحتاج إليه الناس في أمر الدين وبلغه البلاغ المبين، يقول تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبداً وقد أتمه فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً[3].

وكان من أبرز ما تميز به علماء المدرسة السلفية هو: أنهم طوعوا المفاهيم العقلية لنصوص الكتاب والسنّة لإيمانهم الراسخ بأنّ الرسول ﷺ جاء بالهدىٰ ودين الحق، وأنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم، وأنه ما من مسألة من مسائل الدين التي بعث الله بها رسوله ﷺ إلا وقد جاء بيانها في الكتاب أو السنّة وكان للسلف الصالح فيها كلام»[4].

قال الخطابي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في رسالته الغنية عن الكلام ما نصه: لم يترك رسول الله ﷺ شيئاً من أمر الدين قواعده، وأصوله، وشرائعه، وفصوله: إلا بينه، وبلغه علىٰ كماله وتمامه»[5].

---

(١) راجع الفرقان بين الحق والباطل المصدر السابق ص ٩٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) رواه ابن جرير الطبري بسنده، راجع تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦/ ٦٩.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ١٧ ـ ١٨، والفتوىٰ الحموية الكبرىٰ ص ١١ ـ ١٢، والرسالة التدمرية ص ٢٢.

(٥) الخطابي: الغنية عن الكلام، تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/ ١٤١.

وسنلقي الضوء فيما يأتي على الفوارق الأساسية التي يتميز بها منهج السلف عن المناهج الكلامية، وهي: التمسك بنصوص الكتاب والسنّة والوقوف عندها، ورفض التأويل الكلامي، والعمل بكل ما صحّ عن النبي ﷺ في أصول الدين، وفروعه، لا يفرقون في ذلك بين الأحاديث المتواترة، وأحاديث الآحاد، والأخذ بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - وتقديمها على أقوال من جاء بعدهم، وفيما يلي بيان ذلك:

الفوارق الأساسية التي تميز منهج السلف عن المناهج الكلامية:

إنّ من المعلوم أنّ جميع المنتسبين للإسلام متفقون على الاستدلال بالقرآن الكريم في العقيدة وفي غيرها، غير أنّ المتكلمين يؤولون كثيراً من الآيات القرآنية، وخاصة ما فيه ذكر للصفات الإلهية.

يقول محمد بن أحمد الشنقيطي: «والنص من القرآن أو الحديث إن أدخل في الوهم معنىً غير لائق بالله[1]. فاصرفه عن ظاهره بإجماع السلف[2]

---

(١) يستحيل أن يصف الله تعالىٰ نفسه أو يصفه رسوله ﷺ بما ظاهره غير لائق بجلاله وكماله، إذ لا أحد أعلم بالله من الله، كما قال عزّ وجلّ: ﴿**أأنتم أعلم أم الله**﴾ البقرة: ١٤٠، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ الذي قال في حقه ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ**﴾ النجم: ٣ - ٤، ولا شك أنّ النبي ﷺ بين الدين لأمته أبلغ بيان وأتمه امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم..**﴾ النحل: ٤٤.
ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ السلف الصالح وأئمة المسلمين لا يرضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً، والله أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال» انظر الرسالة التدمرية ص ٢٣.

(٢) هذه الدعوىٰ التي هي إجماع السلف والخلف على وجوب صرف اللفظ المزعوم أنه غير لائق بالله تعالىٰ عن ظاهره مردودة. يقول ابن كثير عند قوله تعالىٰ: ﴿**ثم استوىٰ على العرش**﴾ الأعراف: ٥٤، إنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من =

والخلف[1].

وهذا الكلام السالف الذكر، يتبيّن لنا من خلاله المنهج الذي سار عليه المتكلمون وهو تقديم العقل على النقل في الاستدلال حيث أنهم يشترطون في الاستدلال بالنصوص الشرعية، من الكتاب والسنّة، بألا يعارضها ما يسمونه بالقواطع العقلية.

وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: إنّ الاستدلال بالسمع مشروط عند المتكلمين بألا يعارضه قاطع عقلي، فإذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه»[2].

أما أصحاب المدرسة السلفية فإنهم يجانبون تأويل النصوص الشرعية بما يخالف ظاهرها ولا يخبرون عن شيء من صفات الله عزّ وجلّ ولا غير صفاته إلا بعد أن يخبر الله تعالىٰ بما يخبرون به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره»[3].

ولا يرون تعارضاً بين العقل الصريح، والنقل الصحيح[4]، ولذلك فإنّ من أبرز السمات التي تتجلىٰ فيها الأصول الثابتة لعقيدة السلف هي: الإيمان

= أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله تعالىٰ فإنّ الله لا يشبهه شيء من خلقه، وليس كمثله شيء، تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٠، ٢/ ١٤٢، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٨٨ هـ، والنووي علىٰ صحيح مسلم ١٢/ ٢١١، الطبعة المصرية [د. ت] وبداه بن البصيري: تنبيه الخلف الحاضر علىٰ أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء علىٰ الظواهر، ص ١، الطبعة الأولىٰ، نواكشوط ١٤١٠ هـ.

(١) محمد بن أحمد الشنقيطي، شرح إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لأحمد المقري ص ٨٨.

(٢) الفرقان بين الحق والباطل: ص ٩١.

(٣) انظر المصدر السابق نفسه ص ٤٠، وابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية، الحموية الكبرىٰ ص ٣٥، ومن المعروف أنّ ابن تيمية، ألف كتاباً مفيداً مشهوراً سماه: درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

بأسماء الله وصفاته من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تأويل لها، بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً، بل أمروها كما جاءت في كتاب الله، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ.

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «قد روينا عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد، في الأحاديث في الصفات، أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت مثل حديث النزول»[١] وغيره من أحاديث الصفات[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أنّ طريقة سلف الأمّة وأئمتها إثبات ما أثبته الله من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه»[٣].

والدليل علىٰ أنّ هذا هو مذهب السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ أنهم نقلوا إلينا القرآن، وأخبار الرسول ﷺ، نقل مصدق مؤمن بها، قابل لها غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها، ولم يؤولوا ما يتعلق بالصفات منها، ولم يشبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك

---

(١) هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه ولفظه: ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، صحيح البخاري مع الفتح ٣/٢٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/٣٦.

(٢) راجع جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٨.

(٣) الرسالة التدمرية ص ٤، والحموية الكبرىٰ ص ٣١ ـ ٣٢، وابن رجب الحنبلي: فضل علم السلف علىٰ علم الخلف ص ٣٣، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولىٰ، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٤ هـ، والشوكاني: التحف في مذاهب السلف ص ٣٥ ـ ٣٦، وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ٢/١٣.

لنقل إلينا عنهم، كما نقل إلينا اختلافهم في بعض مسائل الفروع»[1].

وأما الاستدلال بالأحاديث النبوية في مسائل العقيدة، فإنّ أهل السنّة والجماعة يستدلون بكل ما صح عن النبيّ ﷺ لا يردون شيئاً منه، ولا يؤولونه، ولا يفرقون في ذلك بين الخبر المتواتر، والآحاد[2]. ويستشهدون على ذلك بالأدلة التي تأمر بتصديق الله تعالى، فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[3]، وما في معناها من الآيات.

كما استدلوا بعمل الرسول ﷺ في أنه كان يرسل واحداً واحداً من أصحابه إلى الملوك والأمراء والقبائل، والجهات.

وقد بوّب البخاري لذلك فقال: باب: كان يبعث النبي ﷺ الأمراء

---

(١) الخطابي: الغنية عن الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٤٢، والمقريزي: الخطط ٢/٣٥٦، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) المتواتر: ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات سنده إلى منتهاه، بشرط أن يكون مستند انتهائهم الحس ـ الرؤية أو السماع أو الشم أو الذوق أو اللمس، والآحاد: هو الخبر الذي لم ينته إلى حد التواتر ولم يقصر عن درجة الاحتجاج به، وإن روته جماعة. للتوسع في ترعيف المتواتر والآحاد وما يفيده كل واحد منهما، راجع: كتاب ابن حجر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر مع شرحه ص ٨ ـ ١١، ٣٠ ـ ٣١، راجعه وقدم له الدكتور محمد عوض، وعلق عليه محمد غياث الصباغ، الطبعة الثانية، مكتبة الغزالي دمشق، : ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م. وأحمد محمد شاكر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير ص ٢٩ ـ ٣١، تقديم محمد عبد الرزاق حمزة، الطبعة الثالثة، مكتبة دار التراث ١٣٩٩ هـ، والأمين الحاج حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد ص ٤٣ ـ ٤٤، الطبعة الأولى، دار المطبوعات الحديثة، جدة ١٤١٠ هـ. والدكتور أحمد محمود عبد الوهاب: خبر الواحد وحجيته، ص ٥٩، وما بعدها، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

والرسل واحداً بعد واحد»[1].

وقد أخرج البخاري أيضاً عن حذيفة أنّ النبي ﷺ قال لأهل نجران: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ فبعث أبا عبيدة»[2].

وأخرج أيضاً عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ بعث معاذاً إلىٰ اليمن فقال: «ادعهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد علىٰ فقرائهم»[3].

ولو لم يكن خبر الواحد ملزماً للحجة ومثبتاً للعقائد لما اقتصر ﷺ علىٰ واحد في ذلك.

وبهذا يثبت أنّ خبر الواحد إذا صح وتلقته الأمة بالقبول، يجب العمل به في العقائد، والأحكام، وهو منهج السلف، وقول جمهور العلماء، من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأكثر أصحاب الأشعري[4].

يقول ابن عبد البر: إنّ جماعة أهل الأثر والفقه، كلهم يدين الله عزّ وجلّ بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٣٦، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت [د. ت].
(٢) المصدر السابق نفسه ٨/١٣٤.
(٣) المصدر السابق نفسه ٢/١٠٨.
(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ ١٨/٤١، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي الحنبلي، وابنه محمد، طبع في القاهرة ١٤٠٤ هـ، وراجع كتاب الدكتور عمر الأشقر، العقيدة في الله ص ٤٩ ـ ٥٠، الطبعة الخامسة، مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٨٤ م.

شرعاً وديناً في معتقده، وعلىٰ ذلك جماعة أهل السنة[1].

وقد صرح أبو المظفر السمعاني بأن خبر الواحد يوجب العلم[2] عند عامة أهل الحديث إذا صح، وتلقته الأمة بالقبول، حيث قال:

«إنّ خبر الواحد إذا صح وتلقته الأمة بالقبول يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقنين من القائمين علىٰ السنة، والمقولة التي تذكر أنّ خبر الواحد لا يفيد العلم بحال شيء اخترعته القدرية، والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم من العلم قدم ثابت، ولم يقفوا علىٰ مقصودهم من هذا القول»[3].

وإذا كان منهج السلف هو الإيمان والتصديق بكل ما صح عن النبي ﷺ والعمل بمقتضاه في أصول الدين، وفروعه، لا يفرقون في ذلك بين الخبر المتواتر، وخبر الآحاد، فإن بعض المتكلمين، وعلىٰ رأسهم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد ١/٨، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد، ومحمد عبد الكبير، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤٠٢ هـ وراجع لابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧ ـ ١١٨، ولأبي المظفر السمعاني: الانتصار لأهل الحديث، تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/٢١٣ ـ ٢١٤، وكتاب الأمين الحاج: حجية أحاديث الآحاد المرجع السابق ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) قال أحمد محمد شاكر: اختلفوا في الحديث الصحيح هل يوجب العلم القطعي اليقيني وهي مسألة دقيقة: فذهب بعضهم إلىٰ أنه لا يفيد العلم، بل هو ظني الثبوت، وهو الذي رجحه النووي في التقريب، وذهب آخرون إلىٰ أنه يفيد العلم اليقيني، وهو مذهب داود الظاهري، والحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي، وحكي عن مالك، وهو اختيار ابن حزم، والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة أنّ الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي سواء كان في أحد الصحيحين أو في غيرهما، الباعث الحثيث المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠، وراجع كتاب الأمين الحاج: حجية أحاديث الآحاد المرجع السابق ص ٧٠ ـ ٧١.

(٣) أبو المظفر السمعاني: الانتصار لأهل الحديث، تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/٢١٢.

المعتزلة، قد أسرفوا في تقدير سلطان العقل، وتقديمه على النص، حيث اعتمدوا في الاستدلال لإثبات العقائد على القضايا العقلية، فكل مسألة يعرضونها على العقل فما قبله أقروه، وما لم يقبله رفضوه»[1].

وقد رد المعتزلة خبر الآحاد في مسائل الاعتقاد، لأنه لا يفيد العلم القطعي عندهم، واشترطوا في قبوله أن يكون موافقاً لحجج العقول، فإن لم يكن موافقاً لها فالواجب أن يرد أو يتأول»[2].

واحتجوا لذلك بأنه لا بد من اليقين في المسائل العقدية، لأن الله عزّ وجلّ ذم المشركين على اتباعهم الظن[3] في قوله تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[4] وما في معناها من الآيات التي ذم الله فيها المشركين على اتباعهم الظن، وفات عليهم أنّ الظن المذكور هو الذي ليس له مستند إلا حسن ظن هؤلاء المشركين بآبائهم الأقدمين وتعظيمهم[5].

فهذا هو الظن الذي عابه الله على المشركين، أما الظن الغالب الذي يفيده خبر الآحاد عند من يقول بإفادته للظن فلا يدخل في ذلك[6].

ولو كان الظن الذي عابه الله على المشركين هو الظن الغالب الذي يفيده خبر الآحاد لكان لا يجوز الأخذ به في الأحكام الشرعية أيضاً، لأن

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٢٩، والدكتور محمود أحمد خفاجي: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ١/٥٢.

(٢) عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة ص ٧٧٠، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م.

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص ١٥٦٦: الظن: التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم وقد يوضع موضع العلم.

(٤) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٥) راجع تفسير ابن كثير ٤/٢٤٥، وتفسير الشوكاني فتح القدير ٥/١٠٩، طبعة بيروت [د. ت].

(٦) الأمين الحاج: حجية أحاديث الآحاد، المرجع السابق ص ٦٩.

الله عزّ وجلّ أنكر على المشركين الأخذ بالظن إنكاراً مطلقاً ولم يخصه بالعقيدة دون الأحكام[1].

ثم إننا لا نسلم أنّ خبر الآحاد إذا صح وتلقته الأمة بالقبول لا يفيد إلا الظن، بل هو يفيد العلم عند كثير من العلماء، كما تقدم قبل قليل.

وأما الأخذ بأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو تقديمها على أقوال من جاءوا بعدهم، فإنّ المرجع في ذلك يعود إلى ما خصهم الله به من صحبة رسول الله ﷺ ومعاصرتهم للوحي الإلهي، فهم خير القرون، وأفضل الأمة، وأكرم الخلق على الله بعد النبيين، خصهم بما خصهم به من الفضائل الكثيرة.

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[2].

هذا مع ما يمتازون به من الفهم اللغوي لنصوص القرآن الكريم، والسنّة النبوية المطهرة، فهم أعرف الناس بما يليق بالله تعالى، وما ينزه عنه جلّ وعلا، ذلك أنهم الجيل المثالي في فهم الإسلام، وتطبيقه، وقد بلغوا الذروة في ذلك استيعاباً وتنفيذاً[3].

---

(١) عمر الأشقر: العقيدة في الله ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١٩/٢، وابن تيمية الرسالة التدمرية ص ٦٥.

(٣) راجع في هذا الموضوع خطط المقريزي ٣٥٦/٢، وتاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق ٩٨، والدكتور مصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ٣٩.

موقف السلف من الخوض في علم الكلام[1]:

لقد وقف السلف من علم الكلام موقفاً معارضاً فحرموا الاشتغال به، والخوض فيه، وكرهوا مناظرة أهله، وذموه، وسار علىٰ هذا الدرب علماء المدرسة السلفية علىٰ امتداد التاريخ الإسلامي، وذلك لكون هذا العلم لم يرد الأمر به في كتاب ولا سنّة، ولا وجد عن السلف البحث فيه[2]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ فإنه قد يؤدي بصاحبه إلىٰ الانسلاخ من الدين[3].

ولذلك زجروا عنه، وعدوه من المحدثات والبدع[4]، وسنورد من أقوال أئمة السلف ما يلقي الضوء علىٰ موقفهم من هذا العلم.

فقد أخرج الهروي بسنده عن عكرمة بن عبد الله مولىٰ ابن عباس أنّ نجدة بن عامر[5] قال لعبد الله بن عباس: كيف معرفتك بربك؟ فقال ابن

---

(١) علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد علىٰ المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف، وأهل السنة» ابن خلدون: المقدمة ص ٤٥٨.

الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت ١٩٨٤ م، وعرفه بداه بن البصيري بقوله: هو ما تنصب فيه الأدلة العقلية، وينقل فيه أقوال الفلاسفة» الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد ص ٩.

(٢) السيوطي: صون المنطق ١/ ٦٤.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١١٩، وابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٢، ٨٥، تصحيح وتعليق إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر، طبعة دار الفكر [د. ت].

(٤) السيوطي: صون المنطق ١/ ٢١١.

(٥) نجدة بن عامر الحنفي زعيم فرقة من الخوارج، وكان السبب في زعامته أنّ جماعة من أتباع نافع بن الأزرق نقموا عليه أشياء، فذهبوا إلىٰ اليمامة، وأخبروا بذلك نجدة بن عامر، وبايعوه وكفروا من قال بإمامة نافع بن الأزرق، وأقاموا علىٰ إمامة نجدة إلىٰ أن اختلفوا عليه في أمور نقموها عليه فقتلوه عام ٦٩ هـ بعد أن استولىٰ علىٰ اليمامة والبحرين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق: ص ٨٧ ـ ٩٠، =

عباس: إنّ من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس مائلاً عن المنهاج طاعناً في الاعوجاج، أعرفه بما عرف به نفسه، ومن غير روية وأصفه بما وصف به نفسه»[1].

وأخرج ابن عبد البر بسنده عن الحسن البصري: «لا تجالسوا أهل الأهواء»[2] ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[3].

وأخرج الهروي بسنده عن نوح الجامح قال: قلت لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة عليك بالأثر، وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة»[4].

وسئل أبو حنيفة مرة أخرىٰ عن الكلام في الأعراض والأجسام فقال: «لعن الله عمرو بن عبيد فإنه هو الذي فتح علىٰ الناس الكلام في هذا»[5].

وقال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثنا علىٰ الفقه وينهانا عن الكلام»[6].

= والشهرستاني: الملل والنحل ١/١٢٢ ـ ١٢٣، ومحمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧٤ ـ ٧٦.

(١) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/٨٨.

(٢) رأس الأهواء: القدر، والإرجاء، ورأي الحرورية، والرافضة، أبو المظفر السمعاني: الانتصار لأهل الحديث، تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/٢٠٥، وأصل الهوىٰ في اللغة العشق، وإرادة النفس، قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص ١٧٣٥: الهوىٰ بالقصر العشق، يكون في الخير والشر، وإرادة النفس، وقال الشوكاني عند تفسيره للآية ٢٣ من سورة النجم: وهي قوله تعالىٰ: **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوىٰ الأنفس﴾** قال: المعنىٰ: تميل إليه وتشتهيه من غير التفات إلىٰ ما هو الحق الذي يجب الاتباع له» فتح القدير ٥/١١٩، وانظر المرجع السابق نفسه ٢/٢٦٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله: ٢/١١٨، والهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/٩١.

(٤) المصدر السابق نفسه ١/٩٩ ـ ١٠٠.

(٥) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٩٢.

(٦) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠١.

وقال أبو يوسف: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل له زنديق[1].

ومراده رحمه الله ـ بالجهل به اعتقاد عدم صحته لأن ذلك علم نافع[2].

وقال أبو يوسف أيضاً: من طلب العلم بالكلام تزندق»[3].

وقال مالك رحمه الله: «الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وكل ما أشبه ذلك ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل»[4].

وقد أورد ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ هذا النص وعلق عليه بقوله: «إن الذي قاله مالك هو الذي عليه جماعة الفقهاء، والعلماء، قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوىٰ»[5].

وأخرج الهروي بسنده عن مالك أنه قال: «إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله، وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة، والتابعون»[6].

وكان مالك رحمه الله ـ يقول: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن

---

(١) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٠٠، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/٩٦، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢، وبداه بن البصيري، الدر النضيد ص ٦ ـ ٧.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٦.

(٥) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها، وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٧.

(٦) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/٩٦.

طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب»[1].

وقال مالك أيضاً: أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟[2].

وأخرج الهروي بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرو بن عبيد فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم به الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل[3]. وهذا النص عن الإمام مالك رحمه الله فيه تصريح بعلة من العلل التي ذم بها السلف علم الكلام، وهي: كون الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين لهم لم يتكلموا به. وقد ذكر ابن عبد البر عن الإمام مالك أنه قال: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع ثم قال: وأهل البدع عند مالك أهل الكلام، فكل متكلم، فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري[4].

ونقل ابن الجوزي عن مالك أيضاً أنه قال: «من قال القرآن مخلوق فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[5].

وقال الشافعي - رحمه الله - حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر، والقبائل، وينادى هذا جزاء من

---

(١) عبد الغني الدقر: الإمام مالك بن أنس ص ٢٨٥، دار القلم، الطبعة الثانية، دمشق ١٤١٠ هـ وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٦، وراجع: الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/ ٩٦.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٦، والهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/ ٩٦.

(٣) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧.

(٥) تلبيس إبليس ص ٨٩.

ترك الكتاب والسنّة، وأخذ في الكلام»[1].

وهذا النص من الإمام الشافعي يدل علىٰ أنّ من الأسباب التي ذم بها أهل السنة علم الكلام هي: أنه يؤدي إلىٰ ترك الكتاب والسنّة، وكان الشافعي رحمه الله من أكثر علماء السلف كراهية لعلم الكلام، وذماً له، ولأهله.

وقد روي عنه أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمىٰ، والشيء غير الشيء، فاشهدوا عليه بالزندقة[2].

وقال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ[3].

وهذا الكلام من الشافعي ـ رحمه الله ـ يدل علىٰ أنه لا يرىٰ فرقاً بين الخوض في متشابه القرآن والخوض في علم الكلام، فكل منهما بدعة مذمومة عند السلف قد تؤدي إلىٰ المروق من الدين والعياذ بالله تعالىٰ.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنّة[4].

---

(١) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٠٦، وابن الجوزي تلبيس إبليس ص ٨٢ ـ ٨٣، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢، وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٥.

(٢) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٠٦، وابن الجوزي تلبيس إبليس ص ٨٢.

(٣) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٠٦، وصبيغ هو عبد الله بن صبيغ، رجل قدم إلىٰ المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يسأل عن متشابه القرآن فدعاه عمر وضربه بعراجين النخل حتىٰ أدماه ثم تركه حتىٰ برىء فعاد له بمثل ذلك، ونفاه إلىٰ البصرة، وأرسل إلىٰ واليها أبي موسىٰ الأشعري يأمره بأن يحرم عطاءه ورزقه وأن لا يجالس وإذا مرض فلا يعاد، وإذا مات فلا يشهد، السيوطي صون المنطق ١/٥٠ ـ ٥١، ١١٣.

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٠٥، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولىٰ مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩ هـ وابن رجب الحنبلي: بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف ص ٤٣ ـ ٤٤.

وقال رحمه الله: لا يفلح صاحب كلام أبداً ولا ترىٰ أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[1].

وقال أيضاً: لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم[2]. ووصف علماء الكلام بأنهم زنادقة[3].

وموقف الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من علم الكلام وأهله وتمسكه بالكتاب والسنّة، والتزامه بنهج السلف الصالح، أمر مشهور لا يحتاج إلىٰ تطويل، وهذا ما يصوره لنا النص الآتي:

«فقد أخرج الهروي بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: كتب أبي إلىٰ عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان يقول: «لست بصاحب كلام، ولا أرىٰ الكلام في شيء من هذا إلا ما كان من كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود»[4].

وقال أبو عمر بن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع طبقات العلماء وإنما العلماء أهل الأثر، والتفقّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»[5].

وذكر ابن الجوزي أنّ علم الكلام أدّىٰ ببعض أهله إلىٰ الإلحاد حيث قال: «ومن الناس من حسن له إبليس الخوض في علم الكلام، والنظرَ في

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٦، وراجع كتاب ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٣، وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص ١٢٩١: الدغل محركة دخل في الأمر مفسد، والشجر الكثير الملتف، واشتباك النبت وكثرته، والموضع يخاف فيه الاغتيال.

(٢) ابن رجب الحنبلي: فضل علم السلف علىٰ علم الخلف ص ٤٣.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٣.

(٤) الهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١٠٨.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧.

أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه من غمار العوام، وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضىٰ الكلام بأكثرهم إلىٰ الشكوك، وببعضهم إلىٰ الإلحاد، ثم قال.. أعوذ بالله من نظر، وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة»[1].

ووصف ابن رجب الحنبلي علم الكلام والفلسفة بالشر حيث قال: «فأما الدخول في كلام المتكلمين، أو الفلاسفة فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم»[2].

وهنا ربما تساءل البعض قائلاً: إذا كان الجدال مذموماً في مسائل الاعتقاد فلماذا لا يكون كذلك في مسائل فروع الدين؟..

والجواب كالتالي:

مما لا شك فيه أنّ السلف تناظروا في الفقه وتجادلوا فيه، لأنه علم يحتاج فيه إلىٰ رد الفروع علىٰ الأصول، لأن الحوادث في المعاملات متجددة وبالناس حاجة إلىٰ معرفة الحكم فيها، وليس الاعتقاد كذلك[3].

ومن هنا استحبوا المناظرة في المسائل الفقهية، وكرهوا الجدال في مسائل الاعتقاد[4].

وليس ذلك لمجرد ما في علم الكلام من اصطلاحات ولا كرهوا أيضاً الدلالة علىٰ الحق والمحاجة لأهل الباطل، وإنما لما اشتمل عليه من

---

(١) تلبيس إبليس: ص ٨٢، ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف ص ٨٣، وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص ٦٣٣ ـ ٦٣٤: الوضر محركة: وسخ الدسم، أو غسالة السقاء، والقصعة ونحوهما.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٣، وأبو المظفر السمعاني: الانتصار لأهل الحديث تلخيص السيوطي في صون المنطق ١/١١٠، وما بعدها، وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٢٣.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٩ ـ ١٢٠، وبداه بن البصيري: الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد ص ٢٣.

أمور كاذبة، مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنّة، ولاشتمال مقدماته على الحق والباطل كثر المراء والجدال، وانتشر القيل والقال، وتولد عن ذلك من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال[١].

لقد أسرف المتكلمون في الاعتماد على الأدلة العقلية، حتى عارضوا بها نصوص الكتاب والسنّة، فضلوا عن سواء السبيل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنّ نفات الصفات أو بعضها يعتمدون على ما يظنونه أدلة عقلية يعارضون بها ما جاء به الرسول ﷺ وحقيقة قولهم: أن الرسول ﷺ لم يذكر في ذلك ما يرجع إليه لا من سمع ولا عقل، فلم يخبر بذلك خبراً يبين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على حد زعمهم فاحتاج الناس إلى التأويل أو التفويض»[٢].

ويكفي في الاستدلال على فساد قول هؤلاء أنه ليس عندهم قاعدة ثابتة مطردة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أنّ العقل يجيز أو يوجب ما يدعي الآخر أنّ العقل يحيله[٣].

وقد انعكس هذا الاضطراب في المنهج على المتكلمين ويظهر ذلك جلياً حين ينظر المرء إلى فرق المتكلمين، فربما وجد الفرقة الواحدة منقسمة شيعاً وأحزاباً، وكل طائفة منها تكفر أو تضلل الطوائف الأخرى

---

(١) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤.

(٢) الفرقان بين الحق والباطل ص ١١، والحموية الكبرى ص ٢٠ ـ ٢١، وراجع أقوال العلماء في معنى التفويض في خطط المقريزي ٢/٣٦٠، وللتوسع في هذا الموضوع انظر: ابن العربي: قانون التأويل ص ٦٦٦ ـ ٦٦٧، تحقيق محمد السليماني الطبعة الأولى، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت، ١٤٠٦ هـ وشيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٥/٤١ ـ ٤٢.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الحموية الكبرى ص ٣٤.

وتتبرأ منهم[1].

وفي الحقيقة: أنّ الالتزام بمنهج السلف هو الذي يضمن السلامة للمسلمين في دينهم ودنياهم، ولذلك فقد عصم الله أهل السنّة والجماعة من الاختلاف والتفرق الذي وقع فيه المتكلمون وغيرهم من الفرق المنحرفة، المنتسبة للإسلام، وكان السبب في ذلك أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنّة، وطريق النقل فأورثهم الاتفاق، والائتلاف[2].

بخلاف المتكلمين فإنهم أخذوا الدين من المعقولات، والآراء فأورثهم ذلك الافتراق والاختلاف وضعف اليقين والمعرفة[3].

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية آراء الفرق الكلامية مناقشة مستفيضة وانتقدها وردّ عليها، وأظهر تناقضها ثم قال:

«وهذا يبين لك أنّ من خرج عن الكتاب والسنّة فليس معه علم لا عقلي ولا سمعي لا سيما في هذا المطلوب الأعظم»[4].

ويقصد شيخ الإسلام بالمطلوب الأعظم ما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها العلية، ولو أنّ المتكلمين الذين أقحموا العقل في غير ميدانه، وأسرفوا في تقدير سلطانه، رجعوا إلىٰ الكتاب والسنّة لوجدوا أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، فمن المحال أن يترك تعليم الناس فيما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم[5].

ولو تدبروا كتاب الله تعالىٰ لوجدوا فيه الأدلة العقلية التي تدل علىٰ

---

(١) راجع: صون المنطق: المصدر السابق ١/ ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) راجع ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤، والسيوطي: صون المنطق ١/ ٢٢٠.

(٤) الفرقان بين الحق والباطل ص ١١٨، والرسالة التدمرية ص ١٥.

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية: الحموية الكبرىٰ ص ١٢، والهروي: ذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/ ١٠٤. وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٥.

الحق بأوجز عبارة، وأبلغها، ولوجدوا أنّ الرسول ﷺ أعرف الناس بالأمور الإلهية، والمعارف الدينية، وأنه بين للناس أمر هذا الدين أكمل بيان، تارة بالأدلة العقلية، وتارة بالأدلة السمعية، ولا خلاف بين النظار من جميع الطوائف أنّ القرآن الكريم اشتمل علىٰ الأدلة العقلية في المطالب الدينية[1].

وإذا كان الله عزّ وجلّ قد أكمل الدين وبلغه الرسول ﷺ البلاغ المبين، وهو الغاية في الفصاحة، والعلم، والقدرة علىٰ البلاغ، وإذا كان القرآن العظيم قد اشتمل علىٰ الأدلة العقلية في المطالب الدينية التي تدل علىٰ الحق بأبلغ عبارة، وأوجزها، فإن أدلة المتكلمين سريعة التهافت كثيرة التناقض، فما من كلام تسمعه لفرقة منهم، إلا وتجد لخصومهم عليه كلاماً يوازيه، أو يقاربه كل بكل مقابل، وبعض ببعض معارض[2].

وقبل نهاية هذا المبحث، ينبغي التنبيه علىٰ أمرين:

* أولهما: أنّ السلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم ولا ذموا الاستدلال، والنظر والجدل الذي أمر الله تعالىٰ به، ولا ذموا كلاماً هو حق، وإنما ذموا الكلام الباطل المخالف للشرع والعقل[3].

* الأمر الثاني: أنّ السلف لم يسكتوا عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يروي غليلاً، ولا يشفي عليلاً، بل يرد الصحيح عليلاً، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه[4].

وإذا كان هذا هو موقف السلف وعلماء السنّة من علم الكلام، فإن

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٩٠، وعقيدة باب بن الشيخ سيدي، المرجع السابق ص ٤.

(٢) الخطابي: الغنية عن الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/١٤٥، وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ٤٣.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل ص ٩٦.

(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٢، وراجع كتاب ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله: ٢/١٨.

عدداً من كبار علماء المتكلمين قد رجعوا إلىٰ عقيدة السلف، وأقلعوا عن علم الكلام لما رأوا من قبح غوائله[1].

وأقروا في نهاية المطاف بأن الصواب في الرجوع إلىٰ مذهب السلف وترك الخوض في طرق المتكلمين ومناهجهم العقلية ـ التي أدّت بهم إلىٰ الانحراف عن النهج القويم، كما ذكر علماء السنّة ومنهم ـ الشوكاني الذي وصفهم بقوله: «إنهم ـ أي المتكلمون ـ لم يقفوا حيث أوقفهم الله، ودخلوا في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها، فحاولوا علم شيء استأثر الله بعلمه»[2].

وبذلك فإنهم لم يقنعوا بالتسليم لنصوص الكتاب والسنّة، ولم يقفوا عندها، بل ذهبوا في طلب التعليلات العقلية التي لم يدركوها مما ابتعد بهم عن النهج الإسلامي السليم[3].

ومن ثم فإن البناء العقلي لهذا العلم قد تلاشىٰ، وسوف أسوق هنا أمثلةً مما حدث من انقلاب فكري لبعض كبار المتعمقين في هذا العلم في مواقفهم الأخيرةِ بعد رحلة وتجارب طويلة، وعثرات كثيرة، حيث أعلنوا البراءة منه، ورجعوا إلىٰ منهج السلف.

فهذا أبو الحسن الأشعري الذي نشأ في حجر أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وظلّ علىٰ مذهب المعتزلة أربعين عاماً، قضاها في الدراسة والبحث، حتىٰ تصدر المعتزلة، رجع عن الاعتزال، وأعلن ذلك للناس علىٰ منبر جامع البصرة، وفي آخر مطافه قرر الرجوع إلىٰ عقيدة السلف بعد طول فكر وإمعان نظر، ودون عقيدته التي استقرّ عليها أمره أخيراً في كتابه: الإبانة عن أصول الديانة[4].

---

(١) راجع كتاب ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٤.

(٢) التحف في مذاهب السلف ص ٣٩.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٩.

(٤) راجع كتاب ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري ص ٣٨ ـ ٨٣. ومصطفىٰ حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ٣٠، ومحمد =

وهذا أيضاً إمام الحرمين أبو المعالي الجويني الذي تعمق في هذا العلم يقول عن نفسه: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه كل ذلك طلباً للحق، وهرباً من التقليد، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت علىٰ عقيدة أمي»[1].

ومن أكثر المتكلمين تعمقاً في علم الكلام فخر الدين الرازي، وهو كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: من أعظم الناس طعناً في الأدلة السمعية حتى ابتدع قولاً ما عرف به قائل مشهور غيره، وهو أنها لا تفيد اليقين»[2]، ومع هذا فإنه صرح في مرض موته بما يدل علىٰ أنه رجع إلىٰ عقيدة السلف حيث قال:

«لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[3]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4] واقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[5] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[6].

= الهبراوي المرجع السابق ص ٥٣ ـ ٦١، ومقدمة حماد الأنصاري لكتاب الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري ص ٧ وما بعدها.

(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٤ ـ ٨٥، وابن تيمية: الحموية الكبرىٰ ص ١٥، وصون المنطق المصدر السابق ١/ ٢٢٦ ـ ٢٣٧، وبداه بن البصيري: الدر النضيد ص ١٩ ـ ٢٠، ٢٨، ٣٠،، وعقيدة باب ابن الشيخ سيدي المرجع السابق ص ٦، وراجع كتاب الشوكاني: التحف في مذاهب السلف تجد فيه بحثاً قيماً في هذا الموضوع ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الفرقان بين الحق والباطل ص ٩٢.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

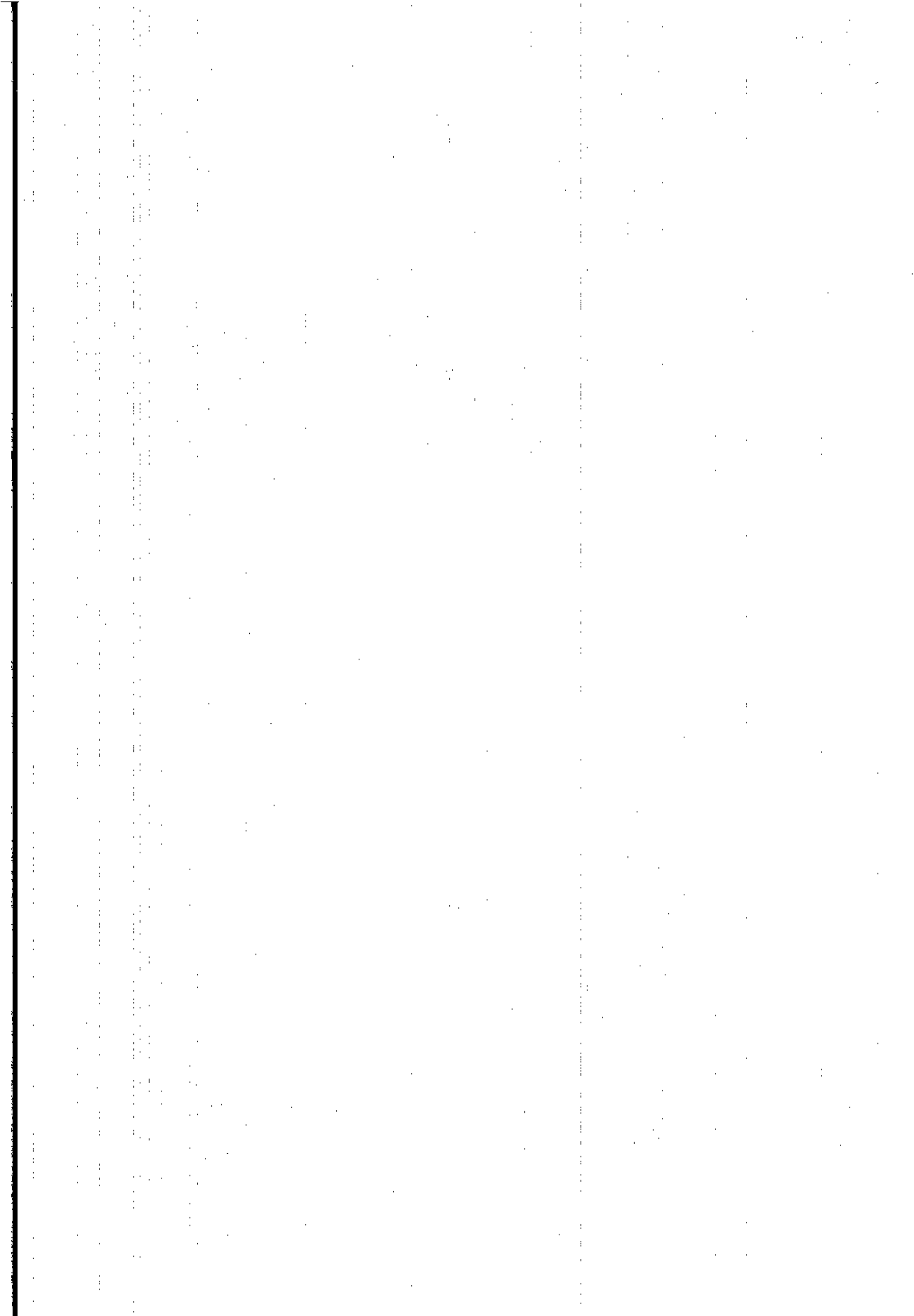
(٥) سورة الشورىٰ، الآية: ١١.

(٦) ابن تيمية، الحموية الكبرىٰ ص ١٥، والنبوات ص ١٥٩، طبعة دار الكتب العلمية =

وقد رجع هؤلاء وغيرهم عن الخوض في علم الكلام، وقرروا الوقوف عند نصوص الكتاب والسنّة، بعد أن انتهوا إلىٰ غاية التدقيق في النظر، وأذعنت عقولهم أنها لن تدرك الحقيقة الإلهية وصفاتها العلية.

وأخيراً فإنه مما تجدر ملاحظته أنه لا خير في مذهب قد رجع عنه رؤوسه وسجل المتعمقون فيه براءتهم منه في آخر حياتهم، وفي نهاية الكلام عن منهج السلف سوف نرىٰ موقع هذه العقيدة واهتمام الناس بها واعتقادهم لها في داخل موريتانيا موضوع هذا البحث، ولعله من الأفضل والمفيد أن نعطي نبذة عن موريتانيا وظروفها الاجتماعية، والثقافية، والدينية، قبل الدخول في التفاصيل.

= بيروت ١٤٠٢ هـ، وابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية ص ١٢١ ـ ١٢٢، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة [د. ت] وابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.



الفصل الأول
نبذة عن موريتانيا

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: التعريف بموريتانيا.

المبحث الثاني: دخول الإسلام في موريتانيا.

المبحث الثالث: المجتمع الموريتاني طابعه وطبقاته.

المبحث الرابع: ثقافة المجتمع الموريتاني من خلال المحاضر:

وفيه تمهيد، وسبعة مطالب:

التمهيد: لمحة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل نشأة المحاضر.

المطلب الأول: التعريف بالمحاضر، نشأتها، وتطورها.

المطلب الثاني: أهداف المحاضر.

المطلب الثالث: عوامل انتشار التعليم المحضري.

المطلب الرابع: نظام المحاضر.

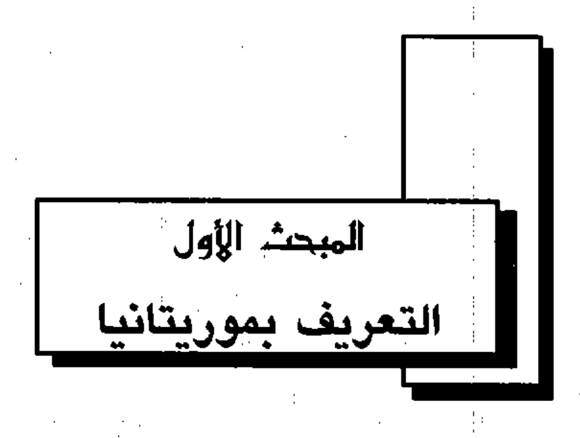
المطلب الخامس: ظروف الدراسة في المحاضر.

المطلب السادس: المناهج الدراسية في المحاضر.

المطلب السابع: حركة التأليف في المحاضر.

المبحث الخامس: الاتجاهات الدينية في المجتمع الموريتاني.

* * *



الجمهورية الإسلامية الموريتانية[1] هي الدولة الثالثة بعد المائة من

---

(١) موريتانيا كلمة لاتينية معناها أرض الرجال السمر، معهد البحوث والدراسات العربية، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، ص ٣، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧٨ م، ومحمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة، ص ٤١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٠ م.

والجدير بالذكر، أنّ بلاد موريتانيا عبر تاريخها الطويل عرفت بأسماء كثيرة، لعلّ من أشهرها بلاد صنهاجة الجنوب، وصنهاجة الرمال، وصحراء الملثمين، وعرفت أثناء قيام دولة المرابطين ببلاد لمتونة، وبعد أن أفل نجم المرابطين أصبح يطلق عليها بلاد [التكرور] وبعد بناء مدينة شنقيط الجديدة عام: ٦٦٠ هـ أصبح يطلق عليها بلاد شنقيط، وفي القرن الرابع عشر الهجري أطلق عليها باب بن الشيخ سيدي، مصطلح [تراب البيضان] ولما وقعت موريتانيا في قبضة الاستعمار الفرنسي رأت فرنسا أنّ هذه التسميات لا تخدم أغراضها الاستعمارية، فابتعثت لها هذا الاسم الروماني القديم من مرقده [موريتانيا] وذلك علىٰ إثر مهمة استطلاعية قام بها الضابط الفرنسي كابلاني في المنطقة، وقدم تقريراً عنها، واقترح فيه هذه التسمية، فصدرت الموافقة علىٰ اقتراحه في قرار وزاري فرنسي بتاريخ ٢٧/١٢/١٨٩٩، وذلك إحياء لتسمية قديمة كانت تطلق علىٰ مملكة رومانية قديمة قامت في شمال غرب إفريقيا تحدها من الجنوب سلسلة جبال أطلس وتمتد علىٰ ساحل الأطلنطي حتىٰ نقطة دائرة عرض ٣٠ شمالاً فكانت تغطي المنطقة التي تشغلها المغرب حالياً والجزء الغربي من الجزائر موزعة علىٰ ثلاثة أقسام:

* موريتانيا القيصرية.
* موريتانيا الستيفانية.
* موريتانيا الطنجية، ثم اتسع مدلول الكلمة ليشمل مجموع سكان شمال غرب القارة =

دول الأمم المتحدة، والتاسعة عشرة من دول الجامعة العربية، وتقع علىٰ الحدود الغربية للوطن الإسلامي بين خطي الطول ٥ ـ ١٥ شرقاً وبين دائرتي العرض ١٢ ـ ٢١ شمالاً، ويحدها المحيط الأطلسي غرباً، ومن الجنوب السنغال، ومن الشرق والجنوب الشرقي دولة مالي، ومن الشمال الشرقي الجزائر، ومن الشمال الصحراء الغربية.

ومساحتها تربو علىٰ مليون كيلومتر مربع، وعدد سكانها مليون ونصف، كلهم مسلمون.

وقد نالت استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠ م[١].

وكان أغلب السكان يعيشون قروناً عديدة علىٰ الرعي والزراعة[٢].

وقد ظل اقتصاد البلاد يقوم علىٰ مصادر أربعة هي:

الثروة الحيوانية، والزراعة، والتجارة، ومناجم الملح في (كدية الجل)[٣] حيث كان الملح من أهم ما تصدره البلاد إلىٰ الأقطار المجاورة،

= الإفريقية الذين هم ثمرة أخلاط العرب والبربر.. معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤١٩ ـ ٤٢٠، ومحمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة ص ١٢٩، وعبد الله بن حسن بن حميدة: نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، ص ٣، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة، كلية الآداب ١٩٨٦ م.

(١) أحمد عطية الله: القاموس السياسي ص ١٥٦٦، طبعة دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٠ م، ومعهد البحوث، المرجع السابق ص ز وما بعدها.. هذا وقد انضمت موريتانيا بعد استقلالها إلىٰ منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٦١ م، وفي سنة ١٩٦٣ م انضمت إلىٰ منظمة الوحدة الإفريقية، وفي سنة ١٩٦٤ م كانت من بين الأعضاء المؤسسين لرابطة العالم الإسلامي، وفي سنة ١٩٦٩ م انضمت لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وفي سنة ١٩٧٣ م انضمت لجامعة الدول العربية. محمد الصوفي بن محمد الأمين: المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، ص ١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، كلية التربية ١٤٠٦ هـ.

(٢) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٩٥، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ١٣.

(٣) تقع مناجم الملح في كدية الجل في شمال البلاد، وهي تابعة لمديرية [افديرك] الولاية الحادية عشرة من ولايات موريتانيا الاثنتي عشرة.

ويشترون من ثمنه ما يحتاجونه من المأكولات والملبوسات، وغير ذلك[١].

وقد زار ابن بطوطة مدينة (ولاته)[٢] في رحلته المشهورة التي بدأها من مدينة طنجة في عام ٧٢٥ هـ[٣] فوصف الحركة التجارية في هذه المدينة وذكر أنّ القوافل تأتي من الأقطار المجاورة لشراء الملح من (كدية الجل)]، حيث قال:

«.. يجلب إليهم تمر درعة، وسلجماسة، وتأتيهم القوافل من بلاد السودان فيحملون الملح، ويباع الحمل منه بولاته بثمانية مثاقيل إلىٰ عشرة، ويباع في مدينة مالي بعشرين مثقالاً، وربما وصل إلىٰ أربعين مثقالاً، وبالملح يتصارفون كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به»[٤].

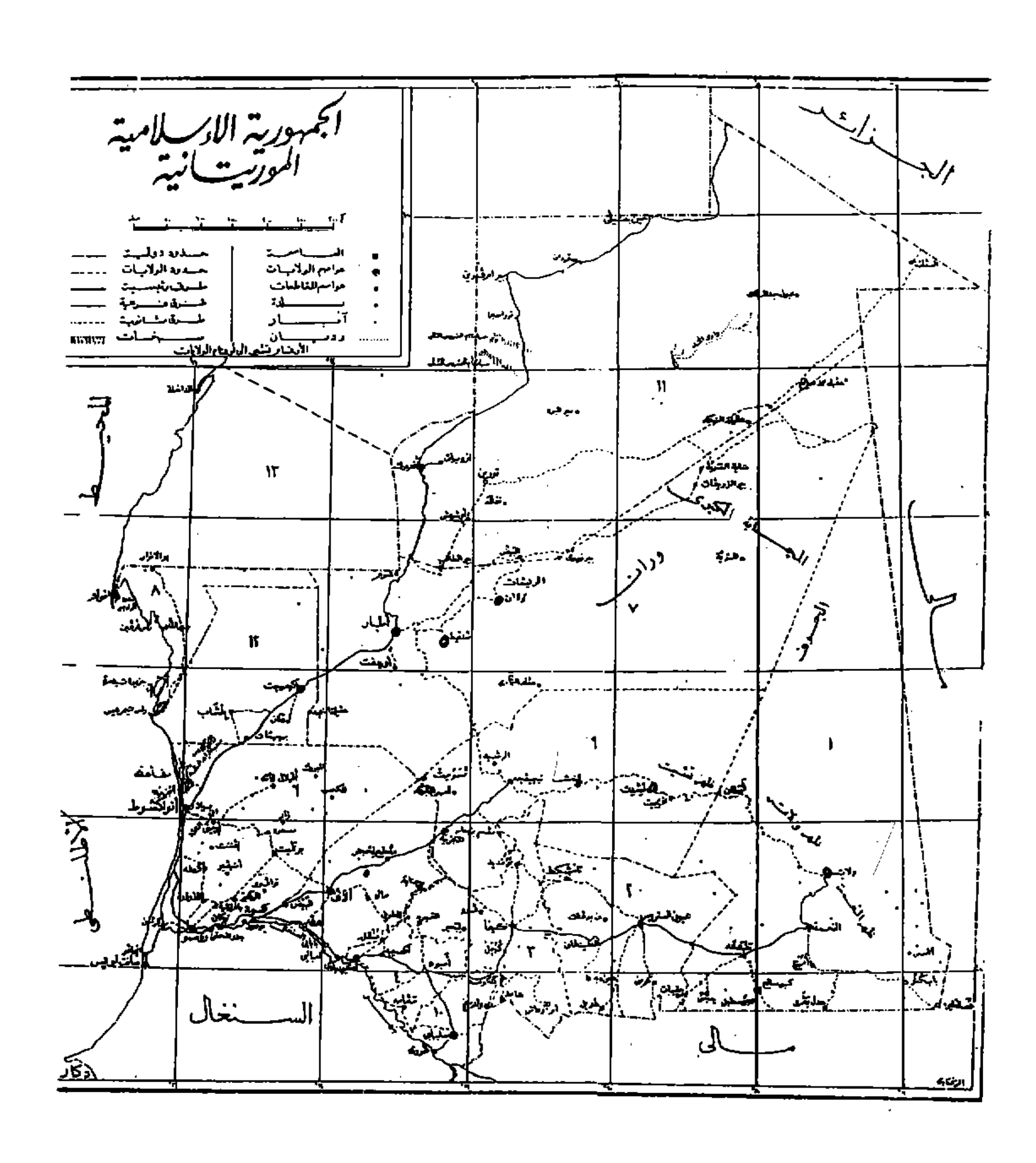
وتعتبر مدينة ولاته، من أهم المدن التي ظلت لفترة طويلة ممراً رئيسياً للقوافل التجارية الشيء الذي جعلها منطقة تجارية حيوية، ويذكر أنّ مقدار التجارة التي كانت تجيء إلىٰ إقليم ولاته، وتصدر عنه كل يوم إلىٰ كل صوب مقدار مذهل، وأنّ أسواق المدينة كانت مليئة بالذهب والبضائع الفاخرة، ذات الثمن الغالي[٥].

هذا عن اقتصاد البلاد في العصور الماضية، أما في الحاضر فإنّ اقتصاد البلاد يقوم علىٰ الثروة الحيوانية، والسمكية، والزراعة، والتعدين، نظراً لوجود معادن الحديد، والنحاس، بالإضافة إلىٰ التجارة[٦].

ولإيضاح الصورة عن موريتانيا انظر صورة الخريطة التالية الموضحة:

---

(١) راجع: محمد يوسف مقلد شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ص ٧٥ ـ ٧٨ الطبعة الأولىٰ، بيروت ١٩٦٢ م.
(٢) تقع مدينة ولاتة في شرق البلاد، وهي تابعة لمديرية النعمة الولاية الأولىٰ من ولايات موريتانيا.
(٣) رحلة ابن بطوطة ص ١٠، طبعة دار الفكر، بيروت، [د. ت].
(٤) المصدر السابق نفسه ص ٦٥٨.
(٥) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٥، وراجع رحلة ابن بطوطة ص ٦٥٨.
(٦) أحمد عطية الله، المرجع السابق ص ١٥٦٦، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ١٤.



خريطة الجمهورية الإسلامية الموريتانية

المبحث الثاني
دخول الإسلام في موريتانيا

تمهيد:

لمحة عن الديانات السائدة في المنطقة قبل دخول الإسلام:

يقتضي الحديث عن دخول الإسلام في موريتانيا والمراحل التي مرّ بها أن نلم ولو قليلاً بالديانات التي كانت سائدة في المنطقة قبل الفتح الإسلامي لهذه البلاد، وهو ما سنعطي عنه لمحة قصيرة.

فقد كانت أكثرية صنهاجة تدين بالمجوسية، كما أنّ بعضها يدين باليهودية، ويدين بعض آخر بالنصرانية، غير أنّ كثيراً من المصادر عندما يتطرق إلىٰ دخول الإسلام في موريتانيا يكتفي بالقول بأنّ [الملثمين][1] قبل

---

(١) عرفت قبائل صنهاجة الجنوب أو صنهاجة الرمال بالملثمين، لاتخاذهم اللثام شعاراً يميزهم عن غيرهم من قبائل المنطقة، فلا يفارقون اللثام في حال من الأحوال، وقد اختلف في سبب اختيار اللثام شعاراً لهذه القبائل.. فيرىٰ البعض أنّ ذلك لأسباب صحية تعود لاتقاء الحر والبرد والغبار، وقيل: إنّ سبب اللثام هو أنّ طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين علىٰ عدوهم فجاء العدو بعدهم إلىٰ بيوتهم، وليس فيها إلا المشايخ والصبيان والنساء، فلما تحقق المشايخ من العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن حتىٰ لا يعرفن، ويلبسن السلاح، فلما أشرف العدو وظنهن رجالاً فهابهن، وقبل أن يغادر العدو أقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء وقتل لمتونة من عدوهم خلقاً كثيراً، ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه.. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٨/٧٦، راجع أصوله وعلق عليه نخبة من العلماء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي [د. ت] والدكتور حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، =

أن يستضيئوا بنور الإسلام كانوا على دين المجوسية[١]، وبعض المراجع يذكر أنهم كانوا على ملة من المجوسية، واليهودية، مع آثار توحي بأنّ النصرانية منهم غير بعيدة.

الصلبان في الصناعة التقليدية[٢].

وقد ذكر الدكتور حسن أحمد محمود: أنّ اليهودية والنصرانية كانتا منتشرتين في المنطقة بقوله: «إنّ النصرانية قد انتشرت في المغرب الأقصى كما انتشرت اليهودية من قبل، بل إنّ اليهودية انتشرت في توات، وتافلالت، ووادي درعة، ووادي نون، وظلت باقية هناك حتى القرن الخامس الهجري»[٣].

وهذه المناطق غير بعيدة من مضارب الملثمين، كما أنّ العلاقة بين فرعي صنهاجة[٤] في الشمال والجنوب ظلت قائمة، والمعروف أنّ صنهاجة

= ص ٥٠، دار الفكر العربي [د. ت]. وقيل: سبب اللثام هو شدة غلبة الحياء، وقد مدحهم أبو محمد بن حامد الكاتب بذلك حيث قال:

قوم لهم درك العلا من حمير ... وإن انتموا صنهاجة فهم هم

لما حووا إحراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا

الكامل في التاريخ لابن الأثير المصدر السابق ٨/٧٦، ويرى الدكتور أحمد مختار العبادي أنّ الملثمين أخذوا عادة اللثام عن زنوج إفريقيا المحاربين الذين استخدموا اللثام والأقنعة لدفع الشر عنهم.. في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٦٩، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨ م.

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ٦/١٠٦، ١٨٢، مؤسسة جمال الدين للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ، والناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/٤ تحقيق: ولدي المؤلف: جعفر ومحمد، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤ م، ومحمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة ص ٥٦.

(٢) الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ٢٩، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧ م.

(٣) قيام دولة المرابطين ص ٥٧.

(٤) تنتمي صنهاجة إلى قبيلة البرانس الكبرى، وتتكون صنهاجة من عدة قبائل تمتد فروعها =

الجنوب تنتسب إلىٰ قبيلة البرانس الكبرىٰ التي كان كسيلة بن لمزم يتزعمها، كما كان يتزعم صنهاجة الشمال عبد الملك بن سكرديد ابن رومي وكانا يدينان بالنصرانية»[1].

وربما كان لهذه الصلات القائمة علىٰ الارتباط القبلي أثر في عقائد صنهاجة الجنوب، أضف إلىٰ ذلك أنّ الصحراء علىٰ عكس ما قد يتبادر إلىٰ الذهن ـ كانت جسراً يربط باستمرار بين بلاد المغرب وغرب إفريقيا مروراً بديار صنهاجة الرمال التي ظلت مساراً رئيسياً للقوافل[2].. كل ذلك يجعلنا نفترض أنّ بعض الملثمين يمكن أن يكون اعتنق النصرانية بحكم الجيرة والاحتكاك، وإن كانت المصادر لا تسعفنا في هذا الافتراض.

دخول الإسلام في المنطقة:

وصل الإسلام إلىٰ بلاد المغرب بصفة عامة في القرن الأول للهجرة، وذلك عن طريق الغزوات التي قام بها الفاتحون لمنطقة شمال إفريقيا والأندلس، أمثال: معاوية بن خديج الكندي[3]، وعقبة بن نافع

= إلىٰ مختلف أنحاء المغرب، فهناك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنىٰ والأوسط، وهناك صنهاجة الجنوب التي كانت قبائلها تعيش في صحراء شنقيط، التي تسمىٰ اليوم موريتانيا جنوب المغرب الأقصىٰ، أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٥ ـ ١٦، وعبد اللطيف الدليشي الخالدي: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة الشيخ محمد أمين الشنقيطي، ص ٢١ ـ ٢٢، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت ١٤٠١ هـ.

(١) ابن خلدون: العبر ٦/١٠٨، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٥٦ ـ ٥٧، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٠.

(٢) عن طرق القوافل التي تربط شمال القارة الإفريقية بجنوبها، راجع محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٧٥، وما بعدها، ومعهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٣٠.

(٣) معاوية بن خديج بن جفنة بن فتيرة الكندي الخولاني المصري، صحابي، علىٰ قول الأكثرين، شهد فتح مصر، وقام بفتوحات في بلاد المغرب، وذهبت عينه في قتاله مع البربر [ت ٥٢ هـ] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٦٠ ـ ٦١، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٨.

الفهري[1] وأبي المهاجر دينار[2] وحسان بن النعمان الغساني[3] وموسىٰ بن نصير[4] وغيرهم[5].

وقد اختلف في تاريخ فتح موريتانيا وفي القائد الذي فتحها، فبعض الروايات تنص علىٰ أنّ عقبة بن نافع إبان ولايته الأولىٰ[6] افتتح مواضع من

---

(١) عقبة بن نافع الفهري: بعثه معاوية بن أبي سفيان إلىٰ إفريقية فافتتحها واختط مدينة القيروان، وبناها، غزا أقواماً من البربر والروم، وقتل شهيداً رضي الله عنه عام ٦٣ هـ، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٩، طبعة ليدن ١٩٣٠ م، وابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢١٧.

(٢) أبو المهاجر دينار، تولىٰ إمارة جيش إفريقية في الفترة التي بين ولايتي عقبة بن نافع الأولىٰ والثانية، أي من سنة ٥٥ هـ إلىٰ سنة ٦٠ هـ، وكان رجلاً سياسياً بارعاً عمل علىٰ تحطيم الحلف الذي كان قائماً بين أوربة من البربر بزعامة كسيلة بن لمزم وبين الروم، ونجح في انضمام كسيلة وقومه إلىٰ جانب المسلمين، راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٩٧، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ١٢٩ ـ ١٣٠، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية [د. ت].

(٣) حسان بن النعمان الغساني، تولىٰ إمارة جيش إفريقية في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ واستطاع أن يستولي علىٰ قرطاجة وغيرها من المدن الساحلية، واستمال قبائل البربر فاتخذ منهم عمالاً وقواداً وعرَّب الدواوين، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ٥٥ ـ ٦٧، تحقيق الدكتور المنجي الكعبي، طبعة تونس ١٩٦٧ م، والدكتورة عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ص ٣٨، الطبعة الأولىٰ دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.

(٤) هو أبو عبد الرحمن موسىٰ بن نصير اللخمي مولاهم، افتتح بلاد المغرب والأندلس، وغنم أموالاً لا تعد ولا توصف وله مقامات مشهورة هائلة، وكان ذا رأي وتدبير وحزم، وخبرة بالحرب، [ت ٩٨ هـ] ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ١٧١ ـ ١٧٤، والرقيق القيرواني: تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٦٨، ٨٩.

(٥) عن الفاتحين لبلاد المغرب والأندلس: راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٢ ـ ٢٠٤، وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٦ وما بعدها، والدكتور السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٢٦ وما بعدها، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ م.

(٦) تولىٰ عقبة بن نافع إمارة جيش إفريقية مرتين: الأولىٰ عام ٥٠ هـ واستمرت إلىٰ عام ٥٥ هـ والثانية عام ٦٠ هـ واستمرت إلىٰ وفاته عام ٦٣ هـ أو ٦٤ هـ، وقد اشتهرت =

موريتانيا، حتىٰ وصل إلىٰ ودان[1] وما وراءها من الواحات الجنوبية[2].

ويرىٰ البعض أنّ عقبة بن نافع في حملته هذه قد اتخذ طريقاً وسط الصحراء الوسطىٰ، إلىٰ بلاد الزنوج، ثم اتجه غرباً إلىٰ مناطق من موريتانيا حتىٰ وصل إلىٰ ودان[3].

غير أنّ هذه الروايات لا ينبغي التعويل عليها بصدد إسلام قبائل صنهاجة الجنوب، لأن المسلمين في هذه الفترة كانت بينهم وبين هذه البلاد أقاليم كثيرة لم تفتح، فمن المستبعد أن يفتحوا أقصىٰ جنوب المغرب قبل أن يتمّ فتح الذي هو أدنىٰ.

وعليه، فإنّ بعض الباحثين يشكك في هذه الروايات ويرىٰ فيها غلواً وسوء تقدير[4].

والناظر في تاريخ فتح الشمال الإفريقي يلاحظ أنّ أطراف المغرب الجنوبية لم يحصل فيها صدام مباشر يذكر بين الفاتحين المسلمين، وأهل

= ولايته الأولىٰ بتأسيس مدينة القيروان كقاعدة عسكرية ثابتة للجيش الإسلامي الذي يقوده، أما ولايته الثانية فقد تميزت بحملته الكبرىٰ التي وصل فيها إلىٰ المحيط الأطلسي، ابن الخطيب، القسم الثالث من أعمال الأعلام ص ٢، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني: الدار البيضاء ١٩٦٤ م، وابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٨ ـ ٤٠.

(١) تقع مدينة ودان علىٰ بعد مائة كيلومتر إلىٰ الشمال الشرقي من مدينة شنقيط، وهما تابعتان لمديرية [أطار] عاصمة الولاية السابعة من ولايات موريتانيا الاثنتي عشرة.. الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٧١.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٤، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٨، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١١.

(٣) محمد العربي: الساقية الحمراء ووادي الذهب ١/١٩٣، طبعة دار الكتاب: الدار البيضاء [د. ت] وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١١، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٤) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٦٢.

هذه البلاد إلا في الحملة المشهورة التي قادها عقبة بن نافع بعد ولايته الثانية علىٰ إفريقية من قبل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، واكتسح فيها المنطقة حتىٰ وصل إلىٰ موريتانيا، واستشهد وهو عائد من هذه الغزوة إلىٰ القيروان عام ٦٣ هـ أو ٦٤ هـ كما سيأتي بيانه بعد قليل.

ولهذا فإنّ من المقبول أن يكون دخول الإسلام في موريتانيا قد حصل في هذه الغزوة لأن ذلك أقرب إلىٰ الحقيقة التاريخية، وإن لم يكن حاسماً بدوره.

وقد وصف لفيف من المؤرخين هذه الغزوة، وما نتج عنها، يقول ابن خلدون: «... ثم جاء عقبة بعد أبي المهاجر فافتتح حصون الفرنجية ولقيه ملوك البربر[1] بالزاب، وتاهرت، فغضهم جمعاً بعد جمع، ودخل المغرب الأقصىٰ وأثخن في المصامدة، ودوخ بلادهم حتىٰ حملهم علىٰ الإسلام، ثم جاز إلىٰ السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام، فأثخن فيهم، وقاتل مسوفة وراء السوس، وقفل راجعاً»[2].

ويظهر من كلام بعض المؤرخين أنّ عقبة بن نافع رضي الله عنه في هذه الحملة لم يتوقف عند هذا الحد، بل إنه قد بث سراياه إلىٰ ضواحي البلاد وأطرافها، حتىٰ بلغت لمتونة، وجدالة، ومسوفة، وغيرهم[3].

وفي هذه الحملة يذكر ابن عذارىٰ المراكشي: أنه عندما وصلت

---

(١) البربرة كثرة الكلام والجلبة، والبربر جيل، وجمعه البرابرة وهم بالمغرب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ٤٤٥.

(٢) ابن خلدون، العبر ٦/٦٠٨، والناصري الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ، ١/ ٧٣، وما بعدها، والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٣٨ وما بعدها، وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤١.

(٣) محمد، المامي ابن الشيخ ماء العينين، الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط، وعربية المغاربة من مركب وبسيط ص ١٥، مطبوعات دار العلم الدار البيضاء، ١٩٥٧ م، وبول مارتي: كنتة الشرقيون ص ١٣، ١٦، ١٧، عربه وعلق عليه ووضع له ملحقات: محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت بدمشق، [د. ت].

جيوش عقبة إلىٰ المحيط الأطلسي أقحم فرسه في البحر حتىٰ وصل الماء إلىٰ بطنه، ثم رفع يديه إلىٰ السماء قائلاً: يا رب، لولا أنّ البحر منعني لمضيت في البلاد مدافعاً عن دينك: مقاتلاً من كفر بك»[1].

وبعد أن أتمّ عقبة بن نافع ـ رضي الله عنه ـ فتح هذه البلاد توجه عائداً إلىٰ القيروان، ولعلّ ذلك كان نتيجة لخبر مقلق بلغه عن جيش المسلمين الذي بقي في القيروان، إذ أنه لم يكد يصل المغرب الأوسط حتىٰ بعث بمعظم جنده علىٰ عجل إلىٰ القيروان، ولم يستبق معه إلا جزءاً صغيراً من جيشه[2].

ومن الغريب أنّ عقبة توجه بهذا الجزء الصغير من جيشه إلىٰ مدينة تهودة ليستولي عليها، ويجعلها قاعدة عسكرية دائمة لقواته علىٰ غرار القيروان، ولكنه ما كاد يصلها حتىٰ اعترضه كسيلة بن لمزم في حشد كبير من البربر والبزنطيين وأمام هذا الحشد الهائل أحسّ عقبة بنهاية الأمر، فطلب من أبي المهاجر دينار الذي كان والياً علىٰ المغرب قبله أن ينجو بنفسه، ولكنه رفض ورغب في الشهادة، ودارت المعركة عند بلدة تهودة عام ٦٣ هـ أو ٦٤ هـ[3].

واستشهد عقبة بن نافع، وأبو المهاجر دينار ـ رضي الله عنهما ـ وسيفاهما في أيديهما، واستشهد معهما عدد كبير من المسلمين، وأسر الباقون[4].

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١/ ٢٧، تحقيق: ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة، بيروت [د. ت] ومحمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة ص ٦٧، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٣٩.

(٢) ابن خلدون، العبر: ٦/ ١٠٩، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤١.

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي دارت فيها هذه المعركة واستشهد فيها عقبة بن نافع الفهري، انظر تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق ص ٣٩.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٩٩، وابن عذاري المراكشي: البيان =

وهكذا تحقّق ما كان يسعىٰ إليه عقبة بن نافع رضي الله عنه وهو الشهادة في سبيل الله حيث إنه لما عزم علىٰ هذه الغزوة جمع أولاده وذويه وألقىٰ فيهم وصاياه الأخيرة ثم قال: «إني قد بعت نفسي من الله تعالىٰ، وعزمت علىٰ قتال من كفر به، حتىٰ أقتل فيه وألحق به، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا، لأن أملي الموت في سبيل الله»[1].

وليس من شك في أنّ هذا الحدث الأليم الذي حصل للمسلمين في موقعة تهودة وهو القضاء علىٰ عقبة بن نافع ومن كان معه من الجيش الإسلامي سيكون له أعظم الأثر علىٰ المسلمين عامة، ولا سيما جيش المسلمين في إفريقية، الذي كان يقوده عقبة بن نافع رضي الله عنه.

وهذا ما حصل بالفعل، حيث ترتب علىٰ ذلك انسحاب الجيش الإسلامي من مدينة القيروان إلىٰ طرابلس[2].

كما ترتب عليه أيضاً ارتداد كثير من قبائل البربر عن الإسلام، واستيلاؤهم علىٰ مدينة القيروان بقيادة كسيلة بن لمزم البربري النصراني[3].

وهذا يعني ضياع جهود كبيرة بذلها المسلمون طيلة سنوات عدة،

= المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١/٢٨ ـ ٢٩. وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤١، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٣٩، وقد دفن عقبة بن نافع ببلدة تعرف الآن ببلدة سيدي عقبة، وهي عبارة عن واحة جميلة من النخيل بالقرب من مدينة بسكرة بأرض الزاب في جنوب قسنطينة بالجزائر، أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤١ ـ ٤٢، وبول مارتي كنته الشرقيون ص ١٣.

(١) ابن عذارىٰ المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١/٢٣ ـ ٢٤، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٣٧.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٩ ـ ٢٠١، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٢.

(٣) ابن عذارىٰ: البيان المغرب ١/٣٠ ـ ٣١، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٦٣.

وعلىٰ أي حال، فإن عقبة بن نافع، يعتبر أول مجاهد في سبيل الله وداعية إليه حمل الإسلام إلىٰ هذه البلاد النائية، وأول من حمل الملثمين علىٰ الإسلام، وأول من فتح الطريق أمام التجار المسلمين، الذين تدفقوا إلىٰ هذه الديار، ونشروا رسالة الإسلام، حتىٰ أوصلوه إلىٰ أواسط إفريقيا[1].

ومع أنّ عقبة بن نافع قد توغل في ديار الملثمين كما مرّ إلا أن هذه القبائل لم تذعن جميعها للإسلام نهائياً، ففي ولاية عبد الله بن الحبحاب على إفريقية من قبل هشام بن عبد الملك ما بين عامي ١١٤ ـ ١٢٣ هـ شق بربر السوس عصا الطاعة فسير إليهم حملة بقيادة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة، تجاوزت السوس الأقصىٰ، وبلغت بلاد لمتونة وجدالة ومسوفة، وأصابت من السبايا والغنائم ما قدر لها أن تصيب[2].

وقد درج بعض الباحثين المعاصرين علىٰ اعتبار هذه الحملة بداية لدخول الإسلام في موريتانيا[3].

وقد مرّ معنا قبل قليل أنّ الإسلام دخل في هذه البلاد علىٰ يد عقبة بن نافع، قبل هذه الحملة بنصف قرن من الزمن أو يزيد، وفي معرض الاستشهاد علىٰ ذلك نقلنا كلام العارفين بالتاريخ، وذكرنا بعض الوقائع التاريخية التي تؤكد ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ هذه الحملة تعتبر بداية لتوطيد دعائم الإسلام وإرساء مبادئه في النفوس، وتعميمه علىٰ المجتمع بصفة كاملة.

ومن ثم فما هي إلا واحدة من حملات كثيرة قام بها الدعاة

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٦٢.

(٢) ابن خلدون، العبر ٦/١١٠ ـ ١١١، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ١٢ ـ ١٣.

(٣) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٩، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٣٠، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٦ ـ ٧، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٤.

المسلمون تهدف إلىٰ إخضاع جميع قبائل الملثمين لأحكام الإسلام، ونشر تعاليم الدين الإسلامي في إفريقيا كلها.

وقد وصل حبيب بن أبي عبيدة في هذه الحملة إلىٰ مدينة أودغست[1].

وقد بلغت هذه الحملات أوجها، حين استطاع عبد الرحمٰن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع أن يتم ما بدأه جده حيث عبرت جنوده الصحراء ونشروا تعاليم الإسلام في أرجائها، كما أقام سلسلة من الآبار تصل واحات إفريقيا وأودغست بصحراء المغرب الأقصىٰ[2].

وقد أسفرت هذه الجهود عن نتائج طيبة في نشر الدعوة الإسلامية، حيث اتصل التجار بديار الملثمين، وبلاد السودان عن طريق ساحل المحيط الأطلسي، وطريق الصحراء، وأصبحت القوافل أكثر جرأة علىٰ ارتياد هذا الطريق، ميممة جهة غرب إفريقيا، كما أسفرت هذه الجهود عن وصول الإسلام إلىٰ غرب إفريقيا[3].

هذا وقد قدر لقبائل الملثمين أن تؤدي دوراً فعالاً في نشر الإسلام، حيث نجح موسىٰ بن نصير في توحيد كلمتهم فشاركوا معه في فتح الأندلس[4].

---

(١) مدينة [أودغست] المندثرة عاصمة قديمة للصنهاجيين، وتقع أطلالها علىٰ مسافة أربعين ك م شمال شرقي مدينة تامشكط، في الحوض الغربي بموريتانيا، الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٦٦.

(٢) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ٢٩٦، وما بعدها، الطبعة ١٩١٣ م وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٦٨، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٤٠ وعبد الله حميد المرجع السابق ص ١٣.

(٣) حسن أحمد محمود، المرجع السابق ص ٦٨، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٤٠.

(٤) راجع سميرة بنت صقر، الشنقيطي ومنهجه في التفسير ص ٧، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة ١٤٠٩ هـ ١٤١٠ هـ.

وبعد أن استقل الأدارسة[1] بالمغرب الأقصىٰ ١٧٢ ـ ٣٧٥ هـ عملوا علىٰ توحيد المغرب وإقرار السلام فيه، واستطاعوا أن يظفروا بتأييد سكان المغرب في الجنوب والشمال.

ونجحوا في جمع كلمة هذه القبائل، فوحدوا بين إقليم الحضارات القديمة، وإقليم البداوة، فازدهرت الحياة ازدهاراً لم تعرفه البلاد من قبل[٢].

وبذلك انضوىٰ الملثمون تحت لواء الأدارسة، وأصبحوا جزءاً من هذه الدولة، يولون عليهم الولاة، ويخضعون للحكومة المركزية في فاس، فزاد تحول صنهاجة اللثام إلىٰ الإسلام الذي بدأ في عهد عقبة بن نافع، وزاد في عهد الأدارسة، وانتشر بين الملثمين في القرن الثالث الهجري[٣].

وكان لهذا التحول والإقبال المتزايد علىٰ الإسلام أثر بالغ في تاريخ هذه القبائل، فقد شهد العقد الأول من القرن الثالث الهجري ظهور زعامات محلية كونت تحالفاً قوياً شمل أهم قبائل صنهاجة الجنوب وهي: لمتونة، ومسوفة، وجدالة.

وكان ذلك بفضل الله تعالىٰ ثم بالجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني تلاكاكين بن تيكلان[٤].

---

(١) الأدارسة نسبة إلىٰ إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لحق بالمغرب عام ١٧٠ هـ ونزل علىٰ قبيلة أوربة من بربر البرانس وبايعوه وتزوج منهم، توفي مسموماً بيد أحد رجال هارون الرشيد عام ١٧٧ هـ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص ١٩ ـ ٢٣، دار المنصور بالرباط ١٩٧٢ م، وابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١٩٠ ـ ١٩٤.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٦٩ ـ ٧٠، وانظر له أيضاً: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ص ٢٨، القاهرة ١٩٥٨ م.

(٣) ابن خلدون، العبر ٦/ ١٨٢، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٧٢، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٤٢.

(٤) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٨١، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٧٢، =

وقد تمخض هذا الحلف عن إسهام فعال في الجهاد لنشر الإسلام في القبائل الزنجية في الجنوب، فقد توجه القوم بحماس نحو الممالك الزنجية المجاورة، وكانت مملكة غانة أقوىٰ هذه الممالك.

فقد وصفها ابن خلدون بقوله: «كانوا أعظم أمّة وأضخم ملك»[1]

وعلىٰ الرغم من ذلك فقد انهارت أمام صليل سيوف الملثمين، وتوغلوا في ديارهم، وفرضوا عليهم الجزية[2].

وصدق الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[3].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

وبعد حين من الزمن، تفرق شمل هذا الحلف، ودبت فيه عوامل الفرقة، من عصبية قبلية تليدة، وذلك حين اعتدت صنهاجة علىٰ ملكها تميم بن يلتان فقتلته عام ٣٠٦ هـ وافترق أمرهم شيعاً وأحزاباً مائة وعشرين عاماً[5].

وبعد هذا التفرق، قام فيهم زعيم يسمىٰ أبو عبد الله بن تيفاوت، ويعرف بتاشرت اللمتوني، فاجتمعوا عليه وأحبوه، وكان من أهل الدين والصلاح والعقل الراجح، وهو أول من أدّىٰ فريضة الحج من ملوك

= وعبد الله حسن حميده: المرجع السابق ص ١٤.

(١) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٩٩، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٧٣، وعن مساحة مملكة غانة وحدودها: راجع عصمت عبد اللطيف المرجع السابق، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) ابن خلدون: العبر ٦/ ٢٠٠، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٧٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٤) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٥) ابن خلدون، العبر: ٦/ ١٨٢، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٧٤، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٤.

لمتونة، وقد عمل على توحيد قبائل صنهاجة، فأعاد لها حيوية الدور المنوط بها، ورسم خطة للجهاد ضد الوثنية في الجنوب.

غير أن المنية عاجلته، بعد ثلاثة أعوام من تسلمه للحكم فأدرك الشهادة، وهو يطارد الوثنيين في إحدى غزواته[1].

وبعد وفاته تولى الحكم بعده صهره يحيى بن إبراهيم الجدالي المتوفى عام ٤٤٠ هـ[2] والذي يعتبر أحد المؤسسين للدعوة السلفية التي تمخضت عن قيام دولة المرابطين، التي سنتناول الحديث عنها في الفصلين الثاني والثالث من هذ البحث إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) توفي وهو يقاتل الزنوج الوثنيين في الممالك الزنجية المجاورة لموريتانيا في الجنوب واختلف في تاريخ وفاته فقيل في عام ٤٠٣ هـ وقيل ٤١٤ هـ وقيل ٤٣١ وقيل غير ذلك، البزيوي: تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ٣٣، مخطوط مصور من الخزانة الملكية بالرباط برقم ٤١٣، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٥٤، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) ابن خلدون: العبر ٦/١٨٢، وابن الخطيب: القسم الثالث من أعمال الأعلام ص ٢٢٦.

والناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/٦.

المبحث الثالث
المجتمع الموريتاني طابعه وطبقاته

لقد مرّ معنا في المبحث الأول من هذا الفصل أنّ بلاد موريتانيا عرفت بتسميات متعددة، عبر حقب وعهود تاريخية مختلفة. وفي هذه التسميات دلالة علىٰ تعدد نوعية السكان.

ولذلك فإنّ سكان موريتانيا لا يشكلون بمقاييس الدراسة العرقية جماعة واحدة متحدة الأصل، متجانسة الصفات. بل علىٰ العكس من ذلك.. فقد امتزجت الدماء علىٰ هذه الأرض بين جماعات مختلفة في أصولها، متنوعة في صفاتها، فكونت شعباً اختلطت فيه العناصر اختلاط تآلف وإخاء، في ظل الإسلام، وعدالته السمحة.

فهذه البلاد رغم أنها في مجملها صحراء، قاحلة، قاسية المناخ لم تكن بمعزل عن الشعوب الأخرىٰ، وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي الذي يسر للجماعات المختلفة علىٰ مدىٰ التاريخ اجتيازها، سواء للتجارة أو لنشر العقيدة الإسلامية، الأمر الذي أثر علىٰ تكوين سكان موريتانيا من الناحية العرقية والحضارية.

هذا ويمكن تقسيم الشعب الموريتاني إلىٰ قسمين رئيسيين هما:

* البيضان: وهم في اصطلاح الموريتانيين من يتكلم اللهجة الحسانية[1].

---

(١) تعتبر اللهجة الحسانية هي أقرب لهجات المغرب الإسلامي إلىٰ اللغة العربية الفصحىٰ، =

* والزنوج: ويطلق عليهم محلياً السودان، ويمثل البيضان الأغلبية بنسبة ٨٠٪ وينقسمون إلىٰ عدد كبير من القبائل ينحدر من أصول مختلفة.

وقد اختلطت الدماء بين هذه القبائل إلىٰ حد يستحيل معه تمييز بعضها عن البعض الآخر، وأما الزنوج فيمثلون أقلية بنسبة ٢٠٪ وينقسمون إلىٰ ثلاثة فروع هي:

التكارير، والسراكول، وولف، ولكل واحد منهم لغة خاصة به[1].

والواقع أنّ هذا الشعب بصفة عامة ينتظم بشكل تقليدي في قبائل متميزة: اجتماعياً، وحرفياً، ويغلب عليه الطابع القبلي بكل مظاهره، سواء من ذلك ما تفرضه طبيعة البلاد التي تقوم علىٰ التنقل، والترحال، وانتجاع أطراف الصحراء، طلباً للماء والكلأ، أو من حيث العلاقات بين طبقات المجتمع التي أبرزتها الحروب التي كانت تشتعل نارها من حين لآخر.

ويقوم البناء الاجتماعي القبلي في هذا الشعب علىٰ أسس أهمها: وحدة الدم، ووحدة الجماعة[2].

= ولعلها من أنقىٰ اللهجات العربية عموماً، معهد البحوث، المرجع السابق، ص ٤٧٢، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٤١.

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع: أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص ٤٧٥، وما بعدها، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ هـ، وعبد اللطيف الدليشي الخالدي، من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة الشيخ محمد أمين الشنقيطي ص ٢٣، ومحمد فال بن البناني: الجمهورية الإسلامية الموريتانية ص ١٢، الناشر شركة المدينة للطباعة والنشر جدة ١٣٩١ هـ، ومعهد البحوث: المرجع السابق، الصفحات التالية: ٩٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٤٨. ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٧، وقد ذكر في ص ٤٦٨ أنّ الأقلية الزنجية في موريتانيا أربع طوائف هي: الفلان، والتكرور، والسراكول، وولف، كما أنّ أحمد بن حبت الشنقيطي ذكر في تاريخه أنّ البيضان ينقسمون إلىٰ ثلاثة عناصر: العرب، والبربر، والقبط، راجع تاريخه ص ٣ ـ ١، مخطوط عندي نسخة منه.

(٢) للتوسع في الأسس التي يقوم عليها البناء الاجتماعي القبلي في موريتانيا، راجع معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

وقد تبلورت البنية الاجتماعية للسكان طبقاً للتقسيم الوظيفي عن ثلاث فئات اجتماعية في البيضان، والزنوج على حدٍّ سواء.

وسنتناول هذا التقسيم الوظيفي بالنسبة للبيضان أولاً ثم الزنوج، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: الزوايا[1]:

وهم في اصطلاح الموريتانيين: مجموعة القبائل المهتمة بالعلم والدين، ويمتازون بدراسة العلوم الشرعية، واللغة العربية، وإقامة شعائر الدين الإسلامي، ورغم شظف العيش، وقساوة الحياة البدوية الصحراوية، فقد ظلوا محافظين على تعلم العلوم الإسلامية وتعليمها، وإقامة الشعائر الدينية، ولم يثنهم عن ذلك صعاب الترحال ولا تنائي الديار[2].

ويمتاز الزوايا بشيم نابعة كلها من صميم تعاليم الإسلام وهي: التقوى، والورع، والعفة، والحلم، والصبر، والأناة[3].

أما دور الزوايا في المجتمع فهو بالغ الأهمية، ويمكن إجماله فيما يلي:

---

(١) تحدث باب ابن الشيخ سيدي بإسهاب عن سبب هذه التسمية فقال: سموا بالزوايا لملازمتهم للزوايا جمع زاوية، ويسمون بالمرابطين لملازمتهم مواضع العبادة، التي هي الربط جمع رباط، وقد أطلق عبد الله بن ياسين هذا الاسم على أصحابه، ومن ثم أصبح علماً على هذه القبائل، كما يطلق عليهم اسم الطلبة لطلبهم العلم واشتغالهم به.. تاريخ البيضان وإمارتي أدوعيش ومشظوف ص ٢٥ ـ ٢٦، مخطوط عندي صورة منه، وعند الدور الذي قامت به قبائل الزوايا في نشر العلوم الإسلامية، وتطوير الآداب والعلوم في الصحراء، وفي غرب إفريقيا، راجع معهد البحوث المرجع السابق ص ٤٨٨ ـ ٤٩١.

(٢) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق ص ٢٧، ومعهد البحوث: المرجع السابق ص ٤٧٣، وسميرة بنت صقر، الشنقيطي ومنهجه في التفسير ص ٩.

(٣) راجع الوسيط: المصدر السابق ص ٤٧٨، وعبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ٢٨. والخليل النحوي المرجع السابق ص ٣٥.

١ ـ نشر العلوم الإسلامية وإحياؤها.

٢ ـ إقامة الشعائر الدينية والدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ.

٣ ـ القيام بشؤون القضاء والفتيا.

٤ ـ القيام بدور فعال في إدارة الشؤون الاقتصادية بالإضافة إلىٰ درجة عالية من المهارة السياسية[١].

ثانياً: بنو حسان:

بنو حسان ويتولون القيادة العسكرية، وهم الذين يمسكون زمام السلطة في الأقاليم، وليس لحكمهم تنظيمات إدارية محددة ثابتة، وعاصمتهم عبارة عن معسكر للإمارة يسمىٰ [الحلة]، وينتقل هذا المعسكر من مكان إلىٰ آخر بحثاً عن الماء والكلأ، وفي أوقات الفوضىٰ حيث لا يكون الحكم قوياً تصبح سلطة الإمارة ضعيفة، وتتولىٰ كل قبيلة إدارة شؤونها بنفسها في استقلال ذاتي، وقد يكون استقلالاً تاماً[٢].

وتمتاز قبائل بني حسان بممارسة الحروب، والمهارة فيها، وشن الغارات من حين لآخر سواء فيما بينهم، أو علىٰ القبائل الأخرىٰ، ويحاولون دائماً فرض السيطرة بالقوّة العسكرية[٣].

ويلاحظ أنهم بعد استقلال البلاد، وظهور الدولة الموريتانية الحديثة، وإقامة السلطة المركزية فيها، قد تحولوا إلىٰ الأعمال السلمية كالتجارة،

---

(١) باب ابن الشيخ سيدي: تاريخ ص ٣٧ ومعهد البحوث المرجع السابق، ص ٤٤٨، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٣٦.

(٢) معهد البحوث: المرجع السابق ص ٤٤٦، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٢، ٣٤، ٣٦، ١٠٧.

(٣) بول مارتي: كنتة الشرقيون ص ٢٥، وسميرة بنت صقر المرجع السابق ص ١٠، وللتوسع في الكلام علىٰ بني حسان، وسيرتهم، راجع الوسيط، المصدر السابق، ص ٤٧٩، وما بعدها.

وتربية المواشي[1].

والواقع أنّ الزوايا وبني حسان قد شكلا قيادة ثنائية للمجتمع الموريتاني، بهذا التقسيم الوظيفي، حيث مارس الزوايا القيادة العلمية والدينية وإدارة الشؤون الاقتصادية، ومارس بنو حسان القيادة العسكرية واشترك الطرفان معاً في السيطرة السياسية.

ثالثاً: الأتباع:

تأتي هذه الفئة في أدنىٰ السلم الاجتماعي، وتسمىٰ [اللحمة][2]، وتتكون من قبائل غارمة، لم تحتم بسيف ولا قلم، فبسط عليها الطرفان المتقدمان نفوذهما، وسخروها لأغراضهم الخاصة، من رعي ماشية وخدمة، وغير ذلك[3].

وليست هذه القبائل أحسن حظاً في السلم الاجتماعي من مجموعات أخرىٰ، تابعة تتوارث المهنة، ولا تتكون من قبائل مستقلة، وهم:

* الصناع التقليديون: وهم جماعة من الحرفيين يقومون بصناعة الحلي والحدادة.

* المطربون: وهم طبقة من المغنين والموسقيين.

* الصيادون: وهم الذين لا يملكون الماشية، ويشتغلون بالصيد البري لمن يسكنون في الصحراء، والبحري، لمن يسكنون علىٰ الساحل، ويعتبر الصيد أهم مصادر رزقهم، إن لم يكن هو المصدر الوحيد، فيأكلون

---

(١) معهد البحوث: المرجع السابق ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨.

(٢) تطلق كلمة اللحمة عند الشناقطة علىٰ الوبر غير الجيد، وقد استعاروها علماً علىٰ هذه الفئة من المجتمع، الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٤٦.

(٣) راجع أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٤٧٦، وعبد اللطيف الدليشي المرجع السابق، ص ٢٧، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٧.

منه، ويتاجرون بالباقي، ليحصلوا من ثمنه علىٰ وسائل معيشتهم.

* وأخيراً الحراطين: وهم الموالي المعتوقون من الرق، ويشكلون رصيداً من الأيدي العاملة، فيقومون بالأعمال اليدوية الشاقة، كحفر الآبار، وإنشاء المباني، والطرق، وغير ذلك[1].

أما طبقة العبيد، فقد اختفت تماماً، وذاب أفرادها في المجموعات الأخرىٰ، ولم يبقَ من آثارها إلا خدم في البادية، ترتبط بأسيادها بصفة إرادية، وتقوم بخدمتهم مقابل المسكن والمأكل والملبس[2].

وقد تمّ إلغاء الرق في موريتانيا عام ١٩٨٠ م، علىٰ إثر قرار أصدرته اللجنة العسكرية الحاكمة في البلاد آنذاك بهذا الخصوص ينص علىٰ إلغاء الرق نهائياً.

والجدير بالملاحظة أنّ هذه البنية الاجتماعية ليست وليدة تمايز عرقي أكيد، بل هي في بداية أمرها، ثمرة تقسيم وظيفي[3] ظل يتطور مع الأيام جزراً ومداً.

فقد كانت بعض القبائل تغير موقعها الاجتماعي من فترة إلىٰ أخرىٰ، وإن بقيت قبائل كثيرة ترعىٰ تراث الأجداد وعهدهم في التزام موقعها الاجتماعي[4].

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع: راجع معهد البحوث المرجع السابق ص ٤٤٩ ـ ٤٥١، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٧، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١٠.

(٢) سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١١.

(٣) أول من قام بمبادرة تقسيم العمل في المجتمع الموريتاني الأمير اللمتوني أبو بكر بن عمر، فقد روىٰ عنه أنه قسم رجاله إلىٰ ثلاث فئات: فئة تفرغ لدراسة العلم، وتدريسه، فهي أصل الزوايا، وفئة تحمل السلاح، وتجاهد في سبيل الله فهي أصل حسان، وفئة ترعىٰ مواشي المسلمين وتعنى بخدمتهم فهي أصل اللحمة.. أحمد بن حبت المرجع السابق ص ٣، ومحمد يوسف مقلد موريتانيا الحديثة، ص ٤٦.

(٤) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٧.

وقبل نهاية الحديث عن تقسيمات البيضان ينبغي أن نشير إلىٰ أنّ فئة الأتباع بمختلف مجموعاتها لا يمكنها الزواج من قبائل الزوايا ولا بني حسان طبقاً للعادات والتقاليد التي دأبت عليها هذه القبائل في ماضيها، غير أنّ هذه الصورة للمجتمع بدأت تضمحل بعد استقلال البلاد وخاصة منذ عقدين من الزمن. حيث أصيبت البلاد بكارثة جفاف دفعت بأهل البوادي إلىٰ النزوح إلىٰ المدن، والاستقرار فيها، ونتج عن ذلك تغير نمط الحياة، واختفىٰ كثير من التقاليد القديمة، وأصبح المنظور القبلي لا يعبر عن الواقع الاجتماعي الجديد، وحدثت أمور جديدة فعلاقات التبعية علىٰ سبيل المثال في طريقها إلىٰ الزوال، وأصبح ممكناً أن ترىٰ مثقفاً من أكبر الطبقات النبيلة يحاول عبثاً أن يجري اتصالاً مع واحد من أبناء الرعاة القدامىٰ، كما يمكن أن ترىٰ في المدن الكبيرة فتيات من الأسر النبيلة يتزوجن من الطبقات التي كانت تابعة بالأمس[1].

أما الأقلية الزنجية فهي ثلاث أو أربع عناصر كما تقدّم ولكل طائفة من هذه العناصر لغة خاصة بها، والكثير منهم يتكلم اللغة العربية رغم تعاملهم باللغة الفرنسية، وينتمون ثقافياً إلىٰ الصحراء أكثر من انتمائهم إلىٰ عالم الزنوج، ويستقرون في جنوب البلاد، وأقصىٰ مشرقها، وتعتمد عليهم الزراعة اعتماداً كبيراً، وتنتظم هذه الأقلية في عشائر لا تختلف في تقسيمها الوظيفي والاجتماعي عن ما ذكرناه عن البيضان، ففيهم من يختص بنشر التعاليم الإسلامية، والدعوة إليها، وفيهم المحاربون الذين يمارسون الحروب ويقومون بشن الغارات، كما أنّ فيهم الأتباع بجميع طبقاتهم: الرعاة، والصناع التقليديين، والمطربين، والصيادين، والموالي المعتوقين من الرق.

وفي عادات الزواج، فمنهم من يشبه البيضان أيضاً، حيث أنّ فيهم

---

(١) معهد البحوث: المرجع السابق ص ٤٥٣.

قبائل لا يتمّ الزواج فيها إلا داخل الطبقة الواحدة[1].

---

(١) معهد البحوث، المرجع السابق، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٩، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١٠، يذكر محمد محمود بن ودادي أنّ هذا التقسيم الاجتماعي الذي ذكرناه عن البيضان والزنوج في موريتانيا هو الذي عليه شعوب المنطقة كلها في موريتانيا والساقية الحمراء، وجنوب المغرب، وجنوب الجزائر، وشمال مالي، والنيجر، وفي الطوارق والقبائل الزنجية على اختلافها، راجع كتاب كنتة الشرقيون: المرجع السابق ص ٢٦ ـ ٢٧.

المبحث الرابع
ثقافة المجتمع الموريتاني من خلال المحاضر

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

التمهيد: لمحة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل نشأة المحاضر.

المطلب الأول: التعريف بالمحاضر، نشأتها وتطورها.

المطلب الثاني: أهداف المحاضر.

المطلب الثالث: عوامل انتشار التعليم المحضري.

المطلب الرابع: نظام المحاضر.

المطلب الخامس: ظروف الدراسة في المحاضر.

المطلب السادس: المناهج الدراسية في المحاضر.

المطلب السابع: حركة التأليف في المحاضر.

* * *

تمهيد

لمحة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل نشأة المحاضر

قبل الحديث عن نشأة المحاضر ينبغي أن نعطي لمحة ـ ولو قصيرة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل ظهور المحاضر.. فمن المعلوم أنّ الحركة العلمية الإسلامية تدرجت من بلد إلىٰ آخر، حتىٰ وصلت إلىٰ المنطقة علىٰ أيدي أبطال الإسلام، الذين فتحوا شمال إفريقيا، وكان تعليم الإسلام يسير مع الفتح في هذه البلاد جنباً إلىٰ جنب[1].

ولا ندري بالتحديد متىٰ وكيف ظهرت المدارس الإسلامية في المنطقة وإن كان بعض المراجع يذكر أنّ المدارس القرآنية انتشرت في موريتانيا وخاصة في مدينة [أودغست] مع نهاية القرن الثاني للهجرة[2].

وأقدم من وقفت عليه أرخ للتعليم في مدينة [أودغست] أبو عبد الله عبد العزيز البكري، المتوفىٰ عام ٤٨٧ هـ فقد ذكر أنّ المرابطين عندما جاءوا إلىٰ هذه المدينة في عام ٤٤٦ هـ وجدوا بها جامعاً ومساجد كثيرة

---

(١) راجع: ابن خلدون، العبر ٦/ ١١٠، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٤٧، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) أبو بكر خالد باه: أثر الحركة الثقافية في قيام الدولة الإسلامية بفوتا ص ٢٨ مكتوب علىٰ الآلة الكاتبة، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٢٩.

آهلة، في جميعها المعلمون للقرآن[1].

* * *

المطلب الأول

التعريف بالمحاضر: نشأتها وتطورها

المحاضر جمع محضرة، وهي مؤسسات تعليمية إسلامية نشأت في موريتانيا لتكون أداة لنقل المعارف العلمية، وإرساء أسس الدين الإسلامي، وتعهده بالرعاية في بلاد لم تعرف من الحواضر إلا ما ندر.. وإنما كان جل أهلها من البدو الرحل، الذين ينتجعون مساقط الغيث، ومنابت الكلأ.

وقد اشتقّ هذا الاسم إما من الحضور أو من الاحتظار، وجاء في تاج العروس: يقال للمقيم على الماء حاضر، وجمعه حضور، وهؤلاء حضار ومحاضر.. قال لبيد:

فالواديان وكل مغني منهم ... وعلى المياه محاضر وخيام[2]

وأما الاحتظار: فلأن الطلاب يحتظرون فيحيطون أماكن دراستهم بأسيجة من جذوع الشجر وأغصانه[3]. ولا يزال الخلاف قائماً حول اشتقاق هذه التسمية وبالتالي: هل تسمى محضرة أو محظرة؟[4].

وقد ورد عن وزارة الشؤون الإسلامية في موريتانيا ما نصه: «.. المحظرة: هي المؤسسة التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية، والثقافة العربية، منذ تسعة قرون ونيف، وما زالت تتابع رسالتها[5].

---

(١) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ص ١٥٨ ـ ١٦٨.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس ٣/ ١٥٣، نشر المطبعة الوهبية ١٢٧٧ هـ.

(٣) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٦١ ـ ٦٢، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٢٦.

(٤) المرجع السابق نفسه ص ٢٧.

(٥) وزارة الشؤون الإسلامية، كتاب التهريب ص ١ مكتوب بالآلة الكاتبة ١٩٧٨ م.

والذي نراه أنّ أصل هذه التسمية مشتق من الحضور لإلقاء المحاضرات، وذلك استناداً إلىٰ المرجحات التالية:

* ورود كلمة المحضرة في المصادر القديمة مرادفاً للمدرسة[1].

* كون الحضور أعلق بهذه المؤسسة التعليمية من الاحتظار.

* اطراد نطق الضاد ظاء في اللهجة الحسانية.

هذا من حيث الاشتقاق اللغوي، وأما من حيث الاصطلاح: فالمحضرة جامعة شعبية بدوية متنقلة، تلقينية فردية التعليم طوعية الممارسة[2].

والواقع أنّ التصور الصحيح للمحاضر كمؤسسات تعليمية وتربوية ناجحة، يصعب علىٰ من لم يعايشها.

يقول الدكتور محمد المختار بن أباه: «من الصعب علىٰ من لم يرَ المحاضر أن يتصورها، ذلك أنّ البداوة تقترن في الذهن بالجهل، فالثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالباً بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها.. غير أنّ المحاضر فريدة في نوعها، إذ هي بعض أحياء البدو الذين يتبعون المراعي متنقلين، تصادف شيخاً كسائر البداة متقشفاً في ملبسه، ومظهره، ولا يمتاز بشيء عن سكان الحي سوىٰ أن ترىٰ أمام بيته مجموعة من الشبان يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة، تسكن تحت الشجر، وفي أعرشة من خشب، تعيد بناءها كلما ارتحل آل الشيخ»[3].

---

(1) أحمد يحيىٰ الونشريسي، المعيار ٧/١٥٦، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠١ هـ.

(2) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٣.

(3) د. محمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٢٣ ـ ٢٤، طبعة الشركة الوطنية للتوزيع، تونس ١٩٨٧ م.

وعلىٰ كل حال، فإنّ كلمة [محضرة] أو [محظرة] ترادف كلمة مدرسة وهذا معروف مطرد عند مشايخ المحاضر.

فغالباً نجد في شعرهم ونثرهم ذكر المدرسة معبرين بها عن المحضرة، ومعنىٰ ذلك أنهم اعتبروا كلمة محضرة مرادفة لكلمة مدرسة، فعبروا بها عنها. ومما يدل علىٰ ذلك وصف الشيخ مم بن عبد الحميد للمحاضر بقوله:

طوبىٰ لمن أقام بالمدارس	يحوي من العلوم كل دارس
يظل يرعىٰ في رياض العلم	من بين فتيان كرام شم
أتت بهم من كل فج همم	لها علىٰ نجم الثريا شمم
نواحل الأجسام من طول السفر	وخدمة الشيخ إذا الشيخ أمر
ما بين ضربين مفيد عالم	ومستفيد للعلوم فاهم[1]

ونجد كذلك المصادر الأجنبية تعبر عن المحاضر الموريتانية بالمدارس[2].

نشأة المحاضر وتطورها:

نشأت المحاضر في بلاد شنقيط، لتكون أداة لنقل المعارف العلمية، وإرساء أسس الدين، وتعهده بالرعاية.

ويعتبر رباط عبد الله بن ياسين، النواة الأولىٰ لهذه المؤسسات التعليمية، وإن كانت لم تعرف بتسميتها [المحاضر] إلا في القرن السادس الهجري[3].

---

(١) للتوسع في الأشعار الموريتانية التي تعبر عن المحاضر بالمدارس، راجع محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٢٨.

(٢) راجع كتاب بول مارتي: كنتة الشرقيون ص ٤٥.

(٣) محمد الصوفي، المرجع السابق، ص ٣٤، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٤٧١.

هذا ويمكن تحديد الزمان والمكان لنشأة أهم المحاضر وذلك كالتالي:

١ ـ رباط عبد الله بن ياسين، الذي يعتبر المحضرة الأم[١] تأسس حوالي سنة ٤٣١ هـ[٢] في جزر التيدرة على بعد ثلاثين كم إلى الشمال من مدينة نواكشوط عاصمة موريتانيا حالياً[٣].

٢ ـ محضرة أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، المتوفى عام ٤٨٩ هـ تأسست في [أزوكي] قرب مدينة أطار عاصمة الولاية السابعة من ولايات موريتانيا[٤].

٣ ـ محضرة [تشيت] أسسها الشريف عبد المؤمن بن صالح الإدريسي في [تشيت] عام ٥٣٦ هـ وكان لها نشاط بارز في نشر العلم في البلاد وتقع مدينة [تشيت] على مسافة نحو ٢٥٠ كلم إلى الشرق من مدينة [تجكجه] عاصمة ولاية [تكانت] وهي الولاية التاسعة في البلاد[٥].

---

(١) محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٣٤.

(٢) الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ٦٥، ويرى البعض أنّ تاريخ تأسيس رباط ابن ياسين عام ٤٥١ هـ إبراهيم الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين ص ١١٨، طبعة دار الإصلاح ١٩٨١ م، والراجح ما أثبتناه في الصلب، لما ذكرناه من قبل من أنّ البكري وهو معاصر لهذه الفترة، ذكر أنّ المرابطين بعد خروجهم من رباطهم وصلوا إلى [أودغست] عام ٤٤٦ هـ وما ذكره ابن خلدون من أنهم خرجوا من رباطهم عام ٤٤٥ هـ العبر ٦/١٨٣، ولأن عبد الله بن ياسين استشهد في قتاله مع البرغواطيين عام ٤٥١ هـ بعد أن قضى سنين في الجهاد.

(٣) سيأتي الحديث بالتفصيل في الفصل الآتي عن رباط عبد الله بن ياسين.

(٤) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٥، طبعة الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٩٠ م، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٥، والدكتور علي سامي النشار: مقدمة كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ص ٢٢، الطبعة الأولى، الشركة الجديدة دار الثقافة الدار البيضاء ١٤٠١ هـ.

(٥) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٦، ١٩٨، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٦، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٦٩.

٤ ـ محضرة ودان: أسسها [أدولحاج] عام ٥٣٦ هـ وعلىٰ رأسهم الحاج عثمان الأنصاري، جد بطن أولاد الحاج، والحاج يعقوب القرشي جد أد ياقب، والحاج علي بن محمد الصنهاجي جد لتيدات وإدوبج، وكان ذلك بعد رحلة إلىٰ الحجاز، أدوا فيها مناسك الحج[١].

٥ ـ محضرة شنقيط، أسستها قبيلتا إدو علي والأقلال بعد بناء مدينة شنقيط الجديدة عام ٦٦٠ هـ. . وقد قامت بهذه المدينة سوق العلم، وتفرع عن محضرة شنقيط عدد من المحاضر، الشيء الذي جعلها هي العاصمة الثقافية للبلاد[٢].

٦ ـ محضرة ولاته: أسسها يحيىٰ الكامل: جد قبيلة المحاجيب، في صدر القرن الثامن الهجري[٣] وبها ازدهرت الحركة العلمية، وأصبحت مدينة ولاته مركزاً من مراكز العلم، والثقافة في المنطقة، وقد نشأ في ولاته بعد ذلك عدد من المحاضر في فترات متفاوتة، أبرزها محضرة أهل سيدي عثمان الداودي ومن رجالها المشهورين: الشيخ محمد يحيىٰ الولاتي[٤]

---

(١) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ١٩٨/٢، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٧١، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٣٥.

(٢) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٦، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا ١٩٨/٢، ٢٠٨، ٢٠٩، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) تتفق المراجع التي وقفت عليها علىٰ أنّ يحيىٰ الكامل المحجوب أنشأ محضرة في مدينة ولاتة، وبها ازدهرت الحركة العلمية في المنطقة، ولكن هذه المراجع نفسها تختلف في تحديد تاريخ الإنشاء، ومال الخليل النحوي في كتابه: بلاد شنقيط المنارة والرباط ص ٦٩ إلىٰ القول بأنّ ذلك كان في القرن السادس الهجري، وقد أثبتنا في الصلب الرواية التي اختارها المختار بن حامد لأن له اليد الطولىٰ في علم التاريخ.

(٤) هو أبو عبد الله محمد يحيىٰ الولاتي الشريف، قال عنه محمد مخلوف، إنه خاتمة المحققين، وعمدة العلماء العاملين، وحيد دهره حفظاً، وعلماً وأدباً جامع لصفات الكمال، موهوباً ومكتسباً بقية السلف وقدوة الخلف، رحل وحج ودخل تونس عام ١٣١٥ هـ ولقي بها من الإقبال فوق ما يقال، واجتمع في رحلته بكثير من العلماء، له تآليف كثيرة منها: شرح صحيح البخاري ت ١٣٣٠ هـ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٤٣٥ طبعة دار الفكر [د. ت]، والزركلي: الأعلام ١٣/٨، الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩ هـ.

والشيخ محمد يحيىٰ بن سليمة[1].

هذه هي أهم المحاضر التي نشرت العلوم الإسلامية واللغة العربية في موريتانيا، وفي غرب إفريقيا بوجه عام.

وفي القرن العاشر الهجري بدأت المحاضر تنتشر في البوادي[2].

وبعد دعوة الإمام ناصر الدين[3] ازدهر التعليم في قبائل الزوايا في حواضر البلاد وبواديها.

وباستقراء تاريخ المحاضر في موريتانيا، والتطورات التي مرت بها، يمكن استخراج نتيجة مؤداها أنّ محضرة [شنقيط] هي التي تفرع عنها معظم المحاضر التي انتشرت في البوادي. ولهذا فقد غطت شهرة شنقيط علىٰ المدن العلمية الأخرىٰ التي سبق ذكرها. وإن كانت هذه المدن قد شاركتها في المكانة العلمية والعطاء الثقافي.

وتقديراً لمكانة هذه المدن العلمية والتاريخية، أعلنت منظمة التربية والتعليم والثقافة [اليونسكو] حملة دولية عام ١٩٨١ م لإحياء هذه المدن، وقال مدير المنظمة الدكتور أحمد مختار أنبو في نداء الحملة:

«إنّ مدن ودان، شنقيط، ولاته، تشيت، هي الشواهد الأخيرة علىٰ

---

(١) عن الحركة العلمية في مدينة ولاتة راجع: المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ١٩٩، ٢١١ ـ ٢١٦، ومحمد المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٠، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٦٨ ـ ٦٩، ومحمد يحيىٰ بن سليمة البونسي: عالم جليل محدث من أبرز علماء البلاد، له مؤلفات تزيد علىٰ مائة وستين كتاباً، منها: اختصار صحيح البخاري، واختصار موطأ الإمام مالك، المختار بن حامد، حياة موريتانيا ٢/ ٤٩، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٨٠، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٢٨.

(٢) محمد الصوفي: المرجع السابق ص ٧٤، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) سيأتي الحديث بالتفصيل عن دعوة الإمام ناصر الدين في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

ازدهار منطقة ظلت لفترة طويلة، بحكم موقعها في ملتقىٰ طرق القوافل الصحراوية الكبرىٰ، تربط بين المغرب العربي، ومنطقة الساحل..

كما أنّ وجودها في محور فكري تلتقي فيه الأندلس، بأقصىٰ إفريقيا، جعلها تفتح أبوابها في آنٍ واحد لتجارة السلع، ولتبادل المعارف، كما استطاعت أن تصبح بذاتها مراكز للإبداع والإلهام، ومصدر إشعاع لحياة دينية غنية، ولأنشطة علمية وفنية عديدة..[1].

المطلب الثاني

أهداف المحاضر

إنّ أهداف المحاضر أهداف إسلامية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

* تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وسلوكاً، ومنهجاً، مع اختلاف مشاربها الفكرية في المفهوم الصحيح للدين الإسلامي.

* تكوين دعاة قادرين علىٰ حمل مسؤولية الدعوة الإسلامية.

* ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية وصون التراث الإسلامي.

وأهم ما حققته المحاضر من أهداف هو ترسيخ العقيدة الإسلامية والتمكين لها في غرب إفريقيا، تمكيناً لا رجعة فيه[2] إن شاء الله تعالىٰ.

وفي هذا الصدد فقد بذل رجال المحاضر جهداً متواصلاً، ليس في موريتانيا فحسب، بل قاموا بالدخول إلىٰ أدغال إفريقيا، داعين إلىٰ عقيدة الإسلام، وتعاليمه، وحاملين مشعل حضارته[3].

---

(١) نداء المدير العام لليونسكو: نشرته جريدة الشعب الموريتانية ص ٥ ـ ٦ في ١٦/٢/١٩٨١ م.

(٢) محمد الصوفي، المرجع السابق، ص ٣٧، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٢٣.

(٣) أحمد بن المفيد: شنقيط، ودورها الثقافي والاقتصادي في منتصف القرن ١٩ إلىٰ =

وفي الوقت نفسه، ظلت هذه المؤسسات التعليمية تستقبل أفواج الطلاب المتلاحقة، من موريتانيا، ومن الشعوب الإفريقية المجاورة لها، للارتواء من منابع الثقافة الإسلامية، وترتب علىٰ ذلك تحصن هذه الشعوب من الذوبان في ثقافة المستعمر(١).

هذه هي أهم أهداف المحاضر في الماضي والحاضر، وقد أضاف إليها المفكرون المعاصرون زياداتٍ أخرىٰ اقتضتها ظروف العصر الحديث وهي:

* تطوير مناهج المحاضر بما يتلاءم ومقتضيات العصر، وتكوين شباب محافظ علىٰ الإسلام، مواكب للعلم والتطور الحضاري، يستطيع الاندماج في الحياة العلمية، والعملية الحديثة، دون أن ينسلخ من روح المحضرة، قادر علىٰ النهوض بالمجتمع في إطار إسلامي صحيح(٢).

أمّا صون التراث الإسلامي، فهذا أمر تعتني به المحاضر غاية العناية، في القديم والحديث.

فكل عالم من علمائها ضنين بما يملكه من مخطوطات ويحتاج الراغب في دراسته إلىٰ مجهود كبير ليسمح له بمراجعة هذه المخطوطات، ولا بدّ قبل ذلك من بعض الالتزامات(٣).

وقد وصف محمد يوسف مقلد عناية مشايخ المحاضر بالتراث الإسلامي بقوله: «وقد حافظوا علىٰ التراثين الديني والأدبي، ولهم صبر

= منتصف القرن ٢٠ ص ٢٣، بحث غير منشور قدم للحصول علىٰ الإجازة العالية (الليسانس) من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين في نواكشوط عام ١٩٨٣ م، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٤٣١، ٤٧١.

(١) محمد الصوفي: المرجع السابق، ص ٣٧، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٤٧١.

(٢) راجع كتاب: التهذيب المرجع السابق ص ١٣ والخليل النحوي المرجع السابق ص ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٥.

(٣) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ١٥٨.

عجيب علىٰ نسخ الكتب الفريدة»[1].

* * *

المطلب الثالث

عوامل انتشار التعليم المحضري

سبق الحديث عن نشأة المحاضر وتطورها، وانتشارها في المدن والبوادي، وهنا سوف نتعرض للعوامل التي أدّت إلىٰ هذا الانتشار وهي: الإسلام، والهجرة، والرحلات العلمية، والدينية، والحروب القبلية، وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل.

أولاً: الإسلام:

إنّ الدين الإسلامي يأمر بالتعلم ويحثّ عليه، ويرفع من شأنه. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2].

ويقول عزّ وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

ويقول جلّ شأنه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وفي الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[5].

ولما كان الدين الإسلامي في أصل تعاليمه يأمر بالتعلم قبل العمل، ويحث عليه، ويرغب فيه[6] وشاءت قدرة الله عزّ وجلّ أن أكرم أهل هذه

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١٦١.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٥) صحيح البخاري ١/٢٦.
(٦) راجع المصدر السابق نفسه ١/٢٥.

الصحراء بالهداية إلىٰ الإسلام، كان لا بدّ أن يتعلموا من الكتاب، والسنّة، ما تؤدي به أركان الإسلام، أداء صحيحاً، وتعرف به أوامره ونواهيه وفرائضُه وحدوده[1].

هذا بالإضافة إلىٰ أنّ التعلم والتعليم عبادة يتقرب بها المؤمنون إلىٰ ربهم، لذلك فإنّ اعتناق الإسلام في حد ذاته يعتبر التزاماً بالتعلم. لهذا اعتنىٰ الموريتانيون بالعلم كثيراً، ودعا إليه علماؤهم، فلبىٰ الناس الدعوة، واتخذوا العلم قسيماً للمال، فرغبوا عن المال، فكان إقبالهم علىٰ المحضرة سبباً في انتشار العلم[2].

وقد وصف محمد يوسف مقلد: إقبال الموريتانيين علىٰ العلم وصبرَهم علىٰ طلبه بقوله: «وإقبال البدو المتنقلين علىٰ التعلم عظيم، ولهم صبر عجيب، فلا ينقطع الصغير منهم حتىٰ وهو يرعىٰ الغنم أو الجمال عن مطالعة دروسه وحفظها»[3].

ومع ما في الحياة المحضرية من مشقة وكد، فإنّ أبناء قبائل الزوايا أقبلوا علىٰ ارتيادها، والارتواء من معين ثقافتها، فأحبوها ابتغاء مرضات الله، وطلباً للأجر والثواب من الله عزّ وجلّ.

وقد عبر الخليل النحوي عن هذا المعنىٰ بقوله: «لقد كان في الحياة المحضرية كد وشظف عيش، وعناء كبير، ورغم ذلك فقد استأنس بها الشناقطة وأحبوها حباً جماً، تهون في سبيله كل التضحيات»[4].

ثانياً: الهجرة والرحلات العلمية والدينية:

سبق الكلام عن التقسيم السكاني لبلاد موريتانيا في المبحث الثالث

(١) راجع جامع بيان العلم وفضله، المصدر السابق ١/١٢ ـ ١٣.

(٢) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٨٣.

(٣) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون: ص ١٦١.

(٤) بلاد شنقيط المنارة والرباط: المرجع السابق ص ٨٩.

من هذا الفصل، وذكرنا هناك أنّ سكان تلك البلاد يتألفون من عناصر مختلفة، نتيجة لهجرات عديدة، من مجموعات شتىٰ علىٰ مدىٰ تاريخها الإسلامي، حيث نزحت جموع كبيرة من سكان شمال إفريقيا عبر الصحراء، ليستوطنوا شمال نهر النيجر والسنغال[١].

والذي يهمنا من هذه الهجرات المتناثرة عبر القرون، هجرة أفراد من العلماء جاءوا إلىٰ البلاد في فترات متفاوتة، وأسسوا مدارس نشرت المعارف العلمية في قبائل موريتانيا قروناً عديدة من الزمن، ونكتفي بالإشارة على ذلك ببعض الأمثلة كشاهد علىٰ ما نقول:

فقد جاء الشريف عبد المؤمن بن صالح الإدريسي مؤسس مدرسة تشيت ومعه الحاج عثمان الأنصاري أحد مؤسسي مدرسة ودان، وهما تلميذا القاضي عياض اليحصبي، المتوفىٰ عام ٥٤٤ هـ[٢] وكانا يسكنان في أغمات[٣].

فانتشر عنهما العلم واتسع نطاقه قروناً في مدينتي تشيت وودان وكان قبل ذلك قاصراً علىٰ علوم الشرع دون آلاتها ومتمماتها[٤].

وبعد عهد هذين الرجلين وفي القرن الثامن الهجري بالتحديد نزح خمسة رجال من [تاردانت][٥] إلىٰ المنطقة الجنوبية [القبلة] من بلاد

---

(١) معهد البحوث المرجع السابق، ص ٤٣٠.
(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث.
(٣) تقع [أغمات] بالقرب من مدينة مراكش، التي كانت عاصمة دولة المرابطين، وتشتهر بوفرة مياهها وبساتينها وبها قبر المعتمد بن عباد ملك قرطبة، وكانت [أغمات] في السابق عبارة عن مدينتين هما: أغمات هيلانة، وأغمات وريكة، ابن عذارىٰ، المصدر السابق ٤/ ١٩، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٩٧، وسلامة الهرفي المرجع السابق ص ١٠٨.
(٤) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ٦، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٦.
(٥) تقع [تاردانت] علىٰ حدود المغرب الجنوبية علىٰ مقربة من جبال [درن] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٢٤، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٧١.

موريتانيا، وتحالفوا علىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، والصبر وصيانة الكرامة، وأطلق علىٰ هؤلاء الرجال وعلىٰ ذريتهم اسم [تشمشة][(١)] وتشكلت من أحفادهم قبائل ظلت ترعىٰ العلم، وأسست مدارس كثيرة، ازدهرت فيها الحركة العلمية، وغصت بطلاب العلم، وتخرج منها علماء أجلاّء[(٢)].

وفي القرن العاشر الهجري، جاء إلىٰ مدينة شنقيط علماء من [تلمسان وفاس][(٣)] وجلبوا معهم كتباً أندلسية لم تكن موجودة في البلاد، وأقاموا فترة من الزمن، يدرسون العلوم الشرعية، وكانوا أول من درس مختصر خليل ابن إسحاق المالكي في موريتانيا، وانتشر علم هؤلاء الرجال في مدينة شنقيط[(٤)].

وقد عززت هذه الهجرات حركة العلم والدين في هذه البلاد، وتلك رسالة علماء المسلمين قديماً وحديثاً، يحملونها حيثما حلوا..

هذا وقد ظلت ثروة العلم تزداد في موريتانيا بسبب الرحلات العلمية، والدينية، التي تستجلب فيها الكتب من أقطار شتىٰ. كما ساعدت هذه الرحلات علىٰ تطوير المحاضر، وارتفاع المستوىٰ العلمي فيها، حتىٰ صار باستطاعة طلابها أن يقولوا عن ثقة: «القراية في الراس ماه في فاس ولاه في مكناس»[(٥)].

فقد كان الحجاج يلتقون بالعلماء، ويأخذون عنهم في الحجاز وفي

---

(١) [تشمشة] معناها بالصنهاجية [الخمسة] وقد انقسم ذرية هؤلاء الرجال الخمسة إلىٰ ثلاث قبائل أثرت الحركة العلمية والدينية في المنطقة الجنوبية الغربية من البلاد، راجع الحسوة البيسانية في أنساب الحسانية، المرجع السابق ص ٣.

(٢) راجع حياة موريتانيا، المصدر السابق ٢/٣٢٩، وما بعدها، والخليل النحوي المرجع السابق ص ٩٨ ـ ٩٩، ومحمد الصوفي، المرجع السابق.

(٣) سوف يأتي الحديث عن بعض هؤلاء العلماء في الفصل الرابع.

(٤) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٥) سيأتي معنىٰ هذا المثال ضمن الأمثلة الشعبية الثقافية المشهورة في البلاد، وذلك في آخر هذا الفصل.

البلاد التي يمرون بها، وخاصة مصر، وكثيراً ما يمكثون في المغرب لطلب العلم وهم عائدون من الحج، وربما شدوا الرحال من بلادهم لطلب العلم في المغرب وغيره من الأقطار الإسلامية، ومكثوا سنين عديدة للتزود من المعارف العلمية، ثم يعودون إلىٰ بلادهم، وقد نهلوا من العلم، وتلقوا إجازات، وحصلوا علىٰ كتب في شتىٰ الفنون العلمية[١].

والمطالع في الحركة العلمية في محاضر موريتانيا عبر عصورها السالفة، يلاحظ أنّ التعليم في هذه المحاضر قد انطبع أساساً ولفترة طويلة بطابع مغربي أندلسي، وخاصة في العقيدة[٢].

ويذكر الدكتور محمد المختار بن أباه مميزات الثقافة الموريتانية بقوله: «وقد امتازوا بثقافة عربية إسلامية أخذوا مصادرها من رحلات علمائهم المتعدّدة في المشرق والمغرب، وطبعوها بذاتيتهم الخاصة[٣].

ثم يقول: «وهذه الثقافة يتضح انتماؤها إلىٰ المراجع المغربية والأندلسية، ذلك أنّ الدعوة الإسلامية امتدت أولاً من القيروان إلىٰ سجلماسة ومنها إلىٰ الصحراء، ثم انتظمت حلقات الوصل بين قرطبة وفاس وبين الصحراء والسودان، وتعززت في فترات معينة حتىٰ أخذت شكلها النهائي المتمثل في مجموعة من المعارف تعتمد علىٰ متون أكثرها من المغاربة والأندلسيين»[٤].

---

(١) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ١٥٧، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا ٦/٢، والخليل النحوي المرجع السابق ١١٠ ـ ١١٣.

(٢) راجع بحثاً قيماً بعنوان: روافد الثقافة الشنقيطية، في كتاب الخليل النحوي: المنارة والرباط ص ١٨٢ ـ ١٩٠، وسوف يأتي الكلام عن المؤلفات المغربية التي اعتمدتها المحاضر في منهج العقيدة وذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

(٣) الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٨، وعن صلة علماء شنقيط بمراكز الثقافة في البلاد الإسلامية راجع: محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٧٧ ـ ٧٨، ٨٣، ١٧٣، والدكتور محمد المختار بن أباه: المرجع السابق ص ٢١.

(٤) الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٨.

ثالثاً: الحروب:

لقد كانت الحرب في البلاد أيام عهد المرابطين جهاداً في سبيل الله[1] تخوضه قوة إسلامية منظمة متآزرة، هدفها إعلاء كلمة الله عزّ وجلّ، وقد ترك سقوط الدولة المرابطية مساراً جديداً للحروب، ذلك أنّ قبائل الصحراء تفككت وأصبحت تتقاتل فيما بينها، نتيجة لعدم وجود سلطة شرعية منظمة تردع الناس، وتحقن الدماء، وتأخذ للضعيف حقه من القوي.

ومع ذلك، فقد كان العلم ينمو ويزدهر في أثناء هذه الحروب، وربما أثخنته الجراح، ولكن سرعان ما يستعيد نشاطه وحيويته.

وقد أشار الخليل النحوي إلىٰ هذا المعنىٰ أثناء كلامه عن آثار الحروب القبلية على التعليم المحضري بقوله:

«... ولعل من الخصائص الفارقة للثقافة المحضرية الشنقيطية أنها ازدهرت في ظروف تصطلي فيها نار الحروب القبلية فلم تكن هذه الاضطرابات والحروب لتشل حركة العلم[2]».

وهذا شيء غريب، ومخالف لما كان عليه الحال في مراكز العلم والثقافة الأخرىٰ، فهذه جامعة القرويين وهي أدنىٰ الجامعات العريقة شقة إلىٰ بلاد شنقيط، وأعمقها أثراً في حركة الثقافة الشنقيطية، كانت تعطل

---

(١) سيأتي الكلام عن جهاد المرابطين بالتفصيل في الفصل الآتي.

(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط: ص ١٠٤، وقد كان الإمام ناصر الدين أيام حرب [شربيه] يقول: من ركب منكم فرسه فليجعل لوحه بينه وبين سرجه فإن الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الآخرة.. محمد اليدالي: مناقب الإمام ناصر الدين ص ١٢٣، مخطوط شخصي، وذكر أحمد بن أحمد المختار أنّ العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني كان طالباً عند ابن عمه محمد الأمين بن أحمد بن المختار، وكان يأتيه في بعض الأحيان ويجده قد جهز فرسه وأعد سلاحه لرد هجوم العدو فيطلب منه ألا يخرج حتىٰ يقرئه درس يومه.. مقدمة كتاب إعداد المهج لمحمد الأمين بن أحمد زيدان ص ١٧، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي في قطر ١٤٠٣ هـ.

الدراسة عندما تضطرب الظروف الأمنية، وحدث ذلك بسبب حروب في الأندلس بعيدة الشقة[1].

ومع هذا، فليس من البدهي اعتبار الحروب التي أثخنت المجتمع الموريتاني حافزاً من حوافز العلم، ولكن الباحثين يتفقون علىٰ أنّ هذه الحروب صاحبتها حركة علمية لامعة، وقد بين محمد يوسف مقلد الجانب الأدبي من هذه الحركة العلمية بقوله:

«كان للحروب القبلية في موريتانيا آثار خطرة في التفكير الأدبي تضمنت كثيراً من الخير، فقد صاحبتها حركة أدبية لامعة لا تضارعها إلا الحركة التي رافقت ظهور الإسلام في الجزيرة العربية[2]».

ليس من شك في أنّ الحروب القبلية أثخنت جراحها في المجتمع وكان فيها إثم ومفاسد، ومع ذلك فقد كانت سبباً مباشراً في تعمير الأرض، وإنشاء مدن علمية، كان لها أثر كبير في نشر العلوم الإسلامية، والعربية، وصارت علىٰ مدىٰ تاريخ طويل مراكز إشعاع إسلامي تستقطب الناس ليس في موريتانيا فحسب بل في شعوب غرب إفريقية بوجه عام.

ولا نريد أن نؤرخ لهذه الحروب، ولا أن ندخل في تتبع مراحلها وما صاحب هذه المراحل من حركة علمية، وإنما نكتفي فقط بذكر أمثلة تبرهن علىٰ ما قلناه:

فقد كانت الحرب في [آبير][3] وارتكاب يحيىٰ العلوي جريمة القتل في هذه المدينة سبباً مباشراً في عمارة مدينة شنقيط، التي تصدرت الساحة

---

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٠٤.

(٢) شعراء موريتانيا ص ٢٤٢.

(٣) [آبير] بالتشديد والتصغير: واحة خصبة قريبة جداً من مدينة شنقيط وكانت بها في السابق مدينة آهلة بالسكان، وبعد بناء مدينة شنقيط عام ٦٦٠ هـ بدأت مدينة [آبير] تضمحل شيئاً فشيئاً حتىٰ لم يبقَ بها أنيس.. الوسيط المصدر السابق ص ٤٢٥، ومحمد المختار بن أباه، المرجع السابق ص ٢١.

العلمية، والثقافية، في موريتانيا خلال ثلاثة قرون تقريباً[١].

وكان لخراب [تنبكتو] والعواصف التي هبت عليها في عهد [السونغاي][٢] أثر مباشر في ازدهار مدينة [ولاته] العلمي والثقافي، وقامت مدينة ودان على أنقاض مدن تحارب أهلها، حتى تركوها خراباً، ودبت النزاعات والحروب أكثر من مرة في صفوف أهل مدينة شنقيط، فنزحت منهم طوائف إلى جهات متفرقة، وأسسوا حواضر علمية جديدة.

كما فعلت قبيلة السماسدة في أطار[٣] وأوجفت[٤] وكما فعل العلويون في تجكجه[٥] وطوائف أخرى ضربت في أطراف البادية، فأسست المحاضر، ونشرت العلم في البوادي، بعد أن كان رهين الحواضر[٦].

وبعد نهاية الحرب التي قادها الإمام ناصر الدين المعروفة بحرب

---

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٠٥، وراجع الوسيط المصدر السابق ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٢) للتوسع في حروب عهد السونغاي راجع كتاب: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسبقيين ص ٤١، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر [د. ت].

(٣) تقدم أنّ مدينة أطار هي الولاية السابعة من ولايات موريتانيا، وهي مدينة ذات أهمية قال عنها أحمد بن الأمين: أطار مدينة عظيمة، وأهلها السماسدة وتبعد من جهة الغرب الجنوبي عن شنقيط مسافة يومين، الوسيط ص ٤٣٤، وعن مدرسة السماسدة وعلمائها راجع كتاب: المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/١٩٨، ٢٢٦، ٢٢٨.

(٤) أوجفت، مقاطعة تابعة لمديرية أطار، وقد وصفها أحمد بن الأمين في كتابه الوسيط: ص ٤٣٢ بقوله: أوجفت مدينة للسماسدة وبها وادٍ كثير النخل، بينها وبين شنقيط يومان تقريباً.

(٥) مدينة تجكجة هي عاصمة ولاية تكانت، وهي الولاية التاسعة من ولايات موريتانيا، وقد تحدث المختار بن حامد عن تاريخ تأسيس مدرسة تجكجة وعن علمائها، وبدأ ذلك بقوله: مدرسة تجكجة أسسها أيدو علي القادمون من شنقيط من عجز القرن الحادي عشر عام ١٠٧٠ هـ حياة موريتانيا ٢/١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٨.

(٦) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٠٥، وراجع الوسيط: المصدر السابق ص ٤٤٤.

[شرببه][1] نبع جيل من أيتام هذه الحرب، تفرغوا للعلم في محضرة أحمد ابن مود مالك، وتخرجوا منها كلهم ما بين قارىء مجود، وخطاط مسود، وعالم مفيد، وشاعر مجيد[2].

المطلب الرابع

نظام المحاضر

إنّ نظام المحاضر يعتبر ظاهرة موريتانية متميزة، نتيجة لعوامل خاصة، فنظام المحضرة يقوم علىٰ عالم معين يؤسس المحضرة، أو تتأسس عليه، فتعرف به وتنسب إليه، تعيش ما عاش، وتموت إذا مات، ولا تكاد تقوم بدونه[3].

ويتسم نظام المحاضر بالحرية والمرونة، فهي ذات نظم، ومقررات وأعراف تربوية خاصة، اقتضتها ظروف البلاد.

فالمحضرة لا ترد طالباً لعدم وجود مقاعد شاغرة، ولا تغلق أبوابها لقلة عدد الطلاب، فلا حد أعلىٰ لعدد الطلاب الذين تستقبلهم، ولا حد أدنىٰ للعدد الذي تقوم عليه، فقد يقل الطلاب في بعض الأزمنة بحيث لا يبقىٰ في المحضرة إلا طالب أو طالبان فقط.

ومن النظم الثابتة في المحاضر: اعتماد التعليم الفردي من طرف الأستاذ والطالب معاً، وربما استعان بعض مشايخ المحاضر بطلبته المتفوقين ليساعدوه في التدريس[4].

وذلك إذا كثر الطلاب، بحيث لا يتسع وقت الشيخ لتدريسهم حتىٰ

---

(١) سيأتي الكلام بالتفصيل عن هذه الحرب في الفصل الخامس.

(٢) الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٢٧، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ٦.

(٤) في هذا تلتقي المحاضر مع الجامعات في نظامها المعروف [بالمعيدين]..

ولو أنفقه كله لهذه الغاية، هذا من ناحية الشيخ، ومن ناحية الطالب.

فالمحضرة تؤدي رسالتها وفق نظام التعليم الفردي أيضاً، فالقاعدة العامة المتعارف عليها: أن يكون لكل طالب درس خاص به يختاره لنفسه في ضوء رصيده العلمي السابق، وهوايته، ومدىٰ استيعابه للفن، وغير ذلك، والشيخ يكون مستعداً لتلبية اختيارات الطالب يعلمه ما شاء في أي وقت شاء، إلا لمانع يحول دون ذلك.

ولا يتدخل الشيخ للطالب في اختيار المادة، لا كماً ولا نوعاً، وقلما يتدخل له في تحديد وقت الدراسة، ولا يراقب غيابه، بل الطالب رقيب علىٰ نفسه، ومسؤول عن اختياره يأتي متىٰ شاء، ويدرس أي مادة شاء، ويغيب متىٰ شاء.

ومما يسترعي الانتباه في هذا التعليم أنّ الطالب لا يجمع بين فنين فأكثر في آنٍ واحد، بل يشتغل بدراسة فن واحد يتفرغ له ويستمر فيه حتىٰ يستكمله ويستوعبه، ثم ينتقل إلىٰ سواه وهكذا[1].

ويرىٰ طلاب المحاضر أنّ الجمع بين فنين أو فنون في آنٍ واحد عائق عن التحصيل العلمي، ويشبهون ذلك بالتوأمين في كونهما لا سبيل إلىٰ خروجهما معاً دفعة واحدة، فكذلك الجمع بين فنين أو فنون فإنه يتعذر معه الاستيعاب.

ومما أنشده طلاب المحاضر في هذا المعنىٰ قول بعضهم:

وإن ترد تحصيل فن تمه ... وعن سواه قبل الانتهاء مه
وفي ترادف الفنون المنع جا ... إذ توأمان استبقا لن يخرجا[2]

---

(١) انظر نظام المحاضر في المراجع التالية: أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٥١٨، محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٦٣، الطبعة الأولىٰ دار النفائس، بيروت ١٣٩٧ هـ والخليل النحوي المرجع السابق ص ٥٧ ـ ٥٩، ١٧٢، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٥٣.

(٢) محمد الأمين بن داداه: محمد بن محمد سالم، ص ١٤، نواكشوط ١٩٨٤ م.

وهذا النظام يساعد علىٰ حفظ المتون، واستيعابها، خلافاً لما عليه الحال في نظام الجامعات، حيث تلزم الطلاب بعدد من المواد في فصل واحد، فيظل جهدهم الذهني موزعاً بين عدة فنون، لا يكاد يتقنها إلا القلة منهم.

ومن السمات الفارقة التي تميز بها المحاضر عن غيرها، من مؤسسات التعليم هي: أنها ليس لها مكان محدد، ولا طريقة خاصة لإلقاء الدروس، فتارة يكون مقرها حين الإقامة تحت الشجر أو في أعرشة من خشب، أو تحت الخيام، أو في الهواء الطلق.

أما في أثناء الارتحال، فقد يكون مقرها ظهور الإبل، ويشيد العلامة المختار بن بون المتوفىٰ عام ١٢٢٠ هـ بهذه الميزة حيث يقول:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدراً دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا[(١)]

أما طريقة إلقاء الدروس فلا يلتزم الأستاذ ولا الطلبة فيها نظاماً ثابتاً فالبساطة صبغة الحياة الموريتانية كلها، ولا تشذ عن ذلك المحاضر، فليس للشيخ كرسي يجلس عليه ساعة التدريس، وليس علىٰ الطلبة إلا أن يكونوا حوله في حالة تمكنهم من متابعة الدرس، ولا تخل بوقار العلم.

ويصور لنا أحمد بن الأمين ذلك وهو العارف بنظام المحاضر بقوله «.. لا ضابط للهيئة التي يلقي عليها المدرس عندهم، فتراه يدرس مرة ماشياً مسرعاً، ومرة جالساً في بيته، ومرة في المسجد، ومنهم من يدرس

---

(١) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٦١، وأحمد بن أحمد المختار، مقدمة كتاب المنهج ص ١٢، والدكتور محمد المختار بن محمد الأمين: دراسة وتحقيق لكتاب مراقي السعود إلىٰ مراقي السعود، للعلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، الشنقيطي، ص ١٣، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول الفقه في الجامعة الإسلامية، سنة ١٤٠٠ هـ/١٤٠١ هـ.

في أثناء الارتحال من جهة إلى أخرىٰ، سواء كان ماشياً أو راكباً، وقد يكون راكباً والطلبة يمشون علىٰ أقدامهم في ناحيته[1].

وبهذه الميزة كانت المحاضر فريدة من نوعها، حيث اخترع الموريتانيون فيها نظاماً طوعوا به العلم لظروف الصحراء القاسية، فجعلوا من المحاضر جامعات تسيح في الأرض لا مقرّ لها، ورغم ذلك فقد نالت إعجاب التربويين المعاصرين.

يقول الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: «إنّ نظام المحاضر نظام يكاد يكون منقطع النظير استنبط من واقع الحياة البدوية»[2].

وإذا كان بعض الناس قد علق بأذهانهم أنّ العلم ربيب الحضارة وحسبوا استيطان المدن، والاستقراء في المناطق الحضرية، شرطاً في تحصيل المعارف العلمية، فإنّ الباحثين يؤكدون أنّ هذه المحاضر التي نشأت في الصحراء، وتطورت فيها حققت لطلابها مستوىٰ علمياً رفيعاً، لا يقل عن مستوىٰ الجامعات العريقة المشيدة في المناطق الحضرية[3].

---

(١) الوسيط ص ٥١٩.

(٢) د. محيي الدين صابر: مقال نشرته جريدة الشعب الموريتانية ص ٥ ـ ٦ تاريخ ١٣/ ١٤٠١/٤ هـ وراجع محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٦٤.

(٣) راجع محمد الصوفي: المحاضر الموريتانية ص ٤٦ ـ ٤٨، والمرابط بن عبد العزيز: تاريخ موريتانيا من حياة العلامة محمد المامي ص ١٧، طبعة نواكشوط ١٩٨٢ م، وراجع مقارنة بين المحاضر وجامعة القرويين بفاس أجراها الخليل النحوي في كتابه: بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص ٢١٢، وما بعدها.. وتذكر بعض المصادر أنّ قبائل الزوايا لا يوجد فيها ذكر ولا أنثىٰ إلا وهو يقرأ ويكتب، وإن وجد في قبيلة غير ذلك، فهو نادر بحيث لا يوجد في المائة أكثر من واحد علىٰ تقدير وجوده، الوسيط: المصدر السابق ص ٥١٧.. وعبد اللطيف الدليشي: المرجع السابق ص ٦١، والجدير بالذكر أنّ قبائل الزوايا يمثلون من بين مجموع السكان نسبة ٣٦٪، الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٤٥، الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٣٨.

المطلب الخامس

ظروف الدراسة في المحاضر

إنّ المحاضر تعتبر مدارس خيرية، تقوم علىٰ أساس من التطوع والمبادرة الحرة، طلباً للثواب من الله عزّ وجلّ في الدار الآخرة.. وظروفها قاسية بالنسبة للشيخ والطالب علىٰ حدٍّ سواء، وإن كان الطالب يزيد علىٰ الشيخ بتحمل معاناة الغربة في أكثر الأحوال، ومع ذلك لا بدّ له من الصبر علىٰ تحصيل المعارف العلمية، والسلوك الحسن، والتواضع، والوقار، والأدب.

وقد أشار الخليل النحوي إلىٰ صعوبة ظروف الدراسة في المحاضر بقوله: «لقد كانت الحياة المحضرية في بلاد شنقيط قاسية أكثر مما كانت حياة طلاب العلم في أي بلد آخر، خصوصاً إذا نظرنا إلىٰ ما كان عليه الطلاب من سعة حال في المدارس العتيقة، مثال مدارس العراق والأزهر والزيتونة والقرويين..»[1].

وقد وصف أحمد بن الأمين تعب العالم في هذه المحاضر وما يكابده من مشاق حيث قال: «فقد يستغرق العالم يومه كله في التدريس وهو مورد للضيوف وللمستفتين، ولطالب الحاجة، وليس للقاضي ولا للمدرس هناك أوقاف تصرف عليهما، ولا يأخذ أحدهما من الطلبة، بل قد يعطيهم من يده»[2].

وقارن أحمد بن الأمين بين ظروف الطلبة في المشرق، وظروف الطلبة في بلاد شنقيط بقوله: «إذا تأملت يا مشرقي طالب العلم في أرض شنقيط علمت أنك تجد من الإعانة ما لا يجد، لأن لك من الأوقاف ما يكفيك، ووراءك امتحان يحملك علىٰ الاجتهاد، لأنك إذا سقطت قطعت

---

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٣٨.

(٢) الوسيط: ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

من الدفتر، وإذا لم تكن عالماً جعلت عسكرياً، وإذا صرت عالماً تأخذ من الأوقاف ما يكفيك أنت ومن تمونٰ».

«أما الطالب في أرض شنقيط، فبعكس هذا كله، فإنه إذا لم يتعلم لا يؤخذ للعسكر، وإذا طلب العلم لا يجد وقفاً يتقوت منه، وإذا صار عالماً ليس وراءه وقف يضمن له ما هو مضمون لك»(١).

وكان لطلبة المغرب ما كان لطلبة المشرق، من أوقاف، ومعونات من الدولة، وغير ذلك من أسباب الحياة الرخية(٢).

وقد انفردت المحاضر في العصور المتأخرة بهذه الحياة العلمية المملوءة بصور الكد والعناء، ويصدق علىٰ طلاب المحاضر قول أحدهم:

تلاميذ شتىٰ ألف الدهر بينهم   لهم همم قصوىٰ أجل من الدهر
يبيتون لا كن(٣) لديهم سوىٰ الهوىٰ   ولا من سرير غير أرمدة(٤) غبر(٥)

ومع ما في الحياة المحضرية من كد وشظف عيش، فإنها لم تصل إلىٰ ما كانت عليه الحياة العلمية الإسلامية في عصورها الأولىٰ، من صور الكد والعناء، والصبر علىٰ اللأواء، والنصب في طلب العلم ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك، ما حصل لربيعة الرأي المتوفىٰ عام ١٣٦ هـ رحمه الله أثناء طلبه للعلم، حيث اضطر إلىٰ بيع خشب سقف بيته، وأكل

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٥٢٠.
(٢) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٣٩.
(٣) [الكن] السترة والجمع أكنان، قال تعالىٰ: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ سورة النحل الآية: ٨١، والأكنة: الأغطية، راجع مادة [كنن] في المختار الصحاح ص ٥٨٠.
(٤) [أرمدة] جمع رماد، والمراد أنّ لون هذه الأسرة صار كلون الرماد لتقادم عهدها واغبرار لونها، راجع مادة رمد وغبر، في القاموس المحيط ص ٣٦٢، ٥٧٥، ٥٧٦.
(٥) أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٥٢١، وعبد اللطيف الدليشي المرجع السابق ص ٦١.

ما يلقىٰ علىٰ مزابل المدينة، من الزبيب، وعصارة التمر[1].

وقال الإمام مالك بن أنس المتوفىٰ عام ١٧٩ هـ رحمه الله: إنّ هذا الأمر لن ينال حتىٰ يذاق فيه طعم الفقر[2].

وقال الإمام الشافعي المتوفىٰ عام ٢٠٤ هـ رحمه الله: لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعزّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم أفلح»[3].

هكذا كان السلف ينظرون إلىٰ ما يجب أن يتحمله طالب العلم في سبيل التحصيل ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ.

ويمكن القول بأنّ طلاب المحاضر قد نهجوا نهج السلف، في الصبر علىٰ تحمل الشدائد في طلب العلم، ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ.

المطلب السادس

المناهج الدراسية في المحاضر

من المعلوم أنّ نشر العلم هو رسالة المحاضر ومهمتها الأولىٰ والأخيرة فهي مؤسسات جامعة للعلوم الإسلامية، وكثير من المعارف العلمية المتنوعة، وتهتم بالدرجة الأولىٰ بالعلوم الشرعية.

أما علوم الآلة كاللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، فيدرسونها لا لذاتها، بل ليفهم بها الكتاب والسنّة، فهي وسيلة وليست غاية.

ويعبر الدكتور محمد المختار بن أباه عن هذا المعنىٰ بقوله: «لم تزل هذه الثقافة ـ يعني ثقافة المحاضر ـ ترتكز علىٰ العلوم الشرعية، حيث أنّ

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/١٦.

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق نفسه ١/١٧.

وجود الدراسات اللغوية والبلاغية يعتبر أداة لاستكمال المعارف الدينية»[1].

وقد كانت المحاضر توفر لطلبة العلم جميع ما يحتاجونه أو يبتغونه من العلوم الشرعية، واللغوية، إلىٰ علوم التاريخ، والمنطق، والحساب، والجغرافيا، والفلك، والطب[2].

هذا ويتمّ تلقي المعارف العلمية في هذه المحاضر علىٰ مراحل ثلاث كالآتي:

المرحلة الأولىٰ:

وهي المرحلة الابتدائية، وتبدأ بتعليم الحروف الأبجدية، ثم حفظ القرآن الكريم، ومعرفة رسمه، وضبطه، وتجويده بقراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، وأشهر المتون التي تدرس في علم التجويد: نظم الدرر اللوامع لابن بري، وشرحُه المسمىٰ بالنجوم الطوالع علىٰ الدرر اللوامع، ومقدمة ابن الجزري.

وهذه المرحلة تبدأ من السنة الخامسة وتنتهي ببلوغ الحلم[3].

المرحلة الثانية:

هذه المرحلة بمثابة التعليم الثانوي، ويسمونها [تعليم فرض العين][4]. وذلك أنّ الطفل أو الفتاة عندما يبلغ أحدهما سن التكليف،

---

(١) الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٦، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٩٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٩٠، ١١٢.

(٣) راجع أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٥١٨، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٤٠، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٤٧١، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ١٨٣.

(٤) راجع عن فرض العين، وفرض الكفاية والمفاضلة بينهما: شرح شمس الدين محمد المحلي علىٰ متن جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢ هـ وانظر: ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣ ـ ١٥.

يصير بحاجة إلىٰ معرفة أحكام الإسلام، التي أصبحت فرض عين عليه، ويأخذ الطالب في هذه المرحلة من أوليات العلم بنصيب. فيدرس متوناً مختصرة، مثل المرشد المعين علىٰ الضروري من علوم الدين، لابن عاشر في العقيدة والفقه، ومختصر الأخضري في الفقه، والآجرومية في النحو، وبعض دواوين العرب[1].

المرحلة الثالثة:

دراسة مهمات المتون، وهذه المرحلة تعتبر بمثابة المرحلة الجامعية، في التعليم النظامي المعاصر، وأهم المتون والكتب التي تدرس في هذه المرحلة كالتالي:

العقيدة:

١ ـ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

٢ ـ مؤلفات السنوسي: وأهمها عقيدته المسماة بالسنوسية الصغرىٰ، وتعرف بأم البراهين، وعقيدته التي تسمىٰ عقيدة أهل التوحيد، وتعرف بالسنوسية الكبرىٰ[2].

٣ ـ إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنّة، لأحمد المقري التلمساني.

٤ ـ وسيلة السعادة للمختار بن بون الجكني الشنقيطي.

٥ ـ الواضح المبين لعبد القادر بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي[3].

---

(١) راجع أحمد بن الأمين، الوسيط: ص ٥١٨، ومحمد المختار بن أباه المرجع السابق: ص ٢٨ ـ ٢٩، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١٧.

(٢) للتوسع في مؤلفات السنوسي في العقيدة الأشعرية، راجع كتاب عبد القادر بن محمد سالم: المباحث الجليلة في شرح الوسيلة، ص ٣٤، مخطوط شخصي.

(٣) هذا هو المنهج العقدي الذي كان سائداً في الفترة الماضية، أما الآن فقد تغير هذا =

هذه هي أهم المتون التي كانت تدرس في العقيدة، أما المواد الأخرىٰ فالكتب التي تدرس فيها هي: تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين في مادة التفسير.

وفي مادة الحديث: موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتب السنن الأربعة: ابن ماجة، والترمذي، وأبو داود، والنسائي.

وفي مادة الفقه: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل بن إسحاق، وتحفة الحكام لابن عاصم، والكفاف لمحمد مولود ابن أحمد فال الشنقيطي.

وفي أصول الفقه: ورقات إمام الحرمين، وجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.

وفي السيرة والأنساب: قرة الأبصار لعبد العزيز اللمطى، وسيرة ابن هشام، وعمود النسب لأحمد البدوي الشنقيطي.

وفي النحو والصرف: ملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك، ولامية الأفعال لابن مالك أيضاً، واحمرار الحسن بن زين علىٰ اللامية.

وفي اللغة والأدب: المعلقات السبع، ودواوين الشعراء الستة الجاهلين، ولامية العرب للشنفرى، وبانت سعاد لكعب بن زهير، وديوان غيلان ذي الرمة، وديوان المعري، ومثلث قطرب، ومثلث ابن مالك، والشمقمقية لابن الونان، والمقصور والممدود لابن مالك، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وهو كتاب مطالعة لا كتاب حفظ.

وفي العروض: كتاب الوافي، والخزرجية، ونظم ابن عبدم ونظم

= المنهج في بعض المحاضر، كما أنّ الكثير من المعاهد الإسلامية التي تعتبر محاضر مطورة لم يأخذ بهذا المنهج، وإنما أخذ بالمنهج السلفي الخالص كما سنرىٰ.

يحيىٰ بن أحمد الشنقيطي.

وفي البلاغة: ألفية السيوطي، عقود الجمان، ونور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي.

وفي المنطق: مختصر السنوسي، والسلم للأخضري، وقواعد المنطق للمغيلي[1].

هذه المتون، هي جل ما يدرس في المحاضر ويتغير الترتيب فيها من منطقة إلىٰ منطقة، ومن محضرة إلىٰ محضرة، بل ومن طالب إلىٰ طالب.

وقد يترك بعض الطلاب شيئاً من هذه المتون، ويدرس متوناً أخرىٰ، حسب ميول الطالب ومستواه العلمي.

فقد ذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي أنّ والده درس المتون التالية: مختصر خليل، ونظم ابن عاصم، ورسالة ابن أبي زيد، وحدود ابن عرفة في الفقه، وألفية ابن مالك، والفريدة للسيوطي في النحو، وألفية السيوطي، عقود الجمان في البديع والبيان، وكتاب المنجور علىٰ قواعد الزقاق في القواعد، وورقات إمام الحرمين وجمع الجوامع للسبكي، في أصول الفقه، والصحاح الستة [البخاري، ومسلم، وابن ماجة، والترمذي، وأبو داود، والنسائي] في الحديث، وتفسير ابن عطية[2].

---

(١) راجع عن مناهج المحاضر ومراحل الدراسة فيها: محمد الصوفي: المحاضر الموريتانية ص ١٨٣ ـ ١٨٤، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٢١٢ ـ ٢١٧، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١٦ ـ ١٧، وما ذكرته من التقسيم علىٰ المراحل الثلاثة هو الذي جرىٰ عليه عرف التعليم في أكثر بلاد شنقيط، وليس من الضروري أن يشمل جميع المحاضر، لعدم وجود منهج نظامي موحد ملزم.. ويرىٰ البعض أنّ المرحلة الأولىٰ من المراحل الثلاثة تعتبر تمهيداً لدخول المحاضر وليست داخلة في اسم التعليم المحضري.. الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٦٥.

(٢) بول مارتي كنتة الشرقيون، ص ٤٧ ـ ٤٨، ومحمد المختار بن أباه، المرجع السابق ص ٢٦، والخليل النحوي المرجع السابق ص ٢١٢.

والجدير بالذكر أنّ التعليم في المحاضر يتركز بصفة أساسية على حفظ المتون، فطلاب المحاضر لا يعدون علماً إلا ما حصل في الصدور ووعته الذاكرة متناً ومعنىً[1].

وقد اشتهرت في ذلك أمثلة شعبية عندهم، قلَّ من لا يحفظها من طلبة العلم ولهم أشعارهم النبطية في هذا المعنى[2].

والمعروف أنّ المحاضر لا تمنح شهادة علمية معينة، ولكنها ربما منحت لبعض طلابها المتفوقين إجازات في العلوم، التي أتقنوها، ومن المعلوم أنّ الجامعات على العكس من ذلك فهي تمنح شهادات لطلابها بدرجة معينة مع تفاوت أصحابها في التحصيل العلمي.

وعلى أي حال، فقد استطاعت المحاضر أن تكونّ أفواجاً من العلماء، على مدى تاريخ طويل، فقد خرجت أجيالاً من العلماء، الحفاظ، الذين كانوا يحملون العلم معهم في الحل والترحال، صدورهم خزائن لكل ما طالعوه أو درسوه[3].

---

(١) راجع محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٦٣ ـ ١٦٤، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ١٧.

(٢) من ذلك قول أحدهم:

احفظ نصك يل يرعاك ... واحذر من نص ابلا معنى

والنص إلى ما تمّ إمعاك ... يتافك هو والمعنى

ومعنى قوله: يل يرعاك: دعاء بأن يجعله الله في رعايته، ومعنى قوله: والنص إلى ما تمّ إمعاك يتافك هو والمعنى، أي أن من نسي النص فإنه سينسى المعنى كذلك.
والكاف المعقودة في قوله: يتافك أصلها قاف وتكتب كاف يعلوها ثلاث نقط، وهكذا في سائر ما يأتي بكاف معقودة.. ومن الأمثلة التي تعبر عن هذا المعنى قولهم: القراية في الراس ماه في فاس ولاه في مكناس.. ومعنى ذلك أنّ العلم المعتبر هو ما حفظ وليس في كثرة الذهاب إلى المدن الحضارية ومؤسسات التعليم فيها. راجع أحمد بن الأمين: الوسيط ص ١، والخليل النحوي المرجع السابق، ص ١١٢، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٤٩.

(٣) الخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٢٢٩، وعبد الهادي بو طالب وآخرون: ندوة =

وفي الحقيقة، أنّ بعض هؤلاء قد خرجوا إلىٰ بلاد شتىٰ، وما حلوا بأرض إلا وخلفوا فيها ذكراً حسناً، واستأثروا بإعجاب أهلها، وما نالت شنقيط مكانتها العلمية إلا بسبب شهرة علمائها، وما وصلوا إليه في مختلف مجالات العلوم الدينية، والآداب العربية، واتصالهم بعلماء المشرق[1].

يقول الدكتور محيي الدين صابر: «كانت صورة الشناقطة وما تزال في البلاد العربية أنهم الممثلون الأوفياء للثقافة العربية الإسلامية، في نقائها وأصالتها، وأنهم سدنتها في قاصية ديار الإسلام، المرابطون في ثغورها، حفاظاً عليها، ونشراً لها، وإشعاعاً بها[2].

ويعبر عبد اللطيف الدليشي الخالدي عن هذا المعنىٰ بقوله: «إنّ من الشناقطة علماء قد لا نغالي إذا قلنا عنهم أنهم لا يقلون أهمية عن أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وأبي الثناء الآلوسي، وأضرابهم، وشعراء فحول لا يقلون مستوىً عن أمثال: المتنبي، والبحتري، وشوقي، والرصافي[3].

وما كان لهذه الحقيقة أن يعرف عنها الشيء الكثير لولا هؤلاء العلماء

= الحركة السلفية في المغرب العربي ص ٢٠٠، مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية بالرباط، شعبان ١٤٠٩ هـ ومحمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، المجلد الأول ص ٢٣، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ١٤٠٦ هـ.

(١) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤، وعبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق ص ١٩، ٦٢.

(٢) خطاب الدكتور محيي الدين صابر: مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الذي ألقاه بمناسبة الحملة الدولية لإنقاذ المدن التاريخية الموريتانية، شنقيط، ودان، تشيت، ولاته، نشرته جريدة الشعب الموريتانية، في العدد ١٧٠٢ ص ٧ ـ ٨، في ١٣ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ.

(٣) عبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ٩.

الذين خرجوا يجوبون أطراف البلاد الإسلامية، لنشر المعارف العلمية، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانوا مرجعاً للناس في البلاد التي حلوا بها في مجالات علمية قلَّ من يزاحمهم فيها، وهؤلاء العلماء كثيرون، ولو رمنا حصرهم لخرج بنا ذلك عن المقصود، فلنكتف منهم بما يصلح شاهداً علىٰ ما نحن بصدده.

فبالنسبة لصلة العلماء الموريتانيين بمراكز العلم والثقافة في المغرب، فقد ظلت وثيقة وظهرت شخصيات علمية موريتانية في المغرب، لعلّ من أبرزها دوراً وأوسعها علماً الشيخ محمد المصطفىٰ ابن الشيخ محمد فاضل الذي اشتهر بلقبه [ماء العينين].

فقد ولد الشيخ ماء العينين سنة ١٢٤٦ هـ بولاية الحوض الشرقي من موريتانيا، وتلقىٰ العلم في محاضر بلاده، وانتصب لتعليم الناس، له اليد الطولىٰ في علوم شتىٰ وخاصة علم التفسير، والحديث، والفقه، وهو صاحب طريقة صوفية قادرية، اتجه إلىٰ المملكة المغربية ونال حظوة كبيرة عند عدد من ملوكها، والتف الناس حوله، وأقبلوا عليه، وكان من أبرز زعماء حركات الجهاد إبان الاستعمار الغربي للشمال الإفريقي، وأسس مدارس في المغرب، والصحراء، له مؤلفات كثيرة توجد منها بالخزانة الملكية في المغرب مائة كتاب، وقد طبع منها نحو ثمانين كتاباً، منها: دليل الرفاق علىٰ شمس الاتفاق علىٰ المذاهب الأربعة، والمرافق علىٰ الموافق في الأصول، واللؤلؤ المحوز علىٰ الراموز في الحديث، توفي بتزنيت من أرض السوس سنة ١٣٢٨ هـ[1].

وأما بالنسبة للعلماء الموريتانيين الذين رحلوا إلىٰ البلاد المشرقية، فمن البارزين منهم: العلاّمة الشيخ محمد محمود بن التلاميذ علامة عصره

---

(١) راجع أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٣٦٥ ـ ٣٦٧، وندوة الحركة السلفية بالمغرب العربي، المرجع السابق ص ١٨٥، وما بعدها، وسميرة بنت صقر المرجع السابق ص ١٢.

في اللغة، والأدب، والحديث، شهد الناس بسعة علمه، وقوّة حافظته، وجرأته.

توطدت الصلة في مصر بينه وبين الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، الذي وصف محمد محمود بن التلاميذ بأنه العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة اللغة والحديث في هذه البلاد، يعني بلاد مصر.

وفي المدينة المنورة، توطدت الصداقة بينه وبين أديب الحجاز وعالمه آنذاك الشيخ عبد الجليل برادة، ثم شملته نفرة حصلت بين الشنقيطي وعلماء المدينة المنورة لأمور جرت بينهم، وقد عكف في مصر علىٰ تحقيق ونشر ذخائر التراث العربي، فصحح كتاب الأغاني وحرر القاموس.

له عدّة مؤلفات منها: الحماسة السنية في الرحلة العلمية، مطبوع، ومنها إحقاق الحق، حاشية علىٰ شرح لامية العرب لعكاش اليماني، بيَّن فيها أغلاطه، وكان يملك مكتبة كبيرة، أوصىٰ بأن تجعل وقفاً علىٰ طلبة العلم. توفي بمصر سنة ١٩٠٥ م قبيل وفاة الشيخ محمد عبده بقليل، ومات وهو لا يملك شيئاً يذكر، وقام بنفقة تجهيزه ودفنه صديقه الشيخ محمد عبده»[١].

وفي العراق، ظهر الشيخ محمد الأمين الخير، وهو علامة فاضل، واسع الاطلاع، حافظ للمتون، إمام في اللغة والأدب، حاد الذكاء، له همة عالية، ونشاط ملحوظ في الدعوة إلىٰ التمسك بمنهج السلف الصالح، كثير الترحال، وصل إلىٰ مكة المكرمة قادماً من بلاده سنة ١٣١٩ هـ، وأدىٰ مناسك الحج، وقضىٰ مدة في الحجاز يتنقل بين مكة المكرمة والمدينة

---

(١) راجع أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٣٨١، ٣٩٦، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٥٦ ـ ٥٨، ٥٢٨، وما بعدها، وعبد اللطيف الدليشي: المرجع السابق، ص ٦٨، ٧٢، ٢٧٠.

المنورة، ثم سافر إلىٰ الهند، وعمان، والبحرين، والأحساء، ثم انتقل إلىٰ الزبير، والبصرة بالعراق، قام بزيارة الكويت مراراً. وتوطدت العلاقة بينه وبين شخصيات مرموقة في الخليج، منهم الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت، والمصلح الكبير البحريني عبد الوهاب الزياني، دعي لزيارة الكويت أكثر من مرة، وكان من بين هذه الدعوات دعوة النادي الأدبي بها، حيث قوبل هناك بالحفاوة والتكريم من أمير الكويت والأوساط العلمية والأدبية فيها.

اشتهر بالحماس وشدة الاندفاع إلىٰ الجهاد ضد الاحتلال البريطاني وشارك في معركة [الشعيبة] وجمع بين حمل السلاح وتحريض المجاهدين، وحثهم علىٰ الثبات والاستماتة في الذود عن الإسلام.

استقرّ به المقام أخيراً في قرية الزبير من أعمال البصرة، وبها أسس جمعية النجاة ومدرستها، وعكف علىٰ نشر العلم، وخدمته، فشاهد الناس علمه، وعاينوا فضله، فأقبلوا عليه، وقد ربىٰ أفواجاً متلاحقة من أنحاء الخليج، أصبحوا فيما بعد رجال علم، وقضاء، وأدب، وشغلوا مناصب ذات أهمية.

ولعل كثرة ترحاله، ونشاطه في الدعوة والتدريس، لم يتركه يتفرغ للتأليف، فلم يصل إلينا من تأليفه سوىٰ مذكرات لخص عبد اللطيف الدليشي بعضها في آخر كتابه الذي أفرده لهذا العالم وجهوده»[1].

وفي الحجاز: ظهر الشيخ محمد الخضر بن مايابي العلامة المحدث اشتهر في بلاده بمعرفة الفقه وأصوله، ولما وصل إلىٰ المغرب في رحلته للحج اشتغل بالحديث، وبرع فيه، قدم إلىٰ الحجاز سنة ١٣٣٠ هـ واستقرّ في المدينة المنورة، وتولىٰ الإفتاء بها، واشتهر بنبذ التجانية، وألف في

(١) حول هذا العالم وجهوده صدر كتاب بعنوان: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة: الشيخ محمد أمين الشنقيطي، تأليف عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق.

نقدها كتابه: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، له عدة مؤلفات أهمها:

كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، يقع في عشر مجلدات، وقد طبع منه سبعة أجزاء في عمان بالأردن، وكتابه إيضاح مختصر خليل بالمذاهب الأربعة بأصح دليل [مخطوط] واستحالة المعية بالذات، مطبوع بمصر، توفي سنة ١٣٥٤ هـ[(١)].

وفي الحجاز ومصر: ظهر الشيخ محمد حبيب الله بن مايابي شقيق الشيخ محمد الخضر الآنف الذكر، وكان علامة، محدثاً، ماهراً في علم القراءات، وتوجيهاتها. له اليد الطولىٰ في علم النحو والصرف، حافظاً للمتون، ومن ذلك أنه كان يحفظ الصحيحين بأسانيدهما، ومتونهما، هاجر إلىٰ مكة المكرمة، واستوطنها زمناً، ثم انتقل إلىٰ القاهرة واستقرّ بها مدرساً في كلية أصول الدين بالأزهر..

له مؤلفات كثيرة أهمها: كتابه زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، وكتابه الدليل السالك إلىٰ موطأ الإمام مالك، وهما مطبوعان، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ[(٢)].

ومن هؤلاء العلماء البارزين أحمد بن الأمين المولود سنة ١٢٨٩ هـ الذي تلقىٰ العلم في بلاده، ورحل إلىٰ المشرق، فأدىٰ فريضة الحج سنة ١٣١٧ هـ والتقىٰ ببعض العلماء في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، فأخذ

---

(١) الزركلي: الأعلام ٣٤٧/٦، الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩ هـ ومحمد الأمين بن محمد الخضر في مقدمته لكوثر المعاني للشيخ محمد الخضر ٧/١ ـ ١٠، الطبعة الأولىٰ، دار البشير، عمان ١٤٠٨ هـ والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٧٢.

(٢) راجع الزركلي الأعلام ٣٠٧/٦، ومحمد حبيب الله بن مايابي زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، ٥٤٩/٥، وما بعدها، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت] ومحمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٣، الطبعة الثالثة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٧ هـ، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٧٠.

عنهم، واستفاد منهم، ثم قام برحلات كثيرة في أقطار إسلامية عديدة، تعرف من خلالها على معاهد علمية، ومكتبات إسلامية، والتقى بكبار علماء هذه البلاد التي زارها، واستفاد منهم، ثم استقرّ به المقام في مصر سنة ١٣٢٠ هـ، وأكبّ على العلم دراسة وتصنيفاً وتحقيقاً، وكان وثيق الصلة بعلماء مصر في وقته، له اليد الطولى في علوم اللغة العربية وآدابها، والفقه، وأصوله، صنف عدة كتب منها: الدرر اللوامع شرح جمع الجوامع في علوم اللغة العربية، يقع في مجلدين، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، وهما مطبوعان في مصر، توفي بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ[1].

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، تألق نجم العلامة محمد الأمين بن محمد المختار، حيث خرج من بلاده لأداء فريضة الحج وعلى نية العودة، وبعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية تجددت نية بقائه فيها ورغب رحمه الله في الجوار بالحرمين الشريفين.. وذلك بعد أن جرت له زيارة ومحادثة مع بعض المسؤولين عن الدعوة إلى الله في المدينة، وعن شؤون المسجد النبوي، فتمت المعرفة، ووقعت الألفة، فاستقرّ عزمه على الإقامة والاستيطان، بعد المؤانسة والاطمئنان[2].

وواصل نشاطه في نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى وكان من أبرز حملة العلم والدين في الديار السعودية، ومن كبار المؤسسين للنهضة العلمية الحديثة التي ازدهرت فيها، قام بجهود بارزة في تقرير عقيدة السلف وبيانها ونصرتها، والدفاع عنها، والرد على المخالفين لها، وقد نال أسلوب بيانه للعقيدة السلفية إعجاب المسؤولين في مؤسسات العلم والدعوة

---

(١) راجع الوسيط، المصدر السابق، ص ٧ ـ ١٠، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٩٩ ـ ٤٠١، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) عطية محمد سالم: مقدمة كتاب: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، لمحمد الأمين بن محمد المختار ص ١١، الطبعة الأولى دار الشروق، ١٤٠٣ هـ.

الإسلامية في هذه البلاد[1].

وفي الحقيقة أنّ الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ يندر وجود مثله علماً وصلاحاً، وقد أعدت فيه ثلاث رسائل في جامعات المملكة، واحدة منها في العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي بعنوان: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، رسالة ماجستير قدمها الطالب عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان في عام ١٤١٢ هـ.

وسيأتي الكلام بالتفصيل عن الشيخ محمد الأمين وأثره على العقيدة في موريتانيا وذلك في فصل مستقل خاص به[2].

المطلب السابع
حركة التأليف في المحاضر

إنّ الأسباب التي يجب توفرها للمؤلف ـ من الاستقرار، والهدوء، والجو المناسب ـ تكاد تنعدم في موريتانيا في أغلب الأحوال، حيث طبيعة الصحراء، وكثرة الترحال، في حين أنّ جلّ العلماء مشغول بالتدريس، وقد لا يبقىٰ لديه أي وقت بعده.

والبعض من العلماء يرفض التأليف حتىٰ ولو وجد سعة في وقته،

---

(١) من الأمثلة علىٰ ذلك: ما قاله فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، حين سمع بيان الشيخ محمد الأمين، رحمه الله، لعقيدة السلف حيث قال: جزىٰ الله عنا الشيخ محمد الأمين خيراً علىٰ بيانه هذا، فالجاهل عرف العقيدة، والعالم عرف الطريقة والأسلوب.. المصدر السابق نفسه: ص ٢٤، وسميرة بنت صقر المرجع السابق ص ٥٦، وقد حدثني بذلك ابنه الدكتور عبد الله بن محمد الأمين، في مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة، وموقعة منه بتاريخ ٢٨/٤/١٤١١ هـ وسوف تأتي ترجمته في الفصل التاسع من هذا البحث. ص ٥٢٦.

(٢) هو الفصل الثامن من هذا البحث.

تورعاً وبعداً عن الرياء والمباهاة.

ورغم ذلك فقد أدلت طائفة بدلائها في هذا الميدان، فألفت في جميع العلوم، التي تدرس في المحاضر، وكان جل مؤلفاتهم يتمثل في أنظام وشروح للمتون التي تتناول اللغة العربية، والعلوم الدينية، واشتهر كثير منهم بإنشاء المنظومات التعليمية[١].

وقد كثرت هذه المصنفات، فبلغت الآلاف في جميع الفنون والعلوم[٢]. ويوجد كثير من هذه المؤلفات في المكتبات العائلية، وهي ما تزال مخطوطة، وقد تعرض الكثير منها للضياع، لأن بعض عائلات المؤلفين ليس فيهم من له همة علمية تبعثه على حفظ هذه المخطوطات، وتوفير الصيانة لها، وخاصة بعد محنة الجفاف التي أصابت البلاد من عام ١٩٦٩ م.

حيث اشتغل الناس وقد مسهم الضر عن هذا التراث، فربما ارتحل بعض الأحياء مخلفاً وراءه صناديق الكتب بين الأطلال في كهوف الجبال، أو في الأعرشة، أو في غير ذلك.. ولسان حالها ينادي: أنقذوني من الضياع، أخرجوني من الظلمات إلى النور.

ومنذ سنوات بدأت الدولة الموريتانية تستجيب لهذا النداء، رغم ضعف إمكانياتها.

وكان أهم ما أنجزته في هذا الإطار، تأسيس المعهد الموريتاني للبحث العلمي، وتكليفه بحصر المخطوطات وحفظها، وقد وجد المعهد مؤازرة من دول وهيئات في هذه المهمة العلمية، ورغم أنّ عملية الجمع ما زالت في بدايتها، ورغم ضعف في الوسائل، فقد تمكن المعهد من اقتناء ما يلي:

---

(١) راجع محمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٢٧.

(٢) راجع سميرة بنت صقر المرجع السابق ص ١٩، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

٣٢٠٠	كتاب مخطوط.
٢٢٣٩	ميكروفيلم.
٥٠٠	ملف للشعر.
٣٠٠	ملف للنوازل.

وقد تمكن المعهد من معرفة أماكن كثير من المخطوطات الموريتانية في مكتبات دول أخرىٰ، كما سعىٰ المعهد إلىٰ فهرسة بعض المكتبات، ورغم جهود بذلت فما زالت حصيلة الفهرسة والحصر فضلاً عن الاقتناء ضئيلة قاصرة.

ولعلّ أهم ما أنجز في مجال الفهرسة حتىٰ الآن دليل المؤلفين الشناقطة الذي وضعه المختار بن حامد، والخبير الدولي هيموفسكي[1].

ومما هو جدير بالذكر، أنّ بعض هذه المخطوطات قد وجدت النور في السنوات الماضية، فتمّ طبعها ونشرها، إما في موريتانيا أو في غيرها من الدول العربية، وما زال الباقي ينتظر من يخرجه من الظلمات إلىٰ النور.

المبحث الخامس

الاتجاهات الدينية في المجتمع الموريتاني

المذهب الفقهي المعتمد في موريتانيا والسائد فيها هو مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ وهو المذهب السائد في شمال وغرب إفريقيا منذ وصوله إلىٰ المنطقة[2] حتىٰ اليوم.

---

(١) راجع الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط: ص ٢٣٩ ـ ٢٩٢، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) وصل المذهب المالكي إلىٰ شمال إفريقيا علىٰ يد أسد بن الفرات المتوفىٰ عام ٢١٣ هـ وعبد السلام بن سعيد الملقب بـ سحنون التنوخي، المتوفىٰ عام ٢٤٠ هـ. أما المغرب الأقصىٰ فقد وصله علىٰ يد أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي المتوفىٰ =

العقيدة والطوائف الدينية:

مرت العقيدة في موريتانيا بمراحل كغيرها من الأقطار الإسلامية فقد ظل مذهب السلف هو السائد في عهد المرابطين (٤٤٨ ـ ٥٤٢ هـ)[1] وبعد سقوط الدولة المرابطية سادت العقيدة الأشعرية في المنطقة، وغاب الفكر السلفي عن موريتانيا ردحاً من الزمن، حتىٰ قام الإمام ناصر الدين المتوفىٰ عام ١٠٨٥ هـ بدعوته السلفية الإصلاحية[2] فانقسم الناس في مشاربهم الفكرية إلىٰ ثلاث طوائف، نجمل الحديث عنها فيما يلي:

١ ـ السلفيون:

كان السلفيون قليلين لا يتجاوزون أفراداً من العلماء، ولكنهم ظلوا موجودين، وفي ازدياد مستمر، وقد أصبحوا اليوم كثيرين، ولله الحمد ـ وهم يحاولون جهدهم في نشر العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنّة، والرد علىٰ الفرق المبتدعة، المتكلمين والمتصوفة، وبيان المفهوم الصحيح للعقيدة السلفية.

٢ ـ الأشاعرة:

قدر للعقيدة الأشعرية أن تنتشر في موريتانيا وتسود فيها قروناً عديدة. وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بدأت تنحصر بالتدرج ومع ذلك ما تزال كثيرة.

= عام ٣٧٥ هـ وكان أهله قبل ذلك علىٰ مذهب أبي حنيفة.. أحمد أمين: ظهر الإسلام، ١/٢٩٨ ـ ٢٩٩، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي، بيروت [د. ت].

(١) راجع عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولىٰ القاهرة ١٣٦٨ هـ، والزركلي: الأعلام ١/٢٧، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧.

(٢) سوف نتحدث بالتفصيل عن الإمام ناصر الدين ودعوته في الفصل الخامس.

وأشاعرة موريتانيا باقون حتىٰ الآن علىٰ مذهب أبي الحسن الأشعري الأوسط، ويتعصبون له تعصباً شديداً، ويرون الخروج عنه ضلالة، ويزعمون أنهم أهل السنة والجماعة، ومع ذلك يدافعون عن علم الكلام، ويدخلونه في معتقداتهم(١) والكثير منهم يصف السلفيين بأنهم مجسمة(٢).

٣ ـ الصوفية(٣):

ظهرت الصوفية مبكرة في الأندلس، علىٰ يد ابن مسرة الجبلي(٤). في أواخر القرن الثالث الهجري، ومنها انتقلت إلىٰ المغرب، ولم يكتمل نموها لقيام الدولة المرابطية التي وقفت بحزم ضد التصوف وأهله(٥).

وقد دخلت عدة طرق في موريتانيا بعد عهد المرابطين ونجحت في جذب الكثيرين في موريتانيا، وفي غرب إفريقيا بوجه عام علىٰ يد مشايخ

---

(١) راجع كتاب الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) هذه لمحة قصيرة عن السلفيين والأشاعرة ولا نريد الدخول في التفاصيل هنا لأن موضوع الرسالة هو [السلفية وأعلامها في موريتانيا] أما الأشعرية فقد أفردت لها فصلاً كاملاً هو الفصل الرابع من الرسالة.

(٣) اختلف العلماء في المعنىٰ الذي نسبت إليه الصوفية علىٰ أقوال، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية أنها نسبة إلىٰ لبس الصوف، راجع مجموع الفتاوىٰ ١١/٥ ـ ٧، وعلي بن محمد الدخيل الله: التجانية ص ٢١ ـ ٢٥، دار طيبة للنشر، الرياض [د. ت] والدكتور أحمد محمد البناني: موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص ٦٧ وما بعدها، الطبعة الأولىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرىٰ.

(٤) هو محمد بن عبد الله ويعرف بابن مسرة الجبلي، وهو أقدم شخصية صوفية فلسفية أندلسية، ت ٣١٨ هـ عبد الله بن الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٨، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق الجديدة، طبعة دار الآفاق الجديدة نفسها بيروت ١٤٠٠ هـ ومحمد السليماني: دراسة وتحقيق لقانون التأويل لابن العربي ص ٤٧ ـ ٤٩، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ١٤٠٦ هـ.

(٥) سيأتي الكلام بالتفصيل عن موقف المرابطين من التصوف في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

الشناقطة، وسوف نتناول بإيجاز أبرز الطرق التي استقطبت الناس في موريتانيا وهي: القادرية[1] والشاذلية[2] والتجانية[3]، وفيما يلي نبذة عن كل واحدة من هذه الطرق:

١ ـ القادرية:

أبرز الطرق الصوفية وأكثرها أهمية وانتشاراً في المنطقة هي الطريقة القادرية، وقد دخلت بلاد المغرب علىٰ يد أبي مدين شعيب بن حسن الأندلسي البجائي المتوفىٰ عام ٥٩٤ هـ[4]، واتسعت خريطة انتشارها علىٰ

---

(١) مؤسسها أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، ولد بجيلان عام ٤٧١ هـ وانتقل منها إلىٰ بغداد لطلب العلم، وتفقه في الدين علىٰ عدد من علمائها، واشتغل بالوعظ ثم لازم الخلوة والرياضة، والمجاهدة، والسياحة، والمقام في الخراب، والصحراء، وصفه الذهبي بقوله: هو الإمام الزاهد العارف، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر منه، لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة، وفي الجملة فهو كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله، ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه، [ت ٥٦١ هـ]. سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩ ـ ٤٥١، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠ هـ والعلو للعلي الغفار ص ١٩٣، وابن كثير البداية والنهاية ١٢/٢٥٢.

(٢) مؤسسها: أبو الحسن علي بن عبد الله الشريف الحسني الشاذلي المولود عام ٥٧١ هـ أخذ عن أبي عبد الله بن حرزهم، وأبي محمد عبد السلام بن مشيش، وكانت له اليد الطولىٰ في العلوم الشرعية، ولا سيما علم التفسير والحديث، أما ما يسميه الصوفية علم السر فهو قطب رحاه كما يقول محمد مخلوف وينتسب إليه كثير من الصوفية، توفي في مصر عام ٦٥٦ هـ، رحلة ابن بطوطة ص ٢١، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ١٨٦ ـ ١٨٧، دار الفكر [د. ت].

(٣) مؤسسها: أحمد بن محمد المختار التجاني المولود عام ١١٥٠ هـ بقرية عين ماضي بالجزائر، رحل إلىٰ مدينة فاس بالمغرب وسمع فيها شيئاً من الحديث، وأخذ طريقته فيها، ثم رحل إلىٰ مصر والحجاز، وعاد إلىٰ فاس، وهناك نشر مذهبه الجديد، واستقرت طريقته بالمغرب، توفي سنة ١٢٣٠ هـ علي الراجح، علىٰ الدخيل الله: التجانية ص ٤٠ ـ ٤٨، ومحمد مخلوزف: شجرة النور الزكية ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٤) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية المرجع السابق نفسه ص ١٦٤.

يد محمد بن عبد الكريم[1] المغيلي التلمساني التواتي المتوفىٰ عام ٩٤٠ هـ الذي تنقل في المنطقة بنشاط للدعوة إلىٰ طريقته، وعنه أخذها عمر بن سيد أحمد البكاي الكنتي الشنقيطي المتوفىٰ عام ٩٥٩ هـ.

وتفرعت القادرية في موريتانيا إلىٰ شعبتين هما: البكائية والفاضلية[2] وفيما يلي لمحة عنهما:

* **البكائية:**

أسس هذه الشعبة الشيخ عمر بن سيد أحمد البكاي في القرن العاشر الهجري، وكان علىٰ اتصال مستمر بشيخه المغيلي وحج معه والتقيا بالسيوطي[3] خلال هذه الرحلة[4].

وقد انتشرت هذه الطريقة في المنطقة ليس في موريتانيا فحسب بل في الصحراء وغرب إفريقيا بوجه عام، وبلغت أوجها في عهد الشيخ سيدي المختار الكنتي[5] وأخذها عنه جماعة من مشاهير زمنه منهم: الشيخ سيدي

---

(١) هو فقيه مفسر صوفي له عدة مؤلفات، قام برحلات في بعض البلاد، يقول عنه الدكتور علي سامي النشار: إنه أكبر ناقد للمنطق الأرسطالسي وأنه مفكر السلفيين في المغرب، شأنه في ذلك شأن ابن تيمية مفكر السلفيين في المشرق، مقدمة كتاب السياسة المرجع السابق، ص ٢٧، والزركلي: الأعلام ٧/ ٨٤ ـ ٨٥، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية: ص ٢٧٤.

(٢) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٢١.

(٣) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، العلامة المشهور، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة، ت ٩١١ هـ، الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٣٢٨، وما بعدها، دار المعرفة بيروت، [د. ت]، ومصطفىٰ عبد القادر عطا مقدمة كتاب السيوطي، لقط المرجان ص ٩ ـ ١٤، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ.

(٤) بول مارتي كنتة، الشرقيون المصدر السابق ص ٣٢ ـ ٣٣، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٥) ولد عام ١١٤٢ هـ ودرس في محاضر بلاده حتىٰ تفقه في الدين، ويعتبر من أبرز مشايخ التصوف في بلاده ومن أكثرهم نشاطاً وعلماً، حيث ألف ما يربو علىٰ ثلاثمائة =

الكبير[1]، الذي تزايد نماؤها وانتشارها علىٰ يده[2].

*** الفاضلية:**

تأسست الفاضلية علىٰ يد الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي المتوفى عام ١٢٨١ هـ وقد حملها من بعده أبناؤه الثلاثة: الشيخ سعد أبيه، والشيخ ماء العينين، والشيخ سيد الخير.

وقد انتشرت علىٰ أيديهم هذه الطريقة، وعظم نفوذهم في المنطقة[3].

والواقع أنّ الشيخ ماء العينين رحمه الله اشتهر بطول الباع في العلم وبالكرم فعلىٰ الرغم من أنه شيخ طريقة صوفية إلا أنه طبعها بخصائص معينة أهمها:

نشر العلم تدريساً، وتصنيفاً، وحمل راية الجهاد، حيث برز في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وكون جماعات من المجاهدين، خاض بهم الحرب ضد الفرنسيين ثلاثين عاماً حتىٰ أقض مضاجعهم[4].

وعلىٰ أي حال، فإنّ الطريقة القادرية ما زال لها نفوذ قوي في المنطقة، وأبرز مشايخها المعاصرين الذين راجت علىٰ أيديهم في النصف

= كتاب في جميع العلوم المتداولة في زمنه. ت ١٢٢٦ هـ مأمون محمد أحمد: مقدمة فتح الودود للشيخ سيدي المختار الكنتي ص ١٣ ـ ١٤، الطبعة الثانية، مطبعة الكتاب العربي [د. ت].

(١) سيأتي الكلام عنه في الفصل.

(٢) راجع كتاب كنتة: الشرقيون المصدر السابق ص ١٤٢، ١٥٣، ١٥٤، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٤٤٣، والخليل النحوي المرجع السابق ص ١٢١.

(٣) عبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٣١، والخليل النحوي المرجع السابق ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٤) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا، ص ٥٣٩ وما بعدها، ومعهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٦، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ١٦٨ ـ ١٦٩، وعن التنظيمات التي تقوم عليها القادرية راجع معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.

الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ أحمد أبو المعالي بن الحضرمي التاكاطي المتوفىٰ عام ١٩٦٩ م، مؤلف كتاب: مزيل الإشكال عن صلاة أهل الأحوال.. وابنه الشيخ محمد المصطفىٰ الذي عهد له بالخلافة علىٰ الزاوية من بعده، وما زال يواصل عمله في نشر طريقته.

هذا في وسط البلاد [ولاية البراكنة] أما في المنطقة الغربية من البلاد [بتلميت وما جاورها] فكان أبرز دعاة القادرية فيها في هذه الفترة الشيخ أحمد بن فتىٰ الشقروي الحسني المتوفىٰ عام ١٤٠٩ هـ مؤلف كتاب: المبين المبين في التصحيح والتطهير والتوجيه والدفاع عن عقائد المؤمنين، وقد أكثر في هذا الكتاب من الدفاع عن الصوفية والأشعرية.

٢ ـ الشاذلية:

تعتبر الشاذلية من أقدم الطرق الصوفية وصولاً إلىٰ موريتانيا وأقلها انتشاراً في الوقت نفسه، وقد دخلت البلاد في القرن التاسع الهجري علىٰ يد محمد بن سيدي يحيىٰ آل الطالب مختار القلقمي الشنقيطي الذي تلقاها عن أبي العباس أحمد بن أحمد الشهير بزروق المتوفىٰ عام ٨٩٩ هـ[١].

وكل أسانيد الشاذلية في موريتانيا متصلة بمشاهير هذه الطريقة في المغرب، منهم أبو العباس أحمد الحبيب السجلماسي المتوفىٰ عام ١٠٣١ هـ[٢]، وأبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن ناصر الدين الدرعي المتوفىٰ عام ١٠٨٥ هـ[٣].

---

(١) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٢٦٧.

(٢) عبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٢٩، وراجع محمد مخلوف شجرة النور الزكية ص ٢٩٨.

(٣) الخليل النحوي المرجع السابق، ص ١٢٢، وراجع ترجمته عند محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٣١٣.

وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدين المتوفىٰ عام ١١٢٩ هـ[1].

والثابت عند المهتمين بالشاذلية طريقة وبحثاً أن إسنادها يتسلسل داخل البلاد علىٰ النحو التالي:

«وأخذها أشفغا الخطاط (ت ١١٩٦ هـ) عن سيدي أحمد التواتي (ت ١١٣٨ هـ) عن سيدي أحمد عبد القادر، عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي.

وأخذها نختار بن المصطفىٰ الشمشوي وسيدي محمد بن سيدي عثمان بن أعمر الولي المحجوبي الولاتي (ت ١١٣٢ هـ) وسيدي أحمد التمكلاوي الديماني، وسيدي عبد الله بن سيدي بو بكر التنواجيوي (ت ١١٤٥ هـ) جميعهم عن سيدي أحمد الحبيب السجلماسي.

وأخذها عبد الله الركاني الولاتي عن سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي زيان عن سيدي مبارك العنبري الغزواني، عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي.

وأخذها الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي (ت ١٢٦٥ هـ) عن الشيخ أبي عبد الله التوريني عن سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي[2].

وكان للشاذلية في بادىء أمرها نشاط وأتباع بعضهم من مشاهير علماء البلاد وفقهائها[3] لكنها ما لبثت أن انحسرت وخاصة بعد ظهور الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفىٰ عام ١٢٢٦ هـ داعية للطريقة القادرية، حيث تصدر علىٰ يده رجال مشاهير، مثل: الشيخ القاضي بن الحاج الآجيجبي المتوفىٰ عام ١٢٤١ هـ، والشيخ سيدي الكبير المتوفىٰ عام ١٢٧٥ هـ، وغيرهما.

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٣٢.

(٢) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٩٣، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٢٩.

(٣) الخليل النحوي المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

فكان ذلك سبباً في ازدهار الطريقة القادرية وتوجه الناس إليها بدلاً من الطريقة الشاذلية، ولا تزال توجد طائفة شاذلية في البلاد تسمىٰ [الغظفية] نسبة إلىٰ محمد الأغظف الداودي الجعفري المتوفىٰ عام ١٢١٨ هـ(١).

وعلىٰ أي حال، فقد أصبحت ضعيفة، وأتباعها قليلون، ونشاطها محدود جداً(٢).

٣ ـ التجانية:

هذه هي أحدث الطرق الصوفية السائدة في موريتانيا، نشأة ووصولاً إلىٰ البلاد، وأوسعها انتشاراً في إفريقيا الغربية، وقد تلقاها بعض الموريتانيين مباشرة عن مؤسسها أحمد بن محمد المختار التجاني، ومن أشهر هؤلاء وأكثرهم نشرا لها في المنطقة هو محمد الحافظ بن محمد المختار بن حبيب العلوي المتوفىٰ عام ١٢٣٦ هـ، الذي سافر لأداء مناسك الحج، وفي عودته مرّ بمدينة فاس بالمغرب، واستقرّ به المقام فيها مع أحمد التجاني، المتوفىٰ عام ١٢٣٠ هـ، وتتلمذ عليه وصحبه حتىٰ أجازه في طريقته، ثم عاد إلىٰ بلاده عام ١٢٢٠ ونشر فيها هذه الطريقة، ونشرها أتباعه في عدد من دول إفريقيا، وإليه ترجع جل أسانيد الطريقة التجانية في إفريقيا السوداء(٣).

ومن مشاهير التجانية الحافظية، التجاني بن باب بن أحمد بيب العلوي المتوفىٰ حوالي ١٢٦٠ هـ، أخذ التجانية علىٰ والده ودرس عليه

---

(١) المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ٩٤، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٩.

(٢) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٤٤٣، عن فروع الشاذلية في المغرب الإسلامي، راجع: أمين الريحاني: ملوك العرب ١/ ٢٨٣، الطبعة الثالثة، مطابع صادر ريحاني، بيروت، ١٩٥١ م، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٢٨.

(٣) المختار بن حامد: حياة موريتاني ٢/ ٩٤ ـ ٩٥، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٢٣، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠.

العلم وبرع في علوم كثيرة منها: الفقه وأصوله، والسيرة، والبيان، والنحو، والصرف، والمنطق، وغير ذلك.

ثم سافر لأداء مناسك الحج ومرّ بزاوية أحمد التجاني بمكناسة الزيتون بالمغرب، ومكث فيها ثلاثة أشهر ولقي بها محمد العربي بن السائح الرباطي وتوطدت بينهما روابط الصداقة، والمحبة، وهو الذي أحيا منظومته، منية المريد، بشرحه لها المسمىٰ بغية المستفيد، وأول هذه المنظومة قوله:

قال ابن باب العلوي نسبه	المغربي المالكي مذهبه
الحمد للجاعل الأولياء	ورثة الكمل الأنبياء
والجاعل النبي خير الأنبياء	وشيخنا أحمد خير الأولياء[1]

ومن أشهر أتباع محمد الحافظ بن محمد المختار العلوي الذين حملوا سنده ودافعوا عن طريقته، سيدي أحمد الصغير الشريف التشيتي المتوفىٰ عام ١٢٧٢ هـ الذي ألف في الدفاع عن هذه الطريقة كتاباً سماه [الجيش الربيط] وأكثر فيه من الأجوبة والدفاع عن الطريقة التجانية ومشايخها[2].

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري، تشكلت في شرق موريتانيا شعبة جديدة من الطريقة التجانية، وترسخت أقدامها في مناطق واسعة من موريتانيا، وجمهورية مالي المجاورة، وتعرف هذه الشعبة بـ [الحموية] نسبة إلى حماه الله بن محمد سيدنا عمر بن حماه الله بن الشريف أحمد التشيتي المتوفىٰ عام ١٣٦٣ هـ وقد امتد نفوذ هذه الطائفة إلىٰ عدد من

---

(١) أحمد بن الأمين، الوسيط: ص ٦٩ ـ ٧٢، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) محمد الخضر بن مايابي مشتهىٰ الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ص ٧١، الطبعة الأولىٰ دار البشير عمان ١٤٠٥ هـ وراجع الوسيط، المصدر السابق ص ٨٩.

دول إفريقيا السوداء[1].

ورغم أنّ التجانية هي أحدث الطرق نشأة ووصولاً إلىٰ المنطقة كما سبق ذكره، إلا أنها استطاعت أن تسيطر في بعض أقطار إفريقيا الغربية، وأن يكون لها في السياسة دور بارز، حيث نجح الحاج عمر الفوتي المتوفىٰ عام ١٢٨٢ هـ في جهود قام بها ترمي إلىٰ نشر الإسلام بين قبائل الزنوج الوثنية كما جاهد الفرنسيين وهزمهم واستطاع أن يقيم دولة واسعة الأطراف أصبحت تهدد الاستعمار الفرنسي وتشكل خطراً عليه[2].

وعلىٰ أي حال، فإنّ المتصوفة اليوم منتشرون في موريتانيا، وفي غرب إفريقيا عموماً حيث نجح المشايخ الشناقطة، ـ وللأسف ـ في نشر الطرق الصوفية في بلادهم، وفي دول غرب إفريقيا المجاورة[3].

وقد انتهت الطرق الصوفية بكثير من أصحابها إلىٰ الانحراف عن النهج الإسلامي القويم، ولا سيما الطريقة التجانية، التي تحمل في طياتها فلسفات أصحاب وحدة الوجود، وأفكار الباطنية.

وقد كشف الشيخ محمد الخضر بن مايابي حقائق التجانية في كتابه:

مشتهىٰ الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، وذكر في هذا الكتاب أنهم يعتقدون أنّ ورد أحمد التجاني ادخره له النبي ﷺ ولم يعلمه أحداً من أصحابه لعلمه بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله علىٰ يديه في ذلك الزمان[4].

كما ذكر عنهم أيضاً أنّ الذاكر لصلاة الفاتح[5] لا بد أن يعتقد أنها

---

(١) عبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٣٠ والخليل النحوي المرجع السابق ص ١٢٣.
(٢) علي بن محمد الدخيل الله، التجانية ص ٦٤، وسميرة بنت صقر المرجع السابق ص ٢٢.
(٣) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٢٥.
(٤) مشتهىٰ الخارف الجاني، ص ١٩.
(٥) ونصها: اللهمّ صلّي علىٰ سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر =

من كلام الله تعالىٰ، وأنها تعدل ستة آلاف من القرآن الكريم[1]، مع أنّ هذه الصلاة المخترعة التي يزعم التجانيون أنها أفضل من القرآن الكريم، وأن شيخهم تلقاها من النبي ﷺ لم ترو كاملة، مسندة مرفوعة إلىٰ النبي ﷺ لا في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، لا في حديث قدسي ولا في غيره[2].

فسبحان الله كيف ساغ لهؤلاء أن يفضلوا صلاة مخترعة مكذوبة علىٰ النبي ﷺ علىٰ كلام الله عزّ وجلّ؟!!.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[3].

مع أنه ينبغي التوقف عن الحكم علىٰ جميع كل من يعتنق الطريقة التجانية بأنه يعتقد كل هذه العقائد الآنفة الذكر والله أعلم.

= الحق بالحق، الهادي إلىٰ صراطك المستقيم، وعلىٰ آله حق قدره، ومقداره العظيم. علي بن محمد الدخيل الله، التجانية ص ١١٦، وراجع مشتهىٰ الخارف، المصدر السابق ص ٢٥٨.

(١) المصدر السابق نفسه: ص ٢٥٣، وعلي بن محمد الدخيل الله، التجانية ص ١١٦.

(٢) محمد الخضر بن مايابي: مشتهىٰ الخارف الجاني ص ٢٥٣، وما بعدها، ومحمد الدخيل الله، المرجع السابق ص ١١٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الفصل الثاني
المرابطون وأسس دعوتهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمرابطين، وبداية دعوتهم.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمرابطين.

المطلب الثاني: بداية دعوة المرابطين.

المبحث الثاني: أسس دعوة المرابطين، وفيه أربعة أسس:

الأساس الأول: التعليم والتربية الإسلامية.

الأساس الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأساس الثالث: الجهاد في سبيل الله.

الأساس الرابع: العدالة الاقتصادية.

المبحث الأول
التعريف بالمرابطين وبداية دعوتهم

المطلب الأول
التعريف بالمرابطين

يطلق اسم المرابطين على مجموعة كبيرة من القبائل أبرزها لمتونة وجدالة ومسوفة وجزولة وتندغ ولمطة وكان لهذه القبائل أثر ملحوظ في تاريخ المغرب الإسلامي ونشر لواء الإسلام في شمال وغرب إفريقيا[(١)].

وهذه القبائل الآنفة الذكر جزء من قبيلة صنهاجة المشهورة التي كتب عنها كثير وقد ذهبت الغالبية من النسابة والمؤرخين قديماً وحديثاً إلى أنها من العرب القحطانيين الحميريين، وممن جزم بعروبتها ابن سلام وابن الكلبي والزبير بن بكار والطبري والهمداني والجرجاني والسمعاني وابن الأثير والسلطان الأشرف عمر بن يوسف بن رسول وابن خلكان وابن جزي الكلبي وابن الخطيب والفيروز آبادي واليعقوبي وصاحب الحلل الموشية والرشاطي وعبد الغني الإشبيلي وعبد الحق المالكي وغيرهم.

وقد أشار إلى عروبتهم صاحب عمود النسب[(٢)] حين عرض لنسب يوسف بن تاشفين اللمتوني بقوله:

---

(١) راجع كتاب ابن أبي زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس طبعة دار المنصور الرباط ١٩٧٢م. ص ١٢٠... ومحمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي الطبعة الثانية مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٩ هـ ص ٢٩٨ وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) هو أحمد البدوي المجلسي فقيه ومؤرخ له اليد الطولى في علم السيرة والأنساب توفي =

يوسف العدل ابن تاشفينا الحميري ثم من لمتونا[1]

وعلى الرغم من إقرار ابن خلدون بأنه لم يختلف اثنان من نسابة العرب في عروبة صنهاجة فقد كان مذبذباً ومضطرباً في هذا الموضوع.

قال ابن خلدون في تاريخه: جميع نسابة العرب على أن صنهاجة وكتامة حاميتان تركهما تبع فريقش عندما فتح إفريقيا ثم قال: وسألت سليمان بن سابق المطماطي ثم البربري فأبى لي عن ذلك وقال هما قبليتان من قبائل البربر[2]. ولم يبق للباحث إلا أن يرجح بين قولين بما عنده من المرجحات المعتبرة بين قول عليه جميع نسابة العرب من العلماء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين الأفذاذ الذين ذاع صيتهم وتألق نجمهم في سماء التاريخ الإسلامي وبين قويلة ضعيفة نسبها ابن خلدون للمطماطي ومال إليها لأسباب معروفة، فقد كانت ثمة ظروف تاريخية وسياسية اقتضت منه ذلك، ومن يطالع في مؤلفات ابن خلدون يتأكد من الحزازات القائمة بينه وبين المرابطين وميله الواضح إلى دولة الموحدين التي قامت على أنقاض الدولة المرابطية، والمرجحات على عروبة صنهاجة كثيرة ولا نريد أن نطيل الكلام فيها وحسبنا في ذلك أن نشير إلى أن تواتر النقل عن عدد كثير من فطاحلة

= حوالى ١٢٢٠ هـ بكر أبو زيد طبقات النسابين ص ١٨٦ ـ ١٨٧، الطبعة الأولى، دار الرشيد بالرياض ١٤٠٧. وأحمد المختار إكمال تحفة الألباب ١/٩ ـ ١١.

(١) المرجع السابق نفسه ٣/ ٩٢.

(٢) راجع عن هذا الموضوع الكامل في التاريخ المصدر السابق ٨/ ٧٤، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/ ١٢٨ تحقيق الدكتور إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١١٩، وابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤/ ١٧ ـ ١٨ ـ ٤٦ تحقيق الدكتور إحسان عباس ط دار الثقافة بيروت ١٩٧٣، وابن خلدون: العبر ٦/ ٨٩ ـ ٩٧، والقاموس المحيط للفيروز آبادي المصدر السابق ص ٤٤٥، والدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني ٤/ ١١٦ ـ ١١٧ ط الأولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٧ م، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ٨، والخليل النحوي المرجع السابق ص ٢٨، وأحمد المختار، إكمال تحفة الألباب ٣/ ٩٢ ـ ٩٣، والمرابط بن محمد الأمين عروبة صنهاجة بحث لنيل شهادة اللسانس من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط ١٩٨٦ م.

العلماء الأجلاء يفيد اليقين الذي لا يستطيع معارضته إلا مكابر، ثم إنه مما يعضد ذلك حيازة الصنهاجيين لنسبهم العربي قديماً وحديثاً بالإضافة إلى القيافة والملامح العامة وطبيعة الحياة ونمط العيش والعادات والتقاليد وغير ذلك من القرائن التي لا تدع مجالاً للشك في أنهم عرب قحطانيون حميريون، وجاء المستعمرون والمستشرقون فروجوا لما كتبه ابن خلدون في تاريخه من تحاليل اجتماعية في مقدمته تدمغ الأمة العربية، لذلك وجد الاستعمار في تاريخه ضالته المنشودة فروجه ليستشهد به على أهدافه المبيتة ضد الإسلام والمسلمين.

فالعدو الأول للاستعمار والاستشراق هو الإسلام، ومعلوم أن العرب هم مادة الإسلام ولحمته كما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبلغتهم نزل كتاب الله تعالى وبينه نبيه ﷺ بسنته وإن في التقليل من شأنهم لتقليلاً من شأن الإسلام وأيضاً فإن أعداء الإسلام كانوا يبيتون للاستلاء على الوطن الإسلامي وتجزئته ليتمكن الاستعمار من مآربه الخبيثة التي يبيتها للإسلام فجعل كلما وجد فرصة يبرهن بها على أن هذا الجنس مثلاً ليس بعربي وأن العرب إنما وصلوه غزاة، فعل ليباعد الشقة بين المسلمين، ومن هنا بدأ الاستعمار ينمي فكرة القوميات ليمزق بذلك صرح الإسلام العظيم الذي بناه على أساس العقيدة الإسلامية وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستعمر الفرنسي حرص كل الحرص على الترويج بأن قبائل موريتانيا من أصل غير عربي على الرغم من أن جميع قبائل البيضان تؤكد نسبها العربي في كل المناسبات وتعتز به بما في ذلك قبائل المرابطين.

وقد يكون من المناسب أن نعرج على سبب هذه التسمية «المرابطون»

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

وقبل الدخول في التفاصيل ينبغي أن نعرف الرباط، ونشير إلى فضله.

قال الرازي في مختار الصحاح: الرباط: بالكسر ما تشد به الدابة، والقربة، وغيرهما، والجمع ربط، بسكون الباء، والرباط أيضاً المرابطة، وهي ملازمة ثغر العدو، والرباط أيضاً واحد الرباطات المبنية ورباط الخيل مرابطتها[1].

ويظهر من هذا التعريف أن الرباط يشمل المقام في الثغور، كما يشمل الأماكن المبنية ذاتها.

وقد ورد لفظ الرباط في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[2].

وذكر الشوكاني عند قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ قولين للمفسرين:

فالجمهور على أن المراد الإقامة في ثغور العدو، وقيل: انتظار الصلاة بعد الصلاة[3].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، أن الرباط في ثغور المسلمين أفضل من سكنى مكة، والمدينة، وبيت المقدس، على نية العبادة، ثم قال: وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة[4].

ومن هنا أنشأ عبد الله بن ياسين رباطه للدفاع عن ثغور المسلمين، وللتعليم والعبادة، ولما اشتهر أمره وفد عليه كثير من أشراف صنهاجة، فعكف على تعليمهم وإعدادهم لحمل مسؤولية الجهاد، وسماهم بالمرابطين

---

(١) محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح ص ٢٢٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٣) فتح القدير ١/٤١٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/٥.

للزومهم رابطته[1].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد الموضع الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين رباطه، فيذكر ابن أبي زرع أنه في جزيرة في البحر يسهل الخوض في الماء للوصول إليها إذا كان الجزر، وتركب إليها الزوارق إذا كان المد[2].

وأشار ابن خلدون إلى أنه في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضحضاحاً في المصيف، وغمراً في الشتاء، فتعود جزراً متقطعة[3].

وفسر جمهور الباحثين في شمال وغرب إفريقيا ما قصده ابن أبي زرع وابن خلدون بإحدى جزر التيدرة شمال رأس تيمرس على بعد ثلاثين ك م من نواكشوط عاصمة موريتانيا[4].

وعزز الدكتور حسن أحمد محمود هذا الرأي، بأن الرباط لا يبنى عادة إلا في المناطق التي تتعرض للغزو، ولا يوجد ثمة خطر إلا من الممالك الزنجية الواقعة إلى جنوب حوض السنغال التي تغير على مضارب

---

(١) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص ٣٠٢، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ١١٥، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩٠، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٦٥، والفردبل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ص ٢٣١، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٧٧ م.

(٢) الأنيس المطرب ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) العبر ٦/ ١٨٣.

(٤) انظر على سبيل المثال المراجع التالية: معهد البحوث المرجع السابق ص ١٣، وعبد الله حميدة المرجع السابق ص ١٧، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٧٧، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٣٤، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٦٥، ١٢٨، وحسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ٤/ ٢٨٤، والدكتور محمد عبد الله النقيرة: التأثير الإسلامي في غرب إفريقية، ص ٥٥، الطبعة الأولى مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٨ هـ.

الملثمين باستمرار، فكان من المعقول أن يتخذ ابن ياسين نهر السنغال وهو الحد الفاصل بين مضارب الملثمين ومضارب الزنوج مستقراً لرابطته، بقصد الجهاد ونشر الإسلام في ديار الزنوج، ومحاولة وقف عدوانهم، وحسر تيارهم، والحيلولة بينهم وبين الإغارة على مضارب الملثمين[1].

أما الفريق الآخر فيرى أن عبد الله بن ياسين أقام رباطه في جزيرة تقع في منحنى النيجر على مقربة من تينبكتو[2].

والذي أراه أن الرأي الأول هو الصحيح، للمرجحات التالية:

١ ـ أن الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي هو الذي اختار مكان الرباط ومضارب قبيلته جدالة تقع في جنوب الصحراء، وتمتد على شمال نهر السنغال، فهو يعرف تلك المنطقة جيداً، ومن المستبعد أن يذهب إلى مكان بعيد في منحنى النيجر ليس فيه خطر يذكر على الملثمين، ويترك جهة الخطر، وهي نهر السنغال، حيث الممالك الزنجية المجاورة لقبيلة جدالة التي تغير عليها باستمرار.

٢ ـ أن الجزيرة التي تقع في منحنى النيجر تكاد تكون شاقة بسبب قلة موارد الماء، وضيق رقعتها، فلا تستطيع أن تعول عدداً ضخماً من المرابطين بلغ في بعض الأحيان أكثر من ألف مجاهد[3]، في حين تتيسر الحياة في الجزر الواقعة قرب نهر السنغال، بسبب وفرة المياه العذبة، ووفرة النبات، والصيد، يتضح ذلك من قول صاحب الروض: «فيها الحلال المحض، الذي لا شك فيه من أشجار البرية، وصيد البر، وأصناف الطير والوحش والحوت..»[4].

---

(١) قيام دولة المرابطين ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص ٣٠٢، والفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ص ٢٣١.

(٣) حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين ص ١٢٦.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ١٢٥.

٣ ـ أن الأطراف الجنوبية لديار جدالة كانت تمتد حتى تدرك حوض السنغال، وكانت هذه القبيلة تستطيع أن تحمي ظهر العصبة المرابطية، إذا ما فكر الزنوج الوثنيون في الاعتداء عليها، وهذه الميزة غير موجودة في الجزيرة الصغيرة التي تقع في منحنى النيجر.

المطلب الثاني

بداية دعوة المرابطين

تولى يحيى بن إبراهيم الجدالي زعامة الملثمين ـ كما مر ـ وكان راجح العقل، بعيد النظر، شديد الحماس للدعوة الإسلامية، وأدرك أن أحلاف الملثمين السابقة لم تستطع إسقاط حكام غانة الوثنيين، بسبب جهل الملثمين لتعاليم الإسلام، وضعف حماسهم للجهاد، فأراد أن يقيم اتحادهم على تعاليم الإسلام والدعوة إليها، فترك أمر الملثمين لابنه إبراهيم بن يحيى، وتوجه إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج.

وفي عودته مر بالقيروان، حاضرة المغرب الثقافية وتتلمذ على أبي عمران الفاسي[١] إمامِ المالكية بالمغرب في وقته[٢]، وشكا إليه عدم وجود

---

(١) هو موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي أصله من فاس من بيت مشهور استوطن القيروان، وحصلت له بها رياسة العلم، له اليد الطولى في القرآن وعلومه، والحديث، والفقه، [ت ٤٣٠ هـ]. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، [د. ت]. والتادلي التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي ص ٨٧ ـ ٨٩، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس بالرباط ١٤٠٤ هـ.

(٢) راجع ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٢٢، وحسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ١٢، ومحمد عبد الله النقيرة المرجع السابق ص ٥٣، ومحمد يوسف مقلد، وموريتانيا الحديثة ص ٨٧ ـ ٨٨، والجدير بالذكر هنا أن هذه الرحلة نسبها ابن الأثير للجوهر بن سحيم، خلافاً لما عليه جماهير المؤرخين من أن صاحبها هو يحيى بن إبراهيم الجدالي، كما أثبتناه في الصلب، وسيأتي أن الجوهر بن سحيم ممن ثاروا على عبد الله بن ياسين. راجع الكامل في التاريخ ٨/ ٧٤.

معلم وطلب منه أن يبعث معه من يقوم بتعليم الدين الإسلامي للملثمين، حيث قال له:

«إننا في الصحراء منقطعون، لا يصل إلينا إلا بعض التجار حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء، وفينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن لو وجدوا من يقرئهم القرآن، ويدرس لهم العلم، ويفقههم في دينهم، ويدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة، ويعلمهم شرائع الإسلام، فابعث معي من تلاميذك من يقوم بذلك وسيكون لك الأجر العظيم، والثواب الجسيم عند الله عز وجل»[1].

وقد استجاب أبو عمران الفاسي لهذا الطلب، وأرسله إلى أحد تلاميذه النابهين الزاهدين، وهو وجاج بن زلو[2] بالمغرب الأقصى وعهد إليه أن يتلمس له من يثق بدينه وعلمه ويروض نفسه على مسغبة أرضهم في معاشه[3].

فاختار له وجاج فقيهاً نابهاً صالحاً، شهماً من تلاميذه الملثمين يعرف لسانهم وطبائعهم، وهو عبد الله بن ياسين[4].

التعريف بعبد الله بن ياسين وعقيدته:

هو أبو محمد عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير الجزولي، ولد في

---

(١) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ٤/٧، وابن أبي زرع المصدر السابق ص ١٢٣، والخليل النحوي المرجع السابق ص ٦٤.

(٢) هو وجاج بن زلو اللمطي: رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى بلاده في السوس الأقصى، وبنى بها داراً لطلبة العلم سماها دار المرابطين، وكان من أهل الصلاح والتقوى.. التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق ص ٨٩ وما بعدها.

(٣) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٨٢، ومحمد عبد الله النقيرة، المرجع السابق ص ٥٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٧٤، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٤، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/٢٨٩ ـ ٢٩٠.

أحواز مدينة أودغست، في قرية تدعى [تيماما دنت] في أوائل القرن الخامس الهجري، ولا تعرف سنة مولده على وجه الدقة، وبعد أن قضى طفولته في مسقط رأسه رحل إلى مدن العلم في المغرب، وتلقى العلم فيها، ثم غادر المغرب إلى الأندلس في بداية الربع الثاني من هذا القرن، ولبث فيها سبع سنين، حصل خلالها على علوم كثيرة، ثم رجع إلى المغرب الأقصى، واتصل برباط وجاج بن زلو وجلس فيه لطلب العلم[(١)].

وكان عبد الله بن ياسين على سيرة فقهاء المالكية في الزهد والتقشف والبعد عن السلطان، وقد اجتمع فيه كثير من الخصال الحميدة.

ويصفه ابن أبي زرع بأنه: من الأذكياء النبهاء، النبلاء، ومن أهل الدين والفضل، والتقى، والورع، والفقه، والأدب، والسياسة، مشاركاً في العلوم[(٢)].

ويتفق كثير من الباحثين الذين تناولوا حياة عبد الله بن ياسين على أنه لم يكن فقيهاً فقط، وإنما كان عالماً محدثاً ومفسراً ويذكر عنه إبراهيم الجمل أنه فسر القرآن لأصحابه، وروى الحديث، وكان من تلامذته محدثون، ثم يقول: وقد برع في الفقه، والحديث، والتفسير، وفي السياسة، والجهاد، وقيادة الشعوب، وقادة الجيوش، فهذا ما لم يحدث قبل داعية الله ابن ياسين ـ رحمه الله ـ إلا ما ندر في الرعيل الأول في تاريخ دعوتنا المجيدة، ولم يحدث بعده إلا مقلداً له[(٣)].

وقد أجمع الرواة على أنه كان من الفقهاء النابهين الحذاق شهماً قوي

---

(١) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤/ ١٠، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص ٣٨، ٤٢ ـ ٤٩، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٣، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ١٢٣.

(٣) إبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ١٣٩ ـ ١٤٤، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المربطين ص ١١٦، ١٦١، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ٦٤.

النفس، ذا رأي وخير، وتدبير حسن، وفوق ذلك قائداً مقداماً وزعيماً شجاعاً ومجاهداً مخلصاً[1].

عقيدته:

كان عبد الله بن ياسين سلفي العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسنة واقفاً عند نصوصهما، متأسياً بالرعيل الأول من هذه الأمة، بعيداً عن علم الكلام، والفلسفة، وغير ذلك من البدع.

ولا خلاف بين من تناولوا حياته بالبحث العلمي في أنه كان سلفي العقيدة، والمنهج.

وقد أشار الدكتور حسن أحمد محمود إلى ذلك بقوله: «ولم يكن عبد الله بن ياسين إلا واحداً من الفقهاء الذين ترسموا خطى إمامهم مالكٍ وغيره من أهل السنة في إثبات الصفات لله عز وجل، وعزوفهم عن التأويل واشتغالهم عن الخوض في بحر خضم، هو بحر علم الكلام، والفلسفة[2].

وركز إبراهيم الجمل في كتابه «الإمام عبد الله بن ياسين» على جانب العقيدة، فوصفه بأنه سلفي العقيدة، والسلوك، والمنهج، والتعاليم، متأسياً بالرعيل الأول في كل ما يقوم به، يتصرف في النصوص بما يتفق وأصول الدين الإسلامي القويم، فهم الإسلام فهماً صحيحاً ووعى تعاليمه، فلم يبتدع أو يتأول، شديد الدعوة إلى ترك البدع والضلالات[3].

وما ذكره الباحثون المسلمون عن عبد الله بن ياسين من التمسك بالكتاب والسنة واقتفاء آثار السلف الصالح ذكره الباحثون المستشرقون عنه أيضاً والحق ما شهدت به الأعداء.. ومنهم على سبيل المثال: مؤلف كتاب

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١١٦ ـ ١١٧، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/٢٨٣.

(٢) قيام دولة المرابطين ص ١٨٤.

(٣) إبراهيم الجمل، المرجع السابق ص ٤٤، ٦١، ١٢٠، ١٢٢.

الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي الذي نص على أنه «لم يكن من علماء الكلام بل كان فقيهاً مالكياً لا يدرس إلا القرآن والشريعة والعبادات»(١).

وقد قامت دعوته على التمسك بالكتاب والسنة، وترسم خطى السلف الصالح وتطهير العقيدة الإسلامية من شوائب البدع والخرافات، وتطبيق أحكام الإسلام وحدوده وشعائره، وإقامة مجتمع إسلامي متكامل يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

وعانى في سبيل ذلك مشقات كبيرة حتى استشهد في الجهاد في سبيل الله عام ٤٥١ هـ(٢).

وقد سافر عبد الله بن ياسين هذا مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي لتعليم الملثمين دين الإسلام الصحيح، ومنذ ذلك التاريخ بدأ مهمته التي انتدبه إليها شيخه وجاج بن زلو وهي ما سنتحدث عنها في أسس دعوة المرابطين.

---

(١) الفرد بل، المرجع السابق ص ٢٣١.

(٢) راجع عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٤١، وسلامة الهرفي: المرجع السابق ص ١٢٥، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٣٧ ـ ٣٩، ١٤١ ـ ١٤٤، ١٥١ ـ ١٥٣، والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: المرجع السابق ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.



الأساس الأول
التعليم والتربية الإسلامية

إن الإسلام دين العلم، أمر به وحث عليه، ورفع من شأنه وقد مرت معنا أهمية العلم في الإسلام[1].

وكان عبد الله بن ياسين يؤمن إيماناً عميقاً بتعاليم الإسلام، ويعلم أن أول أهداف الدعوة هو تكوين رجال صالحين يعرفون تعاليم الإسلام معرفة صحيحة، لأن تحقيق نجاح الدعوة الإسلامية لا بد أن يكون مبنياً على تعاليم الكتاب والسنة.

لذلك، فإنه بدأ مهمة الدعوة والإصلاح التي قادها بالتعليم والتربية الإسلامية، فما إن خرج مع أمير الملثمين يحيى بن إبراهيم الجدالي، حتى بدأ يعظ الركب ويذكرهم بما يجب عليهم نحو خالقهم، ويعلمهم أصول دينهم، ويدعوهم إلى الجهاد، وإعلاء كلمة الله، بلغة عربية سهلة ولهجة واضحة، يفهمها الجميع، ويؤكد على المحافظة على الصلاة، بطهارة في أول وقتها مع الجماعة[2].

---

(١) راجع المبحث الرابع من الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٢) إبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٦٥، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٦.

ولما وصل الركب إلى ديار الملثمين، قام الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي عن راحلته، وأخذ بزمام البعير الذي عليه عبد الله بن ياسين، تعظيماً له، وقدمه إلى الحاضرين قائلاً: «هذا عبد الله بن ياسين، محيي سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، جاء ليعلمنا أمور ديننا، ويدعونا إلى ما كان عليه الرسول ﷺ».

فتلقاهما الناس بالإكرام، وفرحوا بقدومهما ورحبوا بالفقيه عبد الله بن ياسين، وبالغوا في إكرامه[1].

وجلس فيهم يعلمهم القرآن، وأحكام الإسلام، وفرائضه، منقادين لتعاليمه، وممتثلين لأوامره ونواهيه، وبقي على هذا الحال حتى خرجت عليه طائفة من أهل الشر ضاقت ذرعاً بتطبيق تعاليم الإسلام[2].

وقد قاد هذه الطائفة رجل من الملثمين يدعى الجوهر بن سحيم، واتفق مع بعض كبراء قومه فعزلوا عبد الله بن ياسين، واعتدوا عليه فخرج منهم خائفاً يترقب[3].

إلا أن الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي جاء به أصر على بقائه واستمرار الاستفادة منه، فلحق به وقال له: إنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي، وديني، وما علي في من ضل من قومي[4].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٧٤، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٤، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٦٥، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٦.

(٢) ذكر ابن الأثير أن هذه الطائفة من الملثمين ضاقت ذرعاً بتعاليم الإسلام التي يعلمهم إياها عبد الله بن ياسين، فقالوا له: أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فصحيح قريب، وأما قولك من قتل يقتل، ومن سرق يقطع، ومن زنى يجلد أو يرجم، فأمر لا نلتزمه اذهب إلى غيرنا.. الكامل في التاريخ ٨/ ٧٤، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٤.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب ٤/ ٨ ـ ٩، وابن خلدون: العبر ٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٧٤.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٤، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٤/ ٢٨٤، =

فوافق عبد الله بن ياسين على البقاء معه ومن هنا بدأ الدور الإيجابي في دعوته، حيث أشار عليه الأمير يحيى بن إبراهيم بالخروج إلى جزيرة بالبحر(١)، يمكنه فيها اعتزال المشاغبين، ويقيم فيها رباطاً يكون مقراً له ولدعوته، وحِصناً لأتباعه يدفع عنهم خطر أعدائهم، ويتيح لهم لوناً من الحماية يفيئون إلى ظلها، وينصرفون إلى تعليمهم وعبادتهم وإعداد أنفسهم للجهاد.

فوافق عبد الله بن ياسين على هذا الرأي وارتاح له(٢) وليس ذلك بغريب منه، فهو قد تعود على حياة الرباط، حيث أخذ العلم في رباط وجاج بن زلو، وعاش فيه فترة من الزمن.

ولا ندري بالتحديد كم كانوا حين انتبذوا مكانهم ذاك وإن قيل إن عبد الله بن ياسين ويحيى بن إبراهيم الجدالي عندما دخلا في الجزيرة كان يصحبهما سبعة رجال من الملثمين(٣).

وفي هذه الجزيرة بنوا رباطاً وأقاموا فيه يتعلمون القرآن وأحكام الإسلام، ويعبدون الله تعالى، فسمع الناس بأخبارهم، وأقبلوا يفدون إليهم، ولم تَمض ثلاثة أشهر حتى اجتمع عليهم عدد كبير من أشراف صنهاجة(٤).

وقد بذل عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ لأصحابه في الرباط كل ما في وسعه من العناية، وحرص على تكوين جيل من الدعاة القادرين على حمل مسؤولية الدعوة الإسلامية طبقاً لمنهج السلف الصالح رضي الله

= وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٦.

(١) تقدم الكلام عن مكان هذه الجزيرة في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٤ ـ ١٢٥، وحسن أحمد محمد: قيام دولة المرابطين ص ١٢٤، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٣) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٥، وابن الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٧، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ٧٣.

(٤) راجع الأنيس المطرب، المصدر السابق ص ١٢٥.

عنهم، فلم يتوان في تعليمهم عقيدة الإسلام وأحكامه من الكتاب والسنة، حتى تفقهوا في الدين[١].

وقد اشتهر عن عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ حب الالتزام بتعاليم الإسلام والنصحُ للمسلمين، والتفاني في الإخلاص للدعوة الإسلامية، وبهذه الصفات استطاع أن يكون في رباطه دعاة صالحين، يلتزمون بتعاليم الإسلام على نهج السلف الصالح، وقد برز هذا الرباط في نواحي ثلاث: التعليم، والعبادة، والاستعداد لجهاد المشركين والقضاء على عنصر الفتنة[٢].

ولم يغفل المرابطون أمر الدعاية لرباطهم ونشر أخباره بين الناس، بل إن عبد الله بن ياسين كان يبعث بعض المساعدات المالية إلى طلاب العلم ويشرح لهم منهج المرابطين القائمَ على الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، فكان الناس يقبلون عليه ويحبونه ويرضون بأحكامه عن طيب خاطر[٣].

وبهذا المنهج استطاع عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ أن ينجح في خطته في الدعوة، فتداعت إليه الناس من كل الجهات، التي انتشر فيها خبره، وما يقوم به من تعليم الإسلام، والدعوة إلى الحق، وتمكن من تكوين جيل من الفقهاء السلفيين، عرفوا بالتقوى والورع وإنكار الذات،

---

(١) راجع المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها، والكامل في التاريخ: المصدر السابق ٨/ ٧٥، وقيام دولة المرابطين: المرجع السابق ص ١٤٤، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٧٤.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٥، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٤٤، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) راجع الأنيس المطرب: المصدر السابق ص ١٢٥، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ١٥٨، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ١٢٥، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٨٤.

خلَصت نياتهم وزكت نفوسهم[1].

كما استطاع هذا الفقيه الداعية أن يكون من قبائل الملثمين قوة إسلامية تقوم على: الإيمان الراسخ بالله عز وجل، وإقامة شعائر الإسلام، مع التمسك بمذهب الإمام مالك رحمه الله[2].

والواقع أن تعاليم عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ في هذا الرباط أعطت ثمارها كاملة، فقد تمخض عنها تأمين مركز قوي للدعوة الإسلامية، وتكوين قوة سلفية ذات عزم يهابها أعداء الإسلام.

وقد وصفهم ابن خلكان بقوله: «وكان قد ظهر لأبطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلى، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم»[3].

الأساس الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الأسس المهمة التي قامت عليها دعوة المرابطين مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مبدأ إسلامي عظيم، متفق على وجوبه بين المسلمين،ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الرافضة، الذين يقولون بعدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بوجود الإمام الذي ينتظرونه.

قال النووي: وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي في

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٤٨.

(٢) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧١.

(٣) وفيات الأعيان ٧/١١٣.

الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم..»[١].

وقد تجاهل ابن حزم هذا الخلاف، فلم يذكره حيث قال: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها»[٢]. ويقول القاضي عبد الجبار: لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما الخلاف في أن ذلك هل يعلم عقلاً أو لا يعلم إلا سمعاً[٣].

وقد دل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة والإجماع، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[٤]. قال الشوكاني: وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[٥].

وذكر ابن كثير أن المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة، بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم[٦].

ومن السنة التي تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٢.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ١٩.
(٣) شرح الأصول الخمسة: ص ١٤٢.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
(٥) فتح القدير ١/ ٣٦٩ وراجع: تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ٤/ ٣٨، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٦٥.
(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٠.

لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وقد ذكر الله عز وجل خيرية هذه الأمة على الأمم الأخرى، وقرن ذلك باتصافها بأداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد الإيمان بالله تعالى، حيث قال في كتابه العزيز ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2].

قال الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك[3].

وعلى كل حال، فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من المبادىء الإسلامية المهمة، وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، وواجب من واجباته، وبالقيام به تحمل الناس على السير في طريق الحق، فتقل المفاسد، وتسود المثل العليا الرفيعة.

وكان فقهاء المالكية في المغرب الإسلامي - على ما تذكر المصادر - أهل جرأة في بيان الحق، ومن أكثر الناس أداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تجاوز ذلك عامة الناس إلى الأمراء، فكانوا يقولون كلمة الحق أمامهم لا يخشون في ذلك لومة لائم[4].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٢ - ٢٥، والمنذري مختصر صحيح مسلم ص ١٦، تحقيق الألباني، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ١٤٠٥ هـ.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٣) فتح القدير ١/ ٣٧١، وراجع تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ٤/ ٤٣ - ٤٦، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٧٠ - ١٧٢، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٩١.

(٤) ذكر القاضي عياض أمثلة كثيرة تدل على أن فقهاء المالكية في المغرب والقيروان كانوا لا يهابون الأمراء في بيان الحق، ولا يخشون في ذلك لومة لائم، ومن ذلك قوله: ولما قام منصور علي بن الأغلب ودنا من القيروان، خرج إليه أسد بن الفرات، =

فقد تمثل المالكيون قول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ حق على كل مسلم أو رجل، جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل إلى كل ذي سلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين لأن العالم إنما يدخل على السلطان بذلك فإذا كان فهو الفضل الذي ما بعده فضل[١].

لقد اضطلع فقهاء المالكية في المغرب والقيروان، بهذا الأمر بعدما ظهر لهم انحراف الناس عن جادة الحق، وانحراف الأمراء إلى غير إصلاح أحوال المجتمع، فقاموا بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشنوا على المفاسد والمناكر حرباً لا هوادة فيها، وضيقوا على أهلها في ملاهيهم، وحاربوا أصحاب العقائد الضالة[٢].

وكان عبد الله بن ياسين يترسم خطى فقهاء القيروان وغيرهم من فقهاء المالكية في المغرب، فلم يقنع بتعليم الناس وتثقيفهم في دينهم، بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وإذا كان فقهاء القيروان قد قاموا بمحاولات فردية في هذا السبيل[٣] فإن عبد الله بن ياسين أسس دولة على الأمر

= وأبو محرز وهما قاضيان، فكان من قوله لهما: أخرجا معنا أما تعلمان أن هذا ظلم المسلمين؟ فقال أسد: قد كنتم أعواناً له وأنتم وهو على مثل هذه الحال.. ترتيب المدارك ٣/٣٠٨ تقديم أحمد بركاش، وعبد القادر الصحراوي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٣٨٨ هـ.

(١) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٢٧.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤/ ٦٠، تحقيق عبد القادر الصحراوي، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٣ هـ وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧١.

(٣) ذكر القاضي عياض: أن سحنون بن سعيد التنوخي كان يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز، من الطلاق، والعتق حتى لا يحلفوا بغير الله عز وجل، ويؤدبهم على سوء الحال، وما نهى عنه، ويأمرهم بحسن السيرة والقصد، ويقيم الحدود في الجامع، ويضرب بالدرة على القفا، وقيد امرأة كانت تتهم بسوء حال حتى ثبتت عنده توبتها، وضرب أخرى كانت تتهم بالجمع بين الرجال والنساء وبنى باب دارها ونقلها بين قوم صالحين، وكان يجمع الصوفية من البوادي، فيجتمع إليه منهم نحو ألف يختار مائة قوية منهم يستعين بها على رد المظالم، راجع ترتيب المدارك ٤/٥٩، ٦١، ٦٧.

بالمعروف والنهي عن المنكر، سخرت سيوفها لتقويض صرح الباطل، وتطهير المجتمع من أدرانه ومفاسده.

وتتفق المصادر والمراجع على أن عبد الله بن ياسين كان من أكثر علماء المسلمين قياماً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشير القاضي عياض لذلك بقوله:

«كان موصوفاً بعلم وخير أخذ من الشدة في ذات الله تعالى وتغيير المناكر وإنذار الناس»[1].

ويقول الدكتور حسن أحمد محمود: واستطاع ذلك الفقيه المتواضع - يعني عبد الله بن ياسين - أن يخلق جيلاً من المحاربين الأشداء، يتعصبون لفكرته، ويخفون إلى نصرته، ويبايعون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

ونستطيع أن نقرر أن من المبادىء الأساسية التي نادى بها عبد الله بن ياسين وطبقها في واقعه ومضى شهيداً في سبيلها، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد باشر هذا المبدأ الإسلامي العظيم في أول يوم بعد قدومه على الملثمين في مسيرة الإصلاح التي قادها، وكانت البداية بالأمير نفسه، حيث علم أن له تسع زوجات حرائر، فأخبره بأن دين الإسلام لا يبيح الجمع بين أكثر من أربع حرائر، فاستجاب الأمير له، وفعل مثلَ ذلك مع بقية أمراء صنهاجة[3].

وتتابعت مسيرة الإصلاح على هذا المبدأ، فكان حرباً على البدع

---

(١) المصدر السابق نفسه ٨/ ٨١.

(٢) قيام دولة المرابطين ص ١٧٢.

(٣) راجع: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٤، ورشود محمد السلمي: شعر الزهد في عصر المرابطين والموحدين ص ٢٨، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا، شعبة الأدب والبلاغة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٠ هـ.

والفساد، والإثم، لا تكاد عصبته تطأ أرضاً حتى تغير المنكر، وتقطع المزامير وتريق الخمور[1].

وقد كون تلاميذه على هذا المبدأ وعودهم عليه، حتى صاروا مجتمعاً يسود فيه التقوى والصلاح، لا تأخذهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة لائم[2].

وإذا كانت أحكام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تقتضي ألا يؤخذ مال مسلم بغير حق، ولا يضرب ظهره بغير حق[3]، لأن ذلك إثم وعدوان محرم لقول النبي ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأبشاركم وأعراضكم حرام عليكم»[4].

أقول.. إذا كانت أحكام الإسلام قد قضت بذلك، فإن عبد الله بن ياسين كان عادلاً، عفيفاً لا يتجاوز الحدود التي رسمتها الشريعة الإسلامية، فلم يهتك حريماً، ولم يأخذ مالاً بغير حق، وكذلك تلاميذه من بعده[5].

بل على العكس من ذلك، فقد اشتهر عنهم الزهد في الدنيا، والخوف من الله عز وجل، والعدل، والإنصاف، والتحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، والتواضع، والسلوك الإسلامي المثالي أثناء مسيرة الإصلاح التي نجحوا فيها[6].

---

(١) الأنيس المطرب: المصدر السابق ص ٧١، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٨٥، ورشود محمد السلمي: المرجع السابق ص ٢٨.

(٣) ابن حزم: الفصل ٥/ ٢٤.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٦.

(٥) راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٧٦، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٣.

(٦) راجع ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ٢٦، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٦٥، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ١٢٩ ـ ١٣٠. وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٧٩.

والواقع أن عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ قد توفرت فيه صفات الداعية الناجح، وبذلك استطاع أن يحول الملثمين إلى دعاة سلفيين، متفانين في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونصرة السنة، ومحاربة من حاد عن جادتها.

الأساس الثالث
الجهاد في سبيل الله

مدخل:

يعتبر الجهاد ركناً من أركان الدعوة الإسلامية، وفرضاً من فروض الإسلام قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: «فيه الأمر بالجهاد بالأنفس والأموال وإيجابه على العباد، فالفقراء يجاهدون بأنفسهم، والأغنياء بأموالهم، وأنفسهم، والجهاد من آكد الفرائض، وأعظمها، وهو فرض كفاية، مهما كان البعض يقوم بجهاد العدو ويدفعه، فإن كان لا يقوم بالعدو إلا جميعُ المسلمين في قطر من الأرض، أو أقطار، وجب عليهم ذلك وجوب عين»[2].

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد، وتبين فضله وأهميته، منها قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٢) فتح القدير ٢/٣٦٣، وراجع تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ١٠/١٤٠، وتفسير ابن كثير ٢/٣٥٩، ٣٦٠، ٣/٢٣٦.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[1].

يقول سيد قطب: إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين الله تعالى هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله، لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه، ولا في ماله يحتجزه دون الله سبحانه، ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسَه، وماله، مقابل ثمن محدود معلوم هو الجنة، وهو ثمن لا تعدله السلعة ولكنه فضل ومنة من الله»[2].

كما وردت في القرآن الكريم آيات أخرى تهدد وتنذر من تثاقل عن الجهاد لما لذلك من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3].

والخطاب في هذه الآية لقوم معينين في وقت معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذي عقيدة في الله تعالى، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحدها، فهو كذلك عذاب الدنيا[4].

لقد أخذ الجهاد منذ أن نزل الأمر به في القرآن الكريم[5] يحتل في

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٧١٣ ـ ١٧١٤، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٠ هـ؛ وراجع الطبري، المصدر السابق: ١١/ ٣٥ ـ ٣٦.
(٣) سورة التوبة: الآية ٣٩.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن ٣/ ١٦٥٥، والطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ١٠/ ١٣٤ ـ ١٣٥، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٤١ ـ ١٤٢.
(٥) قال القرطبي: قوله تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** [سورة البقرة: الآية ١٩٠]، هذه الآية نزلت في الأمر بالقتال ولا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن أول آية نزلت في القتال قوله تعالى: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾** [سورة الحج: الآية ٣٩]، =

الإسلام مكاناً مرموقاً، فكان المسلمون يرابطون في الثغور ويتسابقون إلى جهاد أعداء الإسلام، من المشركين، وأهل الكتاب، والمرتدين، ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وإعلاء لكلمته، ونشراً لدينه.

وقد احتل الجهاد في المغرب الإسلامي مكاناً رفيعاً لأن المغرب كان من أكثر بلاد المسلمين تعرضاً لغارات الروم، فقد كانت سواحله الطويلة مكشوفة للغزو في أي وقت، وكانت أساطيل العدو لا تكف عن الإغارة على المدن الآمنة، لذلك عني المسلمون في المغرب بمدافعة الروم أشد العناية، واتخذوا الأهبة لرد عدوانهم، فكانوا يفدون على الأندلس، ويرحلون إلى الثغور للمرابطة، والجهاد، والمشاركة في دفع العدو، ورده على أعقابه[1].

والدارس لتاريخ الدعوة الإسلامية في شمال وغرب إفريقيا، لا يستطيع أن ينكر أو يتجاهل حركة الجهاد الناجحة التي قادها المرابطون، فقد نشأت الدعوة المرابطية مقترنة برغبة جادة في رفع راية الإسلام، وجهاد أعدائه، وكان الجهاد في سبيل الله من أهم المبادىء التي تأسست عليها الدولة المرابطية، واستمرت فيه طوال فترة حكمها القصير، وسخرت طاقاتها مواردَها لهذا العمل الإسلامي العظيم.

يقول الدكتور حسن أحمد محمود: «من الغريب أن دولة المرابطين لم تضع السيف أبداً منذ قيامها حتى قدر لها أن تسقط، فبعد أن تم الجهاد في المغرب انتقل الجهاد إلى الأندلس، فكانت للجهاد، وله عاشت، وذهبت في سبيله»[2].

فقد كان الجهاد من أخص صفات المرابطين، وكانوا يتسابقون إليه

= والأول أكثر، وأن آية الإذن إنما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين، راجع الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٤٧، ١٢/٦٧ ـ ٦٨.

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) المرجع السابق نفسه: ١٦٨ ـ ١٦٩.

يبتغون به وجه الله - تعالى - وينالون به الشهادة، وكانت لهم قوة ذات عزم لم تشهد إفريقيا من قبل أو من بعد قوة ذات عزم مثلها...[1].

وقد ذكرنا قبل قليل أن عبد الله بن ياسين - رحمه الله - تمكن من تكوين جيل من الفقهاء السلفيين، وحين بلغ عدد تلاميذه في الرباط ألف رجل من أشراف الملثمين، وتم إعدادهم واستعدادهم لحمل مسؤولية الجهاد[2] قام فيهم خطيباً، فوعظهم، ودعاهم إلى الجهاد وقال:

«يا معشر المرابطين، إنكم جمع كثير، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى، وهداكم إلى الصراط المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده»[3].

فأجابوه على السمع والطاعة قائلين: أيها الشيخ المبارك: مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا[4].

وهذه الاستجابة الكاملة تدل دلالة واضحة على أن المرابطين أصبحوا واثقين بشيخهم عبد الله بن ياسين - رحمه الله - ومستعدين للتضحية في تنفيذ أوامره.

وما إن سمع منهم هذا الاستعدادَ الكامل للجهاد من أجل إعلاء كلمة الله حتى بادر بقوله: أخرجوا على بركة الله، وأنذروا قومكم، وخوفوهم

---

(١) إبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٧٨، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٠، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٧٩.

(٢) راجع العبر، المصدر السابق ٦/ ١٨٣، والدكتور السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٦٠٩ - ٦١٠، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، [د. ت].

(٣) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٢٥، والسيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص ٦١٠ وما بعدها.

(٤) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٥، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٨٦.

عقاب الله، وبلغوهم حجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق، وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا عن ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم، استعنا بالله تعالى عليهم، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1].

ولما سمع المرابطون هذا الكلام من شيخهم، ذهب كل فريق إلى عشيرته يعظهم وينذرهم، فلم ينتهوا عما هم فيه من ضلال، ثم خرج عبد الله بن ياسين نفسه فجمع أشياخ القبائل ورؤساءهم، وقرأ عليهم حجة الله، ودعاهم إلى التوبة، فلم يلتفتوا إلى قوله، ولم يزدادوا إلا فساداً وبعداً عن الحق[2].

فلما يئس منهم قال لأصحابه: قد بلغنا الحجة، وأنذرنا، وقد وجب علينا الآن جهادُهم، فاغزوهم على بركة الله تعالى، وجعل على قيادة الجيش الأمير يحيى بن عمر[3]، ولما قتل اختار أخاه أبا بكر[4] بن عمر، وظل هو بمنأى عن مباشرة القيادة، ولكنه يوجه أصحابه التوجيه الإسلامي، ويرسم لهم السياسة وفق أحكام الشريعة الإسلامية[5].

---

(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٥، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق ص ٢٢٧، وابن أبي زرع، المصدر السابق ص ١٢٥ ـ ١٢٦، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن عمر أمير قبيلة لمتونة، اشتهر بالورع والتقوى والإخلاص في الدعوة الإسلامية، والانقياد لعبد الله بن ياسين، وتنفيذ أوامره وتعاليمه سماه عبد الله بن ياسين، أمير الحق، استشهد في معركة فتح مدينة أودغست عام ٤٤٨ هـ وقيل ٤٤٩ هـ، راجع ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ٤/ ١٢ ـ ١٤، ومحمد عبد الله النقيرة، المرجع السابق ص ١١١، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ٨٧، ومعهد البحوث المرجع السابق ص ١٤، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ١٨.

(٤) ستأتي ترجمته قريباً.

(٥) ابن أبي زرع، المصدر السابق ص ١٢٧، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٨٣، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٦٨.

وانطلق المرابطون في الجهاد وتوجهوا أولاً إلى قبيلة جدالة فهزموها وقتلوا منها عدداً كثيراً، وأسلم الباقون إسلاماً صحيحاً، وحسن حالهم وأدوا ما يلزمهم فيما فرض الله عليهم، وجاءت لمتونة منصاعة إلى الحق، فبايعت على الكتاب والسنة، وأذعنت مسوفة وبايعت على ما بايعت عليه لمتونة وجدالة[1].

بعد أن بايعت هذه القبائل الثلاث وهي أهم قبائل الملثمين على الكتاب والسنة، توجه المرابطون إلى القبائل الأخرى التي تسكن الجبال الموالية للمتونة، وكان كثير منهم على غير دين الإسلام، وقد سبق أن بعث إليهم عبد الله بن ياسين بعوثاً وطلب منهم الدخول في الإسلام، وأن يؤدوا ما فرض الله عليهم من الزكاة فامتنعوا وقتلوا مبعوثه، فأمر بغزوهم، واشتبك الطرفان ودارت معارك عنيفة بينهما، وانتصر المرابطون فهزموا عدوهم، وغنموا أمواله، وسبوا نساءه، وعادوا إلى بلادهم، فأمرهم عبد الله بنُ ياسين بإعطاء الخمس[2] لأميرهم يحيى بنِ عمر[3].

وكانت قسمة الغنائم طيلة عهد المرابطين وفق ما قضت به الشريعة الإسلامية[4].

---

(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٦، والناصري: الاستقصا ٢/ ١٠، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٧.

(٢) قال تعالى: **﴿واعلموا أنما غنتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله﴾**.. [سورة الأنفال: الآية ٤١]، قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية اختلف العلماء في كيفية قسم الخمس على أقوال ستة، راجع الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٠ ـ ١١، والشوكاني فتح القدير ٢/ ٣١٠.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ٤/ ١٢ ـ ١٣، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٧٧.

(٤) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٦٩، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٧، وعن حكم الإسلام في قسمة الغنائم راجع القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣ ـ ٢٠، والشوكاني فتح القدير: ٢/ ٣٠٩، ٣١٣.

وبعد استشهاد الأمير يحيى بن عمر لم يتردد عبد الله بن ياسين في اختيار أخيه أبي بكر بن عمر[1]. ليحل محله في قيادة الجيش. وقد عرف عن عبد الله بن ياسين إعجابه بقبيلة لمتونة، ولعل ذلك يعود إلى ما اشتهروا به من إخلاص في الدعوة الإسلامية، وبلاء في الجهاد، فقد عمل عبد الله بن ياسين على أخذ البيعة من القبائل لأبي بكر بن عمر، فتوجه إلى سجلماسة، وأخذ له البيعة من أهاليها، ثم طاف بقبائل المصامدة وغيرها وكانت هذه القبائل على خلاف فيما بينها، فوعظهم وخطب فيهم قائلاً: اتقوا الله، وارتدعوا عما أنتم عليه من فتنتكم وقدموا على أنفسكم من يؤلفكم، ثم عرض عليهم البيعة لأبي بكر بن عمر بقوله: هذا أمير لمتونة الصحراء أهل الزهد والورع، فوافقوا عليه، وأخذ عليهم العهد والمواثيق بالبيعة له[2].

وبعد أن تمت البيعة لأبي بكر بن عمر ازداد نفوذ المرابطين، وقويت شوكتهم لأن القبائل توحدت تحت لوائهم، عن طواعية منها حين أخذ عبد الله بن ياسين البيعة منها لتلميذه أبي بكر بن عمر، وبذلك أصبح المرابطون يشكلون قوة إسلامية سلفية ذات شوكة تحارب أهل الضلال والفساد، حرباً لا هوادة فيها.

وتوالت انتصاراتهم، واستمروا في زحفهم المظفر إلى أن تم نشر

---

(١) هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين اللمتوني كان من أوائل المرابطين الذين صحبوا عبد الله بن ياسين إلى رباطه، وكان رجلاً صالحاً ورعاً منفذاً لتعاليم عبد الله بن ياسين، مطيعاً لأوامره، شارك في الدعوة منذ بدايتها، وكانت له جهود كبيرة في نشر الإسلام، والقضاء على عنصر الفتنة والضلال.. ابن الخطيب المصدر السابق ص ١١٢، وابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٨، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٩٥.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق ٤/ ١٤، ١٥، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٨٤.

الإسلام الخالي من البدع والشوائب في المنطقة كلها[1]. فقاموا بالقضاء على الفرق الضالة، التي كانت منتشرة في البلاد حينذاك، مثل قبائل غمارة، التي كانت الإباحية فيهم مطلقة، وقد تنبأ فيهم رجل يعرف بحاميم بن من الله، ويلقب بالمفتري، وأقر كثير من غمارة بنبوته، ووضع لهم شريعة وقرآناً باللغة البربرية، وتفشت ضلالاته في قبائل غمارة، واستمرت فيها حتى قضى عليها المرابطون»[2].

وقبائل برغواطة التي كانت تدين بمذهب لا تمت تعاليمه إلى الإسلام بصلة، أسسه رجل يهودي الأصل، يدعى صالح بن طريف البرغواطي[3]. وكان البرغواطيون متأصلون في الضلال، وقد عاثوا فساداً في المنطقة، وكان صالح بن طريف عارفاً بعلم السحر، وقد استطاع أن يستميل الناس بسحره، وأظهر لهم الإسلام، والورع، والزهد، فأخذ بعقولهم، ثم ادعى النبوة ووضع لهم تشريعاً مناقضاً للإسلام، وأمرهم أن يقروا بنبوته، ويصوموا شهر رجب، ويتركوا صيام شهر رمضان، وفرض عليهم عشر صلوات خمس بالليل وخمس بالنهار، وأوجب الأضحية، وجعل وقتها في الحادي والعشرين من محرم، ووضع لهم قرآناً، وزعم أنه وحي من الله عز وجل نزل عليه ومن شك في شيء من ذلك فهو كافر[4].

وقد اشتبك المرابطون مع هذه الفرقة الضالة، واستمروا في جهادها حتى قضوا على آخر ملوكهم الحاجب البرغواطي ضياءَ الدولة صاحبَ سبتة

---

(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٢٩، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٠٨، ٢٠٩، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ١١٨/٤، ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٣) نسبة إلى برباط وهو حصن من أعمال شذونة بالأندلس، راجع ابن أبي زرع المصدر السابق ص ١٣٠.

(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٣٠ ـ ١٣١، وأحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٨ ـ ٢٨٧، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢١١ ـ ٢١٢، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٨٨ ـ ٨٩.

وطنجة، فأذعنوا بالطاعة وأسلموا إسلاماً جديداً صحيحاً ولم يبق لديانتهم أثر إلى اليوم(١).

وقد قدر لشيخ المرابطين عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ أن يرزق الشهادة في المعارك الضارية التي دارت بين المرابطين والبرغواطيين، حيث أصيب بجراح شديدة توفي على أثرها عام ٤٥١ هـ ودفن بموضع يعرف بكريفة، على مقربة من مدينة الرباط(٢)، العاصمة الحالية للمملكة المغربية.

وبعد أن أذعن البرغواطيون للإسلام، توجه المرابطون إلى مدينة تاردانت ببلاد السوس الأقصى، لجهاد طائفة من الشيعة الروافض يقال لهم البجلية، نسبة إلى علي بن عبد الله البجلي الرافضي، قدموا إلى السوس الأقصى في عهد عبيد الله المهدي الإسماعيلي، مؤسس الدولة العبيدية في عام ٢٩٧ هـ(٣)، ونشروا مذهبهم في المغرب وتوارثوه جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، ولا يرون الحق إلا ما في أيديهم، وقد دخل المرابطون مدينة تاردانت، وقضوا على بدع الروافض، ورجع الناس إلى مذهب أهل

---

(١) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ٤/١٦، وابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٣٣، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢١٣، وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٢٨٦.

(٢) ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ٢٣٢، والقاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/٨٣، تحقيق سعيد أحمد إعراب طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٣ هـ، وحسن إبراهيم حسن: تايخ الإسلام ٤/٢٨٩، والجدير بالذكر أن المرابطين بعد استشهاد إمامهم عبد الله بن ياسين بايعوا بالإمامة لأبي بكر بن عمر فجمع بذلك بين القيادة الدينية والقيادة العسكرية.. راجع معهد البحوث، المرجع السابق، ص ١٤، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٩٧.

(٣) عن عبيد الله المهدي والخلاف في نسبه وابتداء الدولة العبيدية [أو الفاطمية] راجع ابن خلدون: العبر ٤/٣١ ـ ٤٠، وابن قيم الجوزية: المنار المنيف ص ١٤٢، والدكتور أحمد محمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة ص ٢٦٩، ٢٧١ ـ ٢٧٢، الطبعة الثالثة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٨ هـ.

السنة والجماعة[1].

وبعد نجاح المرابطين في القضاء على الفرق الضالة، رسخت أقدامهم في المنطقة فاتجهوا إلى إقامة دولة منظمة ذات هياكل ثابتةٍ، ولها عاصمة تكون مقراً للسلطة المركزية، فأمر أبو بكر بن عمر ببناء مدينة مراكش عام ٤٦٢ هـ لتكون عاصمة للدولة المرابطية، ثم تطلع لفتح الممالك الزنجية الوثنية المجاورة بالجنوب، واستخلف يوسف بن تاشفين[2] على حكم البلاد بعده، وترك له بعض الجيش، وسار هو بالبعض الآخر للجهاد في الجنوب[3].

ولدى عودته وجد أن يوسف بن تاشفين حريص على البقاء في الحكم، فسلم له الأمر[4] حقناً للدماء، وخوفاً من عوامل الفرقة في وقت بدأت فيه معالم الدعوة المرابطية تتحدد، وتؤتي ثمارها، وتفانياً في نكران الذات، ورفعاً لمصلحة الدعوة الإسلامية فوق كل الاعتبارات.

لذلك كله تجنب أبو بكر بن عمر الخلاف وعاد للمرة الثانية من

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٩، وابن خلدون: العبر ٦/١٨٣، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢١٠ ـ ٢١١، وحسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ٤/٢٨٨، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٦٣.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين كان رجلاً ديناً خيراً حازماً داهية، مؤثراً للجهاد، قمع النصارى، ورفع راية الإسلام، على أرض الأندلس، بعدما كادت تسقط على أيدي النصارى الحاقدين على الإسلام وأهله، ويعد أول ملك مغربي كون جيشاً قوياً تمثل فيه جميع القبائل المغربية، توفي عام ٥٠٠ هـ على الراجح، وقيل ٤٩٣ هـ. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/١١٢ ـ ١١٣، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٦ ـ ١٣٧، وعبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٧٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/٧٥ ـ ٧٦، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) ابن عذارى، البيان ٤/٢٣، ٢٤، وابن خلدون: العبر ٦/١٨٤، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ٤/٢٣ ـ ٢٤، ومعهد البحوث، المرجع السابق ص ١٤.

حيث أتى، وظل يصارع الوثنية، وعبادة الأصنام، وينشر عقيدة الإسلام ومبادئه حتى أدرك الشهادة على أيدي الزنوج الوثنيين بسهم مسموم طعنوه به عام ٤٦٨ هـ[(١)] ودفن في تكانت بمكان يسمى [المقاسم][(٢)].

والجدير بالذكر هنا أن أبا بكر بن عمر - رحمه الله - لم يوافه الأجل المحتوم إلا بعد أن استقام له الأمر في الصحراء كافة، واستولى على نحو تسعين رحلة من بلاد السودان[(٣)].

وإذا كان أبو بكر بن عمر - كما رأينا - قد باع نفسه لله تعالى وصان المبدأ الإسلامي في الحفاظ على وحدة كلمة المسلمين، وسن للمرابطين سنة حسنة، ونفذ وصية شيخه عبد الله بن ياسين، رحمه الله - التي أوصى بها المرابطين عندما أحس بدنو أجله حيث قال:

«يا معشر المرابطين: إني ميت في يومي هذا لا محالة، وإنكم في بلاد عدوكم فإياكم أن تجبنوا، وتتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكونوا أعواناً على الحق، وإخواناً في ذات الله عز وجل، وإياكم والتحاسد على الرياسة، فإن الله يؤتي ملكه من يشاء من خلقه، ويستخلف في أرضه من أراد من عباده»[(٤)].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ٤/٢٦، ويرى بعض المؤرخين ومنهم ابن خلدون: أن وفاته في عام ٤٨٠ هـ راجع ابن خلدون: العبر ٦/ ١٨٤، ومحمد عبد الله النقيرة، المرجع السابق ص ١١٣.

(٢) باب ابن الشيخ سيدي، تاريخ ص ٧، وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس: ص ٣٠٥، هذا وتجدر الإشارة إلى أن المقاسم: تبعد نحو خمسة وخمسين ك م عن مدينة تجكجه، عاصمة ولاية تكانت وهي الولاية التاسعة من ولايات موريتانيا الاثنتي عشرة، راجع دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق ص ١١٥، وقد جئت إلى هذه البلاد وزرت قبر أبي بكر بن عمر رحمه الله.

(٣) ابن خلدون العبر ٦/ ١٨٤، وابن أبي زرع المصدر السابق ص ١٣٥، وباب ابن الشيخ سيدي، تاريخ ص ٧.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص ١٣٢، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ٢٨٩.

أقول: إذا كان هذا هو موقف أبي بكر بن عمر، وهو موقف مثالي فإن موقف يوسفَ بن تاشفين يعتبر موقفاً طيباً أيضاً حيث أنه لم يغير في وحدة كلمة المسلمين، ذلك أنه لما تركه أبو بكر بن عمر على ولاية المغرب لم يغير شيئاً في وحدة الدولة المرابطية، وظل تابعاً لأبي بكر بن عمر نائباً عنه على حكم المغرب، ولم يعتبر نفسه هو الحاكم الشرعي إلا بعد وفاة أبي بكر بن عمر[١].

وكان ذلك منه وفاء للعهد الذي قطعه على نفسه عندما كان يودع أبا بكر بن عمر في ذهابه الأخير للجهاد في بلاد الزنوج الوثنيين حين قال له: لك علي أن لا أقطع أمراً دونك ولا أستأثر إن شاء الله تعالى بشيء عليك[٢].

وكان يوسف بن تاشفين صادقاً في عهده هذا، فقد ظل تابعاً لأبي بكر بن عمر وثيق الصلة به، ويمده بالأموال والسلاح[٣].

وبعد استشهاد أبي بكر بن عمر أصبح يوسف بن تاشفين هو الحاكم الشرعي للدولة المرابطية، ويعتبره كثير من الباحثين هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، لأنه هو الذي نظمها ووطد أركانها وأعطاها كياناً دولياً ثابتاً[٤].

وقد عمل يوسف بن تاشفين على إتمام توحيد بلاد المغرب، وإخضاعها للمنهج الإسلامي عقيدة وشريعة، وتابع نشاطه حتى ضم مدينة تلمسان والجزائر، وسارت جيوشه حتى فتحت مدينة سبتة ونواحيها[٥].

---

(١) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٠٥.
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب ٤/ ٢٥.
(٣) المصدر السابق نفسه ٤/ ٢٦.
(٤) راجع على سبيل المثال: معهد البحوث المرجع السابق ص ١٥، وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٣٠٥، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ١٨.
(٥) راجع الأنيس المطرب، المصدر السابق ص ١٣٨، ١٦٨، وابن عذارى: البيان المغرب ٤/ ٢٩.

وبذلك انتظمت المغرب كلها في سلك المرابطين، وصارت تتمتع بوحدة قوية، قائمة على العقيدة السلفية، وتطبيق الشريعة الإسلامية[1].

ولم يكتف المرابطون بتوحيد بلاد المغرب، وتثبيت دعائم الإسلام فيها، بل إنهم تجاوزوا ذلك، وأنقذوا الأندلس من خطر النصارى، فقد عظم البلاء على المسلمين في الأندلس، من قبل النصارى، فاستنجد المعتمد بن عباد وهو أعظم أمراء الأندلس، بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، رحمه الله ـ فرد عليه بقوله: أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين، ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسي[2]. واستنفر قواده، وأعيان جنده، ووجهاء القبائل، وجهز جيشاً جراراً قاده بنفسه ودخل به الأندلس، من مدينة سبتة[3].

واشتبك مع النصارى بقيادة ألفونسو السادس، وكانت موقعة الزلاقة حاسمة حيث انهزم النصارى تماماً وتحطمت مقاومتهم[4] وعز الإسلام وأهله في الأندلس بعد ذل وهوان، وظهر يوسفُ بنُ تاشفين قائداً شجاعاً قوي الإيمان بالله عز وجل[5].

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٤٠ ـ ١٤٣، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠٦، والنشار: مقدمة كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ص ٦.

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٣٠ ـ ١٣١، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١١٤.

(٣) المصدر السابق نفسه ص ١٣١، وابن عذاري: المصدر السابق ٤/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٤) هكذا أجاب يوسف بن تاشفين نداء الجهاد وأحرز هذا النصر في موقعة [الزلاقة] التي تعد من المواقع الحاسمة في التاريخ، وأعاد للإسلام عزته في بلاد الأندلس أربعة قرون أخرى، النشار: مقدمة كتاب السياسة، المرجع السابق ص ٢٣، وسلامة الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ص ٣٠٧، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.

(٥) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٣٤ ـ ١٣٥، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٩، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام: ٤/ ١٢٢، =

والجدير بالذكر أن جهاد المرابطين كان هدفه نشرَ العقيدة السلفية ورفعَ راية الإسلام، وتثبيت مبادئه في النفوس، ولم يكن غزواً سياسياً يرمي إلى التوسع الإقليمي وبسط سلطان المرابطين السياسي، وإنما كان جهاداً في سبيل الله، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته[1] ولهذا ظل انطلاقهم في الجهاد صفحة مشرقة في تاريخ الدعوة الإسلامية في شمال وغرب إفريقيا، وموضع تقدير من علماء المسلمين قديماً وحديثاً[2].

الأساس الرابع
العدالة الاقتصادية

لقد كان من مبادىء الإصلاح التي ركز عليها المرابطون واعتبروها من أهم أسس دولتهم، وكانت لها نتائج طيبة في نشر العقيدة السلفية وسيادتها، وإرساء قواعد الإسلام، وتثبيتها في النفوس، هي العدالة الاقتصادية.. ورفع المظالم القائمة في المنطقة، وإقامة نظام اقتصادي منبثق من صميم التعاليم الإسلامية، يضمن للناس الأمن والطمأنينة على ممتلكاتهم، وهذا شيء له أهمية بالغة في نظام الدولة الإسلامية.

= والنشار: مقدمة كتاب السياسة ص ٦، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٦٦.

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ٢٨٧/٤، وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) راجع مقدمة النشار لكتاب السياسة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ص ٢٦، وقد ظل انطلاق دولة المرابطين من صحرائهم هو أبرز المآثر التاريخية لموريتانيا حيث شيدت هذه القبائل أبرز دولة إسلامية سلفية في تاريخ المنطقة، امتد سلطانها من السودان جنوباً إلى جبال البرانس شمالاً، ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود تونس شرقاً، ويعتبر بعض المؤرخين يوسف بن تاشفين هو أعظم حكام المسلمين في عصره.. راجع تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، المرجع السابق ١٩/٤، ومعهد البحوث، المرجع السابق ص ١٥، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٢٧ ـ ١٢٨، وسلامة الهرفي، المرجع السابق ص ٥٧.

ولذلك فإن الله تعالى أوجب العدل وأمر به، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وذلك في قوله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾(١).

وقد جاء في الكتاب والسنة، النهي عن أكل أموال الناس بالباطل وتحريمه، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(٢).

قال الشوكاني عند هذه الآية: هذا يعم جميع الأمة، وجميع الأموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد الدليل الشرعي بجواز أخذه(٣).

وقد تقدم قوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأبشاركم وأعراضكم حرام عليكم»(٤).

ثم إن البلاد آنذاك كانت في أمس الحاجة إلى إعطاء أهمية خاصة للعدالة الاقتصادية، فقد كانت الأحوال مضطربة، والناس ينوؤون من الضرائب الظالمة التي فرضها حكام الجور، واتخذوا لها عدة تسميات، من مكوس، إلى معونة، إلى خراج، إلى تقسيط، إلى رسوم...(٥).

فكان واجب المرابطين الذين يحملون رسالة الإسلام ومبادئه أن يرفعوا هذه المغارم الجائرة، ويستبدلوها بنظام اقتصادي إسلامي، وهذا ما تم، فقد أعفوا الناس من كل ضريبة لا يبيحها الإسلام، واكتفوا بالزكاة والأعشار(٦).

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٨.

(٣) فتح القدير ١/١٨٨، وراجع تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ٢/١١٣، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٩.

(٤) تقدم تخريجه في هذا الفصل.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٨، ١٦٧، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٧٥، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٤.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٩، ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين=

وقد ظلت الدولة المرابطية طيلة عهدها قائمة على نظام اقتصادي إسلامي خالص، فلم يطلب المرابطون من رعيتهم رسوماً ولا مكوساً، ولا معونة، ولا خراجاً، ولا تقسيطاً، ولا غيرَ ذلك من الضرائب الظالمة التي كانت سائدة في المنطقة، وبدلاً من ذلك كله، اقتصرت موارد بيت المال على الزكاة، والأعشار، وجزية أهل الذمة، وأخماس الغنائم[1].

وكان لهذا النظام الاقتصادي الإسلامي أثر طيب على سمعة المرابطين واقتصاد البلاد، فعم الرخاء، وامتلأت خزانة بيت المال، بما جعلها قادرة على تحمل نفقات الجهاد الذي عاشت دولة المرابطين عمرها كله فيه[2].

وقد عف المرابطون عن الأموال التي حصلت في خزانة الدولة من موارد بيت المال الشرعية، وصرفوها في مصالح الدعوة الإسلامية، والنفقات على الجيش، وشراء الأسلحة، وكان لهذه الإصلاحات أثر بعيد المدى في تاريخ الدعوة المرابطية حيث ظهر للناس أن المرابطين أصحاب رسالة إسلامية لا يريدون جاهاً، ولا مالاً، وإنما يريدون رضى الله تعالى، ويحملون رسالة الإسلام، ويبتغون الإصلاح، وإنقاذ الناس مما ترددوا فيه من فساد[3].

ولذلك رغب فيهم الناس وأحبوهم، فقد وردت عليهم المخاطبات

= والموحدين في المغرب ١/ ٥١، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٠٩.

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ١٣٧، وإبراهيم الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين ص ١٣٢، ومحمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين ١/ ٥١، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٤ ـ ١٧٥، وسلامة الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ص ٢٩٣.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، وإبراهيم الجمل، المرجع السابق ص ١٣٣.

(٣) محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين ١/ ٥١ ـ ٥٢، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٥.

من فقهاء سجلماسة، ودرعة، يستدعونهم ويطلبون منهم إقامة العدل ورفع ما ارتكبه أمراءُ زناتة من الظلم والجور[1].

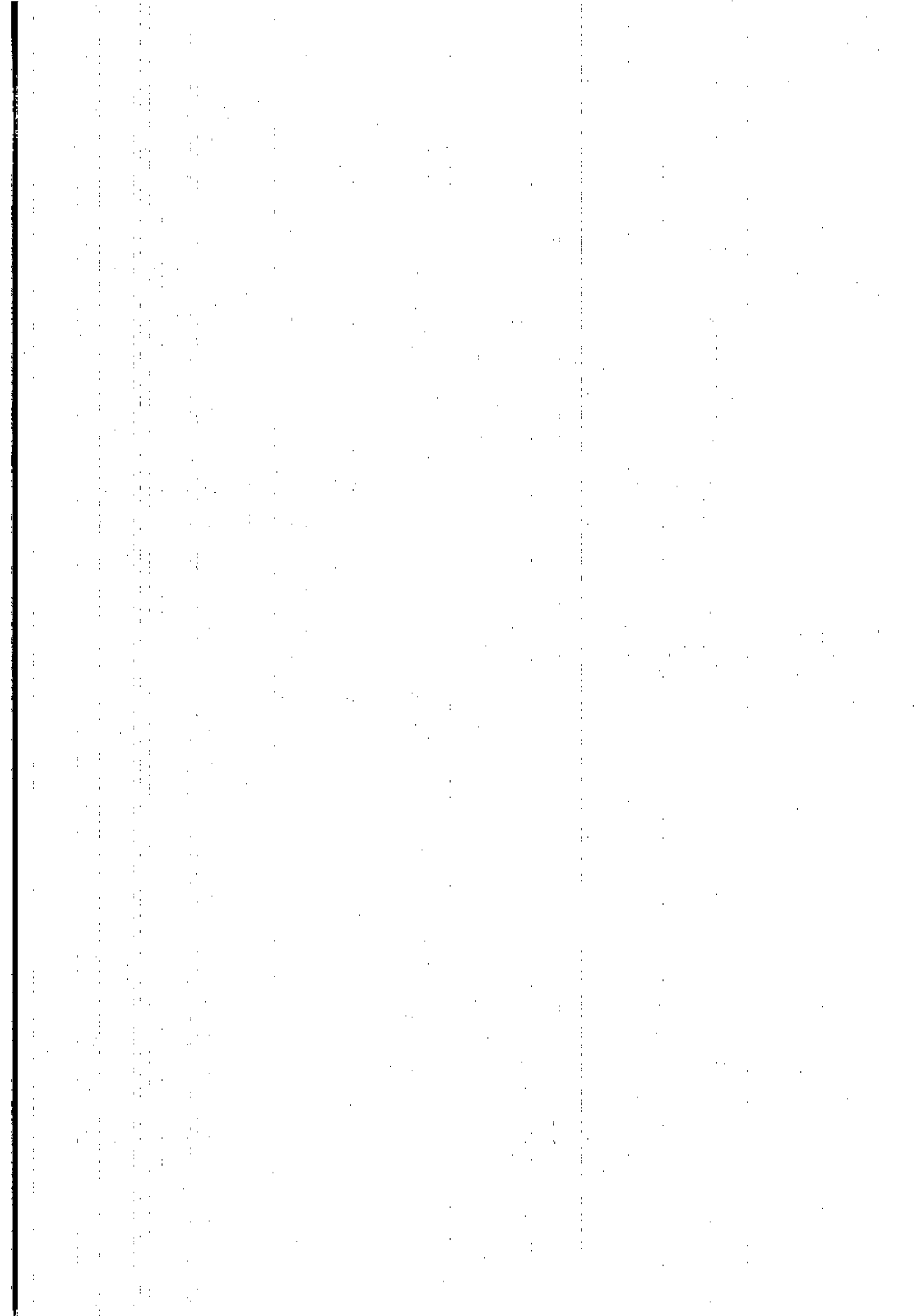
كما أن أمراء الأندلس وفقهاءها كاتبوهم يستنجدون بهم أيضاً ويطلبون منهم إنقاذ المسلمين في الأندلس مما تردوا فيه[2].

والحقيقة أن المسلمين في شمال إفريقيا والأندلس آمنوا بعدالة المرابطين وإخلاصهم في الدعوة لما شاهدوا فيهم من رفع راية الإسلام، وإغاثة الملهوف، وحماية الضعيف، ورفع الظلم، والاضطهاد عنه، وإسقاط المغارم التي لا تقرها الشريعة الإسلامية، وإرساء قواعد الأمن والعدالة، والطمأنينة بتطبيق الشريعة الإسلامية، في كافة مجالات الحياة، ومن بركة تطبيق الشريعة الإسلامية عم الخير وازدهرت الحياة في أرجاء هذه الدولة المترامية الأطراف، وأحب الناس المرابطين وصارت دعوتهم محل ترحيب في كل بلد حلوا به[3].

وكان من نتائج ذلك سيادة العقيدة السلفية التي يحمل المرابطون راية الدعوة إليها وترسيخ منهجها في النفوس، وتثبيت دعائمه وهو ما سنتعرض له في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن عذارى المراكشي: المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ٤/ ١٣، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٧٩.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/ ١١٤، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٥٢.
(٣) راجع الأنيس المطرب المصدر السابق ص ١٤٥، ١٥٧، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٧٦، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٥، وعصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ص ١٤١.



الفصل الثالث
منهج المرابطين العقدي

والرد على تهم ابن تومرت

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: السلفية قبل قيام دولة المرابطين.

المبحث الأول: منهج المرابطين العقدي.

المبحث الثاني: تهم ابن تومرت للمرابطين والرد عليها.

تمهيد
السلفية قبل قيام دولة المرابطين

لعل مما يجدر ذكره هنا قبل بيان منهج المرابطين العقدي، هو أن بلاد المغرب الإسلامي ـ بفضل الله تعالى ـ قد تميزت بطابعها السني السلفي في عصورها الأولى، إذا ما استثنينا الثورات الخارجية [نسبة إلى الخوارج] التي اندلعت في القرن الثاني للهجرة(١)، والحركة الاعتزالية(٢) والدعوة الشيعية(٣)، وقبائل برغواطة، وغمارة(٤) وهذه الحركات مرتبطة

---

(١) دخل الخوارج في شمال إفريقيا في بداية القرن الثاني للهجرة، واحتدم الصراع بينهم وبين أهل السنة، من ناحية، ومع الشيعة الروافض من ناحية أخرى، وقاموا بثورات متتالية في المنطقة، وبعد القضاء على ثورة أبي زيد مخلد بن كيراد، وقتله عام ٣٣٦ هـ ضعف شأن الخوارج في المغرب الإسلامي، راجع عن ظروف هذه الثورات: ابن خلدون: العبر ٤/ ٤٠ ـ ٤٣، وأحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٨٦ ـ ٨٧، والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المرجع السابق ص ١٤٠ ـ ١٥١.

(٢) دخل مذهب المعتزلة إلى بلاد المغرب في أول القرن الثاني للهجرة، وقد احتدم النزاع بين أهل السنة والمعتزلة في القيروان، وخاصة في بداية القرن الثالث الهجري، راجع القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣/ ٣٠١، ٣٠٢، ٤/ ٦٠، والدكتور السيد محمد أبو العزم: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، الفصل الثاني من الباب الثاني ص ٢٥١، وما بعدها، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ.

(٣) تقدم الكلام عن دخول الروافض لبلاد المغرب، وكيف تم القضاء عليهم، راجع الفصل الثاني.

(٤) تقدم الكلام عن البرغواطيين وقبائل غمارة، وكيف ومتى تم القضاء على ضلالاتهم، راجع المبحث الثاني في الفصل الثاني.

بأوضاع سياسية، يتعذر شرحها هنا، ولكن الرأي السائد عند الباحثين أنها رغم التباين الموجود بينها، لم تكن لها جذور عميقة، وممتدة في المجتمع المغربي المسلم(١).

والمتتبع للمراحل التي مر بها الفكر الإسلامي بشمال إفريقيا، يلاحظ أنه طبع بصفة عامة في عصوره الأولى، نتيجة لاتباع المذهب المالكي بطابع الاتباع وعدم الابتداع(٢).

وقد تأسّى المالكية بإمامهم في كراهية البدع، والمحدثات، وإنكارها. يقول القرافي: اعلم أن الأصحاب متفقون على إنكار البدع، نص على ذلك ابن أبي زيد، وغيره(٣).

وأورد الشاطبي هذا النص وعلق عليه بقوله: وما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح(٤).

فأهل المغرب المالكيون قبل ظهور دعوة ابن تومرت(٥) كان أغلبهم يدين الله على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر نصوص الكتاب، والسنة، والإيمان بالصفات الواردة فيها على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تأويل، وذلك هو المذهب الذي تمسك به، ودافع عنه إمامهم ـ مالك رحمه الله ـ وهو الذي عبر عنه بقوله للذي سأله عن الاستواء في قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى

---

(١) سعد غراب: المذهب المالكي عنصر إئتلاف في المغرب الإسلامي، ص ٢٣٦، ومحمد السليماني: مقدمة قانون التأويل ص ٣٧.

(٢) راجع القاضي عياض: ترتيب المدارك، باب اتباعه ـ أي الإمام مالك ـ السنن وكراهية المحدثات ٢/ ٣٨.

(٣) شهاب الدين أبو العباس القرافي: الفروق ٤/ ٢٠٢، فهرس له الدكتور محمد رواس، طبعة دار المعرفة، بيروت [د. ت].

(٤) الاعتصام ١/ ١٩٢، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

(٥) سوف يأتي التعريف بابن تومرت في بداية المبحث الثاني من هذا الفصل.

﴿ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] كيف استوى؟ فرد عليه الإمام مالك: «سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، إنك امرؤ سوء، أخرجوه فأخذوا بضبعيه فأخرجوه»[2].

وموقف الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من البدع وأهلها، وتمسكه بالسنة، وبعده عن مذاهب المتكلمين، أمر معروف لا يحتاج إلى تطويل، وقد أشار القاضي عياض لذلك بقوله: كان مالك أبعد الناس عن مذاهب المتكلمين، وأشدهم بغضاً للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين، من الصحابة والتابعين[3].

وقد حذا المالكيون الأقدمون ـ في المغرب حذو إمامهم في اتباع عقيدة السلف ونصرتها، والدفاع عنها.

فعندما دخل المعتزلة إلى بلاد القيروان، وتفشت آراؤهم الاعتقادية في المنطقة، كان فقهاء المالكية من أشد الناس في مقاومة المعتزلة، والرد على بدعهم بالأدلة، من الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ بل ربما تجاوزوا ذلك أحياناً إلى الإهانة، والضرب لبعض المعتزلة.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن أسد بن الفرات كان ذات يوم يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[4] وسليمان الفراء المعتزلي حاضر، فقال: من الانتظار يا أبا عبد الله؟ فأخذ أسد بتلابيبه وأخذ بيده الأخرى نعلاً وقال: يا زنديق لتقولنها أو لأبيضن بها عينيك، فقال سليمان: نعم ننظره، وقيل: ضرَبه حتى أدماه،

---

(١) سورة طه: الآية ٤.

(٢) ابن عبد البر، التمهيد ٧/١٥١، تحقيق عبد الله بن الصديق، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية ١٣٩٩ هـ والقاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٣٩.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك: ٢/٣٩، وابن عبد البر، التمهيد: ٧/١٣٨، ١٥٠.

(٤) سورة القيامة الآيتين: ٢١ ـ ٢٢.

وطرده من مجلسه[1].

وفي الحقيقة، أن المعتزلة في القيروان في بادىء الأمر كانوا في ذلة وهوان، ولكن اعتناق حكام القيروان الأغالبة[2]، لعقيدتهم عزز جانبهم وأعطاهم منعة وقوة، ونفوذاً، وبذلك أصبحت الجبهة المناهضة لأهل السنة، والجماعة، قوية، راسخة القدم في المنطقة، غير أن ذلك لم يضعف من عزيمة أهل السنة في المغرب، ولم يزدهم إلا صموداً وإصراراً على الحق، كما فعل إخوانهم من أهل السنة في المشرق، أيام محنة القول بخلق القرآن في بغداد.

فقد حاول الأغالبة إرغام الناس على اعتناق عقيدة المعتزلة والقول بخلق القرآن، فلم يجار المالكية بني الأغلب، في مقالتهم المملاة عليهم، من الخلفاء العباسيين في بغداد، بينما قال بقولهم أكثر الحنفية[3].

وقد نزل بكثير من المالكية الأذى، والضر، برفضهم القول بخلق القرآن ولا سيما سحنون بن سعيد التنوخي، وتلاميذه، ذلك أنه لما تولى أحمد بن الأغلب إمارة القيروان، أخذ الناس بالمحنة بالقول بخلق القرآن، فجمع قواده، وقاضيه ابن أبي الجواد الحنفي، ودعا سحنون بن سعيد فقال

---

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٣/٣٠٢، والسيد محمد أبو العزم، المرجع السابق ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) الأغالبة نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، وكان إبراهيم بن الأغلب هذا فقهياً وأديباً، وشاعراً، وخطيباً، ذا رأي، ونجدة، وحزم، وعلم بالحروب، ومكايدها، حسن السيرة، عارفاً بتدبير أمور السياسة، وصله عهد هارون الرشيد بإمارة إفريقيا في العشر الوسط لجمادى الآخرة عام ١٨٤ هـ وقد توطد الأمر لبني الأغلب في إفريقيا، واستطاعوا أن يستقلوا بالأمر جزئياً عن الخلافة العباسية في بغداد، واكتفوا بالتبعية الإسمية، فأقرهم خلفاء بني العباس على ذلك، لرغبتهم في أن تكون دولة للأغالبة بغرض القضاء على دولة الأدارسة، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ٤/٩٢، ٣١٨، والناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/١٢٩، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ٤١.

(٣) السيد محمد أبو العزم، المرجع السابق ص ٢٦٥.

له: ما تقول في القرآن؟ فقال سحنون: أما شيء أبتديه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه وأخذت عنه كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد: كفر فاقتله، ودمه في عنقي، غير أن الأمير أحمد لم يأخذ بهذا الرأي، ولكنه حكم على سحنون بالإقامة الجبرية في منزله، ومنعه من الفتوى[1].

ولما رفض سحنون أن يصلي خلف ابن أبي الجواد لقوله بخلق القرآن سعى به إلى الأمير زيادة الله بن الأغلب، فأمر الأمير عامله على القيروان بضرب سحنون خمسمائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، ولولا أن الوزير علي بن حميد بادر إلى الأمير فأقنعه بالعدول عن هذا القرار، لما تخلص سحنون من هذه العقوبة[2].

وقد فر يحيى بن عمر الكندي تلميذ سحنون إلى سوسة من أمام ابن عبدون القاضي الحنفي، بالقيروان لطرده العراقيين من مجلسه، وعدم قوله بخلق القرآن، وبعث ابن عبدون يطلبه، وأمر بأن يؤتى به إليه موثقاً إن وجد ولكنهم لم يتمكنوا منه وظل مختفياً بسوسة حتى توفي رحمه الله[3].

كما توارى محمدُ بن سحنونَ التنوخي المتوفى عام ٢٥٦ هـ خوفاً على نفسه من سليمان بن عمران، قاضي محمدِ بن الأغلب، لمخالفته له في المذهب ورفضه القول بخلق القرآن، حتى لجأ إلى الأمير محمد بن الأغلب، فرفع يد سليمان عنه، وأمنه، فرد سليمان غيظه على أصحاب ابن سحنون، فأخذ فرات بن محمد، وضربه بالسياط[4].

---

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤/ ٧١.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) المصدر السابق نفسه ٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤، والسيد محمد أبو العزم، المرجع السابق ص ٢٦٦.

(٤) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣، والسيد محمد أبو العزم ص ٢٦٦.

وكانت مسألة خلق القرآن[1] من أهم المسائل التي دار الجدل حولها بين أهل السنة والمعتزلة، وبسببها امتحن كثير من فقهاء المالكية، الذين صمدوا للمحنة بقوة وشجاعة نادرة، ولم يخضعوا لمقالة المعتزلة، بل على العكس من ذلك ـ فقد أصروا على التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على عقيدة السلف[2]، حتى كتب لهم النصر وهزمت المعتزلة.

وقد وصف الدكتور حسن أحمد محمود محنة القول بخلق القرآن في المغرب ودفاع أهل السنة عن عقيدة السلف، وهزيمة المعتزلة بقوله: «فلما امتحن أهل المغرب بمحنة خلق القرآن، وتفشت آراء المعتزلة، والقدرية، كان المالكيون أشدَّ الناس لهم حرباً وأكثرَهم عنفاً في مقاومتهم، وامتحنوا في سبيل ذلك، فصبروا على الإيذاء، وتمسكوا بالكتاب والسنة، ونافحوا عنهما منافحة الأبطال، حتى كتب لهم الظفَر، وأعز بهم الإسلام، ورفع كتابه وسنة نبيه، وهزمت المعتزلة، حتى لم يبق لها بالقيروان رأي ولا أتباع، ولم يجد الأمراء مفراً من النزول على رأي المالكية»[3].

والجدير بالذكر أن طبقاتِ المالكيةِ الأوائل لم يثبت عن أحد منهم أنه اتبع مذهباً من مذاهب الفرق الضالة، كما يذكره القاضي عياض، وهو العارف بفقهاء المالكية، بقوله:

«نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهباً من المذاهب أسلم من مذهب مالك، رحمه الله ـ فإن

---

(١) خلاصة عقيدة المعتزلة في هذه المسألة أنهم اتفقوا على أن كلام الله عز وجل محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه.. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٤٥، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص ١١٤.

(٢) بين أبو جعفر الطحاوي عقيدة السلف في القرآن بقوله: وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية.. العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز الحنفي ص ١٧٩.

(٣) قيام دولة المرابطين ص ٩٣ ـ ٩٤.

فيها الجهمية، والرافضةَ، والخوارج، والمرجئة، والشيعة، إلا مذهب الإمام مالك، فإنا ما سمعنا أن أحداً ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله»[١].

والواقع أن المالكيين في منطقة شمال إفريقيا والأندلس ظهر فيهم علماء أجلاء سلفيون، كان لهم دور بارز في بيان عقيدة السلف، والدفاع عنها، وسنذكر أمثلة من هؤلاء العلماء قبل قيام دولة المرابطين، تلقي الضوء على الحالة العقدية في المنطقة آنذاك.

* ومن أبرز هؤلاء العلماء السلفيين: أبو عبد الله محمد بن أبي زَمنين[٢] الذي بيَّن مذهب السلف في كتابه «أصولِ السنة»، مقرراً له، ومعتقداً له، حيث قال:

اعلم أن أهل العلم بالله، وبما جاء به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علماً، فالله تعالى يسمع ويرى ويتكلم، هو الأول فلا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل ما خلق، فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ.. وليس في شيء منها تحديد، ولا تشبيه، ولا تقدير، سبحانه... ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من

---

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك ١/ ٢٢، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي: الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٣ هـ.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن نعيس المالكي، المشهور بابن أبي زمنين، كان شديد التمسك بالسنة مدافعاً عنها [ت ٣٧٨ هـ] راجع كتاب ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ٥٨. الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة [د. ت] وشيخ الإسلام ابن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، ص ٥٨، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ١٠١.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

غير تشبيه ولا تمثيل[1].

ومن هؤلاء العلماء السلفيين عبدُ الله بن أبي زيد القيرواني[2]. الذي بين العقيدة السلفية الصافية من البدع، والضلالات، في مؤلفاته حيث يقول:

ومما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ومن السنة التي خلافها بدعة وضلالة أن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته، وأسمائه، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفةٍ لمخلوق فتبيد، وأنه عز وجل كلم موسى بذاته، وأسمعه كلامه، لا كلاماً قام في غيره، وأنه يسمع ويرى، ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، وأنه فوق سماواته على عرشه»[3].

كما بين ابن أبي زيد في مقدمة رسالته[4] منهج السلف في العقيدة، من حيث التفويض، والإيمان بظواهر نصوص الكتاب والسنة على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تعطيل، ولا تأويل، ولا تشبيه، حيث يقول:

«وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته[5] وأن علمه في كل مكان، له

---

(١) محمد بن زمنين: أصول اعتقاد أهل السنة ص ٣ ـ ٤، مخطوط بمكتبة الشيخ حماد الأنصاري، بالمدينة المنورة رقم ١٧.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، قال عنه الذهبي: إنه الإمام المغربي، شيخ المالكية بالمغرب، كان من العلماء العاملين، وكان غاية في علم الأصول، ويلقب بمالك الصغير، [ت ٣٨٦ هـ] العلو للعلي الغفار ص ١٧١ ـ ١٧٢. وذكر مثل هذا عنه ابن القيم، في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٥١ ـ ٥٢.

(٣) عبد الله بن أبي زيد: الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ص ١٠٧ ـ ١٠٨، الطبعة الثانية: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ.

(٤) رسالة ابن أبي زيد، من أشهر مؤلفاته ومن أكثرها فائدة، وهي من مقررات المحاضر الموريتانية، منذ نشأتها حتى اليوم، راجع صحيفة: ١٢٠ من هذه الرسالة.

(٥) قال الذهبي: إنما أراد ابن أبي زيد بقوله (بذاته) التفرقة بين كونه تعالى معنا، وبين =

الأسماء الحسنى، والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته، وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة، وأسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل، فصار دكاً من جلاله، وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد»[1]..

ومن هؤلاء العلماء السلفيين، أبو عمرو الداني[2] الذي إليه المنتهى في زمنه في علم القراءات، مع البراعة في علم الحديث، والتفسير، والنحو، وغير ذلك، له أراجيز في عقيدة السلف، بين فيها منهجهم، ومن ذلك أرجوزتُه الطويلةُ المشهورة التي يقول فيها:

تدري أخي أين طريق الجنة ... طريقها القرآن ثم السنة

كلاهما ببلد الرسول ... وموطىء الأصحاب خيرِ جيل

فاتبعن جماعة المدينة ... فالعلم عن نبيهم يروونه

إلى أن يقول:

= كون فوق العرش، فهو كما قال، ومعنا بالعلم، وأنه على العرش، كما أعلمنا، حيث يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]. وقد تلفظ بهذه الكلمة جماعة من العلماء، وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام، وقد نقمت هذه العبارة على ابن أبي زيد فليته تركها.. العلو للعلي الغفار ص ١٧٢.

(١) عبد الله بن أبي زيد، الرسالة ص ٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر [د. ت] والشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري، الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص ١١ ـ ١٢، طبعة دار الكتب العلمية بيروت [د. ت].

(٢) أبو عمرو الداني هو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم، قال عنه الذهبي: إنه الإمام الحافظ، المجود، المقرىء، الحاذق، عالم الأندلس، إليه المنتهى في علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث، والتفسير، والنحو، وغير ذلك، وكان متبعاً للسنة، بلغت تواليفه مائة وعشرين كتاباً [ت ٤٤٤ هـ]، بدانية ومشى سلطان البلد أمام نعشه، وشيعه خلق عظيم.. سير أعلام النبلاء ١٨/٧٧، ٨٠، ٨٣، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٠ هـ.

واطرح الأهواء والمراء ... وكل قول ولد الآراء
ومن عقود السنة الإيمان ... بكل ما جاء به القرآن
وبالحديث المسند المروي ... عن الأئمة عن النبي
وأن ربنا قديم لم يزل ... وهو دائم إلى غير أجل

إلى أن يقول:

كلم موسى عبده تكليماً ... ولم يزل مدبراً حكيماً
كلامه وقوله قديم ... وهو فوق عرشه العظيم

إلى أن يقول:

وبعد فالإيمان قول وعمل ... ونية عن ذاك ليس ينفصل
فتارة يزيد بالتشمير ... وتارة ينقص بالتقصير

إلى أن يقول:

ومن صحيح ما أتى به الخبر ... وشاع في الناس قديماً وانتشر
نزول ربنا بلا امتراء ... في كل ليلة إلى السماء
من غير ما حد ولا تكييف ... سبحانه من قادر لطيف
ورؤية المهيمن الجبار ... وأننا نراه بالأبصار
يوم القيامة بلا ازدحام ... كرؤية البدر بلا غمام
وضغطة القبر على المقبور ... وفتنة المنكر والنكير
فالحمد لله الذي هدانا ... لواضح السنة واجتبانا[1]

* ومن هؤلاء العلماء السلفيين الحافظ ابن عبد البر[2] الذي ظهرت

---

(١) هذه أرجوزة طويلة جداً كلها تدور حول منهج السلف، والرد على المتكلمين وبيان خطئهم، راجع سير أعلام النبلاء، المصدر السابق نفسه ١٨/ ٨١ ـ ٨٣، والعلو للعلي الغفار، المصدر السابق ص ١٨١.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، الأندلسي، صاحب المصنفات النفيسة، قال =

دعوة المرابطين في عهده، وظلت مصنفاته محل ثقة وتقدير من العلماء والفقهاء في موريتانيا، وخاصة كتبه: التمهيد والاستذكار والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله[1].

وقد خدم ابن عبد البر مذهب السلف وبيّنه بياناً شافياً في مؤلفاته يقول في كتابه التمهيد:

إن أهل السنة والجماعة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحددون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج، فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بشيء منها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة والحمد لله[2].

فهذا هو الموقف السائد في العقيدة الذي كان عليه غالبية الناس في المغرب الإسلامي آنذاك، وهو كما علمت مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم.

ويصور لنا ابن خلدون الحالة العقدية التي كانت سائدة في المنطقة بقوله: «كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم ـ أي الأشاعرة ـ في التأويل، وأخذ رأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإمرار المتشابهات كما

= عنه الذهبي: هو الإمام العلامة، حافظ المغرب، وبحر العلم، من أئمة الأثر، وكان عالي الإسناد، اشتهر فضله في الأقطار، وقل أن ترى العيون مثله [ت ٤٦٣ هـ] العلو للعلي الغفار ص ١٨١ ـ ١٨٣، وابن القيم: اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٤٨ ـ ٤٩.

(١) ما تزال كتب ابن عبد البر تحتل مكان الصدارة بين الموريتانيين حتى من غير العلماء والمثقفين، راجع محمد المختار بن أباه، المرجع السابق ص ٣١، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٥٥.

(٢) التمهيد: ٧/ ١٤٥.

جاءت»[1].

وكما يذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن: فإن أهل المغرب الإسلامي كانوا يسيرون وفق العقيدة السلفية، وأنهم ظلوا على هذه العقيدة، حتى ظهر المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية[2].

ويؤكد محمد السليماني ذلك بقوله: «إن أهل المغرب الإسلامي كان أغلبهم يدين الله تعالى على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل، ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، مع التنزيه للخالق عز وجل، وذاته العلية، عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوق[3].

وبعد هذا العرض الموجز لما كان عليه أهل المغرب الإسلامي من عقيدة سلفية ناصعة، نرى أنه لا غرابة ولا غضاضة في أن يكون المرابطون يعتقدون عقيدة السلف، ويتبعون المنهج السلفي السائد في المنطقة، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث التالي.

---

(١) العبر: ٦/٢٢٦.

(٢) تاريخ الإسلام ٤/٤٦٣.

(٣) مقدمة قانون التأويل لابن العربي ص ٣٨.

المبحث الأول
منهج المرابطين العقدي

إن أبرز ما تميزت به دولة المرابطين منهجها الإسلامي السلفي القائم على التمسك بنصوص الكتاب والسنة وإثباتِ ما ورد في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، ومعادات علم الكلام، والفلسفة، والتصوف، وكل بدعة، وضلالة كما سنرى.

وتعتبر الدولة المرابطية واحدةً من أبرز الدول الإسلامية التي تأسست على الفكر الإسلامي، السلفي الخالص من شوائب البدعة، وعاشت عمُرها القصيرَ في الدعوة إليه، والدفاع عنه، ومحاربة المبتدعة، والضلال.

وقد تقدم الكلام عن فقيه المرابطين ومعلمهم الأول، وقائدِ دعوتهم الإصلاحية، ومؤسس دولتهم، عبد الله بن ياسين رحمه الله ـ وبينا أنه كان من الفقهاء المالكيين، الذين ترسموا خطى إمامهم مالك، وغيره من أهل السنة والجماعة، في إثبات الصفات لله عز وجل، ورفض التأويل الكلامي والابتعاد عن الخوض في علم الكلام والفلسفة[1].

وكان المرابطون لا يعدلون عن تعاليم عبد الله بن ياسين، وقد سار علماؤهم وفقهاؤهم من بعده على المنهج الذي رسمه، فكانوا سلفيين

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الثاني.

أصحاب حديث، وفروع، لا يتجاوزون الكتاب والسنة، والمعاني التي تنبني عليهما، يعادون علم الكلام، والجدل، ولا يخوضون في شيء من ذلك[1].

ومما يثبت اتباع المرابطين للمنهج السلفي في العقيدة، أن المؤرخين قديماً وحديثاً أطبقوا على وصفهم بذلك، الموالي منهم، والمعادي على حد سواء، وأن الغلبة والسطوة ظلت للاتجاه السلفي طيلة عهدهم، وهذا ما يصوره لنا المراكشي بقوله:

«دان أهل ذلك الزمان [عهد المرابطين] بتكفير[2] كل من ظهر منه الخوض في شيء من علم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين[3] تقبيح علم الكلام، وهجر من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد، حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام، وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه»[4].

كما صوره الذهبي في وصفه لعهد علي بن يوسف بن تاشفين بقوله: «نفق في زمانه الفقه، وكتب الفروع، حتى تكاسلوا عن الحديث، والآثار . .»[5].

---

(١) راجع الأنيس المطرب، المصدر السابق ص ١٧٤، وسير أعلام النبلاء، المصدر السابق ١٩/٥٤٨، وسلامه الهرفي: المرجع السابق ص ١٠٤.

(٢) لم يثبت عن المرابطين القول بتكفير المتكلمين، ودعوى المراكشي لذلك لا تنبني على دليل، ولعله يريد التبديع، وما يؤدي إليه علم الكلام من اختلال في العقيدة، كما أشار إلى ذلك في العبارات التي ذكرها، وكما يدل له كلام الذهبي.

(٣) هو علي بن يوسف بن تاشفين، وسوف يأتي الكلام عنه في آخر هذا الفصل.

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٧٢ ـ ١٧٣، وللتوسع: راجع السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٦٥٢.

(٥) يمكن حمل كلام الذهبي على أن المرابطين انكبوا على دراسة الفقه أكثر من انكبابهم على دراسة الحديث، لا أنهم تركوا دراسة الحديث بالكلية، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أنهم كانوا أهل كتاب، وسنة، يقرأون القرآن، والحديث، كالصحيحين، =

وأهينت الفلسفة، ومج الكلام، ومقت واستحكم في ذهن علي بن يوسف أن الكلام بدعة ما عرفه السلف[1].

ويؤكد الباحثون المحدثون ما اتفق عليه المؤرخون الأقدمون من أن المرابطين كانوا سلفيين، متمسكين بالكتاب والسنة.

يقول السائح: إن فقهاء المرابطين كانوا سنيين، سلفيين، يكرهون المتكلمين، وينفرون من الرأي والتأويل، والخوض في مسائل التوحيد[2].

ويقول السيد محمد أبو العزم: إن دولة المرابطين كانت متمسكة أشد التمسك بنصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأنهم لما رأوا انحراف البرغواطيين وارتدادهم عن الإسلام، نتيجة للتأويل، والتحريف، لذلك عافوا عن كل تأويل[3].

ويقرر النشار: أن الواقع التاريخي يدل على أن المرابطين اعتنقوا مذهب أهل الحديث، فكانوا سنيين، سلفيين، أعداء للفلسفة والتفكير العقلي[4].

والواقع أن الدولة المرابطية تأسست على العقيدة السلفية، وعاشت عمرها في الدعوة إليها، والدفاع عنها، حتى قدر لها أن تسقط على أيدي أعدائها، وأعداء السلفية.

يقول الدكتور حسن أحمد محمود: كان عبد الله بنُ ياسين، على جادة السنة لم يحد عنها، قام يدعو إلى الحق، وكان المرابطون أهل

= والموطأ، وغير ذلك، مجموع الفتاوى ١١/٤٨٧.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/١٢٤، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقوسي، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠ هـ.

(٢) الحسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ ١/١٧٨، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٧٥ م.

(٣) السيد محمد أبو العزم: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا ص ٣٤٤.

(٤) مقدمة كتاب السياسة: لأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي ص ٢٦ ـ ٢٧.

السنة، متمسكون بمذهب مالك بن أنس رحمه الله»[1].

هذا بالإضافة إلى ما اشتهر عنهم من عداء البدعة، وأهلها، والنزعة المتعقبة لعلم الكلام، والفلسفة، والتصوف، ومحاربة أصحاب البدع والأهواء[2].

هذا المنهج السلفي الذي يعتمد على الكتاب والسنة، ويقف عند نصوصهما، ويعادي البدع، وأهلها، قد اتخذ منه المستشرقون مدخلاً للإساءة على المرابطين، فاتهموهم بالجهل، والسذاجة، والقضاء على مظاهر التفكير العقلي، كما اتهموهم بعدم البحث عن تأويل آيات الصفات، التي لا يناسب فيها المعنى الحرفي، والأخذ بنوع من السلفية الساذجة[3].

وكل هذه الدعاوى إنما هي تهم باطلة لا تعتمد على الحقائق العلمية التاريخية، وإنما تعبر عن حقد دفين يكنه النصارى للمرابطين. لقد كره المستشرقون وغالبيتهم مسيحيون متعصبون ـ المرابطين لأنهم دكوا عروش ملوكهم على أرض الأندلس، وحطموا المقاومة المسيحية، وخاصة في موقعة الزلاقة[4]، وحفظوا الأندلس للمسلمين أربعة قرون أخرى.

وعلى أي حال، فإن المرابطين كانوا فاتحين من الرعيل الأول، فكان لهم في الجهاد شغل شاغل، ولهم في أولويته عذر بيِّن واضح، ورغم ذلك لم ينسوا حظهم من العلم، فقد تأسست دعوتهم من أول يوم على العلم،

---

(١) قيادم دولة المرابطين: ص ١٨٥.

(٢) عبد الله حميدة، المرجع السابق، ص ٥٣، وسلامة الهرفي المرجع السابق ص ٢٨٩، ٣٠٨، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ١٤١، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٨.

(٣) الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص ٢٤١، ومقدمة النشار لكتاب السياسة، المرجع السابق ص ٥، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٦٣، وسلامه الهرفي المرجع السابق ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٤) الزلاقة: بطحاء في إقليم بطليوس في غرب الأندلس، انهزم فيها جيش الفرنجة الكفرة، الزاحف من طليطلة هزيمة شديدة عام ٤٧٩ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/٢٥٣.

وما كان مولد الدولة المرابطية وجهادها إلا ثمرة لنشاط علمي متواصل، وقد ذكرنا أن التعليم هو أول الأسس التي قامت عليها دعوتهم[1].

أما أن المرابطين قضوا على علم الكلام والفلسفة، ورفضوا التأويل الكلامي في آيات الصفات، وأحاديثها، فهذا هو المنهج السليم في العقيدة، وهو نهج السلف الصالح، وإن سماه المستشرقون أو غيرُهم جهلاً وسذاجة.. ذلك موقفهم العام، من عقيدة السلف وعلم الكلام، والفلسفة، وإليك موقفهم من التصوف..

موقف المرابطين من التصوف

كانت حياة المرابطين في رباطهم تقوم على المواظبة على العبادة، والبساطة، والزهد على طريقة السلف الصالح، فكانوا يعدون طعامهم بأنفسهم، مع الاكتفاء من الطعام بأقل القليل، وبالخشن من الثياب، لا يبتغون غير الدار الآخرة، وآلوا على أنفسهم التوبة والإخلاص، والاشتغال بتلاوة القرآن والتفقه في الدين[2].

ومع أن المرابطين تعودوا على حياة الرباط وألفوا الزهد، فإنهم أنكروا التصوف الفلسفي، أيما إنكار، واعتبروه من أخطر البدع في الإسلام، وناصبوه العداء، ووقفوا ضده بحزم، كما فعلوا مع غيره من البدع.

فمن المعروف أن الدولة المرابطية أخذت بالإسلام السني السلفي منذ تأسيسها، ووطدت أركانه، وعممته في جميع أنحاء البلاد التي حلت بها، وعارضت كل الطرق والاتجاهات المنحرفة، المخالفة للسنة، وشنت حرباً

---

(١) راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٥، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ٤٣٨، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ٧٤.

لا هوادة فيها على البدع والضلال[1].

لقد ظهرت الصوفية في وقت مبكر في الأندلس - كما سبق ذكره[2] ومنها انتقلت إلى المغرب، ولم يكتمل نموُها لقيام الدولة المرابطية، التي كبحت جماحها، وجماح أهلها. .[3].

وظل الخلاف يتسع في العهد المرابطي بين المتصوفة وفقهاء المرابطين أصحاب الإسلام السلفي، حتى انتهى الأمر إلى صراع مرير بينهم[4].

وقد احتدم هذا الصراع الساخن وبلغ أوجه، وما حرق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي إلا دليلاً على ذلك.

إحراق كتاب إحياء علوم الدين
لأبي حامد الغزالي

لقد أثارت قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ هـ جدلاً في الأوساط العلمية، في القديم والحديث، وقضية الحرق هذه تدل على أن المرابطين يحبون الاتباع ويكرهون الابتداع، وأنهم كانوا حراس العقيدة السلفية من الفكر الصوفي، والفلسفة الكلامية، وكل تعقيد فكري.

وملخص القضية أنه ما إن وصل كتاب إحياء علوم الدين إلى المغرب، والأندلس، وقرأه الفقهاء السلفيون خاصة قاضي الجماعة ابن

---

(١) راجع عبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٥٢.

(٢) راجع المبحث الأخير من الفصل الأول.

(٣) عبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٢٧، والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، المرجع السابق ص ٣٣٨.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤٥٦/٤، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٥٣ - ٥٥، وراجع التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق ص ١١٨ - ١١٩.

حمدين[1].. حتى ثارت ثائرتُهم، فاجتمعوا واتفقوا على ضرورة إتلافه، لما يتضمنه من الفكر الصوفي، ومذاهب الفلاسفة، ورفعوا أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فنزل على رأيهم، وأصدر أمره إلى جميع الأقاليم التابعة لحكمه بمصادرة الكتاب وحرقه، كما أمر بتفتيش المكتبات العامة والخاصة، وأن يحلف من يشك في أمرهم، بالأيمان المغلظة [الطلاق والعتاق] بأنهم لا يملكون كتاب [الإحياء] كما أمر بمنع دخول جميع كتب الغزالي إلى المغرب، والأندلس، وتقدم بالوعيد الشديد لمن وجد عنده شيء منها.

وقد نفذ أمر علي بن يوسف على أكمل وجه، حيث جمعت نسخ [الإحياء] التي تم العثور عليها، وأشبعت بالزيت، وأحرقت على الباب الغربي من رحبة مسجد قرطبة الجامع، بحضور جماعة من أعيان قرطبة، وعلمائها، يتقدمهم القاضي ابن حمدين[2].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الأندلسي، تفقه بأبيه وبمحمد بن عتاب، وحاتم بن محمد، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البر، وأبي العباس بن دلهاث، روى عنه القاضي عياض، وعظمه، وكان ذكياً بارعاً في العلم، له اليد الطولى في علم الأصول، وعلم اللغة العربية، جيد الشعر، حسن الخلق، حميد السيرة، ولي القضاء في عهد يوسف بن تاشفين، فسار فيه أحسن سيرة، وفي عهد علي بن يوسف كان يشغل منصب قاضي الجماعة بقرطبة، وكان حميد الأحكام، واقفاً عند حدود الشرع، صارماً في الحق، منكراً للبدعة، قال عنه الذهبي: وكان يحط على الإمام أبي حامد في طريقة التصوف، وألف في الرد عليه، ت ٥٠٨ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٢، وأحمد المقري: نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب ٣/٥٣٧، ٥٣٩، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبعة صادر بيروت ١٣٨٨ هـ وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) راجع ابن عذارى: البيان المغرب ٤/ ٥٩، وعبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٧٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٢٤، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣، وسلامه الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ص ٣٢٤، ٣٢٧، هذا وقد اختلف في تاريخ هذا الإحراق، فيذكر محمد عبيد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين ص ٧٨ ـ ٧٩، =

وفي الحقيقة أن هذه الحادثة تمثل موقفاً حازماً ضد التصوف الفلسفي الذي يتضمنه كتاب الإحياء.

فقد ذكر الطرطوشي المتوفي عام ٥٢٠ هـ أن الغزالي في كتابه الإحياءِ دخل في علوم الخواطر، ومرامز الصوفية، ثم شاب ذلك بآراء الفلاسفة، وأن هذا الكتاب إن ترك انتشر بين ظهور الخلق، ومن لا معرفة لهم بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه، مما هو ضلال، فحرق قياساً على ما أحرقته الصحابة رضي الله عنهم، من صحائف المصحف، التي تخالف المصحف العثماني[١].

وفي هذا النص تصريح بأن كتاب الإحياء كتاب صوفي فلسفي وذلك هو السبب الذي جعل المرابطين يقدِمون على إحراقه، وفي كلام القاضي عياض ما يدل لذلك، فقد أورد قضية الحرق في كتابه: معجم أبي علي الصدفي[٢].. وذكر أن الغزالي غلا في طريقة التصوف بقوله: «... والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصرة مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك.

وقد حاول بعض المؤرخين التعليل لقضية حرق الإحياء، فيرى

= أنه تم عام ٥٠٣ هـ ويرى محيي الدين عزوز: التطور المذهبي بالمغرب ص ٧٥ أن الإحراق كان عام ٥٠٠ هـ.

(١) هذا النص من رسالة كتبها أبو بكر الطرطوشي وأرسلها إلى عبيد الله بن مغفر، يجيبه فيها عن حقيقة الغزالي، وكتابه الإحياء، وقد أورد الذهبي مخلصاً لهذه الرسالة، راجع سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦.

(٢) هذا الكتاب من جملة كتب مفقودة للقاضي عياض، وقد أورده الذهبي هذا النص في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٧.

البعض أن سبب حرق الإحياء يعود إلى اشتداد الصراع بين الفقهاء والمتصوفة، وبما أن كتاب الإحياء قد جمع بين أحكام الورع، وآداب المتصوفة، فقد كان وجوده خطراً على الفقهاء، لأنه سيرجح كفة المتصوفة، فلذلك أفتى الفقهاء بإحراقه[1].

وعلل الدكتور حسن إبراهيم حسن لقضية الحرق بسببين:

أولهما: اختلاف فقهاء المرابطين وكتابُ الإحياء في الاتجاه الفقهي.

وثانيهما: أن الإحياء كتاب صوفي، يسير على الفلسفة الكلامية، التي كان المالكية يحرمونها، ويخشون منها على مذهبهم[2].

والذي أراه أن سبب الحرق يعود بالدرجة الأولى إلى ما تضمنه الكتاب من الفكر الصوفي الفلسفي[3] بالإضافة إلى ما شحن به من أحاديث مكذوبة على رسول ﷺ[4].. وليس للخلاف المذهبي في الفقه دخل في

---

(١) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥، الطبعة الأولى ١٩٦٥ م.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ٤/ ٤٥٦.

(٣) يدل لذلك كلام القاضي عياض الذي تقدم قبل قليل، كما يدل له كلام القاضي ابن حمدين الآتي قريباً في الصفحة التالية، وهذان العالمان من أولى الناس بمعرفة الأسباب الحقيقية لهذه القضية..

(٤) قال الذهبي: أما الإحياء: ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير.. لولا ما فيه من آداب، ورسوم، وزهد، من طرائق الحكماء، ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: «من رغب عن سنتي فليس مني».. فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النووي، وأذكاره، تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضيات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم». سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٣٩، وقد ساق الذهبي جملة من النصوص فيها التصريح بأن كتاب الإحياء تضمن التصوف الفلسفي، وقال: إن أبا علياً الطرطوشي ذكر كتاب إحياء علوم الدين، فقال: هو لعمرو الله ـ أشبه بإماتة الدين، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٤.

ذلك، لأنه لم ينقل عن المرابطين الإنكار على أي مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة فضلاً عن أن يصل العداء لواحد من هذه المذاهب إلى هذا الحد..

هذا ولم يمر إحراق كتاب إحياء علوم الدين دون معارضة، فقد وجد من فقهاء الدولة المرابطية من برأ الغزالي مما رمي به، وفي هذا الموضوع يحدثنا قاضي الجماعة ابن حمدين بقوله:

«إن بعض من كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه، شغفاً بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد، إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره، المباينة للدين..؟

وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة، الواقع بهم على سر الربوبية الذي لا يفسر عن قناعة، ولا يفوز باطلاعه إلا من تمطى إليه ثبج ضلالته، التي رفع لهم أعلامها، وشرع أحكامها[1].

ومن الفقهاء الذين انتصروا للغزالي بطريقة معلنة وصريحة، أبو الحسن علي بن محمد الجذامي المعروف بابن البرجي المتوفى عام ٥٠٩ هـ فقد أفتى بتأديب من يحرق كتاب الإحياء، وتضمينه قيمته، لأنه مال مسلم، وكان ابن البرجي مشاوراً في الأحكام في مدينة المرية، فلما سمع قاضي الجماعة ابن حمدين بفتواه غاظه ذلك، فأمر بعزله عن خطة القضاء[2].

كما انتصر أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي المتوفى عام ٥١٣ هـ لأبي حامد الغزالي، وكتب لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بذلك، وأفتى بأن الأيمان التي فرضت في عملية التفتيش أيمان لا تلزم،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٢.

(٢) ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ص ٢٧١ ـ ٢٧٢، طبعة مدريد ١٨٨٥ م.

وقال: وددت أنني لم أنظر في عمري سوى كتاب الإحياء وكان قد انتسخ كتاب الإحياء في ثلاثين جزءاً فإذا دخل شهر رمضان قرأ كل يوم جزء[1].

وعلى أي حال، فقد استمر الإحراق ومطاردة كتب الغزالي، حتى بعد وفاة علي بن يوسف عام ٥٣٧ هـ وهذا ما أثبتته إحدى الرسائل الصادرة عن الأمير تاشفين بن علي، الموجهة إلى أهل بلنسية، والمؤرخة في جمادى الأولى من عام ٥٣٨ هـ والتي تضمنت بعض التوجيهات الإدارية، والدينية، والحض على الجهاد في سبيل الله.

ومن أهم ما ورد فيها وجوب مقاومة أهل البدع، وفيها النص على إحراق كتب الغزالي، ومما جاء فيها:

«ومتى عثرتم على كتاب بدعة، أو صاحب بدعة، وخاصة وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحريق المتتابع خبرها، ويبحث عنها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها»[2]..

وهذا العمل المتواصل في مقاومة البدع، وأهلها، يدل على أن المرابطين كانوا حراس العقيدة السلفية، ويحاربون كل من حاد عن جادتها، وسلك سبيل غير المهتدين..

---

(١) الناصري: الاستقصا ٢/ ٧٤، وللتوسع في هذا الموضوع، راجع إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ١/ ١٩٤ ـ ١٩٦.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، المصدر السابق ٤/ ٥٩، ومحمد السليماني: مقدمة قانون التأويل لابن العربي ص ٥٦.

المبحث الثاني

تهم ابن تومرت للمرابطين والرد عليها

تمهيد:

لمحة عن شخصية ابن تومرت ودعوته:

أرى أن من المناسب التعريف بابن تومرت قبل الدخول في التهم التي وجهها للمرابطين، لأن ذلك يساعد على فهم مقاصده التي سعى لتحقيقها تحت شعار الدعوة الإسلامية، ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. يقول الذهبي: هو الشيخ، الإمام، الفقيه، الأصولي، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن تومرت، البربري، المصمودي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي، حسني، وأنه الإمام المعصوم، المهدي[1].

(١) لقد تقنع ابن تومرت بقناع المهدية، المزيف، فزعم أنه الإمام المنتظر، الذي يأتي في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ولعل من الأسباب التي حملته على ذلك هو التمهيد للخروج على المرابطين، وليعظم بذلك اعتقاد الناس فيه، وتزداد طاعتهم له، وقد وردت في المهدي أحاديث مستفيضة، وتعرضت لنقد علماء الحديث، إذ فحصوا أسانيدها، وأبانوا ما فيها من قوة وضعف، وميزوا فيها بين الصحيح، والحسن، والضعيف، ومن هؤلاء العلماء ابن القيم الذي قسم أحاديث المهدي إلى أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعة، المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١٣٥ ـ ١٣٦، تحقيق: أحمد عبد الشافي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ. وقد ذهب ابن خلدون إلى أن أحاديث المهدي لم يخلص منها من النقد إلا القليل، والأقل منه، المقدمة ص ٣٢٢، ولكن ابن خلدون من علماء التاريخ، وليس من علماء الحديث، وللتوسع في هذا الموضوع، راجع: =

رحل من السوس الأقصى، إلى المشرق، فحج، وحصل أطرافاً من العلم، كان أماراً بالمعروف، نهاء عن المنكر، قوي النفس، عمالاً على الملك، غاوياً في حب الرياسة، والظهور، توفي عام ٥٢٤ هـ[١].

رحل ابنُ تومرت إلى الحجاز في عام ٥٠١ هـ، فأدى مناسك الحج، وتوجه إلى الشام، والعراق، في طلب العلم، واتصل بأبي حامد الغزالي، فأخذ عنه علم أصول الدين، وأصول الفقه، ولازمه مدة من الزمن.

ويذكر ابن أبي زرع: أن الغزالي قال عن ابن تومرت: لا بد لهذا البربري من دولة، فقد يثور بالمغرب الأقصى ويظهرَ أمرُه ويعلو سلطانه.. فإن ذلك ظاهر عليه في صفاته، وبائن عليه في شمائله، وردت بذلك الأخبار، ودلت عليه العلامات، والآثار، وأن هذه العلاماتِ والآثارَ موجودة في كتاب يمتلكه الغزالي، يسمى: [السر المكنون وكشف ما في الدارين][٢].

ويبدو أن الغزالي كانت تصدر منه عبارات تحرك ابنَ تومرت إلى الثورة على المرابطين، وتقوي طمعه في النجاح فيها، ومن ذلك أنه لما أخبره ابن تومرت بأن المرابطين أحرقوا كتاب إحياء علوم الدين، دعا على سلطان المرابطين بقوله [ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب

= عبد المحسن بن حمد العباد: الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي وعقيدة أهل السنة، والأثر في المهدي المنتظر، ص ٦، وما بعدها، الطبعة الأولى، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ، وشريف بن صالح أحمد الخطيب، الإمام زيد بن علي المفترى عليه، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧، دار الندوة الجديدة، بيروت، منشورات المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ.

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٥٣٩، ٥٤٢، ٥٥٠، وعبد الواحد المراكشي، المعجب ص ١٧٨، ١٩٤، وذكر ابن خلدون أن وفاة محمد بن تومرت كانت في عام ٥٢٢ هـ، العبر ٦/٢٢٩.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٧٢، والمراكشي: المعجب ص ١٧٨، وسلامه الهرفي، المرجع السابق ص ٩٧.

المتولي لذلك الأمرِ، إلا حاضر مجلسنا].

وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام على المرابطين فقوي طمعه[1].

وبعد أن قضى ابن تومرت تسع سنين في المشرق، عزم على العودة إلى بلاده، وبدأ رحلة الإياب في يوم الجمعة، أول ربيع الأول من عام ٥١٠ هـ وحين عاد إلى المغرب أظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم اتشح بوشاح المهدية[2].

وسرعان ما وجه همه إلى دولة المرابطين، وأعلن عليها حرباً لا هوادة فيها وظل يؤلب قبائل المصامدة، على هذه الدولة، واستغل في ذلك العصبية القبلية، التي كانت قائمة بين قبائل المصامدة الجبلية المتحضرة، التي ينتسب إليها ابنُ تومرت[3]. وبين قبائل الملثمين البدوية التي ينتسب إليها المرابطون[4].

لقد عاد ابن تومرت إلى بلاده وهو يحمل معه برنامجاً للدعوة إلى الخروج على المرابطين، واستغل في ذلك كل الفرص، واستخدم كل الأساليب، وقد ذكر عنه كثير من الحكايات التي لا تدع مجالاً للشك في

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٧٩، وسلامة الهرفي المرجع السابق ص ٩٧.

(٢) راجع ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٧٣، وابن خلدون: العبر ٦/٢٢٩، وإبراهيم حركات، المرجع السابق ١/ ٢٦٠.

(٣) تتفق المصادر على أن محمد بن تومرت ولد وعاش في قبيلة هرغة، من قبائل المصامدة، ولكن هذه المصادر تختلف في أصل نسبه، ويرجع ابن خلدون أنه علوي، فيقول: وعلى الأمرين فإنه نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصامدة ووجت عروقه فيهم، والتحم بعصبيتهم، فلبس جلدتهم، وانتسب بنسبتهم، وصار في أعدادهم. العبر: ٦/٢٢٦، ويأتي ابن أبي زرع وابن الخطيب على رأس المنكرين لنسبته الطالبية، راجع الأنيس المطرب ص ١٧٢، وأعمال الأعلام ص ٣، ٢٦٦.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٧٢ ـ ١٧٤، وابن خلدون: العبر ٦/٢٢٦ ـ ٢٢٧، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٧٦ ـ ١٧٧، وسلامة الهرفي، المرجع السابق ص ٩٥ وما بعدها.

زيف دعوته، وبعدها عن الحق، واعتمادها على أساليب المكر، والخداع، ومن ذلك:

أنه واطأ رجلاً على إظهار الجنون، وكان ذلك الرجل عالماً بحفظ القرآن والحديث، والفقه، فظهر بصورة الجنون، والناس لا يعرفونه إلا مجنوناً، ثم أصبح ذات يوم وهو عاقل، يقرأ القرآن، والحديث، والفقه، وزعم أن النبي ﷺ علمه ذلك في المنام وعوفي مما كان به، وأخبرهم أنه يكون لهم يوم يسمى يوم الفرقان، فرق فيه بين أهل الجنة وأهل النار، فصار كل من علموا أنه من أوليائهم جعلوه من أهل الجنة، وعصموا دمه، ومن علموا أنه من أعدائهم جعلوه من أهل النار فاستحلوا دمه(١).

وكان ابن تومرت ماهراً في أساليب المكر والخداع، سفاكاً للدماء، يهون عليه قتل المسلمين، في هوى نفسه، وبلوغ غرضه، ومن الأمثلة على ذلك:

أنه عندما اشتدت هزيمة أتباعه الذين يسميهم بالموحدين، أمام جيش المرابطين في معركة البحيرة(٢)، وتزلزلت ثقة أتباعه فيه، لجأ إلى أسلوب المكر والخداع ليعيد الثقة بدعوته، وقيادته ومهديته.

فيذكر أنه اتفق مع مجموعة من أتباعه على أن يدفنهم أحياء، وجعل لكل واحد منهم متنفساً في قبره، وأوصاهم أن يقولوا إذا سئلوا [قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة، وعلو الدرجات التي نلناها بالشهادة، فجدوا في قتال عدوكم، فإنما دعاكم إليه المهدي صاحبكم حق.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ١١/٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٢) هذه المعركة هي أعظم المعارك، التي وقعت بين المرابطين والموحدين، وكان جيش ابن تومرت بقيادة محمد البشير الونشريشي الذي قتل في هذه المعركة، وفقد ابن تومرت أكثر أصحابه العشرة، وآلافاً من زهرة جنده، واشتد به المرض، فمات بعد الموقعة عام ٥٢٤ هـ، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ٤/١٢٩.

ووعدهم بأنهم إذا نفذوا ذلك يخرجهم، وتكون لهم منزلة عظيمة عنده، ثم اجتمع بأشياخ قبائل الموحدين، وقال لهم أنتم حزب الله وأنصار دينه، وأعوان الحق، وألح عليهم بالجد في قتال المرابطين، وطلب منهم إن كانوا في ريب مما يقول أن يذهبوا معه إلى قبور قتلاهم في معاركهم مع المرابطين ليحدثوهم بما لقوا من خير ونعيم..

وذهب معهم إلى مكان إحدى المعارك التي نشبت مع المرابطين، وسقط فيها عدد كبير من أتباع ابن تومرت، والتي توجد فيها تلك المجموعة الذين دفنهم أحياء، ولقنهم ما يقولون، ولما وصل رفع صوته في المقبرة قائلاً: يا معشر الشهداء، خبرونا بما لقيتم من الله عز وجل: فقالوا: وجدنا ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إضافة إلى ما لقنهم إياه ابن تومرت، وبدلاً من أن يفي بعهده ويخرج المدفونين، قام بإغلاق المنافس التي كان قد تركها لهم، فماتوا من حينهم، لأنه خاف أن يخرجوا فيظهروا أمره فيفتضح[1].

إن دعوة تقوم على المكر والخداع، وتذكيها العصبية القبلية لا بد أن تكتشف حقيقتها، ولو بعد حين.

ولقد وصف لفيف من المؤرخين - ابن تومرت - بأنه مبتدع، وسفاك للدماء، وانبرى له شيخ الإسلام ابن تيمية يهدم عقيدته، ودعوته المنحرفة عن النهج القويم، فألف كتاباً خاصاً في الرد على كتابه المرشدة[2].

لقد رأينا شخصية ابن تومرت، والأساليبَ التي قامت عليها دعوته الفاسدة، وكيف وصفه المؤرخون.

---

(١) ابن ابن زرع: الأنيس المطرب ص ١٨١ - ١٨٣، وابن تيمية: مجموع الفتاوى ١١/ ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤٨٦/١١ - ٤٨٧، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٨١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٥١/١٩ - ٥٥٢، وألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

وفي ذلك ما يدل ـ بحق ـ على أن دعوته قامت على الخداع، وسفك الدماء والابتداع، وأنه كان يسعى لتحقيق الزعامة بأي ثمن.

وعلى أي حال، فإننا سنعرض للتهم التي وجهها للمرابطين لأنه لا يمكن أن تتم دراسة منهج المرابطين في العقيدة وفي غيرها من أمور الدين دراسة صحيحة إلا إذا عرضنا لما يقوله خصومهم من تهم، وحاولنا أن نعرف ما إذا كانت صحيحة أم غير صحيحة، وفيما يلي بيان ذلك.

تهم ابن تومرت للمرابطين والرد عليها

التهمة الأولى [التجسيم]:

لقد أعلن ابن تومرت على المرابطين حرباً لا هوادة فيها، ولا رحمة فاتهمهم بفساد العقيدة، ووصفهم بأنهم مجسمون لله عز وجل، ومن ثم فهم كفار..

حيث يقول: باب في وجوب جهادهم ـ أي المرابطين ـ على التجسيم، والكفر، وإنكار الحق[1].

وادعى ابن تومرت أن من قتل من أتباعه في حربهم مع المرابطين فهو شهيد، ومن قتل من المرابطين الذين يسميهم [المجسمين] فهو في النار[2].

وهذه مزاعم كاذبة، لا تعتمد على الحقائق العلمية، وإنما كان سببها محاولة تشويه المرابطين، تمهيداً للخروج على سلطتهم الشرعية، وتحقيق حلم ابن تومرت، في الرياسة والظهور، فلم يكن المرابطون مجسمين لله عز وجل ولا مشبهين له بمخلوقاته ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وإنما

---

(١) ابن تومرت: أعز ما يطلب ص ٢٤٩، تحقيق الدكتور عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥ م.

(٢) المصدر السابق نفسه: ص ٢٦٤.

كانوا على مذهب السلف الصالح، وهو إثبات الصفات لله عز وجل التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله ﷺ في الذي صح عنه من سنته على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تأويل، ومن غير تجسيم، ولا تشبيه.

وقد اتفق العلماء المؤرخون على تفنيد مزاعم ابن تومرت التي رمى بها المرابطين، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابنُ تيمية حيث يقول: «واستحل ـ أي ابن تومرت ـ دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة، على مذهب مالك وأهل المدينة، يقرأون القرآن والحديث، كالصحيحين، والموطأ، وغير ذلك، والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة، مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم»[1].

ونفى الذهبي هذه التهمة عن المرابطين أيضاً، فذكر أن ابن تومرت سمى المرابطين بالمجسمين، ثم قال:

«إن أهل المغرب ما كانوا يدينون إلا بتنزيه الله عز وجل، ووصفه بما يجب له، مع ترك الخوض فيما تقصر العقول عن فهمه، فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض، والجوهر وقال: إن من لم يعرف ذلك، لم يعرف الخالق من المخلوق»[2].

وقد وصف ابن كثير أحد قادة المرابطين البارزين وهو أبو بكر بن عمر، بصفات طيبة، ثم قال: وكان يسير في الناس سيرة حسنة مع صحة اعتقاده ودينه[3].

---

(١) مجموع الفتاوى: ١١/ ٤٧٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٠.

(٣) البداية والنهاية ١٢/ ١٣٤.

أما الدكتور حسن أحمد محمود فذكر عقيدة المرابطين وبين أنها كانت سلفية، لا تختلف عن عقيدة إمامهم الإمام مالك بن أنس رحمه الله ـ وغيره من أهل السنة والجماعة، ثم قال: لم يتجاوز المرابطون الحدود التي رسمتها السنة، وما أجمع عليه أهل المذاهب، ولو كان المرابطون مجسمة كما يقول ابن تومرت، لما كان شيخُه أبو حامد الغزالي يبارك حركتهم وينظر إليها على أنها حركة إسلامية في الاتجاه الصحيح[1].

وعلى أي حال، فإن اتهام ابن تومرت للمرابطين بالتجسيم والكفر اتهام لأهل السنة والجماعة عموماً لأن سببه هو: إثبات الصفات لله عز وجل على الوجه اللائق به تعالى، ونبذ علم الكلام وأهله، وليس ابن تومرت أول المتكلمين الذين افتروا هذه الفرية على أهل السنة والجماعة.

فقد كفر المعتزلة من قبل من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا تمثيل ولا تكييف[2].

فبعد فتح أبواب الترجمة للمنطق، والفلسفة، وإدخالهما في الأسماء والصفات، لإجرائها على القوانين المنطقية العقلية، واشتغال كثير من المسلمين بعلم الكلام، أصبحت السمة العامة عند المتكلمين هي تقديم العقل على النقل، فجعلوا الكتاب والسنة تابعين للعقل، فما وافقه منهما أخذوا به، وما خالفه طرحوه أو أولوه[3].

أقول: منذ أن ترجم المسلمون هذه العلوم، وأدخلوها في مباحث العقيدة، والتهم توجه إلى أهل السنة والجماعة [السلفيين] من المدارس

---

(١) قيام دولة المرابطين ص ١٨٥.

(٢) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٦٦.

(٣) راجع: ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٩٠، والمهابة بن سيدي محمد: مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها، ص ١٤، تقديم وتحقيق الطالب: أحمد بن سيدي حمود، مكتوب على الحاسب الآلي في جدة ١٤١٠ هـ، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذهب الإسلامية، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

الكلامية[1] على مر التاريخ، ولكن يبقى صوت السلف عالياً بإذن الله تعالى.

التهمة الثانية تعاون العلماء والأمراء على الظلم والباطل:

في الحقيقة أن اتهام ابنِ تومرت لعلماء المرابطين وأمرائهم بالتعاون على الظلم، والفساد، أمر عجيب، يقوم على قلب الحقائق، وليس له من مبرر، اللهم إلا إذا كانت الغاية في الوصول إلى السلطة تبرر الوسيلة.

فقد قامت دولة المرابطين على مبادىء الإسلام، وإقامة العدل، ورفع الظلم، والقضاء على مظاهر الباطل والفساد.

ومن المبادىء المهمة التي تأسست عليها هذه الدولة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان قادتها دعاة صالحين، لا يبتغون من الحياة الدنيا سوى الإصلاح[2].

لقد ادعى ابن تومرت أن علماء المرابطين كانوا أداة طيعة في يد الأمراء، لتبرير الظلم والباطل حيث يقول: باب في معرفة أتباعهم الذين أعانوهم في ظلمهم وصدقوهم على كذبهم منهم الملبسون أعني المكارين الذين يضلونهم بغير علم، ويتوسلون بفتياهم إلى أباطيلهم وأهوائهم، كلما سألوهم عن شيء أفتوهم على ما وافق أهواءهم، وأغراضهم، فضلوا وأضلوا[3].

---

(١) راجع: ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٥/ ١١٠ ـ ١١١، والمقريزي: الخطط ٢/ ٣٥٨، والبرتلي: فتح الشكور ص ١٤١، ومحمد بن زاهد الكوثري في مقدمته وتعليقاته على كتاب: تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ١٢٣، والدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي: مناهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٤ ـ ١٥، ٣١، ٥٧، ٦٨.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص ١٤١.

(٣) ابن تومرت: أعز ما يطلب ص ٢٤٥ ـ ٣٤٦.

وللرد على ما زعمه ابن تومرت نقول: إن تعميم الحكم على علماء الدولة المرابطية، وفقهائها بأنهم أعوان على الظلم والباطل أمر غريب جداً يخالف الواقع، ويخالف أيضاً ما عرف من سيرة علماء المسلمين ومواقفهم المشرفة.

وقد بلغ العلماء والفقهاء في الدولة المرابطية مكانة عظيمة واشتد إيثار أمراء المرابطين لأهل العلم والدين، وقربوهم، وكانوا لا يقطعون أمراً دون مشورتهم، ويرجعون إليهم الأمور، صغيرها وكبيرها[1].

وكان فقهاء المرابطين أهل استقامة وزهد، بعيدين عن الظلم والباطل لا يخشون في الحق لومة لائم، ومواقفهم من الحكام صريحة، وبعيدة عن المحاباة، وقد كان شيخ المرابطين ومعلمهم الأول وقائد دعوتهم الإصلاحية، ومؤسس دولتهم عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ ينفذ حدوده في الأمير فمن دونه[2].

وكان أمراء المرابطين يمتثلون أوامره وتوجيهاته، امتثالاً عظيماً ويؤدبهم إذا رأى في ذلك مصلحة للدعوة الإسلامية.

فقد ذكر ابن عذارى المراكشي أنه قال للأمير يحيى بن عمر: أيها الأمير: عليك أدب، فقال له يحيى: وما الذي أوجبه علي؟ فقال عبد الله لا أخبرك حتى آخذ حق الله منك، ثم ضربه ضربات وقال له: إن الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم[3].

وقد خلف عبد الله بن ياسين رحمه الله ـ فقهاء من تلاميذه ساروا

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٧١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥٣، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٤.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/ ٨٢، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

(٣) البيان المغرب ٤/ ١١، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٦٤ وإبراهيم الجمل، المرجع السابق ص ١٤٩، وهذا التعزير الذي فعله عبد الله بن ياسين للأمير يحيى بن عمر رحمهما الله اجتهاد من عبد الله بن ياسين ولم أقف على أن النبي ﷺ فعله لأحد من قادة الجيش الإسلامي ولم أقف أيضاً على إنكار أحد من الصحابة على من فعله من القواد.

على نهجه، وعرفوا بالعلم، والتقوى، والاستقامة على الحق والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحمدت سيرتهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الفقيه أبي القاسم بن عذراء الجزولي، وأخيه الفقيه سليمان بن عذراء، وكانا يتوليان أمور المرابطين الدينية بعد وفاة شيخهما عبد الله بن ياسين - رحمه الله -[1]..

والشيخ لمتاد بن بلين اللمتوني، الذي كان من كبار الفقهاء وقد بلغ منزلة كبيرة في العلم، والاستقامة، والتقوى، حتى إن المثل يضرب بفتياه في الصحراء[2].

والفقيه المحدث ميمون بن ياسين الصنهاجي[3].

والفقيه أبو محمد عبد العزيز التونسي، الذي اشتهر بالتقوى، والزهد، والورع، توفي عام ٤٨٦ هـ[4].

وفي عهد علي بن يوسف بن تاشفين، الذي ظهر فيه ابن تومرت وهو من العهود المشرقة في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث ازدهرت فيه العلوم الشرعية، وبرز علماء أجلاء عرفوا بالاستقامة والورع والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، منهم على سبيل المثال:

القاضي أبو عبد الله محمد بن سليمان الأنصاري، كان من العلماء العاملين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، تولى القضاء في [مالقة] مدة طويلة، فسار فيه سيرة العدالة والنزاهة، اشتهر بالورع، والزهد،

---

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/ ٨٠، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٤٣.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/ ٨٠، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٤٤.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١٥٨، وإبراهيم الجمل: المرجع السابق ص ١٣٩.

(٤) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف ص٩٢.

والصرامة في تنفيذ أحكام الشرع، توفي عام ٥٠٠ هـ[١].

والقاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد: الذي عرف بالبراعة العلمية والاستقامة في الدين، وكان ثاقبَ الذهن، حافظاً للفقه، مقدماً فيه على أهل عصره، عارفاً للفتوى، مع الفضل، والورع، والوقار، والسمت الحسن، كان قاضي الجماعة بقرطبة، وإمام الصلاة بالمسجد الجامع بها، توفي عام ٥٢٠ هـ[٢].

والقاضي أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي، وكان عالماً فاضلاً، بارعاً، ذكياً، له اليد الطولى في العلوم الشرعية، واللغة العربية، تولى منصب قاضي الجماعة بقرطبة مرتين، فسار فيه أحسن سيرة، وكان نافذاً في أحكامه، جزلاً في أفعاله، توفي عام ٥٢١ هـ[٣].

والقاضي أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي، الذي سقطت دولة المرابطين في آخر حياته، وكان بحراً من بحور العلم، مع الاستقامة، والوقوف مع الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تولى القضاء في سبتة، وغرناطة، فحمدت سيرته، توفي عام ٥٤٤ هـ[٤].

وقد سقنا هذه النماذج من علماء الدولة المرابطية كدليل على أن علماء هذه الدولة وفقهاءها لم يكونوا جهلة، ولا ضلالاً مضلين، كما زعم ابن تومرت، بل الثابت عنهم عكس ذلك.

وقد مر قبل قليل أن عبد الله بن ياسين كان يقيم الحدود على الأمراء ويؤدبُهم، وكان المرابطون لا يعدلون عن تعاليمه، ونهجه، وكما يقول

---

(١) أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٠٠.
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٩٨ ـ ٩٩، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ١٢٩.
(٣) أبو الحسن ابن عبد الله النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠٣.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلا ٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٧، وأبو الحسن ابن عبد الله النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٠١.

القاضي عياض: فقد ظلت سيرته معروفة محفوظة، يثابر عليها مشيختهم(١).

ويؤكد الباحثون أن الكثير من فقهاء المرابطين كانوا أهل استقامة وزهد، وورع، وتقوى، وأن الدولة المرابطية ظلت تراعي الكفاءة في المناصب الحيوية، وخاصة في مجال القضاء، فكان لا يتولى منصب القضاء فيها إلا من ثبتت جدارته، ونزاهته، وتمتع بحظ وافر من العلم(٢).

والمعروف أن دولة المرابطين قامت من أول يوم على تعاليم الإسلام، وتوطيد دعائم الحق، وأعلنت مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشنت على الفساد والمنكرات حرباً لا هوادة فيها، وأعادت إلى الأذهان صورة الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، وكان أمراؤها الذين تولوا الحكم من عهد عبد الله بن ياسين إلى ظهور ابن تومرت قد أخذوا بنصيب وافر من العلم والصلاح، والزهد، والعبادة(٣).

فقد كان أبو بكر بن عمر(٤) زاهداً، ورعاً، تقياً، وحاكماً، عادلاً، متفانياً في الإخلاص للدعوة الإسلامية وهب حياته للجهاد في سبيل الله(٥). وذكر عنه ابن كثير أنه اتفق له ما لم يتفق لغيره من الملوك، وكان يقيم الحدود، ويحفظ محارم الإسلام، ويحوط الدين(٦).

وكان يوسف بن تاشفين المتوفي عام ٥٠٠ هـ عابداً، زاهداً، شديد

---

(١) ترتيب المدارك: ٨/ ٨٢.

(٢) عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٤٤، وسلامة الهرفي، المرجع السابق ص ٢٦٥.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ١٤٨، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٣٢.

(٤) تقدم الحديث بالتفصيل عن أبي بكر بن عمر في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٥) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ٤/ ٢٤، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ٩٥، ١٠٥.

(٦) البداية والنهاية، ١٢/ ١٤٣، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/ ١١٣.

الخوف من الله عز وجل، ناصراً للدين، مظهراً للحق، معظماً للعلماء، ويصرف الأمور إليهم في كل صغيرة وكبيرة، ويأخذ برأيهم، ويقضي على نفسه، ورعيته بفُتياهم، مجداً في الأمور، موفقاً للصواب، مؤدياً للرعية حقها، ويرى صور الأمور على حقيقتها[1].

وكان علي بن يوسف المتوفى عام ٥٣٧ هـ الذي ظهر ابن تومرت في عهده يعتبر من الشخصيات النادرة في التاريخ، فهو حاكم قوي، عادل، امتاز بالعلم، والدين، والورع، والاستقامة، وحسن الخلق، والحزم، والنباهة، وكان مثل أبيه معظماً للعلماء، لا يقطع أمراً دون مشورتهم، والأخذ بفتياهم[2].

وإذا كان أمراء المرابطين قدموا العلماء والفقهاء وقربوهم وأخذوا بمشورتهم في كل صغيرة وكبيرة، وقضوا على أنفسهم بفتياهم، فإن هذا في حد ذاته يعتبر دليلاً على صدق النية في الرغبة في العمل بتعاليم الإسلام.

ومن غير المعقول أن يطلب أمراء المرابطين من فقهائهم تبرير الفساد الذين هم بمنأى عنه، بل ـ كما قلت ـ فإنهم كانوا على جانب كبير من العلم، والصلاح، وإنما رماهم ابنُ تومرت بما رماهم به لتوشيه دعوتهم السلفيةِ، وقد تجاوز ذلك فقهاء المرابطين وأمراءهم إلى العداء الشديد لمذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الذي كانت تتبناه الدولة المرابطية، حيث بلغ كره الموحدين لهذا المذهب وعداؤهم له لدرجة أنهم أحرقوا مدونة سحنون[3].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ٤/٤٦ ـ ٤٧، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/١١٢، وما بعدها، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/٢٥٢ ـ ٢٥٤، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/١١٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/٤٩، وابن عذارى: البيان المغرب ٤/٨٤ ـ ٨٩، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/١٢٤، ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين ١/٥١، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٤/١٢٥، وما بعدها.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ١١٧، وأحمد بابا التنبكتي، نيل =

التهمة الثالثة

سفور وجه المرأة المرابطية

يعتبر سفور وجوه النساء في شمال وغرب إفريقيا أمراً عادياً في القديم والحديث، وقد اتخذ ابن تومرت من هذه العادة ذريعة لمهاجمة المرابطين، فوصف نساءهم بأنهن يتشبهن بالرجال، في عدم تغطية الوجه، وأن تشبه النساء بالرجال حرام.. إذ يقول: وهؤلاء المجسمون الكفارُ، يتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن وجوههم، بلا تلثم ولا تنقب، والتشبه بهم حرام[1].

والواقع أن كشف وجه المرأة أمر اختلف العلماء فيه قديماً وحديثاً ما بين مجوز ومحرم، ومن المعلوم أن المرابطين كانوا على مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ والذي به العمل، والفتوى في هذا المذهب، أن وجه المرأة غير عورة.

يقول ابن عبد البر: والمرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها[2].

ويقول خليل بن إسحاق في مختصره ـ الذي ذكر أنه بين فيه ما به الفتوى ـ موضحاً ما يجب على المرأة ستره عن الأجنبي، ما نصه: «ومع أجنبي غير الوجه والكفين»[3].

وقد نهى الله عز وجل النساء عن إبراز زينتهن للناظرين الأجانب واستثنى ما يظهر من الزينة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

= الابتهاج بتطريز الديباج، المرجع السابق ص ١٣٨.

(١) أعز ما يطلب، ص ٢٤٧.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد: ٢٢٩/١٦، تحقيق الدكتور عمر الجيدي، وسعيد أحمد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٥ هـ.

(٣) مختصر خليل بن إسحاق ص ٢٦، تعليق الشيخ أحمد نصر، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٩٢ هـ.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1].

واختلف العلماء في تحديد الزينة الظاهرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، فذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالزينة الظاهرة المذكورة في هذه الآية هو الوجه والكفان.

وممن قال بذلك عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما ـ والأئمة الثلاثة: أبو حنيفة، ومالك والشافعي ـ رحمهم الله.

وذهبت طائفة إلى أن ظاهر الزينة هو الثياب فقط، ولا يدخل في ذلك الوجه والكفان، وأن المرأة كلها عورة، ومن القائلين بذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي، والإمام أحمد بنُ حنبل، رحمهم الله.

واختار الشنقيطي ـ رحمه الله ـ هذا المذهب ودافع عنه بقوة في كتابه [أضواء البيان][2].

وذهب سعيد بن جبير، وعطاء، والأوزاعي ـ رحمهم الله ـ إلى أن ظاهر الزينة هو الوجه والكفان، والثياب، فكأنهم جمعوا القولين السابقين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وقتادة، والمسور بن مخرمة رحمهما الله، أن ظاهر الزينة هو: الكحل، والسوار، والخضاب، إلى

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) من جملة كلام الشيخ محمد الأمين في دفاعه عن هذا المذهب قوله: إن قول من قال في معنى: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، الوجه والكفان مثلاً، توجد في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول، وهي: أن الزينة في لغة العرب هي ما تتزين به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها، كالحلي والحلل، فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه، إلا بدليل يجب الرجوع إليه وبه تعلم أن قول من قال: الزينة الظاهرة: الوجه والكفان خلاف ظاهر معنى لفظ الآية، وذلك قرينة على عدم صحة هذا القول، فلا يجب الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه.. أضواء البيان ١٩٨/٦ ـ ١٩٩، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

نصف الذراع، والخواتم، ونحو ذلك[1].

قال الطبري في تفسيره بعد إيراد الأقوال في المسألة: أولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عنى بذلك الوجه والكفان، ويدخل في ذلك الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب، وإنما قلنا في هذا أنه أولى الأقوال لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها[2].

وقال القرطبي معقباً على قول ابن عطية، وخلاصته: أن المعفو عنه للمرأة من إظهار الزينة هو ما تدعو إليه الضرورة قال: هذا قول حسن إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة، والحج، فيصلُح أن يكون الاستثناء في الآية راجعاً إليهما[3].

واستدل بعض العلماء لهذا الوجه من تفسير الآية بحديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه أبو داود[4] أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها عليه الصلاة والسلام، وقال: يا أسماء: إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه.. وهذا الحديث قواه الألباني

---

(١) راجع عن هذا الموضوع الكتب التالية: ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن: ١١٧/١٨ ـ ١١٩، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٢ ـ ٢٣٠، وتفسير ابن كثير ٢٨٣/٣، والشوكاني: فتح القدير ٢٣/٤، ومحمد الأمين بن محمد المختار: أضواء البيان ١٩٢/٦ ـ ٢٠٢، ٥٩٧، وما بعدها، طبعة عالم الكتب، بيروت، [د. ت] وابن رشد الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ١١٥/١، الطبعة السادسة، دار المعرفة ١٤٠٣ هـ.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ١١٩/١٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٢.

(٤) سنن أبي داود ٦٢/٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، [د. ت].

بتعدد الطرق[1].

وهذه الأقوال التي تبيح للمرأة كشف شيء من بدنها يشترط فيها ألا يؤدي ذلك إلى فتنة، أو مفسدة، أما إذا خشيت الفتنة فإن المجيزين لكشف الوجه والكفين يختلفون: فيرى بعضهم أن المرأة يجب عليها سترهما حينئذ، ويرى آخرون أنه لا يجب عليها سترهما، وإنما يجب على الأجنبي غض البصر عن النظر إليهما[2].

وقد سقنا أقوال العلماء في حكم كشف المرأة عن وجهها لنبين بذلك أن هذه التهمة التي رمى بها ابن تومرت المرابطين ليست صحيحة وهي أن كشف وجه المرأة تشبه بالرجال، والتشبه بهم حرام.

ذلك أن كشف النساء عن وجوههن لا يعد تشبهاً بالرجال أصلاً، ولم يقل أحد من المسلمين بذلك فيما أعلم.. إلا ابنَ تومرت.

بل إن جمهور العلماء أصحابُ المذاهب ـ رحمهم الله ـ ومنهم الإمام مالك الذي تبنى المرابطون مذهبه ـ أجازوا للمرأة كشف وجهها وكفيها كما رأينا، فالمرابطون خلاصة أمرهم أنهم ساروا على نهج الإمام مالك رحمه الله، وفتياه في هذه القضية، وما قاله جمهور علماء المسلمين.

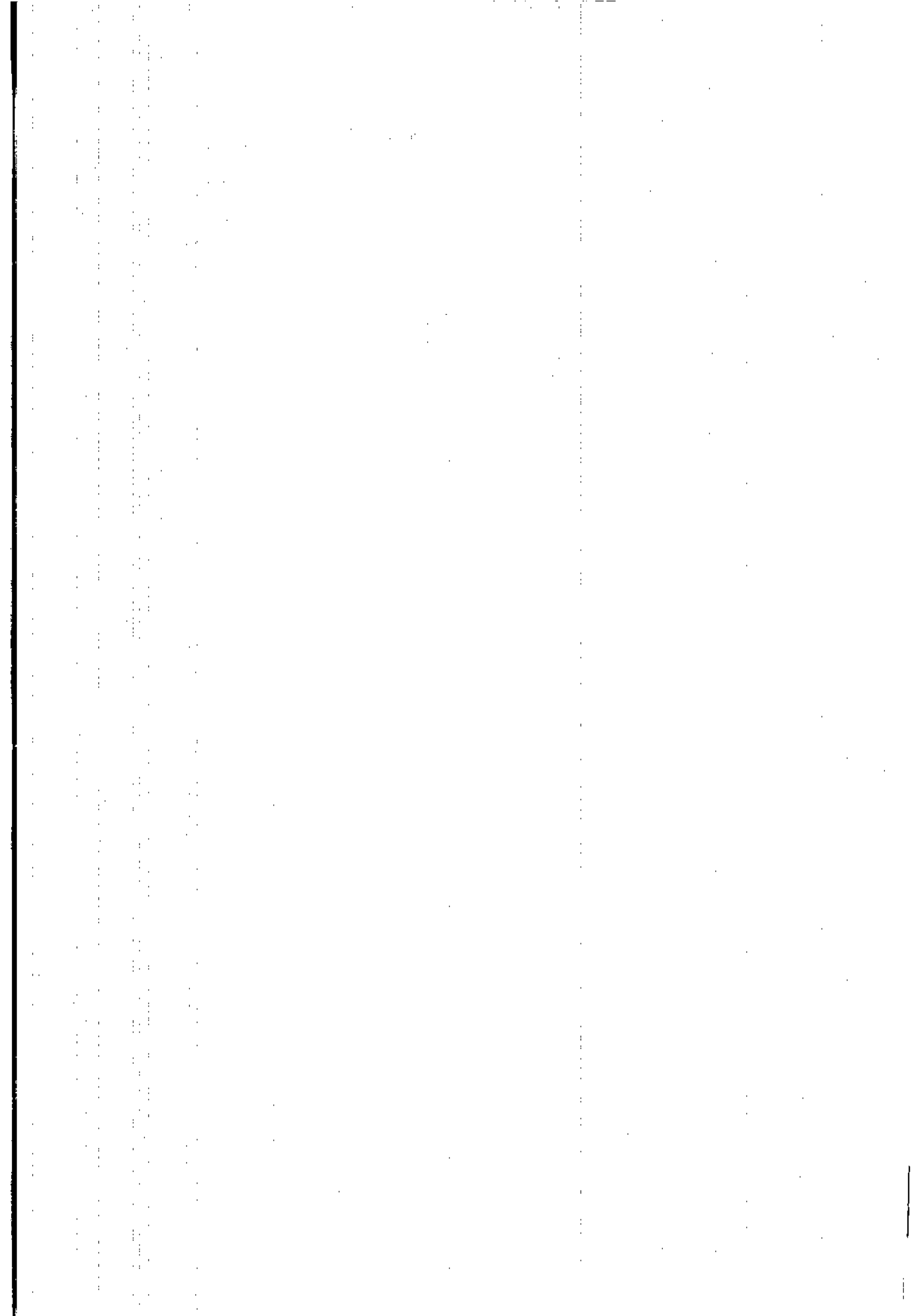
فتهمة ابن تومرت إذن تهمة باطلة، وباردة، وإن كنت أرى أن ستر وجه المرأة وكفيها أطهر لقلوب الرجال والنساء، وأبعد عن أساب الفتنة، وأقوى في جانب الاحتياط، لا سيما في هذا الزمان، الذي كثر فيه الفساد، وتيسرت وسائله، وكادت أن تعم به البلوى.

---

(١) قال الألباني: فيه سعيد بن بشير، وهو ضعيف، لكن الحديث جاء من طرق أخرى يتقوى بها، راجع كتابه حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ١٤٠٥ هـ.

(٢) صالح عبد السميع الأبي الأزهري، جواهر الإكليل شرح مختصر خليل ٤١/١، دار الفكر بيروت، [د. ت] والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٢.

ولا يخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها، ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها، كما هو معروف، لذا فإن الأولى أن نحتاط ونبتعد عن أسباب الفتنة، ونكون على تمام المحافظة خشية الوقوع فيما لا ينبغي.



الفصل الرابع
دخول الأشعرية في المغرب

وانتشارها في موريتانيا

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دخول الأشعرية في المغرب.

المبحث الثاني: انتشار الأشعرية في موريتانيا.

المبحث الأول
دخول الأشعرية في المغرب

سبق أن ذكرنا أن المغرب الإسلامي ظل على الصعيد التاريخي العام قبل ظهور دعوة ابن تومرت على عقيدة السلف، وفي هذا الفصل سوف نتعرض لدخول العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب الإسلامي، وانتشارها في القطر الموريتاني.

لقد درج المؤرخون وعلى رأسهم ابن خلدون على أن الأشعرية لم تكن معروفة في هذه البلاد حتى جاء بها ابن تومرت حيث يقول: «وجاء المهدي على أثرهم ـ أي المرابطين ـ داعياً إلى الحق آخذاً بمذاهب الأشعرية، ناعياً على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة، وما يؤول إليه ذلك من التجسيم، كما هو معروف في مذهب الأشعرية[1]».

ويقول ابن خلدون أيضاً في تاريخه: إنه ـ أي ابن تومرت ـ لقي أئمة الأشعرية بالمشرق وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه. بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم[2].

---

(١) المقدمة ص ٢٣٠، وراجع سير أعلام النبلاء المصدر السابق ٥٤٨/١٩.

(٢) العبر: ٢٢٦/٦.

وقد حذا المقريزي حذو ابن خلدون عندما عرض لوصول العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب وانتشارها بقوله:

«وتوجه أبو عبد الله محمد بن تومرت إلى العراق، وأخذ مذهب الأشعري عن أبي حامد الغزالي، ولما عاد إلى المغرب قام في المصامدة، ووضع لهم عقيدة تلقفها عنه عامتهم، وبعد وفاته خلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي[1] وتغلب على المغرب، وصارت دولة الموحدين تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، فكان هذا هو سبب اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره[2].

والحقيقة أن ابن تومرت ليس هو أولُ من أدخل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، بل دخلت قبله في وقت مبكر، فالمعروف أن الفقيه أبا عمران الفاسي المتوفى عام ٤٣٠ هـ رحل إلى بغداد في عام ٣٩٩ هـ وتلقى أصول المذهب عن القاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٣ هـ[3].

كما رحل أبو الوليد الباجي المتوفى عام ٤٧٤ هـ إلى المشرق وتردد على كثير من مراكز العلم، وجلس بالموصل سنة فأخذ عن أبي جعفر السمناني المتوفى عام ٤٤٤ هـ[4].

---

(١) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي، درس على محمد بن تومرت، وبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء، والعسر، واليسر، والأمن، والخوف، عهد له ابن تومرت بالخلافة من بعده، وبايعه الموحدون بعد وفاة ابن تومرت عام ٥٢٤ هـ، توفي عام ٥٤٨ هـ. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٧٣، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٢، وعبد الواحد المراكشي: المعجب ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) المقريزي: الخطط ٣٥٨/٢، وعبد الله بن محمد الغنيمان: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الطبعة الأولى مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٥ هـ.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢٤٤/٧، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٢ هـ.

(٤) المصدر السابق نفسه ١١٧/٨ ـ ١١٨، ومحمد السليماني: مقدمة قانون التأويل لابن العربي ص ٤٠، وعبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة، ترجمة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، ومراجعة الدكتور محمد عبد الحليم محمود، =

ويذكر أن الفقيه أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي المتوفى عام ٤٨٩ هـ هو أول من أدخل علوم الاعتقادات[١] إلى المغرب الأقصى[٢].

ورحل أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المتوفى عام ٥٤٣ هـ إلى بغداد ودرس في المدرسة النظامية[٣]. وأخذ العقيدة الأشعرية عن أبي حامد الغزالي، وإسماعيل الطوسي[٤]. وعاد إلى بلاد المغرب عام ٤٩٤ هـ[٥].

وكان ذلك قبل رحلة ابنُ تومرت إلى المشرق بست سنوات[٦].

وقبل عودته إلى المغرب من هذه الرحلة، بعقد ونصف من الزمن،

= الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦ هـ.

(١) يذكر الدكتور علي سامي النشار: أن المراد بعلوم الاعتقادات هو العقيدة الأشعرية، راجع مقدمته لكتاب السياسة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي ص ٢٧.

(٢) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص ١٠٦، وعصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص ١٤٣.

(٣) أنشأ هذه المدرسة في بغداد الوزير السلجوقي: نظام الملك المتوفى عام ٤٨٦ هـ وافتتحت رسمياً سنة ٤٥٩ هـ وتقتصر مناهجها الدراسية على دراسة الفقه الشافعي وفن الكلام على طريقة الأشعري، ومن أهم أهدافها مناهضة المذاهب العقدية الأخرى ولا سيما المعتزلة والإمامية، راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٥/٢٠٤، وابن خلكان: وفيات الأعيان ١/٣٩٥. والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/٩٤، ومحمد السليماني: دراسة وتحقيق لكتاب قانون التأويل لابن العربي ص ٤٥٠.

(٤) هو أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الحاكمي الطوسي، من تلاميذ الجويني كان رفيق الغزالي، يحترمه ويكرمه وكان فقيهاً بارعاً، وعابداً، وورعاً، توفي بطوس عام ٥٣٠ هـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/٣٥١.

(٥) ابن العربي، قانون التأويل ص ٨٨، ٤٤٦، ٤٥٤، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٤ ـ ١٢٩٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت [د. ت].

(٦) ذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه: المعجب ص ١٧٨: أن محمد بن تومرت رحل إلى المشرق في طلب العلم عام ٥٠١ هـ وانتهى إلى بغداد فسمع الحديث بها ودرس شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين.

حيث توجه إلى بلاد المغرب عائداً من هذه الرحلة عام ٥١٠ هـ[1].

وهنا قد يتساءل البعض قائلاً: إذا كان هؤلاء العلماء قد رحلوا إلى العراق واعتنقوا العقيدة الأشعرية فيه، وعادوا إلى بلادهم في المغرب قبل أن يغادر ابن تومرت مسقط رأسه في المغرب متوجهاً إلى المشرق، فلماذا يكون الرأي السائد عند كثير من المؤرخين، والباحثين، أن ابن تومرت هو الذي أدخل الأشعرية في بلاد المغرب؟.

والجواب عن ذلك كالتالي:

لا شك أن أهل المغرب الإسلامي عرفوا العقيدة الأشعرية قبل ظهور ابن تومرت، ولكن هذه المعرفة اقتصرت على بعض العلماء الأفراد، ولم يشتهروا بالدعوة لها.

أما بعد عودة ابن تومرت من رحلته المشرقية فقد تغير الحال تغيراً جذرياً حيث حمل ابن تومرت لواء الدعوة إلى العقيدة الأشعرية، وقام بتشويه مذهب السلف ومحاربة أهله، ومكن للعقيدة الأشعرية بالقوة حتى فرضها مشرباً عقدياً وحدياً تسانده دولةٌ بكاملها، وأصبحت الأشعرية هي السائدة في المنطقة، بينما كانت محصورة في أفراد من العلماء كما مر، ويؤكد كثير من المراجع أن العقيدة الأشعرية لم يكن لها وجود لدى جماهير الناس، ولا في مناهج الدراسة، إلا بعد نجاح دعوة ابن تومرت في الاستيلاء على الحكم في بلاد المغرب[2].

ولذلك فإن ابن تومرت يعتبر هو الذي أدخل الأشعرية إلى بلاد المغرب دخولاً له تأثير على جماهير الناس، ومكن لها في البلاد حتى

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٧٣.

(٢) راجع: ابن خلدون: العبر ٦/ ٢٢٧، وأحمد المختار: إكمال تحفة الألباب ٣/ ٩٢، ومحمد السليماني: مقدمة قانون التأويل ص ٣٩ ـ ٤١، والسيد محمد أبو العزم المرجع السابق، ص ٢٥٩، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ١١٧.

أصبحت هي العقيدة السائدة بعد أن كان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم[1].

ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل دعوة ابن تومرت، وإنما نقتصرُ على ذكر الحملة العنيفة التي شنها الموحدون على أهل السنة والجماعة، فبعد أن استتب الأمر في المغرب لأتباع ابن تومرت عام ٥٤٢ هـ قاموا بتعقب الدولة المرابطية، تعقباً لا هوادة فيه ولا رحمة، واستأصلوا شأفة أنصارها البارزين، وضربوا على أيدي فقهاء المالكية السلفيين الذين كانت لهم اليد الطولى في عهد المرابطين، واستحلوا دماء أهل السنة، وقتلوا منهم خلائق لا يحصيها إلا الله خالقُها، وفرضوا العقيدة الأشعرية في المغرب بالسيف[2].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٤٨/١٩.

(٢) المقريزي: الخطط ٣٥٨/٢، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٨٦، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٢٣.

المبحث الثاني
انتشار العقيدة الأشعرية في موريتانيا

تمهيد:

تقدم الحديث في المبحث السابق عن دخول الأشعرية في بلاد المغرب بوجه عام، وفي هذا المبحث سوف نتناول انتشارها في موريتانيا، وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع، أريد أن أشير إلى أمرين:

أولهما: أن الأوضاع الدينية، والثقافية، والسياسية، ظلت غامضة في بلاد شنقيط، من نهاية الدولة المرابطية حتى القرن العاشر الهجري[1].

وثانيهما: أن موريتانيا والمغربَ لم يعودا يشكلان دولة واحدة بعد زوال حكم المرابطين، ولم تعد لأي واحدة منهما سلطة على الأخرى، وإن كانت الصلات العلمية والدينية ظلت قائمة بينهما على مدى التاريخ[2].

لقد مر معنا أن الموحدين استتب لهم الأمر في المغرب وضربوا على أيدي فقهاء المالكية السلفيين، وفرضوا العقيدة الأشعرية، ولكننا لم نتحدث عن انتقال العقيدة الأشعرية إلى بلاد شنقيط، وانتشارها في تلك المنطقة، ومتى؟ وكيف تم ذلك؟..

---

(١) معهد البحوث، المرجع السابق ص ١٦، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ١١٣.

(٢) راجع معهد البحوث، المرجع السابق ص ١٦، ٧٨، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٢٣.

هذا ما سنحاول الإجابة عليه، على الرغم من أن الأوضاع في بلاد شنقيط في هذه الفترة ظلت غامضة إلى حد تعسر معه معرفة الحقيقة ذلك أن المصادر لا تذكر من أخبار هذه الحقبة التاريخية من حياة موريتانيا إلا القليل.

إن انقسام المنطقة بعد نهاية حكم المرابطين إلى دولتين: مغربيةٍ وصحراوية، تعرف ببلاد شنقيط، أدى إلى عزلة هذه الأخيرة وجهالة ما يجري فيها من أوضاع، ومع هذا الغموض فإن بعض المصادر تذكر أن رحلة العلماء المغاربة إلى بلاد شنقيط استمرت لفترة طويلة، وأن عدداً من هؤلاء العلماءِ استقروا في مناطق مختلفة من البلاد، وكانوا يدرسون فيها علوم الدين في فترات متفاوتة، وفي الوقت ذاته زار المنطقة عدد من الرحالة، تحدثوا عن بعض المجالات فيها، ولم يتحدثوا عن الحالة العقدية، والدينية، بوجه عام، عدا ابن بطوطة، فإنه تحدث عن بعض الجوانب الدينية، ولم يتطرق لجانب العقيدة، وقد خص مدينة ولاته بالجانب الأكبر من اهتمامه، حيث أقام بها خمسين يوماً، واستضافه أهلها وأكرموه.

يقول في حديثه عن أهل هذه المدينة: وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن، وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات[١].

وقال ابن بطوطة: إن معظم سكان منطقة ولاته من قبيلة مسوفة وأنهم لا غيرة لهم على نسائهم[٢].

كما تحدث عن نظام التوريث في ولاته وقال: إنه مخالف لأحكام التوريث في الإسلام[٣].

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٦٦١.

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٣) سيأتي كلامه عن نظام التوريث في ولاتة، في الفصل الآتي.

أما العلماء الذين قدموا على المنطقة ودرسوا فيها علوم الدين فهم كثيرون، وسنقتصر على ذكر أمثلة منهم فيما يلي وهم:

١ ـ نور الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري العالم النحوي، المتوفى عام ٧٢٤ هـ رحل من المغرب إلى بلاد التكرور[١]. وأقرأ فيها القرآن، ثم قدم على القاهرة، وأخذ عنه العربية بها جماعة منهم جمال الدين الأسنوي[٢].

٢ ـ عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحيى بن معاوية الزموري العالم المؤرخ الأديب شارح كتاب، [الشفا] رحل إلى مدينة ولاته واستقر بها، ودرس بها العلوم الشرعية، وكان حياً في عام ٨٨٨ هـ[٣].

٣ ـ أحمد الذهبي: الشريف التلمساني، الفقيه، رحل إلى مدينة شنقيط وأقام بها مدة، يدرس علوم الدين، وهو أول من درس مختصر خليل بن إسحاق في موريتانيا، وكان حياً في نهاية القرن العاشر الهجري[٤].

٤ ـ الشاب الشاطر: وهو شريف علوي حسني من أهل مدينة فاس ذكره البرتلي باسم: الشريف الشاب، وقال إنه كان حياً في عام ١٠٤٥ هـ وأشاد بعلمه[٥].

وذكره أحمد بن الأمين باسم: الشاب الشاطر، وبه يعرف في شنقيط المدينة والقطر.

---

(١) عرفت بلاد موريتانيا باسم [بلاد التكرور] في مرحلة سابقة، كما تقدم في الفصل الأول صفحة: ٥٢. واعتمد أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي هذه التسمية في تأليفه عن أعيان المنطقة، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور... وقال في تعيين المنطقة: والتكرور إقليم واسع ممتد شرقاً إلى إدغاغ ومغرباً إلى بحر بني الزناقية وجنوباً إلى بيط وشمالاً إلى آدرار، فتح الشكور ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٩٦.

(٣) عبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٩٧.

(٤) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٧٣، ٩٨.

(٥) البرتلي: فتح الشكور ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

يقول ابن الأمين: وهو من العجائب، وساق طرفاً من قصته، وما ظهر على يديه من خوارق العادات، وقال: إن أهل شنقيط وجدوه بحراً لا ساحل له، وأنه اختار منهم أربعة طلاب أذكياء وركز على تعليمهم، ولما أراد السفر عنهم عائداً إلى بلاده قال لهم: تركت فيكم المحمدين والعبدلين[1]، ويعني بذلك الأربعة الذين كان يعلمهم.

ومع أن الأوضاع الدينية في هذه الفترة لا يزال فيها غموض فإننا نجد بعض المصادر التي تحدثت عن الحالة العقدية في هذه الحقبة التاريخية تصفها بأنها سيئةٌ.. وأهم هذه المصادر رسالة محمد بن محمد بن علي اللمتوني التي أرسلها إلى جلال الدين السيوطي في شوال عام ٨٩٨ هـ.

وجاء في هذه الرسالة ما يدل على أن بعض أهل تلك البلاد رجعوا إلى الشرك والوثنية، بعد عهد المرابطين، حيث يقول صاحبها فيها:

«ومنهم من عادته بناء المساجد، وتلاوةُ القرآن، والعلوم، والمدائح، والحج، ومع ذلك يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، ومنهم من يجحد البعث، والحشر، والنشر، والحساب، والثواب، والعقاب، وعندهم طلمسات للنكاح، والبيع، والشراء، والمحبة، وغير ذلك[2]».

كما أن الفقهاء ابتعدوا عن الكتاب والسنة حيث ورد في هذه الرسالة عن فقهاء في تلك البلاد: عادتهم ترك القرآن والسنة، وأخذ الرسالة، والمدونة الصغرى، وابن الجلاب، والطيطليَ، وابن الحاجب، حتى عادوا من يفسر القرآن، وإذا سمعوا آية تتلى لتفسيرها نفروا عنها نفرة الحمر الوحشية[3].

وعلى أي حال فإن هذه الفترة هي التي انتشرت فيها العقيدة الأشعرية

(١) أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

(٢) السيوطي: الحاوي للفتاوي ١/٢٨٧، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.

(٣) المصدر السابق نفسه ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨.

وسادت فيها، وسيكون الحديث عن بداية الانتشار الحقيقي للأشعرية في القطر الموريتاني، وأسبابُ ذلك في الموضوع التالي، إن شاء الله تعالى.

بداية الانتشار الحقيقي للأشعرية وأسبابه:

بدأت العقيدة الأشعرية تنتشر وتترسخ في القطر الموريتاني حين ظهر علماء أشاعرةٌ مشاهير في المغرب، ونقلت مؤلفاتهم إلى محاضر موريتانيا، واعتمدت جزءاً من مناهجها، وفي الوقت ذاته اتجهت أفواج من الطلاب إلى مراكز العلم في المغرب، وتلقوا تعليمهم فيها على أيدي علماء أشاعرة، ثم عادوا إلى بلادهم، ونشروا فيها العلوم التي درسوها. وسنحاول فيما يلي أن نلقي الضوء على ذلك.

لقد كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب الأشعري في المنطقة ظهور السنوسي[1] في المغرب، رائداً للمذهب الأشعري.

فقد كان لبروزه دور مهم في ثقة الموريتانيين في علمه، وإقبالهم على مؤلفاته، ونقلها إلى بلادهم، وذلك لأن السنوسي كما كان رأس الأشعرية، كان أيضاً رأس المالكية بالمغرب في زمنه، فكان ذلك حافزاً للإقبال على مؤلفاته في العقيدة، واعتمادها في مناهج المحاضر[2].

وقد اعتنى الموريتانيون بمؤلفات السنوسي في العقيدة الأشعرية، عناية فائقة، فكانوا يستقصون في دراستها فيستوعبونها حفظاً وفهماً، ثم يقومون

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي الفقيه، أحد أعلام الأشعرية في بلاد المغرب، له تآليف كثيرة خصوصاً في العقائد، ومن ذلك: الكبرى وشرحها، والوسطى وشرحها، والصغرى وشرحها، وصغرى الصغرى وشرحها، وشرح أسماء الله الحسنى، وله مختصر في المنطق، وشرح عليه، توفي بتلمسان عام ٨٩٥ هـ البيجوري حاشية على متن السنوسية ص ٢، دار إحياء الكتب العربية في مصر [د. ت] ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٢٦٦.

(٢) راجع المبحث الرابع من الفصل الأول من هذا البحث.

بنظمها وشرحها بعد ذلك[1].

ويتضمن هذا المعنى كلام المختار بن بون في وسيلته حيث يقول:

نظماً حوى عقائد الشريف	محمدِ السنوسي الظريف
لخصت فيه ما حوته الصغرى	مع ضمنِ وسطاه وضمنِ الكبرى
سميته وسيلة السعادة	في نشر ما تضمن الشهادة[2]

وظهر من بعد السنوسي عبد الواحد[3] بن عاشر، وكان لكتبه رواج وتأثير كبير، ولا سيما مقدمته في العقيدة الأشعرية التي بدأ بها نظمه المسمى «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» حيث أن هذا النظم يدرس للتلاميذ في المراحل الأولى من الدراسة[4].

ومن علماء المغرب الأشاعرة الذين اعتنى الموريتانيون بمؤلفاتهم أحمد المقري[5] فقد كان لكتبه تأثير عميق في المؤسسات التعليمية

---

(١) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ص ٣٣٧.

(٢) المختار بن بون، وسيلة السعادة ص ٦، مخطوط، توجد عندي صورة منه.

(٣) هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي، ثم الفاسي، له اليد الطولى في كثير من العلوم، وخاصة في علم القراءات، وتوجيهاتها، وعلم الكلام، والمنطق، والفقه، وأصوله، والفرائض، والنحو، والبيان، والعروض، والطب، وعلم الحساب، ت ١٠٤٠ هـ محمد الطالب بن الحاج علي مبارة: شرح المرشد المعين لابن عاشر ص ٣ ـ ٤، المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٤) تقدمت الإشارة إلى ذلك، راجع المبحث الرابع من الفصل الأول.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري الملقب شهاب الدين، ولد في تلمسان عام ٩٨٦ هـ، كان من أبرز علماء الأشعرية في عصره، كثير الترحال في الأقطار الإسلامية، له مؤلفات عديدة منها [نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب]، يقع في سبع مجلدات، توفي بمصر عام ١٠٤١ هـ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ والدكتور إحسان عباس، مقدمة كتاب نفح الطيب لأحمد المقري ١/ ٥ وما بعدها، طبعة صادر بيروت ١٣٨٨ هـ.

[المحاضر] ولا سيما منظومته المسماة [إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة] التي قال عنها العلامة بداه بن البصيري: إن عليها الاعتماد في بوادي وحواضر تلك البلاد[1].

هذه نماذج من المؤلفات المغربية التي اعتمدت في محاضر موريتانيا وهي تمثل مذهب الأشعري الأوسط، الذي رجع عنه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، التي دونها في كتابيه الإبانة ومقالات الإسلاميين.

والمعروف أن الأشعرية يقسمون الصفات الإلهية، فيثبتون بالعقل ما يسمونه: الصفات النفسية، والسلبية، وصفات المعاني، والصفات المعنوية، ويؤولون الصفات الفعلية[2].

وسنورد هنا نصوصاً من هذه المؤلفات التي ظل عليها المعول في تلك البلاد عدة قرون لنلقي الضوء بذلك على مسلكها العقدي:

يقول السنوسي: «فمما يجب لمولانا عز وجل عشرون صفة وهي: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية، فهذه ست صفات الأولى نفسية، وهي الوجود، والخمسة بعدها سلبية، ثم يجب له تعالى سبع صفات تسمى صفات المعاني وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام الذي ليس بحرف ولا صوت، ثم سبع صفات تسمى صفات معنوية، وهي: ملازمة للسبع الأولى وهي: كونه تعالى قادراً، ومريداً، وعالماً، وحياً، وسميعاً، وبصيراً، ومتكلماً، ومما يستحيل في حقه تعالى عشرون صفة وهي أضداد، العشرين الأولى»[3].

---

(١) بداه بن البصيري: الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، ص ١.

(٢) راجع الدسوقي على أم البراهين للسنوسي ص ٩٢، طبعة دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه [د. ت].

(٣) محمد بن يوسف السنوسي أم البراهين ضمن كتاب مجموع مهمات المتون ص ٣ - ٤، الطبعة الرابعة، دار الفكر ١٣٦٩ هـ.

وفي مسألة أفعال العباد يقول السنوسي: ينسب الفعل لله خلقاً واختراعاً، وللعبد كسباً واقتراناً، فلا استحالة في دخوله تحت قدرتين لاختلاف جهة التعلق أعني الخلق والكسب[1].

وقد بين عبد الواحد ابن عاشر اتجاهه الديني الذي أراد تحريره في نظمه المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، سواء في ذلك العقيدة أو الفقه أو التصوف، وذلك بقوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك ... وفي طريقة الجنيد[2] السالك[3]

ثم بدأ الحديث عن الصفات الإلهية بقوله:

يجب لله الوجود والقدم ... كذا البقاء والغنى المطلق عم
وخلفه لخلقه بلا مثال ... ووحدة الذات ووصف والفعال
وقدرة إرادة علم حياة ... سمع كلام بصر ذي واجبات
ويستحيل ضد هذه الصفات ... العدم الحدوث ذا للحادثات
والسمع والبصر والكلام ... بالنقل مع كماله ترام

قال الشارح:

يجب له تعالى وجوباً عقلياً مختصاً به أن يتصف بهذه الصفات الثلاثة

---

(١) محمد بن يوسف السنوسي أم البراهين مع حاشية الدسوقي ص ٩٢.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، قال عنه الذهبي: إنه شيخ الصوفية، أتقن العلم ثم أقبل شأنه وتأله وتعبد ونطق بالحكمة وقال عن نفسه، ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات، وعلمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به ت ٢٩٧ هـ. سير أعلام النبلاء ٦٦/١٤ ـ ٧٠، تحقيق أكرم البوشي وشعيب الأرنؤوط، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٢٠.

(٣) عبد الواحد بن عاشر: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين مع شرحه الحبل المتين، لمحمد بن محمد المراكشي: الناشر: مكتبة القاهرة، شارع الصنادقية بميدان الأزهر ١٣٩١ هـ.

عشرة[1].

وقد صرح أحمد المقري في البيت الأول من إضاءته بأنه أشعري العقيدة بقوله:

يقول أحمد الفقير المقري المغربي المالكي الأشعري[2]

وسلك في إضاءته المنهج الأشعري في تقسيم الصفات، وجعل كل قسم منها تحت فصل خاص به، وبدأ الحديث عن ذلك بقوله:

فصل في الصفات النفسية والسلبية وما ينافيهما.. ثم أتبع ذلك بقوله:

أعرف من الصفات ما الدليل دل على وجوبه له عز وجل
وهي الوجود والبقاء والقدم وانف الحدوث والفناء والعدم[3]

ثم قال:

فصل في المعاني:

والعلم والحياة والقدرة مع إرادة الله بها العقل قطع
والسمع والبصر والكلام جاء بها النقل ولا ملام
إذ كل ما لم يتوقف شرع عليه فالدليل فيه السمع
وعكسه ممتنع للدوري فاقطف بأيدي الفهمَ أبهى النور[4]

ثم عقد فصلاً آخر للصفات المعنوية قال فيه:

والسبع لازمت صفات تسمَى بمعنوية إليها تنمى

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٤، ٧.

(٢) أحمد المقري: إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، بشرح محمد بن أحمد الشنقيطي ص ٣.

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٢٠.

(٤) المصدر السابق نفسه ص ٣٤ ـ ٣٥.

كون الإله عالماً قديراً حياً مريداً سامعاً بصيراً
وذا كلام والمقال حال بعدها على ثبوت الحال[1]

وفي مسألة الكسب يقول أحمد المقري:

نعم له كسب به يكلف شرعاً ولا تأثير منه يؤلف[2]

أما قضية التأويل، فإن أحمد المقري يدعى الإجماع على صرف ألفاظ الكتاب والسنة عن ظاهرها إذا أوهمت غير اللائق بالله عز وجل.

حيث يقول:

والنص إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعاً[3] واقطع عن الممتنع الأطماعا
وما له من ذاك تأويل فقط تعين الحمل عليه وانضبط[4]

كانت تلك نصوصاً من المؤلفات الأشعرية التي اعتمدت في منهج العقيدة في المحاضر الموريتانية.

أما بالنسبة لصلة الموريتانيين بالمراكز العلمية والدينية في المغرب فقد كانت موجودة باستمرار، حيث ظل الطلبة الموريتانيون يترددون على جامع القرويين، وعلى الزوايا الصوفية بالمغرب.

ومما شجع على استمرار هذه الصلة، وحدة المذهب المالكي، وكون

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣١.

(٣) تقدم الرد على دعوى الإجماع على وجوب صرف اللفظ المزعوم أنه غير لائق بالله عز وجل عن ظاهره، وبينا أنه يستحيل أن يصف الله تعالى نفسه أو يصفه رسوله ﷺ بما ظاهره غير لائق بجلاله، وكماله، إذ أنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله الكريم محمد ﷺ، راجع ص ٣٨ من هذا الكتاب.

(٤) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ص ٨٨.

الطرق الصوفية[1] في كلا القطرين واحدة[2] وما آل إليه الأمر من سيادة العقيدة الأشعرية في كلا البلدين.

وسوف نقتصر هنا على أمثلة من علماء الشناقطة الأشاعرة والمتصوفة[3] الذين درسوا في المغرب وعادوا إلى بلادهم، وتلقاهم الناس بالقبول، وانتشر علمهم في المنطقة.

ومن أبرز هؤلاء العلماء وأكثرهم نشراً للعقيدة الأشعرية وتعمقاً فيها، ابن رازكة[4].. قال عنه البرتلي: وحيد دهره، وفريد عصره، عارفاً بعلم أصول الدين، ماهراً في المنطق، أخذ عقائد أهل السنة، وعلم المعاني، والبيان، والمنطق عن عدة من الأشياخ الجلة، الذين أدركهم في المغرب الأقصى والسوس الأدنى، كالسيد أحمد العطار، وأبي مدين القاضي الأكبر، وأحمد بن يعقوب الولالي، عن محمد ميارة الفاسي، عن أحمد المقري، عن عمه الإمام سعيد الشهير بالكفيف، عن الإمام السنوسي[5].

وقد تخرجت على يده جماعة وافرة من العلماء، منهم: أحمد بن

---

(١) تقدم الكلام عن الطرق الصوفية المنتشرة في موريتانيا وهي كلها مستمدة من المغرب، راجع المبحث الأخير من الفصل الأول من هذا البحث.

(٢) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٣٤، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٤٩ - ٥١، ومحمد سعيد بن دهاه، شرح وتحقيق لديوان ابن رازكة ص ١٩، مطبعة النجاح الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(٣) تقدم الكلام عن التصوف في المبحث الأخير من الفصل الأول ص ١٣٩. وإنما ذكرناه هنا لأن بعض الذين درسوا في المغرب قد اقترن أخذهم للعلم باعتناقهم للتصوف.

(٤) ابن رازكة: هو عبد الله بن محمد بن الفقيه القاضي عبد الله العلوي، درس في محاضر موريتانيا ثم رحل إلى المغرب، وأخذ عن عدد من علمائه، وكان فصيح اللسان، ذكي الجنان، له اليد الطولى في اللغة العربية وعلومها، وعلم الكلام، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، ويعتبر من أبرز علماء وشعراء القرن الثاني عشر الهجري ت: ١١٤٣ هـ. فتح الشكور ص ١٦٢، ومحمد سعيد بن دهاه: شرح ودراسة وتحقيق لديوان ابن رازكة ص ١٥ وما بعدها.

(٥) هو محمد بن يوسف السنوسي، تقدمت ترجمته في هذا المبحث ص ٢٧١.

محمد الزيدي[1]، الذي قرأ عليه التفسير، وتآليف السنوسي، وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة[2].

ومن تلاميذ ابنِ رازكه الذين اشتهروا بعده ونشروا العقيدة الأشعرية على نطاق واسع المختار بن بون[3] حامل لواء الأشعرية في عهده، والمعول على آرائه عند أشاعرة بلاده.

ورحل إلى المغرب، الشيخ محمد عبد الله بن أبي بكر[4] فدرس على الشيخ أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي القراءاتِ العشر، وكثيراً من

---

(١) أحمد بن محمد الزيدي: فقيه ولغوي أخذ العقيدة الأشعرية عن ابن رازكه، له عدة مؤلفات، قال عنه تلميذه البرتلي: لم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله، راجع: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦٢ ـ ١٦٤، وأحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص: ١ ـ ٣.

(٣) محمد سعيد بن دهاه، المرجع السابق ص ٢٠، والمختار بن بون الجنكي علامة جليل واسع الاطلاع، شديد الذكاء، له شهرة عالية، برع في جميع المعارف العلمية السائدة في عصره ولا سيما علم الكلام، وعلم النحو، قال عنه تلميذه حرم بن عبد الجليل مادحاً له:

وأغنى عن الشيخ السنوسي منطقاً وعلم كلام من يريد التعلما

وقال عنه أحمد بن الأمين إنه: تاج العلماء الذي طوق بحلي علمه كل عاطل، ووردت هيم الرجال زلاله، فصدر عنه كلهم وهو ناهل ولا يوجد عالم في بلاده إلا وله الفضل الجزيل بما استفاد من مصنفاته، وتلقى من سنداته، ويكفيه أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه، وكفى الناس مشقات مؤنه.. له مؤلفات عديدة منها في العقيدة الأشعرية: وسيلة السعادة، وقد لخص فيها عقائد السنوسي الثلاث: الصغرى، والوسطى، والكبرى، ت ١٢٢٠ هـ. الوسيط ص ٢٧٧، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٦٥، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ٨٤.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي، فقيه، لغوي، أشعري العقيدة، له اليد الطولى في علم القراءات، وقد وجد الناس يلحنون في القراءة في بلاد شنقيط ويصحفون في الحروف، فأزال اللحن والتصحيف عنهم، وهو الذي أتى بالجيم الشديدة، وانتفع به خلق كثير، فصاروا أئمة يقتدى بهم، راجع الخليل النحو، المرجع السابق ص ١١٢.

الفنون، وعاد إلى بلاده بخزانة من الكتب.

وصفه البرتلي بقوله: كان إماماً جليلاً، صدراً من صدور العلماء، بحراً من مفاخر النجباء، لا تكدره الدلاء، محيياً للسنة، مميتاً للبدعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء ببلاد التكرور في زمانه وبعد صيته[1].

ورحل العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم[2] لأداء مناسك الحج وطلب العلم، وفي طريق عودته مر بالمغرب، ومكث فيه عدة سنوات، فدرس العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي على عدد من علماء المغرب منهم: الشيخ البناني محشي شرح عبد الباقي الزرقاني، على مختصر خليل بن إسحاق، والشيخ التاودي المعروف بابن سودة، وعمر الفاسي شارح اللامية، واعتنق الطريقة الشاذلية في هذه الفترة، أثناء إقامته في مدينة فاس، ثم عاد إلى بلاده وهو أشعري شاذلي، ويحمل معه مكتبة ضخمة، حصل عليها في هذه الرحلة[3].

ورحل محمد الحافظ بن محمد المختار بن حبيب العلوي المتوفى عام ١٢٣٦ هـ لأداء مناسك الحج، وفي عودته مر بالمغرب، واستقر فيه عدة سنوات، وأثناء إقامته في مدينة فاس لقي بها أحمد بن محمد المختار التجاني المتوفي عام ١٢٣٠ هـ، وأخذ عنه طريقته، وصحبه ثلاث سنين، ثم عاد إلى بلاده، وهو أشعري تجاني، وانتشر فكره في المنطقة[4].

---

(١) فتح الشكور ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، عالم واسع الاطلاع، له اليد الطولى في الفقه المالكي، وأصوله، ومصطلح الحديث، أطلق عليه في بلاده مجدد العلم في بلاد شنقيط، له عدة مؤلفات منها: مراقي السعود، في أصول الفقه، ت ١٢٣٣ هـ، الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٢٢، ومحمد المختار بن محمد الأمين: المرجع السابق ص ٩ ـ ١١.

(٣) الخليل النحوي المرجع السابق، ص ١١١ ـ ١٢٢.

(٤) عبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٣٠، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٢٢، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ١١١، وقد تقدم الكلام عن أحمد =

هذه نماذج من العلماء الموريتانيين الذين رحلوا إلى المغرب ودرسوا فيه وعادوا إلى بلادهم، وكان لهم تأثير كبير فيها.

وعلى أي حال، فإن المطالع في مناهج المحاضر، وفكرها، يلاحظ التأثير المغربي والأندلسي واضحاً، ولا سيما في العقيدة.

صحيح أن المحاضر تمتاز بطابعها الخاص ولكن انتماءها إلى المصادر المغربية والأندلسية أمر ملموس، حتى إن بعض الباحثين يرجع النهضة الثقافية في بلاد شنقيط إلى الدور الذي قام به المسلمون النازحون إلى المغرب من الأندلس بعد سقوط غرناطة في أيدي الإسبان[1].

وقد استحكم في نفوس المغاربة التعصبَ للعقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، ووصل الأمر إلى أن بعض ملوك الدولة في المغرب يعرف نفسه بأنه مالكي المذهب، أشعري العقيدة، فقد وقفت على تقريظ للملك المغربي عبد الحفيظ[2] بن الحسن قرظ به كتاب زاد المسلم للشيخ محمد حبيب الله بن مايابي الشنقيطي يقول فيه: كتبه عبد الحفيظ المالكي مذهباً الأشعري عقيدة[3].

ولا نريد أن ندخل في شرح العوامل التي أدت بالفكر المغربي إلى

= التجاني وعن تلميذه محمد الحافظ بن محمد المختار، في المبحث الأخير من الفصل الأول، من هذا البحث.

(١) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٨٥، ومحمد المختار بن أباه، المرجع السابق ص ٢٩.

(٢) هو أبو المواهب عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الحسني العلوي، من سلاطين الدولة العلوية في المغرب، كان عالماً، وشاعراً، وأديباً، له مؤلفات عديدة منها: كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، رد فيه على بعض الصوفية، وقد عزله الفرنسيون عن الملك في المغرب وولوا مكانه أخاه يوسف بن الحسن عام ١٣٣٠ هـ وأخرجوه من بلاده، ت ١٣٥٦ هـ. الزركلي: الأعلام ٤/ ٥٠ ـ ٥١، ومحمد حبيب الله بن مايابي: زاد المسلم ٥/ ٥٦٠.

(٣) المرجع السابق نفسه: ٥/ ٥٦١.

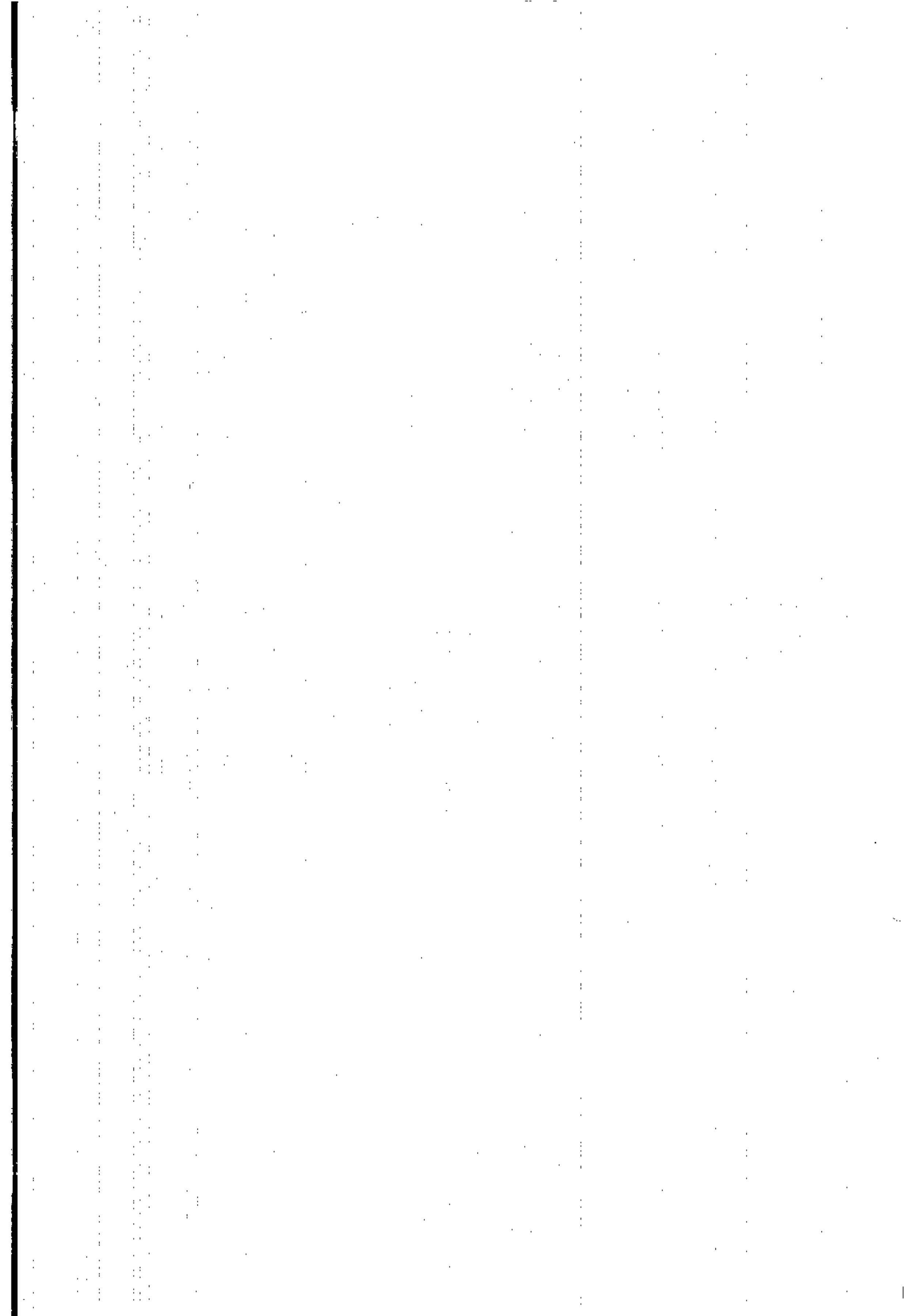
هذه الدرجة من التقليد والبعد عن اقتفاء آثار السلف الصالح، فهذا أمر يطول شرحه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الاستطراد فيه يخرجنا عن صلب الموضوع، والذي يهمنا في هذا المبحث هو انعكاس هذا الفكر على المحاضر الموريتانية، حيث فشى فيها التقليد والتعصب للعقيدة الأشعرية، حتى اعتبروا من لم يتقن هذه العقيدة عرضة للكفر والعياذ بالله تعالى.

وهذا ما صوره لنا أحمد بن الأمين عند ذكره لترتيب المعارف العلمية في المحاضر بقوله: ففيهم البعض يقرأ دواوين العرب قبل البلوغ، ثم العقائد الأشعرية، ويمضي سنين عديدة في إتقان تآليف السنوسي، حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم ليصير عندهم مؤمناً حقيقةً، وإلا فإنه إذا كان لا يقدر على معرفة أنواع الصفات، وتعيينها بالألفاظ المتداولة عندهم فهو عرضة للكفر[(١)].

وبعد هذا العرض الموجز عن دخول العقيدة الأشعرية للمنطقة وانتشارها في بلاد شنقيط، بعد استيلاء الدولة الموحدية على الحكم في المغرب، وغياب العقيدة السلفية غياباً كاملاً ردحاً من الزمن، سوف نرى في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى كيف عاد الفكر السلفي إلى البلاد وتمسكت به طائفة ظلت تحمل رايته وتجتهد في نشره، وتدافع عنه، والله الموفق.

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: ص ٥١٨.



الفصل الخامس
عودة الفكر السلفي إلى البلاد

وفيه تمهيد، ومبحثان:

التمهيد: حالة البلاد قبل دعوة الإمام ناصر الدين.

المبحث الأول: الإمام ناصر الدين، دعوته وجهاده.

المبحث الثاني: مدرسة المجيدري.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة مدرسة المجيدري والتعريف بمؤسسها.

المطلب الثاني: حاملا لواء مدرسة المجيدري من بعده.

المطلب الثالث: منهج مدرسة المجيدري في العقيدة.

التمهيد
حالة البلاد قبل دعوة الإمام ناصر الدين

لقد ترك غياب الدولة المرابطية فراغاً كبيراً في البلاد، سواء على المستوى العلمي أو الديني، أو السياسي، وقد ذل أهل السنة والجماعة في هذه الفترة.

يقول بابا بن أحمد بن محمد مبارك اللمتوني:

وأين رجال بعد لمتون للهدي ... يذبون عنه حيث زلت به النعل
فأصبح منقوض الأساس وبعدهم ... تنهنه عن تشييده البعض والكل
ولم تنتبه من بعد لمتون دولة ... ولم يك في بنيانها بعدهم ظل
وأين لأهل الله نصر وراءهم ... ألا إن أهل الله بعدهم ذلوا[1]

فقد أصبحت البلاد بعد ذهاب الدولة اللمتونية شبه فوضى، وتدهورت الأوضاع تدهوراً كبيراً في المجالات العلمية، والدينية، والسياسية، وقد تقدم في المبحث السابق ما وصلت إليه الأحوال من تدهور وانحراف في مجال العقيدة[2]..

وليست المجالات الدينية الأخرى في هذه الفترة بأحسن حالاً من العقيدة، فقد كانت هي الأخرى بعيدة عن تعاليم الإسلام الصحيحة.

---

(١) محمد المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٣٥٢.

(٢) راجع المبحث الثاني من الفصل السابق.

ونجد في رحلة ابن بطوطة التي زار فيها مدينة ولاته، وتحدث عن نظام التوريث فيها ما يلقي الضوء على ذلك.. فقد ذكر ابن بطوطة عن أهل مدينة ولاته أنهم لا ينتسبون إلى آبائهم وأن نظام التوريث عندهم مخالف لأحكام الإسلام، حيث قال: ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه، بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته، دون بنيه[(١)].

ولو ألقينا نظرة سريعة إلى رسالة محمد بن علي اللمتوني التي أرسلها للسيوطي عام ٨٩٨ هـ لوجدنا فيها ما يدل على انحطاط الحالة الدينية في هذه الحقبة. فقد جاء في هذه الرسالة ما نصه: ومنهم من صلاته بالتيمم أبداً، فلا يتوضأون إلا نادراً، ولا يغتسلون من الجنابة إلا نادراً[(٢)]. ومنهم من لا يورث، فما تركه بعده لأبناء إخوته وأهل القوة والجاه[(٣)]. ومنهم قوم لا يعدون الطلاق، فليس له عندهم حد، ومنهم من يتزوج المرأة في عدتها[(٤)]. كما عرض للمغارم الجائرة والعذاب الذي تلقاه الناس على أيدي أمراء الجور[(٥)].

وقد ازدادت الأحوال سوءاً بعد هجرة قبائل بني حسان إلى البلاد[(٦)]،

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٦٦١.

(٢) جلال الدين السيوطي: الحاوي للفتاوي ١/ ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق نفسه ١/ ٢٨٥.

(٤) المصدر السابق نفسه ١/ ٢٨٩.

(٥) المصدر السابق نفسه ١/ ٢٨٥، هذه الرسالة تعد وثيقة نموذجية تعرض حالة البلاد في تقرير موجز عن حقبة تاريخية لا يكاد يعرف شيء يذكر عن الحالة الدينية فيها، وقد تناول صاحبها فيها وصف أوضاع مختلفة، راجع نصها كاملاً وجواب السيوطي عليها في الحاوي للفتاوي، المصدر السابق ١/ ٢٨٤ ـ ٢٩٤.

(٦) نجح بنو حسان في السيطرة على القسم الشمالي من موريتانيا خلال القرن الخامس عشر الميلادي، عن وصول هذه القبائل وتعمقها في داخل البلاد، راجع معهد البحوث، المرجع السابق ص ١٩ ـ ٢٠، وأحمد ولد أبو مدين: محمد ولد أبو مدين حياته وآثاره، ص ٥ ـ ٦، بحث غير منشور، قدم للحصول على الإجازة العالية (الليسانس) من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين بنواكشوط ١٩٨١ م ـ ١٩٨٢ م.

وكانت هذه الفترة ذاتها بداية للأطماع الخارجية، والوجود الأوروبي على سواحل المنطقة[1].

هذه هي الحالة التي كانت عليها البلاد بسبب عدم قيام دولة ذاتِ سلطان تحكم الكتاب والسنة، وتحمل الناس على اتباع الحق، وتردع أهل الباطل، وتحمي البلاد من الوقوع تحت وطأة أهل الشر.

ومهما يكن من شيء، فقط ظلت البلاد بعد أفول الدولة المرابطية، تزداد سوءاً من حين لآخر، حتى أذن الله تعالى بانبلاج فجر جديد، حين قام الإمام ناصر الدين رحمه الله ـ على حين فترة من دعاء المصلحين، فأشرقت بنور دعوته، وتبدلت فيها مظاهر الحياة.. فمن هو الإمام ناصر الدين؟ وما هي حقيقة دعوته؟.. ذلك ما سأحاول الإجابة عليه في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

فقد

(١) عبد الله حميدة: المرجع السابق، ص ٣٣، وأحمد ولد أبو مدين: المرجع السابق ص ٨ ـ ١٠، محمد المختار بن السعد: نظرة تاريخية إلى شربيه، ص ٢٧.

المبحث الأول
الإمام ناصر الدين ـ دعوته، وجهاده

الإمام ناصر الدين، هو الفقيه، المجاهد، أبو بكر بن أبهم بن الفغ الشمشوي[1]، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، في وسط قبائل من الزوايا، تسود فيها المثل العليا، والاستقامة، والمحافظة على شعائر الإسلام، وتولي العلم أهمية قصوى، وقد درس في المحاضر حتى أكمل دراسته فيها، وبرز في العلوم الشرعية، اشتهر بالتقوى، والورع، والعفة، ونصرة السنة، ورفع راية الجهاد[2]..

ويصفه المختار بن جنكي بقوله:

خير فتى من قومه صواماً ... ذا ورع ولـيـلَـه قـوامـاً[3]

فقد كان رحمه الله فقيهاً، محدثاً، يهتم بالعلم والدين، ويحث على اتباع السنة، والمواظبة على تحصيل العلم مهما كانت الظروف حتى في أثناء الجهاد، وكان يتولى تدريس العلم بنفسه، ويركز على صحيح البخاري، فيروي الحديث ويشرحه، ومع ذلك كان قائداً شجاعاً ومجاهداً مخلصاً[4].

---

(١) تقدم التعريف بالقبائل الشمشوية في الفصل الأول وللتوسع راجع: محمد المختار بن السعد: نظرة تاريخية إلى شرببه ص ٢٠ ـ ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٦٩، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٣٣، ومحمد المختار بن السعد: المرجع السابق ص ٢٣.

(٣) المختار بن جنكي، غزوات الإمام ناصر الدين ص ١، [مخطوط شخصي].

(٤) محمد سعيد اليدالي، المصدر السابق، ص ٢، ومحمد الصوفي، المرجع =

وكان الإمام ناصر الدين داعية، ورجلَ علم، فهم الإسلام فهماً صحيحاً وطبقه في واقعه، فكان يعلم الناس، ويدعو إلى الله عز وجل، ويجاهد في سبيل الله، وينظم الإدارة، والشؤون المالية، على ما قضت به الشريعة الإسلامية، مع السهر على إحياء السنة، ومحاربة البدعة[1].

وقد برز هذا الداعية في مواجهة النصارى الذين كانوا حينذاك يتسابقون إلى سواحل المنطقة، ويستعدون لدخول موريتانيا لفرض استعمارهم عليها، فقاومهم بشتى أنواع المقاومة، وأضر بمصالحهم في المنطقة، وأثار شعوبها ضدهم، وكان يرفض التعامل معهم، ويَمنعَهم من تجارة الرقيق، فضاقوا بذلك ذرعاً.

وكان يبعث رسله إلى أمراء الزنوج في البلاد المجاورة، ويحثهم على مقاومة النصارى، وعدم الخضوع لهم، واتخاذ الحيطة والحذر تجاه الدول الأجنبية المتربصة بهم..

وقد استشهد رحمه الله ـ في جهاد مانعي الزكاة في موقعة [ترتلاس] عام ١٠٨٥ هـ[2].

دعوة الإمام ناصر الدين[3]

إن دعوة الإمام ناصر الدين دعوة سلفية، قامت على التمسك بالكتاب

= السابق ص ٧٠ ـ ٧١، ومحمد المختار بن السعد، المرجع السابق ص ٧.

(١) محمد اليدالي: مناقب ناصر الدين ص ٤، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٠.

(٢) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٠٥، ٥٣٣، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٣٣.

(٣) تتفق المصادر التي وقفت عليها على أن الإمام ناصر الدين كان داعية سلفياً، ولكن هذه المصادر تحجم عن الحديث عن عقيدته بالتفصيل، وبعد الاطلاع على الكتابات التي تناولت حياته، ودعوته، والمقابلات مع بعض العلماء العارفين بتاريخ الفكر الإسلامي في موريتانيا، يمكن أن نقرر أنه سلفي العقيدة، بناء على المعلومات التالية:
١ ـ أن دعوته تقوم على العمل بالكتاب والسنة والدعوة إلى تحكيمهما في كل الأمور. =

والسنة، واقتفاء آثار السلف الصالح، والجهاد في سبيل الله، ونشر العقيدة الإسلامية، ومحاربة البدع، والمنكرات، ومحاولة استنهاض القوى الإسلامية، والعودة بالمجتمع إلى ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام.

وأعادت هذه الدعوة إلى الأذهان صورة المجتمع الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين[1].

وتعتبر أهداف دعوة الإمام ناصر الدين بمثابة إحياء لدعوة المرابطين، وقد ذكرنا أن الدعوة المرابطية قامت أساساً على تعاليم الكتاب، والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ورفع الظلم عن المستضعفين[2].

وقد نسج الإمام ناصر الدين دعوته على هذا المنوال، فبدأ نشاطه بتدريس صحيح البخاري، وشراحه، والوعظ، والإرشاد[3].

وكان من أهم المبادىء التي قامت عليها دعوته مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فكان يبعث البعوث إلى السنغال، وغيره من البلاد المجاورة، فيأمرون

= ٢ ـ أن من منهجه تدريس صحيح البخاري، ومعلوم أن البخاري رحمه الله وضع في صحيحه كتاب الإيمان، وكتاب التوحيد، لتوضيح عقيدة السلف.
٣ ـ أن المراجع تذكر أنه أراد إحياء منهج المرابطين السلفي.
٤ ـ أن الشيخ المختار بن حامد، وهو عالم سلفي، مؤرخ من القبائل الشمشوية التي ينتمي إليها الإمام ناصر الدين، أكد ذلك بقوله: إن الإمام ناصر الدين كان داعية إلى عقيدة السلف ومنهجهم، لا يتجاوز ما جاء في الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح، رضي الله عنهم، ويرفض الخوض في علم الكلام، والفلسفة، حدثني المختار بن حامد بذلك في مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة بتاريخ ١٤١١/٨/٨ هـ وستأتي ترجمته في الفصل السابع.

(١) راجع معهد البحوث، المرجع السابق، ص ٢١.
(٢) راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الكتاب.
(٣) الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ١٠٥.

بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعظون الناس، ويحذرونهم من مغبة الظلم والمعاصي[1].

أما الجهاد في سبيل الله، فقد أخذ من اهتمام الإمام ناصر الدين وتفكيره، ونشاطه، حيزاً كبيراً.

فقد أولى سياسة الجهاد عناية خاصة، فكان من أولى الخطوات التي قام بها إعلان الجهاد لنشر الإسلام في غرب إفريقيا، وإرسال الجيوش المتتالية لتخليص الناس من الشرك والوثنية[2].

ومعلوم أن الإمام ناصر الدين ركز في نشاطه المتواصل على الدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، في كافة المجالات، ورفع الظلم والاضطهاد عن المستضعفين، وإقامة العدل بين طبقات المجتمع[3].

ولئن كان عبد الله بن ياسين ـ رحمه الله ـ قد أسس رباطه الذي لزمه لتكوين جماعة مؤمنة تدين الله عز وجل وفق منهج السلف، قادرة على حمل مسؤولية الدعوة والجهاد[4]، فقد قام الإمام ناصر الدين ـ رحمه الله ـ بعمل مشابه في هذا الإتجاه.

حيث جلس في السنين الثلاث الأولى من دعوته لتعليم أصحابه وإرشادهم، وإعدادهم لحمل مسؤولية الدعوة، والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى.

وكان لتعاليمه الإسلامية أثر بعيد المدى في نفوس الناس، فآمنوا

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٠٤.

(٢) محمد اليدالي: المصدر السابق، ص ٣ ـ ٤، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٠، ومحمد المختار بن السعد: المرجع السابق ص ٦١.

(٣) الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ١٠٥، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٣٣.

(٤) راجع الفصل الثاني من هذا البحث.

بإخلاص دعوته، وأقبلوا عليها، حتى سميت هذه المرحلة بسنين التوبة[1]. وكما لقيت دعوة عبد الله بن ياسين قبولاً واسعاً لدى جماهير الناس[2] فقد لقيت دعوة الإمام ناصر الدين، حسن القبول، ليس في موريتانيا فحسب، بل في دول الزنوج المجاورة كذلك[3].

ويصف الباحثون هذه الدعوة بأنها وريثة الدعوة المرابطية، يقول عبد الله بن حميدة مبيناً ذلك:

إنها حركة سياسية تأصيلية، سلفية، وريثة الإسلام السني المرابطي الصحراوي قامت في المنطقة الجنوبية الغربية من البلاد، ونمت في أحضان حلف قبلي، يعرف بـ [تشمشه] بزعامة أحد أبنائه المؤهلين للزعامة، الإمام ناصر الدين[4].

فقد نسج الإمام ناصر الدين دعوته على منوال المرابطين، بل إن حركته تعد بمثابة إحياء لحركة المرابطين.

فقد بدأ نشاطه بالدعوة للإسلام، وأشعل ثورة الجهاد ضد الزنوج الوثنيين، وبني حسان، ولا غرو فهو ينتمي إلى قبيلة لمتونة المعروفة بجهادها الإسلامي، والتي ساهمت بدور كبير في قيام حركة المرابطين[5].

وقد نجح الإمام ناصر الدين في مسيرة الإصلاح التي قادها في إقناع المجموعات القبلية بضرورة تحكيم الشريعة الإسلامية، وتمكن من تأسيس

---

(١) عبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٣٣، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣) محمد اليدالي: مناقب الإمام ناصر الدين، ص ١، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٠، ٧٤.

(٤) عبد الله حميدة، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥) معهد البحوث، المرجع السابق، ص ٢٠.

دولة إسلامية قائمة على هدى الكتاب والسنة، مطابقة للعهد الراشدي[1].

واستطاع هذا الداعية أن يقيم سلطة مركزية، وهيكلا من الحكم يعتمد على مجلس الشورى، مستمداً بكامله من التعاليم الإسلامية، وقضى على الظلم، والمفاسد المنتشرة، وأقام مجتمعاً يشبه المجتمع الإسلامي الأول[2].

جهاد الإمام ناصر الدين

أخذ مبدأ الجهاد الأولوية من اهتمام الإمام ناصر الدين ونشاطه، فنادى برفع راية الجهاد، ونشر الإسلام، وكان من أولى الخطوات التي قام بها في حركته الإصلاحية، تكوين قوة إسلامية سلفية، استطاعت أن تطيح بعروش الأمراء الوثنيين في السنغال وفوتا[3].

وكان يعين محل كل أمير وثني يسقط أميراً مسلماً من أبناء البلد، واستطاع أن يعمم الإسلام على مساحة واسعة في منطقة غرب إفريقيا[4].

وقد شهد بعض الفرنسيين في السنغال هذه الحركة الجهادية، فغاظتهم.

يقول دي شانبونو ـ مدير الشركة التجارية باندر [سان لويس]: ما رأى الناس قط مرابطاً أو راهباً وهو الذي يجب أن يكون قد ترك الدنيا وانقطع

---

(١) محمد الصوفي، المرجع السابق، ص ٦٨، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٠٥.

(٢) معهد البحوث، المرجع السابق ص ٢١، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٣٣، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٠.

(٣) المختار بن جنكي: المرجع السابق ص ٣، ومعهد البحوث، المرجع السابق، ص ٢٠، تمتد بلاد فوتا من جنوب شرق موريتانيا إلى غينيا، راجع محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٣.

(٤) محمد اليدالي: مناقب الإمام ناصر الدين، ص ٣، والخليل النحوي: المرجع السابق ص٣٠٥ ـ ٣٠٦، وعبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٣٣.

لله وأن يكون تواضعه عميقاً، وزهده متصلاً، وأن لا يهتم بثروات الدول أكثر من اهتمامه بالطين، يغادر وطنه، ويذهب إلى بلد بعيد ليدفع سكانه إلى الثورة، ويجعلهم يقتلون أو يطردون ملوكهم بحجة الدين(١).

وكما غاظت حركة الإمام ناصر الدين الفرنسيين في السنغال فقد أغضبت قبائل بني حسان في داخل موريتانيا، ذلك أن هذه القبائل ـ ذات الشوكة ـ بعد أن ظهر لها ما أحرزته حركة الإمام ناصر الدين، من نجاح في نشر الإسلام واجتذاب القبائل الزنجية، شعرت بأن هذه الحركة أصبحت تهدد مركزها، ولم تشأ هذه القبائل أن تنتمي إلى دولة إسلامية منظمة، يتزعمها فقهاء المرابطين(٢).

لذلك، أقدمت قبائل بني حسان على تحدي السلطة المركزية التي يتزعمها الإمام ناصر الدين، فارتكبت أخطاء كانت سبباً في حرب دامت ثلاثين عاماً(٣).

وكان السبب المباشر في اشتعال نار هذه الحرب هو منع الزكاة.. فتذكر المراجع أن سيدي الحسن بن القاضي وكان عاملاً للإمام ناصر الدين على الصدقات، جاء إلى [ببه] بن أحمد الصكاعي، فطلب منه إخراج زكاة إبله، فامتنع واحتمى له بنو حسان(٤).

وحينئذ لم يبق أمام الإمام ناصر الدين ومجلس الشورى إلا أن يقرروا إخراج الزكاة من مانعيها قهراً، كما فعل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق

---

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٠٤.

(٢) معهد البحوث: المرجع السابق، ص ٢٠، والخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦، ومحمد المختار بن السعد، المرجع السابق ص ٧.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب محمد اليدالي مناقب الإمام ناصر الدين ص ١٧، والمختار بن جنكي المرجع السابق ص ٢ ـ ٣، ومحمد الصوفي المرجع السابق ص ٧١.

(٤) المختار بن جنكي: غزوات الإمام ناصر الدين ص ٢، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٧١ ـ ٧٢، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٠٧.

رضي الله عنه، مع مانعي الزكاة حين قال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق»(١).

لذلك نهض الإمام ناصر الدين لاستخراج الزكاة، وتوطيد دعائم الحق، والعدل، وقبل الدخول في الحرب وجه خطاباً إلى بني حسان، قال فيه:

«اتركونا نحيي السنة، ونقيم حدود الله، ونخدم العلم، ونعمر البلاد، ونعدل فيها»(٢).

غير أن هذا الخطاب ـ وللأسف لم يجد آذاناً صاغية من بني حسان الذين يقف وراءهم الفرنسيون، إبان ذاك، واندلعت الحرب وعرفت [بشرببه](٣).

وقد تولى الإمام ناصر الدين قيادة جيشه بنفسه، وتوالت انتصاراته على قبائل بني حسان في باديء الأمر، ولكن حركة المرابطين الجدد(٤)، أصيبت بنكسة كبيرة عندما استشهد قائدها الإمام ناصر الدين في موقعة [ترتلاس] عام ١٠٨٥ هـ، وإن كان جيشه قد انتصر في المعركة، فقد دبت

---

(١) صحيح البخاري، مع فتح الباري ٣/ ٢٦٢.

(٢) محمد اليدالي: مناقب الإمام ناصر الدين، ص ٨، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) [شرببة] معناها: الحرب المنسوبة إلى الشخص الذي منع الزكاة، فكلمة [شر] معناها باللهجة الموريتانية: حرب، و [ببه] اسم الشخص الذي منع الزكاة.. راجع الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٣٠٧، ومحمد الصوفي، المرجع السابق، ص ٧١.

(٤) أطلق على دعوة الإمام ناصر الدين عدة تسميات، منها: حركة المرابطين الجدد، ودولة التوبة، ومشروع الدولة الراشدة، الخليل النحوي المرجع السابق، ص ٣٠٣، ٣٠٧.

الخلافات في صفوف الجماعة[1]. كما يحدث في كثير من الأحيان عند اختفاء كل قائد كبير.

وقد انتهت هذه الحرب عقب اندلاعها بثلاثين عاماً بهزيمة حركة الإمام ناصر الدين في الموقعة الشهيرة [تنيفظاظ][2].

وكادت دعوة الإمام ناصر الدين الإصلاحيةِ أن تنجح فيما تسعى إليه من نشر العقيدة الإسلامية، وتحكيم شرع الله عز وجل، على أرضه، لولا أن قبائل بني حسان أدركت تعارض هذه الدعوة مع ما تسعى إليه من سيطرة على البلاد، وأحس كشافة الغرب الرابضون على سواحل المنطقة بتهديدها لسياستهم التي أقاموها مع زعماء بني حسان[3].

لذلك كان لهذه الدعوة أعداء في الداخل، وهم قبائل بني حسان الذين يخشون من قيام دولة إسلامية منظمة ذات سلطة مركزية تحد من نفوذهم وتصرفاتهم.. وأعداء في الخارج ممثلين في الفرنسيين.

ويؤكد الباحثون أن سبب هزيمة حركة الإمام ناصر الدين العسكرية هو اصطدامها بجبهتين، كلاهما تعادي قيام دولة إسلامية هما [فرنسا في السنغال وغرب إفريقيا، وبني حسان في داخل موريتانيا][4].

ومع أن حركة الجهاد التي قادها الإمام ناصر الدين ـ رحمه الله ـ قد انهزمت عسكرياً، فقد ظلت آثارها قوية في موريتانيا، والسنغال، فكثير من

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) معهد البحوث، المرجع السابق، ص ٢٠، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٣٤، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧١، ولمزيد من المعلومات عن هذه الحرب، راجع: أحمد بن الأمين، الوسيط ص ٤٩٣، ومحمد المختار بن السعد: نظرة تاريخية إلى شرببه، ص ٧ وما بعدها، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٠٥، ١٣٢.

(٣) عبد الله حميدة: المرجع السابق ص ٣٣، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣٢٠.

(٤) معهد البحوث: المرجع السابق ص ٢١، ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٧٣، ٧٤.

الإصلاحات الدينية والسياسية التي حصلت في المنطقة في الفترة التي تلت ذلك هي ثمرة عمل الإمام ناصر الدين، وأثر من آثار دعوته[1].

وقد ظلت حركة الجهاد والإصلاح التي قادها الإمام ناصر الدين موضع تقدير من قبائل الزوايا، يعرفون لأهلها فضلهم، وينظرون إلى ما قاموا به من نشر الإسلام، خلال فترة قصيرة، نظرة إعجاب...[2].

وعلى أي حال، فإن الهزيمة العسكرية التي منيت بها حركة الإمام ناصر الدين، كانت سبباً في ازدهار علمي، وثقافي، شهدته المنطقة بعد هذه الحرب.

فقد تفرغ الزوايا للعلم، وازداد إقبالهم عليه ليغسلوا به عار الهزيمة، فوضعوا القلم موضع السيف، واعتبروه ملاك الأمر كله[3]. وقد نجم عن ذلك ازدهار علمي ونهضة ثقافية لامعة حيث بلغت المؤسسات التعليمية [المحاضر] أوجها وأعطت ثمارها كاملة[4]. وقد تمخض.. هذا الازدهار العلمي عن اتجاهات فكرية ثلاثة ممثلة في مدارس تحملها وتدافع عنها، وهذه الاتجاهات كالآتي:

١ ـ اتجاه سلفي نصي يعادي علم الكلام، وتمثله مدرسة المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي، المتوفى عام ١٢٠٤ هـ.

٢ ـ اتجاه أشعري عقلاني يؤمن بالمنطق اليوناني وعلم الكلام المنطقي وتمثله مدرسة المختار بن بون الجكني المتوفى عام ١٢٢٠ هـ.

---

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣١٠ ـ ٣١١.

(٢) راجع: أحمد بن الأمين، الوسيط: ص ١٧٤، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٣١٠، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٥.

(٣) بول مارتي: كنتة الشرقيون، ص ٢٦، ومحمد المختار بن السعد، نظرة تاريخية إلى شربه ص ٨٧، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٣٠٨.

(٤) انظر عن بداية الازدهار الحقيقي للمحاضر: محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٧٨ وما بعدها.

٣ ـ اتجاه صوفي، وأبرزه الاتجاه القادري، وتمثله مدرسة الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى عام ١٢٢٦ هـ[1].

وستتناول في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى، مدرسة المجيدري بن حبيب الله بوصفها تمثل الاتجاه السلفي في هذه الفترة.

(١) الخليل النحوي: المرجع السابق ص ١٩٦، وعبد الله حميدة، المرجع السابق ص ٨٣.

المبحث الثاني
مدرسة المجيدري

المطلب الأول
نشأة هذه المدرسة والتعريف بمؤسسها المجيدري

تقدم في آخر المبحث السابق، أن المحاضر بعد نهاية حرب [شرببة] ازدهرت وتمخض ازدهارها عن ثلاثة اتجاهات فكرية ممثلة في مدارس تحملها وتدافع عنها، ومن هذه الاتجاهات، الاتجاه السلفي.

وفي هذا المبحث سنتناول الحديث عن أول مدرسة قامت على الفكر السلفي، بعد النهضة الثقافية، والازدهار العلمي في المحاضر، وهي مدرسة المجيدري.

فقد نشأت هذه المدرسة على يد المجيدري بن حبيب الله عندما عاد من رحلة علمية[1] زار فيها عدداً من الأقطار الإسلامية، وأدى مناسك الحج، ثم عاد إلى بلاده، وهو متأثر بالفكر السلفي، وداعية إليه.

ومن المفترض أن يكون قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] التي كانت حينذاك قائمة في نجد وما حولها.

---

(١) سيأتي الحديث عن هذه الرحلة في ترجمة المجيدري بعد قليل.

(٢) قاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي المتوفى عام ١٢٠٦ هـ رحمه الله ـ دعوته السلفية الإصلاحية القائمة على التمسك بالكتاب والسنة، والهادفة إلى تصحيح العقيدة =

وفور وصول المجيدري - رحمه الله - إلى بلاده عائداً من هذه الرحلة أسس مدرسته السلفية، القائمة على المبادىء الآتية:

١ - الاعتماد على الكتاب والسنة في كل مناهجها.

٢ - نبذ البدع، ومحاربتها، وخاصة بدعة علم الكلام.

٣ - نبذ التعصب المذهبي والتقليد المذموم.

وسيأتي الحديث عن منهج هذه المدرسة في المطلب الأخير من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

وقبل الدخول في التفاصيل، ينبغي أن نعرف بالمجيدري مؤسس هذه المدرسة.

= الإسلامية، وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك، والبدع، والخرافات، وقد كان لهذه الدعوة أعداء وخصوم، أطلقوا عليها لقب [الوهابية] على الرغم من أن صاحب هذه الدعوة وأنصارها لم يختاروا هذا اللقب لأنفسهم، ولم يقبلوا إطلاقه عليهم.. وكان غرض أعداء هذه الدعوة وخصومها من هذا اللقب هو تنفير الناس منها، وإيهام السامعين بأنها مذهب يخالف المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرى، واللقب الذي يرضاه أتباع هذه الدعوة وأنصارها لأنفسهم ويتسمون به هو [السلفيون] أو [أهل السنة والجماعة]، وهم جديرون بهذين اللقبين. يقول الشيخ محمد رشيد رضا في حديثه عن هذه الدعوة ما نصه: «وقد كان مما استعمل الله تعالى - به الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسة السنة النبوية فيها للاهتداء بها لا لمجرد التبرك بألفاظها، ولا لأجل الاستقلال فيها دون ما كتب المحدثون، والفقهاء في شرحها، والاستنباط منها، بل نرى من هداهم الله تعالى، بدعوته، وأنقذهم من الجهالة التي عادت إلى أكثر أهل جزيرة العرب، ما زالوا يحيون كتب فقه شيخ السنة الأكبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، مع خيار كتب التفسير، والحديث، لغير الحنابلة، من علماء السنة، فكانوا من أجدر المسلمين بلقب أهل السنة.. مقدمة كتاب مجموعة الحديث النجدية، ص أ - ب، الطبعة الثالثة، دار الكتب القطرية، ١٣٨٢ هـ وراجع كتاب الدكتور محمد بن عبد الله بن سليمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأثرها في العالم الإسلامي، ص ٣٣ وما بعدها، الطبعة: ١٤٠٧ هـ، بواسطة وكالة الفرقان.

التعريف بالمجيدري:

هو كما الدين، محمد بن حبيب الله، اشتهر بلقبه المجيدري الذي لقب به وهو صغير، ولد في موريتانيا عام ١١٦٥ هـ، من عائلة متعلمة، ومتدينة، من قبيلة اليعقوبيين الشمشوية[١]. التي تولي العلم أهمية قصوى، وتحافظ على القيم، والمثل العليا[٢].

في هذه البيئة العلمية، نشأة المجيدري ـ رحمه الله ـ وعلى الرغم من أنه فقد والديه في صغره، فقد وجد عناية وتربية حسنة من خاله محمد آب بن المختار[٣] الذي رباه فأحسن تربيته، وأشرف بنفسه على تعليمه، وبعد أن درس عليه القرآن الكريم، ومبادىء من علوم الدين، واللغة انتقل إلى مدرسة المختار بن بون[٤]، ولازمه، وكان هو أعظم تلاميذه من اليعقوبيين[٥].

وبرز المجيدري ـ رحمه الله ـ في العلوم المتداولة في زمنه، واشتهر بالحفظ النادر، والذكاء المفرط، وقد وصفه أحمد بن الأمين بأنه كان غاية

---

(١) تقدم الكلام عن أصل هذه التسمية في المبحث الرابع من الفصل الأول وللتوسع في سبب إطلاق هذه التسمية على هذه القبائل والدور الذي قامت به في نشر العلم، والثقافة في موريتانيا، راجع: المختار بن حامد، حياة موريتانيا، ٢/٣٢٩، وما بعدها، والخليل النحوي، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) محمد الأمجد: كمال الدين محمد المجيدري اليعقوبي، حياته، وآثاره ص ١٤، بحث غير منشور، قدم للحصول على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الآداب بجامعة نواكشوط عام ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠ م.

(٣) محمد آب بن المختار بن الفقيه موسى شيخ محضرة عريقة في علم الفقه واللغة العربية، وكان من الفقهاء المشهود لهم بالصلاح، والوقوف عند حدود الشرع، ت ١٢٠٤ هـ، محمد الأمجد، المرجع السابق ص ٢١.

(٤) تقدمت ترجمة المختار بن بون المتوفى عام ١٢٢٠ هـ وذلك في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٥) أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٢١٥، ومحمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا ص ٤٦٥.

في الفهم، ثم قال: «هو العالم الوحيد الذي ما له من نديد»[1].

ووصفه محمد الأمجد بقوله: «اتفقت المصادر الشفوية وبعض المصادر الكتابية على سرعة بديهته، وسعة محفوظاته، وذكائه الخارق»[2].

وهناك مقالة مشهورة اتفقت عليها المصادر والمراجع التي وقفت عليها، تقول: «إن علماء القطر الشنقيطي في ذلك العهد أربعة، لم يبلغ أحد مبلغهم عرفهم العام والخاص، وهم: ابن رازكه[3]، ومحمد سعيد اليدالي[4]. والمجيدري بن حبيب الله، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم[5].

وبعد أن درس المجيدري العلوم المتداولة في بلاده وبرز فيها واشتهر في معرفتها، قام برحلة طويلة، مكنته من زيارة عدد من الأقطار الإسلامية، حيث زار المغرب، ومصر، ثم قصد الحجاز، وأدى مناسك الحج، وزار المسجد النبوي الشريف وسلم على رسول الله ﷺ[6].

وقد حصل على مكتبة إسلامية في هذه الرحلة، وعاد إلى بلاده، ووضع عصى الترحال، وعكف على الاشتغال بالعلم قراءة وتدريساً،

---

(١) الوسيط: ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) محمد الأمجد: المرجع السابق ص ٣٧.

(٣) ابن رازكه: تقدمت ترجمته في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٤) محمد سعيد اليدالي: الديماني، علامة، وشاعر مجيد، له مؤلفات عديدة منها كتابه [الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز] ت ١١٦٦ هـ أحمد بن الأمين، الوسيط: ص ٢٢٣، ومحمد المختار بن أباه الشعر والشعراء في موريتانيا: ص ٧٦.

(٥) سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، تقدمت ترجمته في آخر الفصل الرابع،.

(٦) كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ حينذاك قد ظهرت في بلاد نجد، وقد افترض بعض الباحثين أن يكون المجيدري رحمه الله ـ قد تأثر بها، لأنه عاد إلى بلاده من هذه الرحلة وهو داعية سلفي، الخليل النحوي، المرجع السابق ص ١٩٧، وآمنة بنت عبد الوهاب: مقدمة مبين الصراط المستقيم لكمال الدين محمد المجيدري، ص ٢٢، بحث غير منشور، قدم لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط للحصول على الإجازة العالية (الليسانس) سنة ١٩٨٩ م ـ ١٩٩٠ م.

وتصنيفاً، وقرر الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة، والابتعاد عن التأويل، وعادى علم الكلام، والمنطق، ونادى بضرورة التمسك بالكتاب والسنة، وطالب بعرض آراء العلماء عليهما، فما كان موافقاً لهما أخذ، وما كان بخلاف ذلك ترك.

وأنكر ذلك عليه بعض العلماء، ولا سيما شيخه المختار بن بون، الذي نسبه للبدعة والضلال.. وانتصر له بعض العلماء من تلاميذه، وتلاميذ المختار بن بون أيضاً، ودافعوا عنه، وعن منهجه.

ومن أشهر هؤلاء المأمون بن محمد المجاور اليعقوبي، ومولود بن أحمد الجواد، اللذين سنعرض لترجمتهما بعد قليل في هذا المبحث.

وقد دارت بين المختار بن بون وأنصاره من المدرسة الأشعرية، وكمال الدين محمد المجيدري، وأنصاره من المدرسة السلفية، مناظرات آلت إلى صراع ساخن بين هاتين المدرستين، وتواصل هذا الصراع، حتى بعد وفاة كمال الدين محمد المجيدري، ذلك أنه لما بلغ المختار بن بون نعيه هجاه بقصيدة هذا مطلعها:

أودى الضلال ألا فليفرح الجذلا   من عاش بعد مضل شاقق الرسلا

فرد عليه مولود بن أحمد الجواد بقصيدة مطلعها:

أودى الكمال ألا فليفرح الجذلا   من لا يموت ومن لا ينقضي أجلا

مؤلفات المجيدري:

لم يكن محمد المجيدري ـ رحمه الله ـ مع سعة علمه من العلماء المكثرين من التآليف، ولعل ظروف البادية، وانشغاله بالتدريس والدعوة إلى الله عز وجل، لم يتركه يتفرغ لهذا العمل، غير أنه لم يترك الفرص تفوته، حيث عنت له، فقد ألف عدة مؤلفات، تمثل اتجاهه الفكري، وفيما يلي ذكر ما عثر عليه من مؤلفاته:

١ ـ مبين الصراط المستقيم:

وقد حققته آمنة بنت عبد الوهاب، في جامعة نواكشوط للحصول على الإجازة العالية (الليسانس) وستأتي نقول منه في منهج مدرسته في العقيدة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ السراج الوهاج في تبيين المنهاج:

مخطوط، وهو مؤلف ضخم، ولم يتم العثور عليه كاملاً، وقد بيَّن فيه أنه يعتمد في منهجه على الكتاب والسنة.

٣ ـ الأسئلة:

مخطوط، وهو مؤلف صغير انتقد فيه المتكلمين، وطرح عليهم جملة من الأسئلة في مسائل عقدية، طالباً الإجابة عليها، ممن ينتصر لأهل علم الكلام، وستأتي نقول منه في منهج مدرسته في العقيدة، إن شاء الله تعالى.

٤ ـ الجواهر المكنونة:

مخطوط، وهو نظم كبير في علم الفرائض، تعرض فيه لمختلف أبواب التركة.

٥ ـ الجوهر المنظوم في ذكر ما حذف من الرسوم: مخطوط، وهو نظم تعرض فيه لرسم القرآن الكريم، وقد ضاع أغلبه.

٦ ـ رسالة في علوم القرآن الكريم.

٧ ـ نظم في اللغة العربية.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالنشاط العلمي والدعوة إلى عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، توفي كمال الدين محمد المجيدري عام ١٢٠٤ هـ في بلاده، بموضع يقال له [بئر إيكن] ويوجد قبره اليوم بمدينة [أكجوجت] عاصمة

ولاية اينشيري وهي الولاية الثانية عشرة من ولايات موريتانيا حالياً[1].

وقد تولى قيادة مدرسة المجيدري من بعده تلميذاه اللذان سنتحدث عنهما في المطلب الآتي إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني
حاملا لواءِ مدرسة المجيدري من بعده

بعد وفاة المجيدري، حمل لواء مدرسته تلميذاه اللذان ناصراه في حياته ووقفا معه ضد المدرسة الأشعرية، وهما: المأمون بن محمد، ومولود بن أحمد الجواد اليعقوبيان، وفيما يلي التعريف بهما.

أولاً: المأمون بن محمد:

يعتبر المأمون بن محمد اليعقوبي، من أبرز علماء البلاد، وشعرائها، وقد نافح عن العقيدة السلفية بقوة، وتولى حمل العبء الأكبر من مسؤولية مدرسة المجيدري من بعده، وقد تلقى العلم على المختار بن بون، والمجيدري بن حبيب الله، وغيرهما، وبرع في اللغة العربية، وصناعة الشعر.

وصفه أحمد بن الأمين بقوله: هو الشاعر المفلق، واللغوي المحقق اشتهر بجودة الشعر وروايته، وإحكام صنعته ودرايته.

ولما نشب الخلاف بين شيخيه المختار بن بون، والمجيدري بن حبيب الله في مسائل في العقيدة، وقف مع هذا الأخير ضد المختار بن

---

(١) راجع عن المجيدري وآثاره العلمية المصادر التالية: أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢١٤ ـ ٢١٥، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٤٧، ومحمد سعيد بن دهاه: المرجع السابق ص ٢٠، ومحمد الأمجد: المرجع السابق ص ١٤، ٣٩، وآمنة بنت عبد الوهاب، في مقدمتها لتحقيق كتاب المجيدري: مبين الصراط المستقيم ص ١٢ ـ ٢٥.

بون، وساجله شعراً، وكان يرد عليه بشدة.

روي أن المختار بن بون قال: لم يضيعن إلا أبو لفريرات[1].

وقد وجه المأمون بن محمد الاتهام إلى المختار بن بون بتوهين الدين، والابتداع فيه، والعدول عن الكتاب والسنة، إلى المنطق الأرسطاليسي، كما سيأتي بيانه في الكلام على منهج هذه المدرسة في العقيدة في آخر هذا المبحث.

مؤلفاته:

لم يكن الشيخ المأمون بن محمد من العلماء المكثرين من التأليف، ولعل السبب في ذلك يعود إلى انشغاله بالتدريس، وعدم ملاءمة ظروف البادية للتأليف، غير أنه لم يترك الفرصة تفوته، حيث عنت له، فقد ألف في بعض المجالات العلمية، ومن مؤلفاته:

* شرح على ألفية ابن مالك.
* تعليق على الأمالي لأبي علي القالي.
* شرح على قرة الأبصار للمطي.
* ديوان شعر حققه محمد بن ماء العينين في بحث جامعي.

توفي عام ١٢٣٨ هـ[2].

ثانياً: مولود بن أحمد الجواد:

وقف مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي، مع شيخه المجيدري ضد

---

(١) أبو لفريرات: باللهجة الموريتانية، الساقط الأسنان، ويعني بذلك المأمون بن محمد اليعقوبي، أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٢١٧.

(٢) راجع ترجمته في الكتب التالية: أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢١٧، ومحمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٧٣، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٢٢.

المدرسة الأشعرية، وحمل لواء مدرسته من بعده مع زميله المأمون بن محمد، الذي تقدم الكلام عنه قبل قليل.

ويعتبر مولود بن أحمد الجواد، من أعيان البلاد، وعلمائها، وقد تلقى العلم على عدد من العلماء، منهم المختار بن بون، والمجيدري بن حبيب الله، وتبحر في العلوم المتداولة في أيامه.

يقول عنه أحمد بن الأمين: هو العلامة النحرير، واللغوي الشهير، أحد أعلام تلك البلاد، وإليه المرجع وعلى أقواله الاعتماد[١].

وكان مشهوراً بسرعة الجواب، مرهوب الجناب، ولما حصل الخلاف بين شيخيه المختار بن بون، والمجيدري بن حبيب الله، صار من المؤيدين لهذا الأخير، ولمنهجه، ودعوته، وكان المختار بن بون بارعاً في علم الكلام، فكان يلقي عليهم أسئلة من الألغاز الكلامية، في مسائل في العقيدة، وخاصة في مسألة كلام الله تعالى، فيتصدى مولود للرد عليها فربما رد على بعضها وعجز عن البعض الآخر، ويلاحظ أنه كان يتجنب الخوض في المباحث الكلامية، التي لا تدخل ضمن المنهج الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فقد كانوا يسكتون عن الخوض والجدال في المباحث الكلامية لا جهلاً ولا عجزاً ولكن عن علم وخشية لله تعالى[٢]. فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ـ الذي ضرب مثالاً رائعاً في الوقوف عنه مذهب السلف ونصرته والدفاع عنه، يقول:

لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان من كتاب الله، أو في حديث عن رسول الله ﷺ، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود[٣].

---

(١) الوسيط: ص ١٩٠.

(٢) ابن رجب الحنبلي: فضل علم السلف على علم الخلف ص: ٣٧.

(٣) راجع صفحة: ٥١ من هذا البحث.

ولما رد الحارث المحاسبي رحمه الله على المبتدعة بعلم الكلام، هجره وقال له: إنما السنة أن يخبروا بالآثار والسنة، فإن قبلوها وإلا هجروا في الله»[1].

وهكذا فلم يكن مولود بدعاً من بين العلماء السلفيين في هذا، وإنما كان متبعاً لسيرتهم في عدم الرد بعلم الكلام والجدل، لأنه بدعة، والبدعة لا ترد بالبدعة، وبالجملة.. فقد كان مولود ملتزماً في النزاع الذي دار بين المدرسة السلفية التي ينتسب إليها، والمدرسة الأشعرية التي يتزعمها المختار بن بون، باتباع منهج السلف في مواقفهم المشابهةِ مع المدارس الكلامية. توفي عام ١٢٤٣ هـ[2].

المطلب الثالث

منهج مدرسة المجيدري في العقيدة

إن أبرز ما تتميز به هذه المدرسة عقيدتها السلفية، التي تابعت فيها رجال خير القرون، فعلى الرغم من سيادة العقيدة الأشعرية في المحيط الذي ظهرت فيه، فقد اشتهر عنها التمسك بالكتاب والسنة، وترسم خطى السلف الصالح، ورفض التأويل، وعداء علم الكلام، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

يقول مؤسس هذه المدرسة [كمال الدين محمد المجيدري] ـ رحمه الله ـ «اعلم يا مكلف أن الله أوجب عليك أن توحده فتعتقد يقيناً بدليل الكتاب أو السنة، أو هما معاً أن الله موجود لا شبه له مع غيره في ذات، ولا صفة، ولا فعل، ولا اسم، ولا حكم، ولا عبادة، ولا غير ذلك، فهو

---

(١) راجع: صون المنطق، المصدر السابق ١/١٨١.

(٢) راجع ترجمته في الكتب التالية: الوسيط، المصدر السابق ص ١٩٠ ـ ١٩٤، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٥٨ ـ ٤٦٢، ومحمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا ص ٧٣، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٣٢.

واحد لا يقبل الشرك في شيء»[1].

وفي هذا النص تتجلى أبرز سمات المنهج السلفي، وهي الاعتماد على النقل، عكسُ المنهج الكلامي، فقوله: «بدليل الكتاب أو السنة أو هما معاً» تركيز واضح على النقل في جانب العقيدة، حيث حصر أدلتها في الكتاب والسنة وفي هذا مخالفة للأشاعرة، وغيرهم من المتكلمين.

ومع أن المجيدري ـ رحمه الله ـ ظهر في حقبة تاريخية سيطر فيها المذهب الأشعري، وانتشر في العالم الإسلامي، فقد اشتهر بآرائه القوية والجريئة، وكان صريحاً في بيان العقيدة السلفية، لا يخشى في ذلك لومة لائم.

فبين أن صفات الباري عز وجل، يجب الإيمان بها على الحقيقة، حيث قال: «وصفاته تعالى على الحقيقة، فحياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستواؤه على عرشه، وكل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، فصفه بها على الوجه اللائق بجلاله وكماله، ولا تؤول[2].

ويوجه ـ رحمه الله ـ كلامَه إلى خصومه الأشاعرة قائلاً: «وكون الواجب من صفاته ثلاث عشرة منها ست سلبياتٌ، ومنها سبع يقال لها المعاني، لم يرو عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم[3].

وقد بين المجيدري ـ رحمه الله ـ للمتكلمين أن أصل الضلال هو قياس الغائب على الشاهد، وتحكيم العقل فيما لا يدركه، حيث قال:

«اعلم أن أشد ما أضل الخلق هو قياس الغائب على الشاهد، حتى أحالوا على الله ما لم تدركه عقولهم، ولم يعلموا أنه، وهم، متباينون غاية

(١) مبين الصراط المستقيم ص ٦٦.
(٢) المرجع السابق نفسه: ص ٦٦ ـ ٦٨.
(٣) المرجع السابق نفسه ص ٦٨.

المباينة، وهم في ذلك مخطئون»[١].

وفي مسألة القدر: بين المجيدري ـ رحمه الله ـ معتقده في القدر في ثنايا كتبه، وهو معتقد السلف، الذي تتمسك به هذه المدرسة، حيث يقول: «وواجب عليك الإيمان بالقدر خيره وشره»[٢].

وفسره النبي ﷺ بقوله: «أن تعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[٣].

وأورد قول الله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

ثم قال: ومعنى الحديث وهو موافق للآية، أن تعتقد أنما أراد الله أن يقع بك ولو تسبب في دفعه كل أحد لا ينجيك منه شيء، فلا تخف، فالخوف لا ينفع فيه، وينقص مرتبتك عند الله تعالى، وأن ما لم يرد ولو تسبب في وقوعه كل أحد لا يقع بك، إلا أن الله عز وجل أمر عباده في الأخذ بالأسباب رحمة بهم، فصار تركها بدعة[٥].

وبالجملة، فإن منهج مدرسة المجيدري، هو التمسك بالكتاب، والسنة واقتفاء آثار السلف الصالح، رضي الله عنهم.

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٦٩.

(٢) في صحيح مسلم: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.. وفي رواية لمسلم أيضاً: وتؤمن بالقدره كله.. راجع صحيح مسلم بشرح النووي: ١/١٥٧، ١٦٥، وسنن أبي داود ٤/ ٢٢٤.

(٣) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٥/٣١٧، و ٦/٤٤٢، وأبو داود في سننه ٤/ ٢٢٥، والمنذري في مختصره لأبي داود مع معالم السنن للخطابي: تهذيب ابن قيم الجوزية ٧/٦٨ ـ ٦٩، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة مكتبة السنة المحمدية، [د. ت].

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٢.

(٥) مبين الصراط المستقيم: ص ٧٩ ـ ٨٠.

وأبيات كمال الدين محمد المجيدري التالية تلقي الضوء على ذلك، حيث يقول:

آي الكتاب وأخبار النبي وما ... جاء الثقات به عن صالح السلف
ما اعتاض عنها سوى أعمى البصيرة عن ... نهج الحنيفية البيضاء ذو جنف
رين على القلب يكسوه السواد كما ... يكسو المداد سواداً أبيض الصحف
فالمصطفى حثنا عند اختلافهم ... على التمسك بالقرآن ذي الشرف
وبالذي سن أو سنت صحابته ... طراً وحذرنا من بدعة الخلف
مرجمات ظنون غير مجدية ... شيئاً عن الحق بل تفضي إلى التلف
فالحق إياك أن تعدل سواه به ... لا يعدل اللؤلؤ المكنون بالخزف[1]

موقف هذه المدرسة من علم الكلام:

إذا أردنا أن نعرف موقف مدرسة المجيدري من علم الكلام فما علينا إلا أن نتجه شطر مؤلفه المعروف بالأسئلة، ذلك المؤلف المهم الذي لقي جفاء كبيراً من المتكلمين الأشاعرة، فقد تضمن هذا الكتاب الصغير الحجم، ثورة عارمة على التيار الكلامي الممتد يومئذ في موريتانيا، ومعظم الأقطار الإسلامية الأخرى.

وقد جاءت ثورة المجيدري هذه في وقت سادت فيه العقيدة الأشعرية، وبلغت فيها الصياغة الكلامية أوجها عمقاً وانتشاراً، وصارت العلوم الإسلامية منظومات تحفظ[2].

فلم يكن من الغريب أن تلقى تلك الأسئلة ردود فعل قوية وصلت في بعض الأحيان إلى حد التبديع والتضليل[3].

---

(١) محمد الأمجد: المرجع السابق، ص ٨٧.

(٢) محمد الأمجد: المرجع السابق ص: ٥٠.

(٣) أحمد بن الأمين: الوسيط، ص ٢١٥، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٦٦.

لذلك ضاقت دائرة مناصريه، ولم تصادف دعوته صدى إيجابياً في حينها، وإن كانت فيما بعد أثرت الساحة فكرياً، وتزايد مناصروها[1].

وقد بدأ المجيدري ـ رحمه الله ـ أسئلته بقوله: أما بعد فإن المحال عند المتكلمين ما لا يصح في العقل وجوده، وقد وجدتهم يختلفون في شيء فيحكم عقل أحدهم بجوازه، ويحكم عقل الآخر باستحالته، كاختلافهم في الواسطة بين الوجود والعدم.. وفي الوجود أهو صفة أم عين الموصوف..؟[2].

وهذا النص في حد ذاته يكفي في نقد المنهج الكلامي العقلي حيث بين فيه أن العقول مختلفة في أحكامها، فقد يحكم عقل زيد بجواز ما حكم عقل خالد باستحالته، وهذا اضطراب في المنهج، يكفي في رفض المنهج الكلامي العقلي.

ويسوق المجيدري ـ رحمه الله ـ الكلام في نقد منهج المتكلمين العقلي، والرد على المؤولة قائلاً: «المتأولون النصوص حسبما تقبله عقولهم هم أهل زيغ القلوب، ولو أرادوا السلامة لقالوا ما قاله الراسخون في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[3]. فالمحال العقلي لا عبرة به، إنما العبرة بالنقل[4].

ولو كان العقل ـ كما يقول المجيدري ـ يوصل إلى معرفة الله عز وجل لكان بعث الرسل عبثاً ـ نعوذ بالله من اعتقاد ذلك ـ ويستطرد في ذم علم الكلام فيقول:

---

(١) محمد الأمجد: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) المجيدري: الأسئلة، ضمن كتاب: بداه بن البصيري، الدر النضيد ص ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٤) المجيدري: الأسئلة ص ٤٧، راجع عن طوائف المؤولة ومسالكهم في التأويل بحثاً قيماً لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: معارج الوصول ص ٤ وما بعدها، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤١٢ هـ.

«إن قواعده كلها رميم إلا ما وافق الكتاب والسنة منها...»(١).

وبالتأمل في كتاب المجيدري المسمى بالأسئلة، والذي سقنا منه هذه النصوص، تتضح لنا معارضته ـ رحمه الله ـ لمناهج المتكلمين، ونلحظ من خلال تصفحنا لهذا الكتاب أن الأمور التي رفض على أساسها إقحام العقل بمفرده في مسائل الاعتقاد تتلخص فيما يلي:

١ ـ أن بعث الرسل دليل على أن الحق هو ما بلغوه للناس وإن كان للعقل دور في إدراك الحقيقة فهو ثانوي.

٢ ـ عجز العقل عن إدراك حقيقة الذات الإلهية وصفاتها، فكان تحكيمه في ذلك سبباً للضلال.

٣ ـ الاضطراب الذي يلف مباحث علم الكلام.

٤ ـ أن حقيقة التوحيد واحدة، والنتائج التي تتوصل إليها العقول مختلفة.

هذا الموقف من علم الكلام أدى إلى ردة فعل من عدد من علماء المدرسة الأشعرية، وعلى رأسهم المختار بن بون، قائد هذه المدرسة في عهده، والمعول على آرائه عند أشاعرة بلاده. فقد ناصب المختار بن بون العداء لكمال الدين محمد المجيدري، واعتبر أسئلته تحدياً وتعجيزاً له، ومحاولة للتقدم عليه، حيث يقول:

على رسلك أربع يا بن حبل إنما يقدم هذا الناس منا المقدما
ومن قدمته نفسه دون غيره رأى غيره التأخير ذاك التقدما

(١) المجيدري: الأسئلة ص ٤٧ ـ ٤٩، ومحمد الأمجد: المرجع السابق ص ٨٥، هذا الذي ذكره المجيدري هنا فيه شبه بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عند كلامه على مناهج المتكلمين، حيث قال: «وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول ﷺ وهو ما تمسكوا به من شرعه... وكل الأصول العقلية التي ابتدعوها باطلة في العقل والشرع». الفرقان بين الحق والباطل، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

تقدمت للتصدير جهلاً مؤخراً ذوي الرأي والتصدير أن تتقدما
وقلت كما ضلت قريش ضللتم ألا فاسمعوا هذا الفتى المتقدما
قريش قفت أهل الضلال ونحن في هدى سلف منهاجه قد تقوما[1]

وقد وجه المختار بن بون إلى كمال الدين محمد المجيدري أبياتاً أخرى تحمل معنى السخط، منها البيتان التاليان:

أهدي إلى العاب والشتم جازياً وليس جزائي أن أعاب وأشتما
ألا قبح الله ابنَ حبل إنه جزاني سنمار[2] وما كان أظلما[3]

وقد ألف محنض باب بن أعبيد الديماني[4] رسالة في الرد على كمال الدين محمد المجيدري، ونسبه فيها إلى البدعة والضلال[5]. كما نسبه البرتلي[6] في كتابه [فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور] إلى البدعة والضلال أيضاً[7]. وقد رد كمال الدين محمد المجيدري على خصومه

---

(١) أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢٨٠.
(٢) أي: جزاني جزاء سنمار، وهو رجل رومي بنى الخورنق الذي بظهر الكوفة، للنعمان بن امرىء القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتاً، وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره، فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة، ويقال: هو الذي بنى أطم أحيحة بن الجلاح، فلما فرغ منه قال له أحيحة: لقد أحكمته؟ قال: إني لأعرف فيه حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره، فسأله عن الحجر فأراه موضعه، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتاً». أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠، تحقيق: محيي الدين عبد المجيد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ.
(٣) أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٢٨٠.
(٤) محنض باب بن أعبيد الديماني: عالم من مشاهير علماء بلاده، وصفه أحمد بن الأمين بقوله: علامة شنقيط، وعقدها الوسيط، وبدرها المنير، راجع الوسيط: ص ٢٣٦، والخليل النحوي: المرجع السابق، ص ٥٣٠.
(٥) أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٢١٥، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٦٦.
(٦) هو أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، عالم أشعري، صوفي، له اليد الطولى في علم الفقه وأصوله، واللغة العربية وعلومها، ت ١٢١٩ هـ، راجع مقدمة كتابه فتح الشكور: ص ١٧ ـ ٢٢، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٠٨.
(٧) فتح الشكور: ص ١٤١.

الأشاعرة في اتهامهم له بالابتداع والضلال بنظم قال فيه:

قال عبيد ربه المنتصر من ظلمه محمد المجيدر
وفقه الإله في الأقوال لصالح النية والأعمال
لو كنت بدعياً لما كان الصواب عندي الأحاديث الصحاح والكتاب[1]

ويلاحظ من هذه الأبيات تمسك صاحبها بالكتاب والسنة، وتجنبه للخوض في علم الكلام، والرد على الخصوم به، وهذه الميزة من الخصائص التي تميزت بها هذه المدرسة واشتهرت بها، شأنها في ذلك شأن المدارس السلفية الأخرى.

يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : «إن المتكلمين لا يحاربون بالجدال»[2].

ويقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: كل من تكلم بكلام في الدين أو في شيء من هذه الأهواء ليس فيه إمام متقدم عن النبي ﷺ وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثاً[3].

ويظهر هذا المنهج جلياً في عدم جواب هذه المدرسة بعلم الكلام على الألغاز الكلامية التي كان المختار بن بون يوجهها إليها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله موجهاً كلامه إلى مولود بن أحمد الجواد:

أحاجيك هذا النورُ قل ما وجوده بقلب الذي يتلو ويقرأ بالفم
أينمى لما ينمى له وهو قائم بذات العلي العالم المتكلم

---

(١) مبين الصراط المستقيم، المرجع السابق، ص ٢٤، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ٤٧.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ١/ ١٠٤.

(٣) أبو المظفر السمعاني، الانتصار لأهل الحديث، تلخيص السيوطي في صون المنطق: ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

أتـجـعـلـه إذ ذاك وصـفـاً مـحـلـه   ذوات الورى أم ذو الجلال المعظم[1]

هذه الأبيات من قصيدة طويلة وجهها المختار بن بون إلى مولود بن أحمد الجواد - كما مر - وهي تدور كلها حول مسألة كلام الله تعالى وهي مسألة غامضة كثر الجدال حولها وتشعبت أقوال الفرق الإسلامية فيها[2].

قال الذهبي رحمه الله: مسألة الكلام غامضة ويكفي المسلم أن يؤمن بالقرآن العظيم جل منزله أنه كلام الله غير مخلوق وأنه عين ما تكلم به منشيه ومبديه عز وجل[3].

لقد وجه المختار بن بون قصيدته الآنفة الذكر إلى مولود بن أحمد الجواد، ومدرسته التي ينتسب إليها وقال إن أجبتموها كفرتم وإن سكتم غلبتم فمكث مولود مدة معتزلاً عن الناس يفكر في الجواب فخرج عليهم في وقت حر فقالوا له ما فعلت مع زركة المختار والزركة بزاي وراء وكاف

(۱) سيدي محمد فال بن محمد الديماني: شرح قصيدة المختار بن بون ص ١. مخطوط، توجد عندي صورة منه، قال الشارح: حاصل معنى هذه الأبيات أنه سأله عن وجود النور الذي هو القرآن العظيم بقلب القارىء له ولسانه من أي الوجودات، وذلك أن لكل موجود أربعة وجودات: وجود خارجي، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، ثم إن الشيخ لما سأل ببيته الأول عن وجود القرآن بقلب قارئه ووجوده بلسان قائله من أي الوجودات هو؟ سأل ثانياً فقال: أينمي لما ينمي له.. إلخ، أي ينسب لما ينسب له من قيامه بقلب القارىء ولسانه، وهو مع ذلك قائم بذات الله جل جلاله وذلك لا يصح عقلاً لأن فيه قيام صفة واحدة بمحلين: أحدهما: قديم، والآخر حادث، ثم قال: أتجعله إذا ذاك وصفاً.. إلخ، أي استخلص من هذا المستحيل السابق وهو قيام صفة واحدة بمحلين بأن تجعله قائماً بأحد المحلين وتجعل الآخر عارياً منه وذلك أيضاً لا يصح لأنه قيامه بقلب قارئه ولسانه مشاهد حساً وقيامه أي القرآن الذي هو كلام الله بذاته تعالى واجب نقلاً وعقلاً.. المرجع السابق نفسه ص ١ - ٢.

(۲) قال ابن أبي العز الحنفي افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ - ٢٠٢.

(۳) العلو للعلي الغفار ص ١٩٤ تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط الثانية ١٣٨٨ هـ.

معقودة مفتوحة وبعدها هاء تأنيث بمعنى الرمية وهم يعبرون عن اللغز بذلك فقال بركت عنها[1] ولا ندري هل بروك مولود عن جواب هذا اللغز لعجز منه أم لشيء آخر، وعلى كل حال فقد جاء الرد على لسان المأمون بن محمد المجاور اليعقوبي الذي اتهم المختار بن بون بتوهين الدين والابتداع فيه، والعدول عن الكتاب والسنة إلى المنطق الأرسطاليسي، وفي ذلك يقول:

قد جرت معتسفا يا هادي الطرق	وإنه البحر لا يقتلك بالغرق
أكثرت حزك لو دريت مفصله	فادر المفاصل قبل الحز واستفق
ما الدين إلا الذي تسعى لتوهنه	أي النبي وآثار الهدى العتق
لا كل خبط عن اليونان مبتدع	قد سن بين أصول الدين مختلق
تحمي قواعد رسطاليس تحسبها	ديناً لك الويل نبهناك فاستفق
إن قلت ساغت لمن تمت قريحته	أو أن تخلص لنا من مسلم تلق
ردا بأن أبا حفص قد أوردها	وردها المصطفى منه على تأق[2]
كما البخاري في التوحيد أخرجه	والحبر أحمد والبزار في طرق
إن كنت تورد نسخاً أو معارضة	لذي الأحاديث فاذكر ما ترى وسق
وإن تكن قاصراً عن كونها ثبتت	فيما حوى سرحه الحفاظ في الورق
فاعرف مقامك في درك العلوم ولا	تعرض لمن خاض فيها شاسع الشقق
فأنت ويحك في وهد الحضيض فلا	تمدد يديك لمأوى فارق الأنق[3]

أقول يغفر الله للشيخ المأمون بن محمد اليعقوبي فقد شنع على شيخه وأستاذه وتحامل عليه وما كان يسوغ أن يقابل العلامة المختار بن بون بمثل هذا الكلام لما له من مقام كبير وبراعة وتبحر في جميع العلوم والمعارف السائدة

---

(١) راجع أحمد بن الأمين: الوسيط ص ١٩٤ ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ٤٦١.

(٢) التأقة محركة شدة الغضب والسرعة، الفيروز آبادي القاموس المحيط ص ١١٢٤.

(٣) أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ومحمد الصوفي: المرجع السابق ص ٨٣

في عصره فقد طوق بحلى علمه كل عاطل ووردت هيم الرجال زلاله فصدر عنه كلهم وهو ناهل ولا يوجد عالم في بلاده بعده إلا وله الفضل الجزيل عليه بما استفاد من مصنفاته وتلقى من مسنداته ويكفيه أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه وكفى الناس مشقات مؤنه وخير شاهد على ذلك احمراره الذي مزج به ألفية ابن مالك مزجاً ممتازاً يدل - بحق - على براعته ومهارته التامة، ومع ذلك فإن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا النبي ﷺ ولكن ينبغي بل يتحتم على من أراد الرد على عالم من العلماء في مسألة علمية يرى أنه خالف فيها الصواب أن يكون رده بأسلوب علمي رصين مع التحلي بالأدب والاحترام للعلماء وعلى أي حال فإن حرم بن عبد الجليل قد دافع دفاعاً طيباً عن شيخه العلامة المختار بن بون ورد على المأمون بن محمد بقوله:

أمختار صه فالحال عنك تكلما ... وكذب ما رمى به متهكما
وأفحم من هاجاك لو كان يرعوي ... فهلا تشكيت السباب تحلما
تصامم عن الهاجين صفحاً فلم يجد ... هجاهم إلى تدنيس عرضك مسلما
فحسبك تبيين الصواب لمنصف ... وإياك شيخي أن تمار المصمما
لقد ساق عبد الله فينا نصوصه ... فأسمع من يبغ الصواب وأفهما
فأمسك لما لم يجد منصفاً له ... فامسك فلم تترك لهم متردماً
وهل أنت إلا رحمة يهتدى بها ... ويبصر إخوان الضلالة والعما
وهل تضرب الأمثال في العلم والذكا ... بغيرك يانبراس من كان أظلما
فمن سهل التسهيل بعد صعوبة ... ومن لخص التلخيص دراً منظما
وأغنى عن الشيخ السنوسي منطقاً ... وعلم كلام من يريد التعلما
وأنت أبا عذر العويص الذي نبا ... شبا كل فهم دونه وتلعثما
أتشتم عبد الله سيد عصره ... وما كان عبد الله أهلاً ليشتما
ولكنه أهل لأن يقتدى به ... وأهل لأن يثنى عليه ويكرما[1]

---

(١) محمد الصوفي: المرجع السابق ص ٨٤.

وفي نهاية الحديث عن هذا الصراع الساخن الذي دار بين المدرسة السلفية والمدرسة الأشعرية في بلاد شنقيط نريد أن نشير إلى أن مثل هذه النزاعات يحصل بين العلماء من قديم الزمان ولا يقدح فيهم كما هو معروف.

موقف مدرسة المجيدري من التصوف:

كان الزهد والرغبة عن الدنيا إلى الحياة الآخرة هو سلوك السلف الصالح، وقد حفظت لنا كتب علماء السلف الكثير من سيرة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ويتضح من خلالها ما كان عليه السلف من الزهد وجهاد النفس القائم على تعاليم الكتاب والسنة، وإيثار الحياة الآخرة على الدنيا[1].

وعلى هذا النهج سار الشيخ كمال الدين محمد المجيدري رحمه الله فقد زهد في الدنيا ورغب في الآخرة، وجاهد نفسه مجاهدة قائمة على تعاليم الكتاب والسنة، وما أثر عن السلف الصالح، واعتنى بالتربية الإسلامية السليمة.

وقد مر في ترجمة المجيدري ـ رحمه الله ـ أنه قام برحلة علمية زار فيها عدداً من الأقطار الإسلامية، وأدى مناسك الحج، وأثناء مروره بالمغرب التقى بالشيخ محمد التازي[2]، ونقل عن التازي ما يدل على أن المجيدري تتلمذ عليه، ولم يبين التازي حقيقة هذه التلمذة، هل هي في

---

(١) راجع على سبيل المثال كتاب: الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ١٣٥، وما بعدها، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب التازي، فقيه مغربي صوفي، قال عنه الشيخ محمد مخلوف: إنه الشيخ العارف بالله تعالى، الولي، الصالح، الصوفي، الأنور، له كرامات، وتلامذة، وأتباع كثيرون.. ت ١٢٠٦ هـ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٣٧١ ـ ٣٧٣.

العلم أم في التصوف[1].

وقد ذهب بعض المعاصرين الذين تناولوا حياة المجيدري، إلى أنه كان سلفياً صوفياً، فقد وصفه الأستاذ محمد الأمجد بأنه: داعية إلى الاتجاه السلفي الصوفي[2].

ومثل هذا الرأي قالت به الأستاذة آمنة بنت عبد الوهاب، في مقدمتها لكتاب المجيدري، «مبين الصراط المستقيم» حيث عرضت لأهم مميزات آرائه، وكان من بينها أنه جمع بين السلفية والتصوف[3].

ومع احترامنا لرأي الأستاذين، إلا أننا نخالفهما فيما ذهبا إليه لأنهما لم يقدما ما يثبت ذلك.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد توفر لدينا ما يرجح خلاف ما ذهبا إليه، وإليك ذلك بإيجاز في النقاط التالية:

١ ـ أن هذه الدعوى تخالف منهج المجيدري العلمي، والعملي، فصرخته في وجه التقليد بصورة عامة وتمسكه بالكتاب والسنة يتعارض في نظري ـ مع تبني الفكر الصوفي.. إذ أن من أساسيات نظام الصوفية: تقليد المريد لشيخه تقليداً مطلقاً عبر عنه بعضهم بقوله:

فلازم في حقه ـ أي المريد ـ أن يلقي نفسه بين يديه ـ أي الشيخ ـ كالميت بين يدي غاسله، لا اختيار له، ولا إرادة، ولا عطاء له، ولا إفادة[4].

---

(١) أمين الريحاني: ملوك العرب ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) محمد الأمجد: المرجع السابق ص ٥٠.

(٣) راجع مقدمتها لكتاب المجيدري: مبين الصراط المستقيم ص ٢١.

(٤) محمد فاضل بن مامين: نعت البدايات وتوصيف النهايات ص ٧، طبعة دار الفكر [د. ت]، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، بحث مختصر عن الطائفة التجانية، ص ٩ ـ ١٠، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، الرياض ١٤١١ هـ.

٢ ـ أن الروايات التي وردت في هذه القضية فيها تناقض، فتارة تذكر أن المجيدري تلقى الطريقة الشاذلية على يد الشيخ أحمد محمود بن أشفغ الخطاط[١]. بعد تخرجه من مدرسة المختار بن بون مباشرة، وقبل رحلته العلمية، وتارة تذكر أنه تلقى الطريقة الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب التازي في المغرب، وهو عائد من رحلته[٢].

٣ ـ أن أقوى خصوم المجيدري المعارضين له هو المختار بن بون الجكني[٣].. وقد اشتهر بعدائه للتصوف، وكان يشدد النكير على أبرز رجال التصوف المعاصرين له في قطره، وهو الشيخ سيدي المختار الكنتي[٤].

فلو كان المجيدري وهو خصمه الأول ـ صوفياً، لكان قد أنكر عليه من هذا الجانب، ولم ينقل عنه ذلك، وقد أنكر عليه في المسائل الأخرى التي خالفه فيها.

٤ ـ أن ادعاء بعض الصوفية على كمال الدين محمد المجيدري أنه أخذ عنه أمر لا غرابة فيه، فالصوفية، وبعض الفرق الأخرى المنتسبة للإسلام، يحاولون دائماً أن يكثروا من أعلامهم بنسبة شخصيات مهمة إلى طريقتهم، وإن كانت هذه الشخصيات في الحقيقة لا علاقة لها بتلك الطريقة[٥].

---

(١) أحمد محمود بن أشفغ الخطاط الشنقيطي، فقيه صوفي، شاذلي، وشيخ محضرة، ت ١١٩٦ هـ، راجع: المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٢١٧، ومحمد الأمجد: المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص ١٥، ١٩.

(٣) راجع: البرتلي، فتح الشكور: ١٤١.

(٤) راجع: أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢٨٢، ومحمد الأمجد: المرجع السابق ص ١٥.

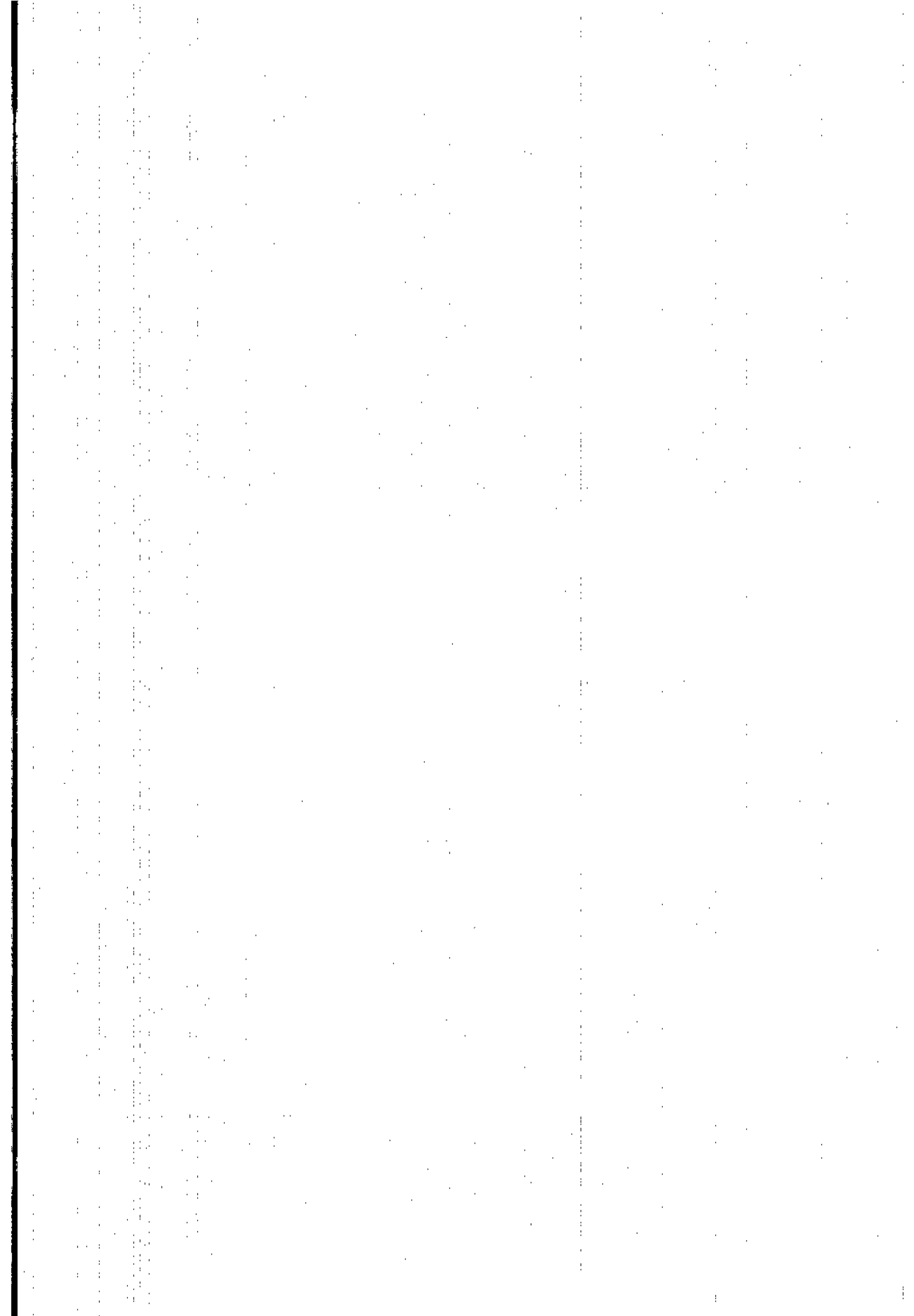
(٥) راجع: الدكتور أحمد بن محمد بناني، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف، والصوفية، ص ٨٥، وشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٥٥ ـ ١٦٣.

٥ ـ أن منهج مدرسة المجيدري خال من مناهج الصوفية، وأن تلاميذ المجيدري ـ رحمه الله ـ أخذوا عنه العلوم الشرعية، ولم يأخذوا عنه التصوف[١].

ولا يَسَع الباحثُ في سيرة المجيدري ومنهجه السلفي الذي أسس عليه مدرسته إلا أن يقرر أنه ليس صاحبَ طريقة صوفية لأنه لا يجد في سيرته وسلوكه شيئاً من علامات الصوفية، من أحوال، وغيرها، وإنما يجد سلوك السلف الصالح وزهدَهم، وعقيدتهم، وعلى افتراض صحة ما نسب إليه من أخذه للطريقة الصوفية، فلعله تركها كما فعل كثيرون من علماء بلاده، من أمثال الشيخ أحمد بن مود الجكني، والشيخ بداه بن البصيري التندغي، الذي يعتبر الآن حاملُ لواء السلفية في موريتانيا بعدما تراجع عن التصوف، والله أعلم.

---

(١) هذا هو الذي توصلت إليه ولم أقف على ما يخالفه إلا ما أشار إليه الأستاذ الباحث الأديب الخليل النحوي في كتابه بلاد شنقيط المنارة والرباط ص ١٢٤.



الفصل السادس

الشيخ [باب] ومنهجه في العقيدة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ باب.

المبحث الثاني: منهجه في العقيدة.

المبحث الأول
التعريف بالشيخ [باب]

هو العلامة المحدث، سيدي بن سيدي محمد، وقد اشتهر بلقبه [باب] ابن الشيخ سيدي، ويقال له الشيخ سيدي باب جمعاً بين الاسم واللقب، وتمييزاً له عن جده الشيخ سيدي الكبير، وكنيته أبو محمد، ويرجع نسبه إلى قبيلة تندغ[1]، إحدى قبائل المرابطين، الذين أسسوا دولة عظيمة نشرت الإسلام وأرست قواعده في النفوس في شمال وغرب إفريقيا[2].

وقد ولد الشيخ [باب] عام ١٢٧٧ هـ في بلاده، ونشأ في بيئة علمية متدينة، فهو من عائلة ذات شهرة دينية، وعلمية كبيرة، لها مكانة في المجتمع الموريتاني، لا تستطيع أن تظفر بمثلها عائلة أخرى في البلاد. يقول محمد يوسف مقلد: أنت إذا طفت موريتانيا، أو زرت بعض نواحيها فقط فإنك ستسمع أسماء عائلات معروفةٍ مشهورة كأنها أسماء العواصم، أو أسماء الشعوب، ولكن عائلة آل الشيخ سيدي عائلة لا تضاهيها عائلة أخرى في العلمية، والشهرة، لا في القديم، ولا في الحديث[3].

---

(١) أحمد بن الأمين، الوسيط: ص ٢٤٠، وعبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ٢٥١.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٩ ـ ٤٠، وعصمت عبد اللطيف المرجع السابق ص ١٢٧ ـ ١٢٨، وسلامه الهرفي، المرجع السابق، ص ٥٧ ـ ٥٨، وقد تقدم الكلام في التفصيل عن الدولة المرابطية في الفصل الثاني والثالث من هذا الكتاب.

(٣) محمد يوسف مقلد، شعراء موريتانيا ص ٣٥٩.

في هذه البيئة العلمية نشأ الشيخ سيدي باب فكان لها أثرها على شخصيته العلمية.

ولا غرو في ذلك، فقد كانت مدينة بتلميت[1] التي هي مقر عائلته، مورد طلاب العلم.

وكان أبوه الشيخ سيدي محمد علامة لغوي، وشاعر مجيد، له اليد الطولى في علم النحو، والآداب، والتاريخ، وغير ذلك[2].

وجده الشيخ سيدي الكبير، اشتهر بالعلم، والكرم، وحسن الخلق، حتى اتفق أهل زمانه على أنه لم يظهَر مثله في بلاده[3].

ولكن صاحب ترجمتنا الشيخ سيدي باب، لم يعش مع أبيه، وجده سوى بداية الطفولة، فقد توفي جده وهو في السنة السابعة من عمره، وتوفي أبوه بعد ذلك بسنة واحدة، ورغم ذلك فقد حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه عشر سنين، واشتغل بتحصيل العلم على كبار علماء بلاده، ومن أشهر العلماء الذين أخذ عنهم:

الشيخ محمد[4] بن السالم البوحسني، والشيخ محمد[5] بن حنبل بن

---

(١) تقع مدينة بتلميت: في الناحية الشرقية من مدينة نواكشوط العاصمة على بعد مائة وخمسين كم.

(٢) أحمد بن الأمين: الوسيط ص ٢٤٣، ٢٤٦، وعبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ٢٥١.

(٣) أحمد بن الأمين: الوسيط: ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٤٦٨، وما بعدها، وعبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ٢٤٩، وما بعدها.

(٤) هو عالم جليل، وشاعر مجيد، توفي في بداية القرن الرابع عشر الهجري، راجع الوسيط، المصدر السابق ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا، ص ٥٠٩ ـ ٥١٠.

(٥) هو أحد العلماء الأعلام، له اليد الطولى في علم اللغة، والنحو، والبيان، راجع الوسيط، المصدر السابق ص ٣١١ ـ ٣١٢، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٥٢١، وعبد اللطيف الدليشي، المرجع السابق ص ١٥ ـ ١٦.

الفال البوحسني، والشيخ أحمد بن سليمان الديماني[1] جد العالم الجليل المحدث محمد بن أبي مدين، والشريف الشيخ أحمد بن ازوين، من قبيلة أهل [بابية].

ويقول طلاب الشيخ سيدي الكبير: إن الشيخ أحمد ابن ازوين هذا، هو الذي ملأ الفراغ العلمي بعد الشيخ سيدي الكبير[2].

ولما ناهز الشيخ سيدي باب العشرين من عمره، تاقت نفسه إلى معرفة الحق من منبعه، فعكف على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، واستجلب الكتب من الآفاق النائية، بالأثمان الغالية، واستنسخ منها ما لم يكن مطبوعاً، حتى اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من أهل بلاده.. وأقبل عليها، قراءة وتدريساً، وتصنيفاً، بجد، وحرص بالغ في التحصيل العلمي، مع ما يتمتع به من الذكاء المفرط والحفظ النادر.

وكان إذا استفاد كتاباً ولو كانت أجزاؤه كثيرة، كتفسير الطبري، وفتح الباري مثلاً، لا يضعه مع الكتب التي كانت عنده، حتى يتصفحه ورقة ورقة، ويعلق على ما فيه من غوامض وأخطاءٍ، ويستقصيه استقصاءً كاملاً.

ولما درس السنة، جعلها نصب عينيه، وعمل بها وأصبحت تدور عليها سائر أموره، عقيدة، وشريعة، وسلوكاً، بل في حركاته، وسكناته.

وكان لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يبالي بما يصيبه في سبيله، وقد أقبل الناس عليه، والتفوا حوله، وقاد دعوة سلفية، تهدف إلى العودة

---

(١) الشيخ أحمد بن سليمان الديماني: من أعيان قبيلته، وعلمائها البارزين، أخذ العلم عن الشيخ سيد الكبير، له عدد من المؤلفات، منها: كتاب الأنساب، ت ١٣٠٠ هـ، راجع الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥١٥، ومحمد بن أبي مدين: الصوارم والأسنة في الذب عن السنة، الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ.

(٢) حدثني بذلك حفيدا المؤلف، وهما الشيخ إبراهيم بن محمد بن الشيخ سيدي باب، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سيدي باب، وذلك في مقابلة أجريتها معهما في مكة المكرمة، والمقابلة عندي مكتوبة بتاريخ ١٤١٢/١/١٦ هـ.

بالإسلام إلى ينابعه الصافية الأولى: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ونبذ الجمود، والتقليد الأعمى.

ولما كان جل أهل القطر الموريتاني في المعتقد على مذهب أبي الحسن الأشعري الأوسط، وفي الفروع على رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة، وفي التصوف منقسمين شيعاً وأحزاباً. [(١)].

بين لهم أن الصواب في المسألة الأولى هو مذهب أهل القرون الثلاثة المفضلة، وهو رفض التأويل الكلامي، وإمرار ظواهر الكتاب والسنة كما جاءت، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، على الوجه اللائق بالله عز وجل.

وفي المسألة الثانية، بين لهم أن الواجب على العلماء، أن يعرِضوا آراء الفقهاء، على الكتاب والسنة، فما كان موافقاً لهما أخذ، وما كان بخلاف ذلك ترك، لأن تقليد غير المعصوم، في كل ما يقول من غير الرجوع إلى الدليل خطأ وخطر.

وكان رحمه الله ـ يحترم الأئمة، ومذاهبهم على حد سواءٍ، من غير تعصب لإمام أو مذهب معين، يثني على الأئمة، ويشكر سعيهم، ويترحم عليهم، وينظر في أقوالهم، نظر منصف، فإن اتفقوا على مسألة بان له دليلهم فيها أو لم يبن له دليل على خلافهم، أخذ بها، وإن اختلفوا نظر إلى من معه الدليل، فأخذ بقوله، سواء كان واحداً أو أكثر.

وفي المسألة الثالثة ـ مسألة التصوف ـ وهي من أكثر المسائل تعقيداً في الحياة الدينية في موريتانيا، بين للمتصوفة أن السلامة والفوز في اتباع الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح، والابتعاد عن المحدثات، والبدع في الدين.

---

(١) تقدم الكلام عن الطرق الصوفية المنتشرة في موريتانيا، في المبحث الأخير من الفصل الأول من هذا البحث.

وعلى الرغم من أن أباه وجده كانا صوفيين، فإنه نبذ التصوف وأنكره، وانتقده نقداً علمياً موضوعياً[1].

أقوال العلماء فيه:

شخصية الشيخ سيدي باب، لا تتضح معالمها مما ذكرناه فحسب، بل تعرف كذلك بشهادات العلماء الذين عاصروه أو طالعوا في مؤلفاته، أو درسوا حياته، فقد جاء في كتاب الدر النضيد للشيخ محمد بداه بن البصيري ما نصه: «إمام الأئمة، الطود الشامخ، ناصر سنة رسول الله ﷺ، النصر المصاحب للعمل»[2].

أما سبطه، وتلميذه الشيخ محمد بن أبي مدين، فيقول عنه: «محيي السنة، ومجدد القرن الرابع عشر»[3].

وقال عنه صاحبه الفقيه الأديب المؤرخ، المختار بن حامد: «هو العالم الذي أحيا السنة، وعلومها، وقام بنشاط ملحوظ في نشر الدعوة إلى منهجه السني، السلفي، وساعده على ذلك ما يتمتع به من جاه كبير، مع الإحاطة بما في الكتب التي في بلده، ولقد صدق فيه - يقول المختار بن حامد - قول محمد فال بن عينين الحسني إذ يقول:

يا من حوى ما حوته الكتب أجمعها ... وصار يطلب ما لم تحوه الكتب[4]

---

(١) راجع عن هذا الموضوع: حياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته بقلم سبطه، وتلميذه محمد بن أبي مدين، ص ١ وما بعدها، مكتوب على الآلة الكاتبة [د. ت]، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٣٧ - ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٦٠، ٣٦١، وأحمد بن أحمد المختار: إكمال تحفة الألباب ١/ ٣٧٠، ٣٧١، وأحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) الدر النضيد، المرجع السابق ص ٤٥.

(٣) حياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته، المرجع السابق ص ١.

(٤) المختار بن حامد: المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٨/٨ هـ وهذا البيت مطلع قصيدة جيدة طويلة، يمدح فيها الشاعر الشنقيطي المشهور محمد فال بن عينين الحسني =

وقال عنه الشيخ أحمد بن أحمد المختار، إنه: «العلامة، المحقق، الموحد، العالم المتبحر، سيف الله المسلول على المبتدعين، والمعطلين، وأهل الخرافة أجمعين»[1].

أما الدكتور محمد المختار بن أباه، فقد وصفه بقوله: عالم جليل، ورجل سياسة واسع النفوذ، قوي التأثير»[2].

وقال عنه الشيخ محمد الصوفي، إنه: «العلامة المجتهد الذي أحيا الله به السنة وأمات به البدعة»[3].

أما الباحث عبد الله بن باباه، فقد وصفه بأنه: العالم المجتهد المحقق المكب على السنة، الورع، الزاهد، رجل الدنيا والآخرة[4]. وقال عنه الأستاذ أحمد ولد أبو مدين: هو محيي السنة، ومجدد القرن الرابع عشر[5].

مؤلفاته:

ألف الشيخ سيدي باب في مجالات عدة، ولعل مما يصور مكانته العلمية، واتجاهه الفكري، ذكر آثاره التي خلفها، لأن ذلك يلقي الضوء على تنوع معارفه العلمية، الشيء الذي مكنه من سلوك طريق في التأليف، بناه على الاستقلال الفكري، وتمحيص الآراء، وعرضها على الكتاب

= باب بن الشيخ سيدي، راجع نص هذه القصيدة في كتاب محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، ص ٦٦٧.

(١) أحمد بن أحمد المختار، إكمال تحفة الألباب ١/ ٣٧٠.

(٢) محمد المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، ص ٧٥، وعن النفوذ السياسي للشيخ سيدي باب، وتوليه للزعامتين الدينية والدنيوية في بلاده راجع: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، المرجع السابق ص ٣٦١.

(٣) محمد الصوفي، المرجع السابق ص ٨٠.

(٤) مقدمة ديوان باب بن الشيخ سيدي، ص ١، مخطوط، عندي صورة منه.

(٥) محمد ولد أبو مدين، المرجع السابق ص ٤٧.

والسنة، بعيداً عن التعصب الأعمى، والتقليد المذموم.

وفيما يلي عرض لهذه المؤلفات:

١ ـ إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين، طبع في تونس ١٣٨٠ هـ.

٢ ـ عقيدة مختصرة. مخطوط.

٣ ـ رسالة في أرجحية التفويض في آيات الصفات وأحاديثها، مخطوط.

٤ ـ الذكر المشروع وغير المشروع، مخطوط.

٥ ـ رسالة في حكم الهجرة من البلاد المحتلة، مخطوط.

٦ ـ رسالة في الزكاة المتفق على إجزائها، مخطوط.

٧ ـ رسالة في إجزاء القيمة في الزكاة، مخطوط.

٨ ـ رسالة في سنية رفع اليدين والقبض في الصلاة، مخطوط.

٩ ـ رسالة في كيفية الصلاة التي لا تبطل في أي مذهب. مخطوط.

١٠ ـ رسالة في بيان إعجاز القرآن، مخطوط.

١١ ـ منظومة في أهل الصفة، مخطوط.

١٢ ـ رسالة في حرف الضاد، مخطوط.

١٣ ـ تاريخ قبائل البيضان وإمارتي أدوعيش ومشظوف، مخطوط.

١٤ ـ أجوبة على أسئلة شتى، مخطوط.

١٥ ـ تعليق على ألفية ابن مالك، مخطوط.

١٦ ـ ديوان شعر، مخطوط[١].

توفي رحمه الله تعالى في بلاده عام ١٣٤٢ هـ عن عمر بلغ أربعة وستين عاماً.

وقد أرخ ابن عمه الشيخ سيدي محمد بن داداه وفاته بأبيات هذا نصها:

قضى بجيم في جمادى الثانية	إمام كل حضَر وباديه
الشيخ سيدي بوقت الظهري	وتلك أعظم دواهي العصري
في سنة تاريخها بشمسِ	والعمر دين[٢] كضياء الشمس[٣]

---

(١) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٨١.

(٢) هذه الأبيات فيها جمل استخدم الناظم فيها الرمز بنقط الحروف اختصاراً، ولغموض ذلك رأيت أنها بحاجة إلى الإيضاح، فقوله: جيم، أي اليوم الثالث من شهر جمادى، لأن الجيم تنقط ثلاثاً، وبشمس: رمز لسنة الوفاة، لأن الباء باثنتين، والشين بألف، والميم بأربعين، والسين بثلاثمائة، ودين: رمز لعمر المترجم له، فالدال بأربعة، والياء بعشرة والنون بخمسين.

(٣) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٦١، وأحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق ص ٣٢.

المبحث الثاني

منهج الشيخ باب في العقيدة

إن أبرز ما تميز به الشيخ سيدي باب، عقيدته التي تابع فيها رجال خير القرون.

فعلى الرغم من المحيط الثقافي الذي عاش فيه، والذي يسير في أغلب حاله على العقيدة الأشعرية، والطرق الصوفية، فقد كان سلفي العقيدة، وضرب مثالاً رائعاً في الوقوف عند منهج السلف، ونصرته، والدعوة إليه، والدفاع عنه.

ودعا إلى إمرار ظواهر الكتاب والسنة، كما جاءت على الوجه اللائق بالله عز وجل، ونبذ التأويل، وحرم علم الكلام، وحذر من إدخاله في المعتقد، تبعاً لأئمة السلف[(١)].

ومع أن هذا مشهور عنه في بلاده، فسوف أذكر أمثلة ونماذج تدل عليه وتؤكده، وأبدأ ذلك بمنظومته التي حررها على منهج السلف ومعتقدهم[(٢)] في آيات الصفات، وأحاديثها، وهي قوله:

ما أوهم التشبيه في آيات وفي أحاديث عن الثقات

---

(١) حياة باب بن الشيخ سيدي، المرجع السابق ص ٢، والدر النضيد، المرجع السابق ص ٤٥، وقد تقدم موقف السلف من علم الكلام في أول هذا الكتاب.

(٢) عطية محمد سالم: مقدمة كتاب الرحلة، المرجع السابق ص ٨.

فهي صفات وصف الرحمن بها وواجب بها الإيمان
ثم على ظاهرها نبقيها ونحذر التأويل والتشبيها
قال بذا الثلاثة القرون والخير باتباعهم مقرون
وهو الذي ينصره القرآن والسنن الصحاح والحسان
وكم رآه من إمام مرتضى من الخلائق بناظر الرضى
ومن أجاز منهم التأويلا لم ينكروا ذا المذهب الأصيلا
والحق أن من أصاب واحد لا سيما إن كان في العقائد
ووافق النص وإجماع السلف فكيف لا يتبع هذا من عرف
ومن تأول فقد تكلفا وغير ما له به علم قفا
وفي الذي هرب منه قد وقع[1] وبعضهم عن قوله به رجع[2]
حتى حكى في منعه الإجماعا وجعل اجتنابه اتباعا
وقد نماه بعض أهل العلم من الأكابر لحزب جهم
فاشدد يديك أيها المحق على الذي سمعت فهو الحق[3]

وقد بين الشيخ باب رحمه الله تعالى ـ في شرحه لهذه الأبيات ما يراه هو الحق، وهو إثبات كل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، من الصفات، قولية كانت أو فعلية، أو ذاتية، كالنفس، والوجه، والعين، والإصبع، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول، والاستواء على العرش وغير ذلك، معرضاً عن التأويل، متجنباً عن التشبيه، معتقداً أن الله سبحانه وتعالى، منزه عن الجارحة، ومشابهة المحدثات، لا تشبه صفاته

---

(١) هذا قريب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول ﷺ من الصفات لا ينفي شيئاً فراراً مما هو محذور إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه.. التدمرية ص ١٥.

(٢) تقدم الكلام عن كبار المتكلمين الذين رجعوا إلى مذهب السلف ص ٥٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٣) باب بن الشيخ سيدي، عقيدته، ص ١، مخطوط، توجد منه صورة عندي، وبداه بن البصيري، الدر النضيد، المرجع السابق، ص ٤٥.

صفات المخلوقات، كما لا تشبه ذاتُه ذواتِ مخلوقاته، مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ذاكراً كلام أئمة السلف، الذين لا ترقى التهم إلى الشك في عقيدتهم.

ثم قال: وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، من الصحابة والتابعين، وفقهاء الأمصار الذين ساروا على هذا المنهج، كالإمام مالك، والشافعي، والسفيانين، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من الأئمة المتمسكين بهذا المذهب..

كلهم تلقوا آيات الصفات وأحاديثها بالقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل، والتأويل، حيث كانوا يقولون اقرأوها كما جاءت، بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

ثم استطرد في نقول كثيرة عن خيار أئمة السلف، تثبت وتؤيد ما ذهب إليه قائلاً: هذا هو مذهب أهل السنة، ومعتقد سلف الأمة[2].

فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون[3] بشهادة صاحب الشريعة..

ثم إنه من المحال أن يأمر الله نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، ويُنزل عليه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) عقيدة باب بن الشيخ سيدي، المرجع السابق، ص ٢ ـ ٣.

(٣) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى ما نصه: «من المحال أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كانوا غير عالمين، وغير قائلين، في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم، والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع..

الفتوى الحموية الكبرى، ص ١٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

تجوز نسبته إليه مما لا تجوز[1].

والقارىء لهذا الكلام يلمس تقارباً واضحاً بينه وبين كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول:

«كيف يتوهم من في قلبه أدنىٰ مسكة من إيمان، وحكمة، ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ علىٰ غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه[2].

وهذا الالتقاء في الأسلوب، والمنهج الذي تقدمت الإشارة إلىٰ أمثلة منه، يجعلنا لا نستبعد أنّ الشيخ باب، في اعتناقه لعقيدة السلف، كان متأثراً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، أو أنّ الحق لا يختلف.. والله أعلم.

توسل الشيخ باب:

في مجال التوسل، كان الشيخ باب متبعاً للمنهج السلفي، كغيره من مباحث العقيدة، وهو الوسيلة إليه تعالىٰ، بالعمل الصالح وأسمائه، وصفاته، جلّ شأنه.

فقد عثرت له علىٰ منظومة تبلغ تسعة وتسعين بيتاً، يتوسل في كل بيت منها باسم من أسماء الله الحسنىٰ، وهذه نماذج منها:

يــالله قــرّبــنــي إلــيــك قــربــىٰ	وأكــرمــنــي بــالــمــقــام الأربــىٰ
والــتــرحــمــن مــن سوء كــل ريــنــي	ضــعــفــي يــا رحــمــن فــي الــداريــنــي
واعــطــف عــلــيــنــا يــا رحــيــم عــطــفــاً	يــعــمــنــا تــفــضــلاً ولــطــفــاً
واغــفــر ذنــوبــي وامــحِ مــن خــطــايــا	مــا كــان يــا غــفــار فــي الــخــطــايــا
ولا تــرد يــا ســمــيــع دعــوتــي	ولا تــقــابــل بــالــجــفــاء جــفــوتــي

(١) عقيدة باب بن شيخ سيدي، المرجع السابق، ص ٤.

(٢) الحموية الكبرى، ص ١٢.

وعـمـنـا بـالـلـطـف يـا بـصـيـرا   بـخـلـقـه وكـن لـنـا نـصـيـرا
واجعل حسابي يا حسيب عرضا   أسـر إن لاقـيـتـه وأرضـا[1]

وتجدر الملاحظة هنا إلىٰ أنّ الوسيلة المشروعة هي الوسيلة إليه تعالىٰ، بالعمل الصالح، وأسمائه، وصفاته، كما سبق ذكره.

وبدعاء الأنبياء، والصالحين في حياتهم، أما ما يزعمه بعض المنتسبين للإسلام من أنّ المراد بالوسيلة مشايخ الطرق الصوفية، الذين يكونون واسطة بينهم وبين ربهم، ويستدلون علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[2].. فهذا باطل.

قال الطبري عند هذه الآية: المعنىٰ: اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»[3].

وقال الشوكاني: الوسيلة: قيل هي التقوىٰ، لأنها ملاك الأمر وكل الخير والظاهر أنّ الوسيلة التي هي القربة تصدق علىٰ التقوىٰ، وعلىٰ غيرها من خصال الخير، التي يتقرب بها العباد إلىٰ ربهم[4].

وقال الشنقيطي في كتابه أضواء البيان: جمهور العلماء علىٰ أنّ المراد بالوسيلة: القربة إلىٰ الله تعالىٰ، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وفق ما جاء به محمد ﷺ، وبإخلاص في ذلك لله عزّ وجلّ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلىٰ الله، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة..

أما ما يزعمه المتصوفة من أنّ المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون واسطة بينهم وبين ربهم، فهذا باطل، لأن اتخاذ الوسائط من دون الله

---

(١) راجع القصيدة كاملة في ديوانه، المصدر السابق ص ٦٠ وما بعدها.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.
(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن ٦/ ٢٢٦.
(٤) فتح القدير ٢/ ٣٨.

من أصول الكفر[1].

وقد ذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، أنّ الوسيلة المشروعة تكون باتباع الرسل، والنور الذي جاءوا به، وأما الأنبياء والصالحون فليس من المشروع التوسل بذواتهم، ولا جاههم، ولا حرمتهم، وإنما يشرع التوسل بدعائهم، في حياتهم كما فعله المسلمون في زمنه ﷺ وبعده، كما يشرع التوسل إليه جلّ وعلا بأسمائه وصفاته[2].

موقف الشيخ باب من التصوف:

نبذ الشيخ سيدي باب التصوف ولفظه، وعلى الرغم من أنّ أباه وجدّه كانا صوفيين، فإنه أنكر التصوف وانتقده، واعتبره من المحدثات والبدع في الدين.

وسوف أذكر من منظوماته ما يلقي الضوء على موقفه من الصوفية والتصوف، ومن ذلك قوله:

كن للإلٰه ذاكراً	وأنكر المناكرا
وكن مع الحق الذي	يرضاه منك دائرا
ولا تعد نافعاً	سواه أو ضائرا
واسلك سبيل المصطفىٰ	ومت عليه سائرا
أما كفىٰ أوَلنا؟	أليس يكفي الآخرا؟
وكن لقوم أحدثوا	في أمره مهاجرا
قد موهوا بشبه	واعتذروا معاذرا

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٩٧ ـ ٩٨، طبعة عالم الكتب، بيروت، [د. ت].

(٢) صالح بن عبد العزيز: هذه مفاهيمنا ص ١١ ـ ١٩، بتصرف، الطبعة ١٤٠٧ هـ بدون تحديد مكان، ومحمد بن أحمد: القول الجلي في حكم التوسل بالنبي ص ٦ وما بعدها، دار صبح الإسلامي [د. ت].

وزعموا مزاعما وسودوا دفاترا
واحتنكوا أهل الفلا واحتنكوا الحواضرا
وأورثت أكابر بدعتها أصاغرا
واحكم بما قد أظهروا فما تلي السرائرا
وإن دعا مجادل في أمرهم إلىٰ مرا
فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا[1]

وقال أيضاً:

آمن أخي واستقم ونهج أحمد التزم
واجتنب السبُل لا تغررك أضغاث الحلم
لا خير في دين لدىٰ خير القرون منعدم
أحدثه من لم يرد نص بأنه عصم
من بعدما قد أنزلت اليوم أكملت لكم[2]
وبعدما صح لدىٰ جمع علىٰ غدير خم
وادع إلىٰ سبيله وخص في الناس وعم
واذكر إذا ما أعرضوا عليكم أنفسكم[3]

وقد اتخذ الشيخ باب من الأموال التي يستنزفها المتصوفة من أيدي

---

(١) أحمد بن أحمد المختار: إكمال تحفة الألباب ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١، ومحمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٧٩ ـ ٣٤٠، ومحمد بن أبي مدين: باب بن الشيخ سيدي، حياته وعقيدته، ص ٥، وشن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات ص ١٨٤، مخطوط شخصي.

(٢) الشطر الأخير من هذا البيت جزء من الآية رقم: ٣، من سورة المائدة.

(٣) محمد بن أبي مدين: شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات، ص ١٧٢، وحياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته، ص: ٥، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٨١، والشطر الأخير من البيت الأخير جزء من الآية رقم ٥، من سورة المائدة.

أتباعهم باسم الدين، وتحت شعارات دينية زائفة، مدخلاً لنقد المتصوفة، وكشف عوراتهم. فوصفهم بأنهم مبتدعة، يأكلون أموال الناس بالباطل، حيث قال:

آكل مال الناس بالباطل	مزخرف القول بلا طائل
ميلهم عن سنة المصطفىٰ	إلىٰ طريق البدعة المائل
محصل المال بلا فترة	في جمعه المانع للحاصل
عجلان في حظ له عاجل	كسلان في منفعة الآجل
يصبو إلىٰ زخرفه عاقل	كأنه من ليس بالعاقل
اتسع الخرق علىٰ راقع	واختلط الحابل بالنابل
هذا وذو التوحيد عنوانه	إسناده الفعل إلىٰ الفاعل[1]

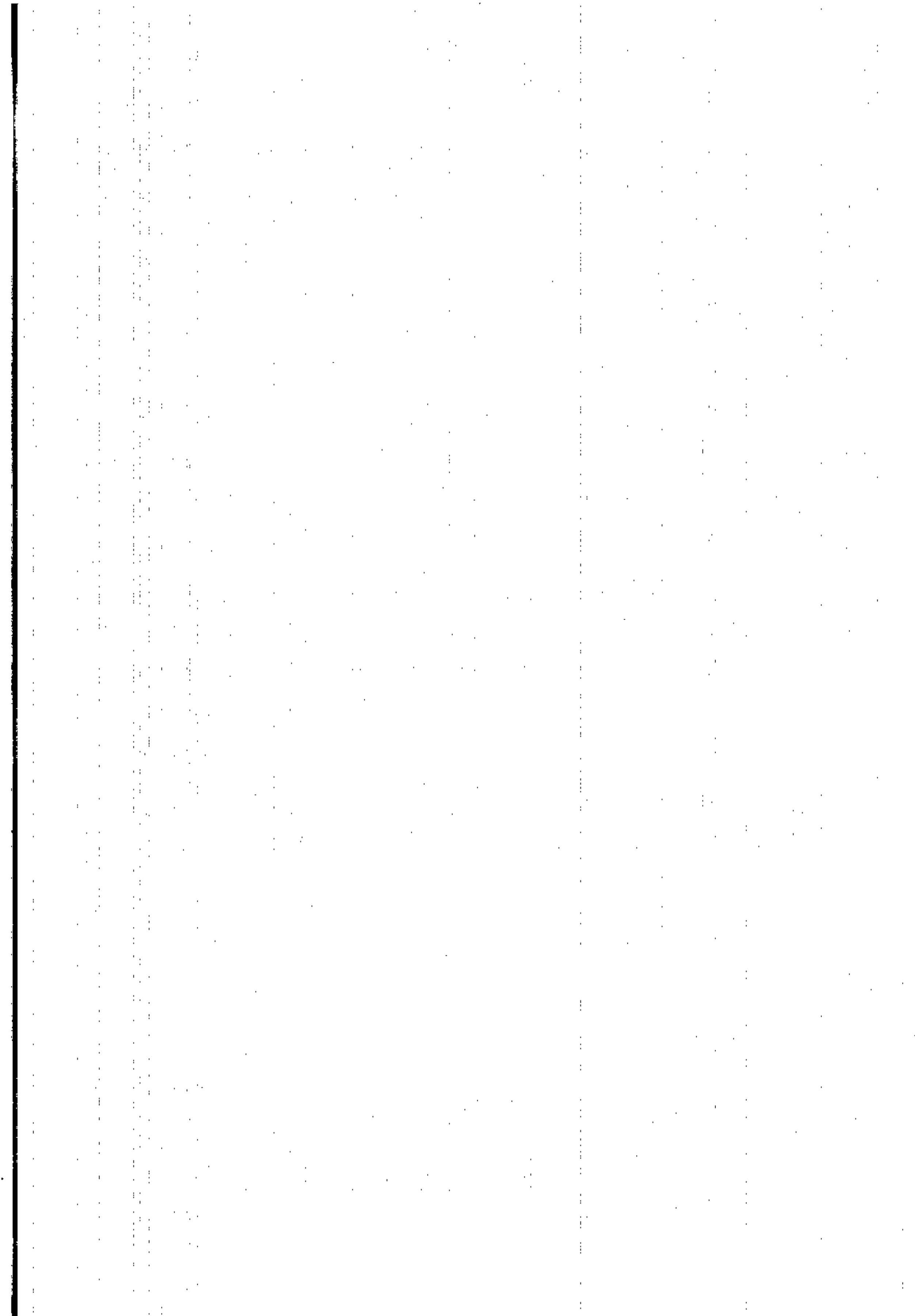
ويتضح من هذه المنظومات السالفة الذكر، تمسك الشيخ سيدي باب بمنهج السلف الصالح وعمق توحيده وبعده عن البدع وما يؤدي إليها.. وأخيراً نجد الشيخ باب يخاطب الصوفية بلغتهم، فيبين لهم أنه لا حقيقة للتصوف المؤدي إلىٰ النجاة إلا العلم والعمل الخالصين لوجه الله تعالىٰ، حيث يقول:

حقيقة الصوفي عند القوم	أهل الصفاء من دواع اللوم
العالم العامل في إخلاص	لا غير يا ملتمس الخلاص[2]

---

(١) محمد بن أبي مدين: شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات، ص ١٨٥، وراجع له أيضاً: حياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته، ص ٥.

(٢) ديوان باب بن الشيخ سيدي، المرجع السابق ص ٥٥.



الفصل السابع
تلاميذ الشيخ باب وتأثيره العام علىٰ العقيدة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تلاميذه.

المبحث الثاني: تأثيره العام علىٰ العقيدة.

* * *

المبحث الأول
تلاميذ الشيخ باب بن الشيخ سيدي

ذكرنا في الفصل السابق في ترجمة الشيخ سيدي باب أنه لما ناهز العشرين من عمره، تاقت نفسه إلىٰ معرفة الحق من منبعه، كتاب الله تعالىٰ، وسنّة رسوله ﷺ، وكون مكتبة زاخرة بالمصادر، في مجالات العلوم الإسلامية، وجلس للمطالعة، والتدريس، والتصنيف..

وقد التف حوله طلاب العلم للاستفادة من علمه، ومن مكتبته، فدرسوا عليه، وتخرجوا من مدرسته، وهم يحملون فكره السلفي.

وسوف نتناول في هذا المبحث أبرزَ تلاميذه الذين تأثروا بفكره، وحملوا لواء دعوته السلفيةِ من بعده، وفيما يلي عرض عن هؤلاء العلماء السلفيين.

* * *

أولاً: الشيخ محمد المهابة بن سيدي محمد

هو العلاّمة اللغوي محمد المهابة بن سيدي محمد بن الطالب إميجن الجَملي، وينسبون إلىٰ إدريس بن عبد الله[1].

---

(١) تقدم الكلام عن إدريس بن عبد الله المتوفى عام ١٧٥ هـ وكيف استقر بالمغرب وإلى إدريس هذا ينسب الجمليون، قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بلال الجملي:

انسب إلى سبط النبي الحسن	من عرفوه بالمثنى الحسني
وانسب إلى المثنى عبد الله	الكامل الحبر الهمام الباهي
وانسب له الشهير إدريس العلي	ومنه من قد انتموا للجملي=

وقد ولد محمد المهابة في ضواحي مدينة [مقطع الحجار] بولاية ألاك [البراكنة] عام ١٣٠٦ هـ، وحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم تابع دراسته على علماء المنطقة، ومن أبرزهم: الفاروق بن زياد الديماني، والأمين بن الشيخ محمد الحجاجي، ومحمد سالم بن حد من قبيلة [أهل بابيه].

وبرع في الفقه، واللغة العربية، وعلومها، والحديث، ومصطلحه، وكان شديد الذكاء، متفوقاً على أقرانه في الحفظ والفهم.

واتباعاً لطريقة السلف في الرحلة لطلب العلم، رحل الشيخ محمد المهابة من مسقط رأسه بولاية البراكنة إلى الشيخ سيدي باب في مدينة بتلميت، وأخذ عنه العقيدة السلفية، وتأثر بمنهجه القائم على التمسك بالكتاب والسنّة، ونبذ التعصب والتقليد الأعمى.

وبعد وفاة الشيخ سيدي باب، رحل لأداء مناسك الحج والتزود من العلم وأثناء وجوده في المملكة العربية السعودية، التقى ببعض العلماء السلفيين فيها، ومنهم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، وفي هذه الرحلة حصل على مكتبة سلفية كبيرة، ولدى عودته إلى وطنه أبدى إعجابه رحمه الله بما شاهده من نصوع الحق على أيدي دعاة السلفية في المملكة العربية السعودية.

وقد تصدى للرد على المبتدعة، من متكلمين، ومتصوفة، وغيرهم، وفند أقوالهم الواهية، بالأدلة القاطعة، من الكتاب والسنّة، واشتهر بالرد على المبتدعة، والضلال، حتى لقب بـ [ابن تيمية الصغير].

= حصلت على هذه الأبيات من مراسلة علمية تمت بيني وبين الشيخ محمد الشيباني الذي ستأتي ترجمته قريباً، حيث أرسل إلى جميع المعلومات التي طلبت منه مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٣/١٢/١٤١٢ هـ جزاه الله خيراً على حسن صنيعه.

مهنته
التدريس والقضاء والفتيا

كان الشيخ محمد المهابة شيخ محضرة، تعج بطلاب العلم، وكانت طريقته في التدريس ذات سمة خاصة، تميزها عن طريق التدريس التي عليها غالبية مشايخ المحاضر.

فيعرض المسألة عرضاً علىٰ الطلاب، ثم يطرحها للمناقشة معهم، مناقشة علمية، وإذا ظهر له مخالف من طلابه، وتبين بعد المناقشة أنّ الحق مع الطالب، رجع إلىٰ الحق، بتواضع وإنصاف، فكانت محضرته محضرة أخذ وعطاء.

وقد تخرج منها عدد من العلماء، منهم:

محمد عمر بن محمد بلال الجملي، وسيدي محمد بن تكدي اللمتوني، ومحمد الشيباني النجمري، وغيرهم.

وبالإضافة إلىٰ مهنة التدريس كان يتولىٰ القضاء، والفتيا، في دائرة البراكنة، [ولاية ألاك]، وسار فيهما سيرة حسنة، وعرف عنه العدل، والنزاهة، وحسن الخلق، والنشاط، وكان فاضلاً، حسن السمت، صارماً في الحق، وقد نال ثقة عظيمة عند الناس، فكانوا يأتونه من أماكن بعيدة للقضاء بينهم، أو للفتوىٰ في المسائل التي تشكل عليهم، ويعودون من عنده وهم راضون مطمئنون.

وقد شهد له العارفون به من العلماء المعاصرين له بالفضل، والعدل والإنصاف.

وظلّ الشيخ محمد المهابة يزاول نشاطه في هذه المجالات، وفي الدعوة إلىٰ العقيدة السلفية، حتىٰ توفي رحمه الله تعالىٰ[1].

---

(١) الطالب أحمد بن سيدي حمود: مقدمة كتاب مذهب السلف في التفويض في آيات =

مؤلفاته:

ألف الشيخ محمد المهابة في مجالات من العلم مختلفة، مما يدل علىٰ تنوع معارفه العلمية، وتذكر المراجع أنّ العديد من مؤلفاته قد ضاع بسبب ضياع مكتبته النفيسة في مدينة [ألاك]، بعد وفاته رحمه الله، وقد تمّ العثور علىٰ مؤلفاته التالية:

١ ـ مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها، وهذا الكتاب قدم له وحققه ابن أخت المؤلف الطالب أحمد بن سيدي حمود، وهو الآن تحت الطبع وستأتي نقول منه في منهج المؤلف العقدي.

٢ ـ عقيدة مختصرة أولها أقسام الدين ثلاثة... إلخ.

٣ ـ كتاب في المتشابه.

٤ ـ نظم في أسماء الله الحسنىٰ.

٥ ـ نظم إضاءة الأدموس في اصطلاح القاموس، وشرح عليه.

٦ ـ حاشية على عبد الباقي شارح مختصر خليل، وعلىٰ محشية البناني.

٧ ـ فتاوىٰ مدونة في مجلد.

٨ ـ ردود فقهية علىٰ بعض علماء عصره في موضوعات من الفقه مختلفة.

٩ ـ طرة علي سلم الأخضري في المنطق.

١٠ ـ تعليق علىٰ نظم عبد الرحمن بن بلال [الكبير] في علم الكلام.

= الصفات وأحاديثها لمحمد المهابة بن سيدي محمد، ص ٢ ـ ٤، مكتوب على الحاسوب في شوال ١٤١٠ هـ بجدة، ومراسلة محمد الشيباني السابقة، بتاريخ ١٣/١٢/١٤١٢ هـ.

وهذه المؤلفات ما تزال مخطوطة، بعضها في دار الثقافة بمدينة نواكشوط والبعض الآخر عند تلامذة المؤلف.

توفي الشيخ محمد المهابة رحمه الله، في أوائل ذي الحجة من عام ١٣٧٠ هـ في مدينة أندر [سانلويس] بالسنغال[١].

منهج الشيخ محمد المهابة في العقيدة:

كان الشيخ محمد المهابة من العلماء المتمسكين بمنهج السلف الصالح عقيدة وشريعة وسلوكاً، واقفاً عند حدود الشرع، معتصماً بالكتاب والسنّة، مدافعاً عن عقيدة السلف.

وكتابه [مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها] شاهد بذلك.. هذا الكتاب الذي يظهر فيه التأثر العميق بالشيخ سيدي باب ومؤلفاته، وذلك أنّ مؤلفه عندما يعرِض آراء الفرق في مبحث من مباحث العقيدة، ويناقشها ويرجح مذهب السلف منها يقول: «وبهذا قال إمام العصر الشيخ سيدي باب» ثم يسوق نص كلامه نظماً أو نثراً»[٢].

وقد حاز هذا الكتاب على تزكيات من علماء سلفيين في موريتانيا وعلى رأسهم الشيخ بداه بن البصيري الذي قرظه بما نصه (أما بعد: فقد تأملت كتاب العلامة المحقق محمد المهابة بن الطالب إميجن في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها، فإذا هو موافق لما عندي في تأليفنا المسمى [تنبيه الخلف الحاضر على أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر].. فلذلك سلمته تسليم معترف به»[٣].

---

(١) الخليل النحوي، المرجع السابق: ٦١٣ ـ ٦١٤، والطالب أحمد بن سيدي حمود، المرجع السابق، ص ٤ ـ ٥، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ٤١.

(٢) راجع مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها، ص ١٠، ٥٠، ٧٧، ٨٢.

(٣) المرجع السابق نفسه، المقدمة ص ١.

وقد وصفه الشيخ محمد الشيباني النجمري، بقوله: «إنّ تأليف شيخنا العلامة محمد المهابة - رحمه الله - المسمىٰ [مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها لا يختلف ما فيه عن ما هو موجود في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية»[1].

وقد ذكر الشيخ محمد المهابة رحمه الله - سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: «ولما كان جلّ ما يعتمده أهل زماننا في بلادنا هذه الشاغرة عن الحواضر الإسلامية، في العقائد، إنما هي تآليف المتأخرين، كالسنوسي[2]، المتوفىٰ سنة نيف وتسعين وثمانمائة، ونحوها، بحيث تعسر معرفة مع من الحق من هذين المذهبين، يعني مذهب السلف ومذهب الأشاعرة - أردت أن أبين الحق في ذلك، وهو ما كان عليه السلف الصالح»[3].

واستهل - رحمه الله - كتابه هذا بقوله «أما بعد: فقد ظهر لنا بعد الاطلاع علىٰ مذاهب الأقدمين، أنما عليه جلّ ما بأيدينا من تآليف المتأخرين في آيات الصفات وأحاديثها، مبني علىٰ مذهب مرغوب عنه عند السلف، والفقهاء، والمحدثين، وهو قولهم إنها مصروفة عن ظاهرها إجماعاً[4].

وركز في هذا الكتاب من بدايته إلىٰ نهايته علىٰ بيان منهج السلف في آيات الصفات وأحاديثها، وهو: إثبات كل صفة وصف الله بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله ﷺ في الذي صح عنه من سنّته، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تعطيل، ولا تأويل، كما ركز في بعض

---

(١) مراسلة محمد الشيباني السابقة، بتاريخ ١٣/١٢/١٤١٢ هـ.

(٢) تقدمت ترجمته في الفصل الرابع.

(٣) مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها ص ٩٨.

(٤) المرجع السابق نفسه ص ٧، وتقدم دعوى الأشاعرة للإجماع على وجوب صرف نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إذا أوهمت غير اللائق بالله عز وجل، وتم الرد على هذه الدعوى المزعومة، راجع ص ٣٨ من هذا الكتاب.

المباحث على الرد على الأشاعرة.

وسوف نقتطف من هذا الكتاب ما يلقي الضوء على المنهج العقدي لصاحبه، ومن ذلك قوله:

«... إنّ السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم من الفقهاء، والمحدثين، مجمعون على إبقاء نصوص الكتاب والسنّة على ظواهرها.. والسكوت عليها من غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، بل يعتقدونها حقاً بلا تكييف، مع اعتقادهم أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء»[1].

وأضاف ـ رحمه الله ـ قائلاً: «إنّ هذا المذهب هو الذي كان عليه مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك ـ رحمهم الله ـ فقد روي عنهم كلهم أنهم أثبتوا الصفات التي وردت في الكتاب والسنّة، وقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وهو قول أهل العلم من أهل السنّة والجماعة.. وأما الجهمية فأنكروا ذلك، وتأولوا آيات الصفات وأحاديثها، وفسروها على غير ما فسر أهل العلم[2].

رأي الشيخ محمد المهابة في [المعية]:

تقدم قبل قليل ما يلقي الضوء على منهجه العقدي العام، ورفضه للمنهج الكلامي الأشعري السائد في عصره، ووطنه.

وأما بالنسبة لآيات المعية وأحاديثها فذكر فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنّ المعية داخلة في الصفات، فيفوض فيها من غير تكييف ولا تأويل على طريقة السلف في الصفات.

القول الثاني: تأويل المعية بالعلم دون الذات.

(١) مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات، ص ٨.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٨ ـ ٩.

وهذان القولان يظهر من كلامه أنهما رأيان لأهل السنّة والجماعة مقبولان ولم يرجح بينهما ترجيحاً واضحاً صريحاً، وإن كان قد يفهم من أسلوبه أنه يميل إلىٰ القول الأول منهما.

القول الثالث: هو قول الجهمية[1] الضلال، وهو أنّ الله تعالىٰ في كل مكان بذاته[2].

وقد ردّ علىٰ أصحاب هذا القول الفاسد بما لا مزيد عليه، ثم قال: اعلم وفقنا الله وإياك أيها الناظر أنّ الرادين علىٰ أهل معية الذات فريقان: يرجع كل منهما إلىٰ أصل غير أصل الآخر، ويبدع كل واحد منهما الآخر.. أحدهما: فريق المحدثين الذين يرجعون في صفات الله تبارك وتعالىٰ وأسمائه إلىٰ محض النقل، فيؤمنون بظاهر كل ما أخبر الله به عن نفسه، من غير تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، وهؤلاء أهل السنّة والجماعة علىٰ التحقيق.

والثاني فريق المتكلمين[3] الذين يرجعون في عقائدهم إلىٰ الدليل

---

(١) قال الذهبي: مقالة الجهمية: أن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا، بعلمه، ومقالة متأخري المتكلمين: أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات، ولا في الأرض، ولا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه، ولا متصل بهم، وقالوا جميع هذه الأشياء صفات الأجسام، والله تعالى منزه عن الجسم، وقال أهل السنة والأثر: نحن لا نخوض في ذلك، ونتبع النصوص وإن زعمتم... ولا نقول بقولكم فإن هذه السلوب نعوت المعدوم ـ تعالى الله جل وعلا عن العدم ـ بل هو موجود متميز عن خلقه، موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف.. العلو للعلي الغفار ص ١٠٧.

(٢) مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها ص ١١ ـ ١٣.

(٣) ذكر الذهبي: أن رأي المتكلمين في هذه المسألة لا يعقل ولا يفهم، ونص كلامه: فأما القول الثالث: المتولد أخيراً من أنه تعالى ـ ليس في الأمكنة، ولا خارجاً عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق، ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متميزة، ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات، ولا خارجاً عن الجهات، ولا ولا.. فهذا شيء لا يعقل، ولا يفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيات، والأخبار، =

العقلي فيحكمونه في كل ما ورد نقلاً، فإن وافقه قبلوه، وإلا ردوه أو تأولوه[1].

ويسلك الشيخ محمد المهابة ـ رحمه الله ـ في مسألة الإيمان مسلك أهل السنّة والجماعة ـ كعادته ـ فيقول:

«إنّ الإيمان قول واعتقاد، وعمل يزيد وينقص»[2].

وبعد هذه النصوص، التي سقناها عن الشيخ محمد المهابة رحمه الله والتي تلقي الضوء علىٰ منهجه العقدي، أريد أن أذكر ما أشرت إليه من قبل، وهو أنّ الشيخ محمد المهابة رحمه الله ـ لم يقتصر علىٰ اتباع عقيدة السلف وبيانها، بل تصدىٰ للرد علىٰ الأشاعرة، وكانت ردوده علمية، وهادئة.

فقد بين أنّ الطريق المأمونة هي: طريق الكتاب والسنّة، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، وأئمة المذاهب الأربعة، وغيرهم من أهل السنّة والجماعة.

وشرح للأشاعرة المراحل العقدية التي مرّ بها أبو الحسن الأشعري، إلىٰ أن تاب في آخر عمره عن معتقداته التي أخذها من علم الكلام، ورجع في عقائده إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنّة والجماعة[3].

والمعروف أنّ الأشاعرة يقسمون الصفات الإلهية، فيؤولون أكثرها، ويثبتون بعضها بدون تأويل.

وقد ركز الشيخ محمد المهابة ـ رحمه الله ـ في رده علىٰ الأشاعرة

= ففر بدينك، وإياك وآراء المتكلمين، وآمن بالله، وما جاء عن الله على مراد الله، وفوض أمرك إلى الله» العلو للعلي الغفار ص ١٩٥.

(١) مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١١٣.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١١٤.

على هذا التقسيم، فبين أنه لم يرد به كتاب، ولا سنّة، ولا ثبت عن السلف الصالح، وأن صفات الباري عزّ وجلّ كلها من باب واحد، لأن الموصوف بها جلّ وعلا واحد، وهو منزه عن مشابهة المخلوقين، في شيء من ذواتهم أو صفاتهم، فكل ما جاء في الكتاب، والسنّة، من الصفات، يجب الإيمان به، وإبقاؤه على ظاهره، بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، كالنفس، والعين، والإصبع، واليد، والرجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح، وغير ذلك.

فالله عزّ وجلّ لا تشبه صفاته صفات المخلوقين، كما لا تشبه ذاته ذواتهم.. كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وبعد أن بين الشيخ محمد المهابة ـ رحمه الله ـ للأشاعرة مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص، والصفات الواردة فيها، من غير تأويل، ولا صرف لها عن ظاهرها، مع التنزيه لله عزّ وجلّ وذاته العلية، عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوقين.

قال: «على هذا النهج مضى سلف الأمّة، وعلماء السنّة، ولم ينقل عن النبيّ ﷺ ولا أحد من أصحابه من طريق صحيح، تصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يترك النبي ﷺ هذا الباب، فلا يميز ما يجوز نسبته إلى الله مما لا يجوز..»[2].

كما بين رحمه الله ـ أنّ أصل خطأ المتكلمين في مبحث الصفات، هو قياس الغائب على الشاهد، فقد ذكر مناقشات المتكلمين، حول حقيقة الذات الإلهية، وصفاتها، ثم قال ما نصه: «إنّ أصل ما ذكروه قياس الغائب على الشاهد، وهو أصل كل خطأ، والصواب الإمساك عن أمثال هذه المباحث، والتفويض إلى الله في جميعها..»[3].

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٠.
(٢) انظر المرجع السابق نفسه: ص ١١.
(٣) المرجع السابق نفسه ص ٥٤.

ويصف الشيخ محمد المهابة ـ رحمه الله ـ علم الكلام بأنه مخترع لا أصل له في دين الإسلام، حيث يقول:

«.. وحقيقة الدليل العقلي مبنية على تقسيم الفلاسفة العالم إلى عرض وجرم، وهو أصل مخترع لا أصل له في دين الإسلام»[1]..

هذا ولم يقتصر الشيخ محمد المهابة ـ رحمه الله ـ على بيان الحق للأشاعرة، والوقوف ضد منهجهم الكلامي، والرد عليه فحسب، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إنّ موقفه من الخرافيين، والمتصوفة، لا يقل شأناً عن موقفه من المتكلمين، وبسبب ذلك وقع الخلاف بينه وبين كثير من معاصريه.

غير أنه لم يكترث بخلافهم، بل صمد أمامهم صمود من يمتلك الحجة وجرت بينه وبينهم مناظرات ومكاتبات كثيرة[2].

وقد اهتم الشيخ محمد المهابة ـ على وجه الخصوص ـ بالدعوة إلى حماية جانب التوحيد وتحقيق توحيد العبادة لله تعالى، والنهي عن دعاء غيره عزّ وجلّ.

كما ركز على نقد المتصوفة، فوصفهم بالغلو والبعد عن الحق، واستعباد أتباعهم، وأبياته التالية تدل على ذلك، حيث يقول:

شكى الشجو منتاب الهوى متهالكا ... وأعطى القياد منه ما كان مالكا
وأعظم عذل العاذلين متيما ... سلاما سلا فاستعبر الدمع حالكا
وما ذاك من إلف تقادم عهده ... ولا ظعن بطن الغوير سوالكا
سوى أن دعي داع إلى الله شفه[3] ... اقتحام بني الجنس الدهور المهالكا

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، المقدمة ص ٣، ومراسلة محمد الشيباني السابقة بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٤١٢ هـ.

(٣) المشفشف: بالفتح، والكسر، السيىء الخلق، ومن به رعدة واختلاط غيرة وإشفاقاً=

فأرشدهم للحق لا متخافتا ... به جزعاً كلا ولا متهالكا
يقول اجعلوا لله حسب دعاءكم ... أيستوهب المرغوب من ليس مالكا
فليس الندا سى التوسل ثم ذا ... سبيل احتياط إن تذر كنت سالكا
فخاتمة الصوفي[1] تنمي لمالك ... به الحظر فاحذر أن تخالف مالكا
بلى ومزايا الصالحين كثيرة ... وما هم دعاة الغي ذم أولا لكا

إلى أن يقول:

فجالس وزر واصحب وباذل وحبهم ... لوجه إله العرش تسعد بذلكا
فما العلم إلا آية ثم سنة ... تخيرها الحفاظ مما هنالكا
كفوا وضعها بل ضعفها وشذوذها ... وإعلالها فلتجن ذلك عالكا
وإلا فرأي من إمام مهذب ... وعن العلم غضاً واستبان المسالكا
وإياي والوعاظ عني غلوهم ... فقد جعلوا الأتباع منهم ممالكا
هم صيروا والحق أبلج واضح ... من الإفك غر النيرات حوالكا[2]

ثانياً: الشيخ محمد بن أبي مدين

هو العالم الجليل، المحدث، واللغوي، الشهير محمد بن أبي مدين الديماني الشمشوي[3].

ولد في نواحي مدينة بتلميت سنة ١٣٢٢ هـ وتربى في حجر جده

= على حرمه، واستشفه نظر ما وراءه، وشفشفه الهم: هزله، وضمره حتى دق، وشفشف عليه إذا أشفق، الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ١٠٦٦.

(١) خاتمة الصوفي: كتاب لمحمد سعيد اليدالي الديماني الشنقيطي المتوفي عام ١٦٦ هـ وهو كتاب مشهور في موريتانيا، وما يزال مخطوطاً إلى عهد قريب.

(٢) هذه الأبيات أوردها محمد الشيباني في رسالته السابقة بتاريخ ١٤١٢/١٢/١٣ هـ مستشهداً بها على اتباع الشيخ محمد المهابة للسنة، ووقوفه ضد الشركيات والبدع.

(٣) تقدم الكلام عن أصل هذه التسمية [تشمشه] في الفصل الأول من هذا الكتاب وللتوسع فيما يتعلق بالقبائل الشمشوية، راجع أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق، ص ١١ وما بعدها.

لأمه الشيخ سيدي باب الذي الذي تولىٰ تدريسه بنفسه، وأشرف علىٰ تكوينه العلمي، والأخلاقي، حتىٰ تفقه في الدين، وكان يلزمه بالمطالعة الدائمة للكتب الضخمة، والسؤال عن كل مشكل عرض له فيها علىٰ الفور.

ومن هذه الكتب علىٰ سبيل المثال: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وتفسير الطبري وتاريخه، ويقال إنه كاد أن يحفظ هذه الكتب عن ظهر قلب، وكان الشيخ سيدي باب يقول له دائماً: اسأل عن كل ما عرض لك من إشكال فإنَّ العلم إذا كشفته سترك، وإذا سترته فضحك[1].

ولم يقتصر الشيخ محمد بن أبي مدين في أخذ العلم علىٰ جده الشيخ سيدي باب، بل أخذه عن غيره من مشاهير علماء بلاده، فقد درس اللغة العربية، والشعر، علىٰ والده[2].. ودرس النحو في مدرسة يحظيه بن عبد الودود[3] وظهرت نجابته وذكاؤه في هذه المدرسة، واستفاد منها، وأصبح من أبرز علماء البلاد في عصره[4].

وبعد تخرجه من هذه المدرسة، عاد إلىٰ المكتبة التي خلفها جده الشيخ سيدي باب، وجلس فيها للمطالعة والتدريس، والتصنيف، بجد بالغ في التحصيل العلمي[5].

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٢٠ ـ ٢٦.

(٢) هو أبو مدين بن الشيخ أحمد، ولد حوالي ١٨٧٠ م من عائلة ذات شهرة علمية، وكان عالماً وشاعراً مجيداً، ملتزماً باتباع مذهب أهل السنة، والجماعة، واشتهر بالسجايا الحميدة، وكرم النفس، راجع أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق نفسه ص ١٩ ـ ٢٣.

(٣) يحظيه بن عبد الودود، عالم جليل، ولغوي مشهور، ويعتبر من أبرز علماء البلاد، وخاصة في مجال اللغة العربية، وعلومها، ويلقب بـ [سيبويه] وهو من أعيان البلاد، وشيخ محضرة ذات صيت كبير، تخرج منها كثير من العلماء، ت ١٣٥٨ هـ، الخليل النحوي المرجع السابق ، ص ٤٩٨ ـ ٥٣٣.

(٤) أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق، ص ٢٤ ـ ٢٦.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٢٥ ـ ٢٦.

مهنته، ومؤلفاته:

أ ـ مهنته:

اشتغل الشيخ محمد بن أبي مدين بالتدريس، فبعد نهاية دراسته علىٰ الشيخ يحظيه بن عبد الودود، توجه إلىٰ مدينة [بتلميت] وجلس للتدريس واجتمع عليه طلاب العلم، من أنحاء مختلفة من البلاد، وتخرج من محضرته عدد من طلاب العلم.

وفي عام ١٩٤١ م انتسب إلىٰ سلك التعليم النظامي، حيث عين مدرساً في أول مدرسة ابتدائية تأسست في مدينة بتلميت، وذلك بموجب القرار رقم ٧٩٢ الصادر بتاريخ ١٩٤١/١١/١٤ م، وظل مدرساً في هذه المدرسة حتىٰ فتح المعهد الإسلامي(١) عام ١٩٥٩ م، فاختير للتدريس فيه من بين نخبة من أعيان علماء البلاد، وأسندت إليه مادة الحديث، وظل يدرسها فيه حتىٰ توفي رحمه الله(٢).

ب ـ مؤلفاته:

اشتغل ابن أبي مدين ـ رحمه الله ـ بالتأليف في عقد الثلاثين من عمره وقد ألف عدة مؤلفات في مجالات من العلم مختلفة.

ومن مؤلفاته:

١ ـ الصوارم والأسنة في الذب عن السنة.

---

(١) افتتح هذا المعهد في مدينة [بتلميت] وقد أسسته جمعية ترقي الثقافة الإسلامية برئاسة عبد الله بن باب بن الشيخ سيدي المتوفى عام ١٣٨٤ هـ وتتركز الدراسة فيه على العلوم الشرعية، واللغة العربية، ويشترط للتدريس فيه أن يكون الأستاذ متخصصاً في الفن الذي يريد أن يكون مدرساً له، وتجري للأساتذة المترشحين للتدريس مسابقة لاختيار المتفوقين منهم، محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٨٥ ـ ٩٥.

(٢) أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق ص ٤٢ ـ ٤٥، والخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٢٠.

٢ ـ شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات.

٣ ـ حياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته.

٤ ـ تحريم علم الفلسفة والمنطق[١].

٥ ـ شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث.

٦ ـ شرح المقصور والممدود لابن مالك.

٧ ـ كتاب المنيحة.

٨ ـ ديوان شعر.

وهذه المؤلفات ما تزال مخطوطة، ولم يطبع منها إلا الصوارم والأسنة في الذب عن السنة[٢].

نشاطه في الدعوة السلفية:

كان الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ كثير الترحال في الأقطار الإسلامية، مولعاً بحج بيت الله الحرام، وزيارة المسجد النبوي الشريف، وقد أدى مناسك الحج ثمانيَ مرات، وكان يغتنم هذه الفرص لاستجلاب الكتب، وإلقاء المحاضرات، والدروس، في الأماكن التي يزورها، وخاصة في الحرم المدني، وكانت دروسه غالباً في بيان عقيدة السلف، والرد على أهل البدعة، وفي الحديث النبوي وعلومه[٣].

وقد نال سمعة طيبة في نشاطه في الدعوة السلفية، ولا سيما في المملكة المغربية، التي ترتبط بها موريتانيا ارتباطاً علمياً ودينياً بعيد المدى.

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن أبي مدين في كتابه: شن الغارات ص ١٥٦، أنه ألف كتاباً في تحريم الفلسفة والمنطق ولم أستطع الحصول عليه.

(٢) أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق ص ٥٧ ـ ١٠٣.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٣٨، ٣٩، ٤٦.

فقد كان يزورها من حيث لآخر، ويلقي فيها المحاضرات، ويحضر الملتقيات العلمية، والثقافية، على المستوى الشعبي، والحكومي، ويلتقي بالعلماء، وطلاب العلم.

وقد تأثر بعض المغاربة بفكره السلفي، وأعجبوا بمستواه العلمي[1].

وكانت الحكومة الموريتانية تبتعثه في مهام كثيرة إلى الخارج في مجال الثقافة، والدين، والسياسة، ويلتقي بكثير من العلماء، والمفكرين، والزعماء السياسيين في العالم الإسلامي.

وقد أكسبه ذلك سمعة طيبة، في البلاد التي زارها، وصداقة كثير من علمائها ورجالاتها السياسيين[2].

وتؤكد الروايات الشفوية من العلماء المعاصرين للشيخ ابنِ أبي مدين - رحمه الله - أنه كان عالماً سلفياً، وداعية نشطاً.

ويذكر الشيخ المختار بن حامد ذلك بقوله: «وقد سافرت معه للمشاركة في ندوة الحسن الثاني بالمغرب وألقى محاضرات ودروساً إسلامية على نهج السلف، وناظر العلماء، ودعا إلى التمسك بالكتاب، والسنّة، واتباع ما كان عليه السلف، وانتقد التصوف، ورد على أهله[3].

أما تلميذه الشيخ محمد محمود بن أحمد يور[4] فيقول: «الشيخ محمد بن أبي مدين - رحمه الله - عالم محدث ولغوي شهير، وقد درست عليه مصطلح الحديث، وهو من أبرز الدعاة السلفيين في عصره، ومن أقواهم ردوداً على المبتدعة والضلال، وهو سبط الشيخ سيدي باب،

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٦٧ - ٦٨، ٧٠.
(٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٨، ٤٥.
(٣) المختار بن حامد، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٨/٨ هـ.
(٤) محمد محمود بن أحمد يور، عالم سلفي، درس على الشيخ محمد بن أبي مدين، وسوف تأتي ترجمته في الفصل الحادي عشر.

وخريج مدرسته، وقد نهج نهجه في اتباع السنّة، كما أنه تأثر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وبكتب ابن قيم الجوزية، وبالعقيدة الطحاوية، وشرحها، لابن أبي العزّ الحنفي، وكان له نشاط بارز في الدعوة السلفية في عدد من الأقطار الإسلامية[1].

وقد حدثني الشيخ حماد الأنصاري[2] أنه التقىٰ عدة مرات بالشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ وكان صديقاً له، وقال: إنه عالم سلفي العقيدة، رد علىٰ المبتدعة، وبيَّن أخطاءهم، وكانت في مكتبتي ـ يقول الشيخ حماد ـ قصيدة جيدة له، تناول فيها الرد علىٰ الأشاعرة[3].

منهج الشيخ محمد بن أبي مدين السلفيّ

إنّ من يطالع في مؤلفات الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ يتبين له اتجاهه السلفي، وعداؤه للبدعة وأهلها، وهذا شيء لا غرابة فيه فهو سبط الشيخ سيدي باب، ولد في بيته، ونشأ وتفقه في مدرسته، فكان بحق ـ جديراً بأن يتأثر بتعاليمه السلفية.

قال عنه الشيخ بداه بن البصيري: إنه العالم المحدث، السني السني[4].

---

(١) حدثني بذلك في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٧/٨ هـ.

(٢) حماد الأنصاري، عالم سلفي، قدم إلى المملكة العربية السعودية من بلاده جمهورية مالي حالياً عام ١٣٦٧ هـ، وكان تلميذاً للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، وزميلاً له مدة تزيد على عشرين عاماً، وهو من العلماء الذين درسوا بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، مدة طويلة، أي من عام ١٣٨٥ هـ، إلى وقت قريب، راجع السديس: المرجع السابق ١/ ٨٧.

(٣) حماد الأنصاري، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة بتاريخ ١٤١٠/٦/٢٣ هـ.

(٤) أسنى المسالك في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك ص ٢٨٦، طبعة نواكشوط ١٩٧٣ م.

وقد أعدّ عنه ابنه أحمد بحثاً تناول فيه حياته العلمية بالتفصيل، وذكر في أماكن متعددة منه تأثره العميق بمدرسة جده الشيخ سيدي باب، وأسباب هذا التأثر ثم قال:

والشيخ محمد بن أبي مدين ـ والدنا رحمه الله ـ ولد وترعرع في بيت جده الشيخ سيدي باب، ونشأ في مدرسته، فتأثر بتعاليم مؤسسها، فلذلك كان سلفي النزعة والمعتقدات، والمنهج، بعيداً كل البعد عن روح التصوف، كما برهن علىٰ ذلك في كتبه[1].

وقد ألف الشيخ محمد بن أبي مدين كتباً بيّن فيها اتجاهه السلفي ومنها كتابه الصغير الحجم الكثير الفائدة، الذي تناول فيه حياة جده الشيخ سيدي باب بالتفصيل، وسماه: حياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته.

وقد بيّن فيه أنه يدين الله عزّ وجلّ علىٰ مذهب السلف في إثبات جميع الصفات لله تعالىٰ، وإمرار ظواهر الكتاب والسنّة، كما جاءت من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

وقد ذكر رحمه الله ـ في أماكن متعدّدة من مؤلفاته أنه يسير علىٰ خطىٰ السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ في العقيدة، والشريعة، والسلوك، وفي فهم الإسلام، وتطبيقه، قائلاً:

«.. إنّ ذلك هو المنجىٰ عند الله عزّ وجلّ، وخلاصة موقفه من قضية التأويل والتفويض أنه يفوض في جميع الصفات علىٰ طريقة السلف الصالح، وأما آيات المعية وأحاديثها فيؤولها حسب ما يناسب المقام من العلم، والنصر والعون، ونحو ذلك[3].

---

(١) أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق، ص ٣٢ ـ ٣٣، ٣٥ ـ ٣٦، ٦٤، ٦٨.
(٢) راجع كتاب محمد بن أبي مدين: باب بن الشيخ سيدي، حياته وعقيدته، صفحة ١.
(٣) سيأتي رأيه بالتفصيل في المعية قريباً إن شاء الله تعالى.

وفيما يلي نذكر أمثلة من كلامه في كتابه [شن الغارات] تلقي الضوء علىٰ منهجه العقدي:

أولاً: قضية التفويض والتأويل:

قال ـ رحمه الله ـ إنّ الصحابة والتابعين أصح نظراً ممن جاء بعدهم وقد امتنعوا عن التأويل، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ويقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، ونحو ذلك.. فنؤمن بما جاء في الآيات القرآنية ولا نؤولها، ونكل أمرها إلىٰ الله سبحانه.

أما الغلو، والتأويل، فلسنا مكلفين بهما، قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله ـ الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومثل ذلك ما قال أحمد بن حنبل وسفيان الثوري[1].

وقد نظم هذا المعنىٰ في أبياته التالية، حيث يقول:

لكنما السلف في سواها[2] ... فوض مما اشتبه اشتباها
مع جهله الكيف وتنزيه الإله ... عن كل تشبيه بكل ما سواه
وفي طريق السلف النجاة ... فهي لكل مسلم منجاة
فإن يفوضوا نفوض ومتى ... أول جمعهم نؤول يا فتىٰ[3]

ثانياً: مسألة كلام الله تعالىٰ:

يقول ـ رحمه الله ـ والمنقول عن السلف الصالح رضي الله عنهم اتفاقهم علىٰ أنّ القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، وتلقاه جبريل عن الله عزّ وجلّ، وبلغه جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ وبلغه رسول الله ﷺ إلىٰ

---

(١) شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات ص ١٣٧.

(٢) يعني في آيات المعية وأحاديثها.

(٣) شن الغارات ص ١٥٣.

أمته[1].

قال: وقد نظم مذهب أهل السنّة في كلام الله تعالىٰ ـ الحافظ أبو عمرو الداني في أرجوزته في السنّة فقال:

والقول في كتابه المفصل	بأنه كلامه المنزل
علىٰ رسوله النبي الصادق	ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه إنه مخلوق	أو محدث فقوله مروق
أهون بقول جهم الخسيس	وواصل وبشر المريسي[2]

ثالثاً: مسألة رؤية الله تعالىٰ ـ في الآخرة ـ:

قال ـ رحمه الله ـ وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عزّ وجلّ في الدار الآخرة بالأبصار كما صرح به تعالىٰ في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[3].

وقد صحت السنّة المتواترة بإثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة بالأبصار ولا التفات إلىٰ المجادلات الواقعة من المعتزلة، فكلها باطلة، وما تمسكوا به من الدليل القرآني معارض بمثله من القرآن، والرجوع إلىٰ السنّة المتواترة[4].

رابعاً: مسألة معية الله تعالىٰ:

يعتقد الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ أنّ معية الله عزّ وجلّ علىٰ نوعين:

---

(١) شن الغارات، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٣٧.

(٣) سورة القيامة: الآيتين ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) شن الغارات، ص ١٦٢، ١٦٤.

* معية عامة شاملة لجميع مخلوقات الله تعالىٰ، فهو مع كل شيء بعلمه لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء.

* ومعية خاصة: وهي معيته سبحانه ـ لرسله وأنبيائه وأوليائه بالنصر والعون واللطف ونحو ذلك.

قال: وقد نظمت ملخصاً لحكم المعية فقلت:

حمداً لمن كان مع الأبراري	بالعون والنصر على الفجار
وبالجميع علمه تعلقاً	أضل بعضهم وبعضاً وفقا
وبعد فالمقصود نظم يجمع	حكم المعية لمن يستمع
فقلت راجياً من المولىٰ العلي	غفرانه وصفحه عن زللي
معية الإله جلّ وعلا	للخلق حيث ما أتتك أولا
بالعلم في حال عمومها وفي	خصوصها بالنصر واللطف تفي
فمن يؤول ومن لا كالسلف	أولها فالكل في ذاك ائتلف[1]

وقد تميّز الشيخ محمد بن أبي مدين ـ طيلة حياته ـ بظاهرتين بارزتين في فكره ومنهجه، وهما:

نصرة السنّة، والذب عنها، ومحاربة البدعة وأهلها، وكانت كل واحدة من هاتين الظاهرتين عنواناً لواحد من أهم مؤلفاته.

فبالنسبة لنصرة السنّة، والذب عنها، فقد ألف كتابه [الصوارم والأسنّة في الذب عن السنّة]، أما الظاهرة الثانية: وهي محاربة البدعة وأهلها، فقد ألف فيها كتابه [شن الغارات علىٰ أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات] وسوف نقتطف من هذين الكتابين ما يدل علىٰ تمسكه بالسنّة، ومحاربته للبدعة.

لقد عنون الشيخ محمد بن أبي مدين للفصل الأول من الباب الرابع

(١) شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات ص ١٥٢.

من كتابه الصوارم والأسنة في الذب عن السنّة، بوجوب اتباع السنة دون ما عداها، وساق كثيراً من الآيات القرآنية الدالة علىٰ وجوب اتباع ما جاء في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

وبعد أن بين أنّ المنهج الإسلامي السليم هو التمسك بالكتاب والسنّة، والوقوف عند نصوصهما، وترسم خطىٰ السلف الصالح رضي الله عنهم في فهم الإسلام وتطبيقه، تمثل بالبيت التالي:

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدىٰ ولكنها الأهواء عمت فأعمت[2]

والمطالع في هذا الكتاب لا يخفىٰ عليه حرص صاحبه علىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، والدعوة إلىٰ تحكيمهما في كل الأمور، يقول:

«إنّ من أخطأ منصوصاً في القرآن الكريم أو في صحيح السنّة النبوية المطهرة، فقوله وفعله مردود»[3].

ويقول: إنه لا طريقة إلىٰ الله عزّ وجلّ لأحد من الناس إلا بمتابعة سنّة رسول الله ﷺ[4].

وقد قدم الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ عرضاً موسعاً في هذا الكتاب أطال فيه النفس، وبين المنهج الإسلامي الصحيح، الذي كان عليه السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ وجاء بما لا مزيد عليه لطالب الحق، وسار بخطىٰ متأنية، وساق كثيراً من النصوص عن أئمة أهل السنة والجماعة، المعترف لهم بالرسوخ في العلم، تؤيد وتؤكد ما ذهب إليه[5].

---

(١) الصوارم والأسنة في الذب عن السنة ص ٥٥، والآية من سورة آل عمران، رقم: ١٣٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٥٦.

(٣) الصوارم والأسنة ص ١٧٧.

(٤) المرجع السابق نفسه ص ١٧٠.

(٥) المرجع السابق نفسه ص ١٥٤ وما بعدها.

والواقع أنّ الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ ركز في هذا الكتاب من بدايته إلىٰ نهايته علىٰ ضرورة التمسك بالكتاب والسنّة واتباع نهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ والدعوة إلىٰ نبذ البدع، والتقليد المذموم.

ويؤكد الباحثون أنّ كتاب الصوارم والأسنّة في الذب عن السنّة، يعبر بوضوح عن سعة علم مؤلفه وسلفيته في التفكير والمنهج، وتحرره من التقليد المذموم[1].

الظاهرة الثانية: محاربة البدعة وأهلها:

ألف الشيخ محمد بن أبي مدين ـ رحمه الله ـ في الرد علىٰ أهل البدع والأهواء، كتابه «شن الغارات علىٰ أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات»، وقد اتبع طريقة السلف في هذا الكتاب في الرد علىٰ المبتدعة والضلال بالكتاب والسنّة، والإحجام عن الخوض في علم الكلام، الذي يكن له العداء، ويعرفه بقوله: هو ما تنصب فيه الأدلة العقلية، وتنقل فيه أقوال الفلاسفة[2].

وقد قدم الشيخ محمد بن أبي مدين لكتابه: شن الغارات، بمقدمة تلقي الضوء علىٰ محتواه يقول فيها: هذا كتاب صغير الحجم لكنه بعون الله تعالىٰ يشتمل علىٰ كثير من العلم تقذى به أعين أهل البدع، والأهواء، ويلجأ إليه حزب الله عند هجوم الأعداء، اختطفته من بين نيوب الملمات، لما كثر القول بوحدة الوجود، ومعية الذات، ورتبته علىٰ مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة في تأويل السلف والخلف، كلُّ ما أوهم معية الذات، من

---

(١) أحمد ولد أبو مدين، المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) محمد بن أبي مدين: باب بن الشيخ سيدي، حياته وعقيدته ص ٢.

الكتاب والسنّة، والفصل الأول في حكايات الإجماع علىٰ ذلك، والثاني في شبه أهل هذه المقالة، والثالث في إبطال شهادة من يقول بها، والرابع في تراجم أئمة أهل هذه المقالة، والخاتمة في الكلام علىٰ أهل وحدة الوجود وسميته شن الغارات علىٰ أهل وحدة الوجود، وأهل معية الذات(١).

وهذه نماذج من ردوده علىٰ المبتدعة والضلال:

١ ـ رده علىٰ أهل معية الذات:

قال ابن أبي مدين ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أنّ بعض الضلال يقول: إنّ معية الله تعالىٰ تكون بعلمه وذاته، قال: سبحان الله، كيف يسوغ لعاقل إطلاق كلام موهم علىٰ الله عزّ وجلّ مخالف لإجماع المسلمين، من أهل السنّة، إذ من المعلوم أنّ بذاته لم ترد في كتاب ولا سنّة، ولا في إجماع، ولا خلاف بين المسلمين في منع إطلاق الموهم غير الوارد علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك غير واحد من العلماء(٢).

وقد خصص الشيخ ـ رحمه الله ـ مساحة كبيرة من كتابه «شن الغارات» للرد علىٰ القائلين بمعية الذات، وبدأ ذلك بقوله: «إنّ معية الله تعالىٰ في الكتاب والسنّة تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣) دل ظاهر الخطاب علىٰ أنّ حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم عالم بكم، وهذا هو معنىٰ قول السلف إنه معكم بعلمه.

ولما قال جلّ شأنه لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٤)، كانت المعية هنا بمعنىٰ العلم والنصر والتأييد، وكذلك قوله

---

(١) شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات: ص ١.

(٢) شن الغارات ص ٩٤.

(٣) سورة الحديد: الآية ٤.

(٤) سورة طه: الآية ٤٦.

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنّة في مواضع تقتضي في كل موضع أموراً لا تقتضيها في الموضع الآخر.

فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل علىٰ قدر مشترك بين جميع مواردها.. وإن امتاز كل موضع بخاصيته.

وعلىٰ التقديرين، فليس مقتضاها أن تكون ذات الله عزّ وجلّ مختلطة بمخلوقاته، تعالىٰ الله عن ذلك ـ حتىٰ يقال: صرفت عن ظاهرها[2].

قال: وقد نظمت أبياتاً بينت فيها المذاهب الضالة التي يرجع إليها القول بمعية الذات فقلت:

أما المعية بذاته فما	يملأ ذو ديانة بها فما
لأنها من مذهب النجاري	ومن علىٰ مذهب جهم جار
ومذهب الغلاة والمعتزلة	وكل من يرضىٰ بتلك المنزلة
كما عزاه لهم أبو الحسن	أي في الإبانة كتابه الحسن[3]

٢ ـ رده علىٰ أهل وحدة الوجود:

بدأ ابن أبي مدين ـ رحمه الله ـ الرد علىٰ أهل وحدة الوجود بقوله: قال جامعه ـ وفقه الله ـ إنما جمعت بين الكلام علىٰ معية الذات ووحدة الوجود لأني رأيت التصريح بالثانية في كلام بعض أئمة الأولىٰ، وسمعت بعض مشايخي يقول: إنّ القول بمعية الذات يفضي إلىٰ القول بوحدة الوجود، وكفىٰ بمقالة تفضي إليها قبحاً وفساداً فإن جل مقالات أهلها صريح في كفر من يقوله، فهم يقولون بقدم العالم، وينكرون بعث الأجساد

(١) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٢) شن الغارات، ص ٣.

(٣) شن الغارات، ص ١٥٣.

وحشرها[1].

كما أنّ من أمهات مقالاتهم المؤذنة بكفرهم، تصريحهم بأنهم يرونه تعالىٰ في دار الدنيا يقظة، وذلك مبني علىٰ زعمهم أنه سبحانه عين خلقه، أو حال فيه، كما نصّ علىٰ ذلك شيخهم الحلاج[2] بقوله: «أنا الحق وما في الجبة إلا الله».

وقد أجمع العلماء في عصره علىٰ تكفيره بما قال، وعلىٰ وجوب قتله، فرفعوا أمره إلىٰ الخليفة العباسي المتقدر بالله[3]، فأمر بضرب عنقه، وقتل، وأحرقت جثته، ورمي برمادها في دجلة. وكان علىٰ نحو مذهب الحلاج جماعة آخرون فصلبهم أهل السنّة وقتلوهم[4]..

وقد كشف ابن أبي مدين ـ رحمه الله ـ حقائق أصحاب القول

---

(١) شن الغارات، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، نشأ بواسط، ودخل بغداد، وتردد إلى مكة المكرمة وجاور بها وسط المسجد الحرام، وكان يجلس في شدة الحر على جبل أبي قبيس، ولا يأكل إلا بعض قرص، ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور، وكان قد صحب الجنيد بن محمد النهاوندي، وجماعة آخرين من الصوفية، وتختلف الصوفية فيه: فبعضهم ينفي أن يكون الحلاج منهم، وآخرون يقدسونه، ويعتبرونه عالماً ربانياً، وينتسب إليه بعض المتصوفة، ويغالون فيه، حتى إن بعضهم قال: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج.. وله أشعار على طريقة الصوفية، وقد صرح فيها بالحلول والاتحاد.. قال ابن كثير: دخل الحلاج في الحلول والاتحاد فصار من أهل الانحلال والانحراف، واتفق علماء بغداد على كفره، وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا.. ت ٣٠٩ هـ راجع البداية والنهاية ١١/ ١٣٢ ـ ١٤٣.

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن أحمد أمير المؤمنين العباسي، ولد عام ٢٨٢ هـ وبويع له بالخلافة عام ٢٩٥ هـ كان من أهل العبادة، كثير التنفل بالصلاة والصيام، مطعاماً، جواداً، وله عقل جيد، وفهم وافر، وذهن صحيح، وقد توسع في النفقات، وزاد في رسوم الخلافة، وأمور السياسة، وكان كثير التلون والعزل لولاته، ت ٣٢٠ هـ ابن كثير، البادية والنهاية ١/١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) شن الغارات ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود الزائفة المنافية للإسلام، والمناقضة له، ثم قال: ودعوىٰ أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد، في غاية البطلان، لأن الأدلة النقلية، والبراهين العقلية، قاطعة باستحالة ما يقولون علىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ هو عين مخلوقاته، أو أنه حل في شيء منها، فهو ضال، وكافر بالإجماع[1].

وقد رد علىٰ ابن عربي[2] وغيره من القائلين بوحدة الوجود بقوله: «إذا كان الوجود واحداً فمن الحاجب؟، ومن المحجوب؟ ولم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ ثم قال: وأقوال هؤلاء الإباحية أبعدهم الله تعالىٰ وطهر الأرض منهم قد بلغت من البطلان والتناقض والتهافت، والقول علىٰ الله بلا علم، والزهد في كتابه وسنّة رسوله عليه الصلاة والسلام، مبلغاً كبيراً، لانهيار قواعدها، وطمش بصائر جامعيها، إذ كلها جهالات لا يتفوه بها من له أدنىٰ مسكة من معقول، ومعتقدها منحل العقيدة مخذول، لوضوح فساد جميعها لأوائل المعقول، ولمصادمتها لجميع المنقول.

ولا غرو، فإنّ القول إذا كان علىٰ غير أصل يعتمد عليه كان واضحاً عواره، وكل من رد الحق مرج عليه أمره، فهم كما قال الشاعر:

ومن يكن الغراب له دليلا يمر به علىٰ جيف الكلاب[3]

---

(١) المرجع السابق نفسه: ص ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٢) هو أبو الوليد محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي، رحل إلى مكة المكرمة، وأقام بها مدة، وصنف فيها كتابه المسمى [الفتوحات المكية]، وله كتاب يسمى [فصوص الحكم] وفيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله مصنفات أخرى كثيرة، وله ديوان شعر، وكلام طويل على طريقة التصوف، أقام قبل وفاته مدة طويلة في دمشق، ولقي بها إقبالاً من بعض الناس، وتوفي بها عام ٦٣٨ هـ. ابن كثير: البداية والنهاية ١٥٦/١٣، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية ص ١٥٥.

(٣) شن الغارات، ص ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٧.

قال: وأهل وحدة الوجود والحلولية، والاتحادية، طوائف من غلاة الصوفية، ولهم كلام طويل، ينبو عنه سمع كل من كان علىٰ فطرة الإسلام، فليحذرهم المسلمون، فإنهم ربما لبسوا علىٰ ضعفاء العقول، فأضلوهم وحملوهم علىٰ ما يسرونه من العقائد الفاسدة.

وقد حكىٰ المؤلفون في الملل والنحل، كابن حزم، والشهرستاني، وغيرهما، إجماع الأمّة علىٰ عد غلاة الصوفية من الفرق الزائغة، كأهل وحدة الوجود، والحلولية، والاتحادية، وأنهم دعاة إلىٰ ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد ﷺ[1].

٣ ـ رده علىٰ بعض الزنادقة:

قال ابن أبي مدين ـ رحمه الله ـ ذهب قوم من الزنادقة إلىٰ سلوك طريق يستلزم هدم أحكام الشريعة الإسلامية، فقالوا: إنّ قصة الخضر وموسىٰ عليهما السلام يستفاد منها أنّ الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة، والأغبياء، وأما الأولياء والخواص، فلا حاجة بهم إلىٰ تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب علىٰ ظواهرهم، لصفاء قلوبهم عن الأكدار، فتنجلي لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون علىٰ أسرار الكائنات، ويعلمون الأحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات. كما اتفق للخضر، فإنه استغنىٰ بما ينجلي له من تلك العلوم عما كان عند موسىٰ[2].

وقد ردّ ـ رحمه الله ـ علىٰ هذا الزعم الفاسد بردود جيدة نقل فيها كلام العلماء، علىٰ كفر أصحاب هذه المقالة، ولخص ذلك كله في منظومة رجزية نكتفي بها في معرض رده علىٰ هؤلاء الزنادقة، وهذا نصها:

ومن يقل من مدعي ولاية   أنّ له من ربه عناية

(١) شن الغارات ص ١٦٧، ٢١٤.

(٢) شن الغارات ص ٢٥٨.

دون اتباع المصطفىٰ خير البشر | في باطن وظاهر فقد كفر
وقصة الخضر والكليم لم | يكن لهم فيها احتجاج قد ألم
لأن موسىٰ لم يكن بمرسل | للخضر النبي في القول الجلي
فما علىٰ الخضر أن يتبعه | لذاك لما اختلفا قد ودعه
مصرحاً بأنه علم ما | لم يك موسىٰ ذو العلوم علما
ومن يقل كمثل ما قال الخضر | للمصطفىٰ نبينا فقد كفر
فالمصطفىٰ عن البرايا فضلاً | ولجميعهم بشيراً أرسلا
فلو أتىٰ الخليل والكليما | وخضراً لاتبعوا الكريما
وما جرىٰ من خضر إذا سبر | يوافق الكليم فافهم واعتبر
لذاك لما بين الأسبابا | وافقه وترك العتابا
فانظره في الزرقاني والفرقان | تجده في الفرقان والزرقاني
وانظره في الفتح وفي الرياض | شرح الشهاب لشفا عياض
والقرطبي المرتضىٰ للمسلم | بينه في شرحه لمسلم
وانظر له إن شئت في النهاية | لابن كثير تكمل الكفاية[1]

ثالثاً: عبد الودود بن عبد الملك

هو الفقيه اللغوي، والمقرىء الشهير، عبد الودود بن عبد الملك بن عميه، ولد في ضواحي مدينة [بتلميت]، وحفظ القرآن، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية في صغره، قبل البلوغ، ثم رحل إلىٰ مدرسة محمد أحمد بن الزباني[2]، فدرس عليه اللغة العربية، وعلومها، ثم درس

(١) شن الغارات ص ٢١١.

(٢) محمد أحمد بن الرباني التندغي، عالم جليل، له اليد الطولىٰ في القرآن الكريم وعلومه، واللغة العربية، وعلومها، من مؤلفاته: منظومة في سور القرآن وناسخه ومنسوخه، راجع المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/ ٤٤، ٥٠، ٥٤، والخليل النحوي، ص ٥٦٩.

الفقه، وبعض العلوم الأخرىٰ في مدرسة آل أحمد فال التندغيين[1] ثم عاد إلىٰ مسقط رأسه في [بتلميت] ولازم الشيخ سيدي باب، رحمه الله ـ وأكمل دراسته عليه، وتأثر بعقيدته السلفية، وبعد نهاية دراسته، جلس للتدريس، وأصبح شيخ محضرة تعج بطلاب العلم، واشتهرت محضرته بالتركيز علىٰ تدريس القرآن الكريم، وعلومه، والعقيدة السلفية.

مؤلفاته:

ألف الشيخ عبد الودود ـ رحمه الله ـ عدة مؤلفات، جلها في علوم القرآن، وما تزال كلها مخطوطة، ومنها:

١ ـ التنوير في علم التفسير.

٢ ـ الإشارات في علم القراءات.

٣ ـ المأمول في القراءات.

٤ ـ الفواصل.

٥ ـ التكميل الأوفىٰ.

٦ ـ منظومة تبلغ ألفاً ومائتي بيت، سماها الرقوم في علم الرسوم.

٧ ـ منظوزمة سماها: الأعلام.

٨ ـ منظومة سماها: المصفىٰ في الذي من الرسم يخفىٰ[2].

منهجه السلفي:

كان الشيخ عبد الودود ـ رحمه الله ـ معتصماً بالكتاب والسنّة، واقفاً عند حدود الشرع، متمسكاً بمذهب السلف الصالح في العقيدة، والشريعة،

---

(١) مدرسة آل أحمد فال التندغيين: من أبرز محاضر البلاد، ولها تاريخ مجيد وعريق، وقد تخرج منها عدد من العلماء الأجلاء، راجع: الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٢٢.

(٢) حصلت علىٰ هذه المادة العلمية في مقابلة محمد محمود بن أحمد يور السابقة، بتاريخ ١٤١٢/٧/٨، وراجع كتاب: المختار بن حامد: حياة موريتانيا ٢/٤٢.

والسلوك، فقد كان يدين الله عزّ وجلّ علىٰ مذهب السلف، في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها، من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾..

وكان يقول: إنّ الصحابة والتابعين، كانوا جميعاً يثبتون الصفات الواردة في الكتاب والسنّة، ويقولون أمروها كما جاءت، وامتنعوا عن التأويل، وهم أتم نظراً ممن جاء بعدهم، لذلك قال مالك ـ رحمه الله ـ حين سئل عن الاستواء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوىٰ؟ فرد بقوله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهورل والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وقال الشافعي: رحمه الله ـ: آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك..

ومثل ذلك ما قاله أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، رحمهما الله ـ وأهل الحديث قاطبة.

وكان رحمه الله محيياً للسنّة، محافظاً عليها، مقدماً لأقوال الصحابة رضي الله عنهم ـ علىٰ أقوال من جاء بعدهم، ويعرض آراء العلماء علىٰ الكتاب والسنّة، فما وافقهما أخذ به، وما خالفهما طرحه.

واشتهر رحمه الله بالمواظبة علىٰ تلاوة القرآن، والعبادة، والزهد علىٰ طريقة السلف الصالح، وقد نبذ التصوف، وانتقده، ورد علىٰ المتصوفة بردود علمية وهادئة.

وظلّ رحمه الله علىٰ هذا المنهج داعية إليه، ناصراً للسنّة، ومدافعاً عنها، وواقفاً عند حدودها، لا يتساهل في أي بدعة مهما صغرت عند الناس حتىٰ توفي رحمه الله تعالىٰ[1].

---

(١) مقابلة محمد بن أحمد يور، السابقة، بتاريخ ٨/٧/١٤١٢ هـ.

المبحث الثاني
تأثير الشيخ [باب] العام علىٰ العقيدة

اشتهر عن الشيخ سيدي باب ـ أنه صاحب دعوة سلفية يسهر علىٰ نجاحها ويبذل من أجلها كل غال ونفيس.

وقد وجدت دعوته آذاناً صاغية، من طلاب العلم، فالتفوا حوله، واستمعوا لكلامه، وقرأوا كتبه، فتأثروا بعقيدته السلفية.

وساعده علىٰ هذا التأثير ما يتمتع به من خلق حسن، وسلوك مستقيم ومنهج علمي واضح رصين، وسمعة طيبة، وجاه كبير، وصيت واسع، بالإضافة إلىٰ ما اشتهر به من قوّة التأثير.

وقد مرّ الحديث في المبحث السابق عن مشاهير تلاميذه الذين تلقوا عنه منهجه السلفي، وحملوا لواء دعوته من بعده.

وهنا في هذا المبحث نريد أن نلقي الضوء علىٰ تأثيره العام.

لا يختلف المترجمون للشيخ سيدي باب، والعارفون له ولدعوته أنه كان داعية سلفياً، مؤثراً، ولكن المراجع تضن علينا وتبخل بمدىٰ هذا التأثير، وإن كان المختار بن حامد ـ وهو عالم مؤرخ ـ عاصر الشيخ سيدي باب، يؤكد أنّ هذا التأثير كان غير قليل، حيث يقول:

«. . . إنّ الشيخ سيدي باب قد تأثر بمنهجه السلفي كثير من الفقهاء وطلاب العلم إما عن طريق مباشر، أو غير مباشر»[1].

---

(١) مقابلة المختار بن حامد، السابقة، بتاريخ ١٤١١/٨/٨ هـ.

وعلىٰ أي حال، فإن له تأثيراً ملموساً في أنحاء مختلفة من بلاده وسوف نذكر أمثلة من الفقهاء السلفيين الذي تأثروا بدعوته، ومنهجه السلفي، إما باللقاء معه مباشرة، أو بواسطة بعض تلاميذه، ومؤلفاته، وفيما يلي نبذة عن كل واحد من هؤلاء الفقهاء، واتجاهه العقدي.

أولاً: الشيخ المختار بن حامد[1]

يقول الشيخ المختار بن حامد: كنت ألتقي بالشيخ سيدي باب وأقرأ كتبه، فتأثرت باتجاهه في العقيدة السلفية، واعتنقتها، فوقفت عند ظاهر نصوص الكتاب والسنّة، وتركت التأويل، وأثبت للّه صفاته العليا، علىٰ ما يليق بجلاله وكماله، كما أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، من غير تأويل ولا تكييف، لا نفرق في ذلك بين صفة وأخرىٰ.

(١) المختار بن حامد الديماني، فقيه، ومؤرخ كبير، وشاعر مجيد، ولد سنة ١٣١٥ هـ. في منطقة [الترازة] في الجنوب الغربي من موريتانيا، وهو من أسرة عريقة في العلم، أخذ العلم عن والده، وعدد من علماء المنطقة، حصلت بينه وبين الشيخ سيدي باب لقاءات، وقرأ كتبه فتأثر به، وبكتبه، في اتجاه العقيدة السلفية.
اشتهر بصفاء القريحة، وفصاحة اللسان، والتبحر في علم التاريخ، حتىٰ لقب بابن خلدون الثاني.. وظل يحتفظ بمركز مرموق في المؤسسات الموريتانية سواء العلمية منها أو السياسية.
له عدة مؤلفات أهمها في التاريخ والجغرافيا، منها كتابه المسمىٰ [تاريخ جغرافية موريتانيا] وهو موسوعة كبيرة، قام المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء في [سان لويس] بترجمتها إلىٰ اللغة الفرنسية وطبعها، وكتابه [حياة موريتانيا] وهو موسوعة عن الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية في موريتانيا، أتمّ منه اثني عشر مجلداً، وقد طبع بعض أجزائه في تونس سنة ١٩٩٠ م، وفي السنوات الأخيرة استقرّ به المقام في المدينة المنورة، ولا يزال يقطنها، وقد أضحىٰ شيخاً طاعناً في السن، نسأل الله لنا وله حسن الختام.
راجع: محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا، ص ٦١٥، وما بعدها، وراجع له أيضاً: موريتانيا الحديثة ص ٨، والخليل النحوي، المرجع السابق، ص ٥٠١، ٥٣١، ٦٣٥، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق، ص ٧٣، ومحمد الأمجد، المرجع السابق ص ٢٢.

فالله تعالىٰ أخبر عن نفسه في كتابه العزيز، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ بصفاته العليا، صفات الجلال والكمال، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والاستواء، والنزول، وغير ذلك من صفاته العليا، فنقف عندما نطقت به نصوص الكتاب والسنّة، كما وقف السلف الصالح.

فالإمام مالك لما سئل عن صفة الاستواء وقف عند ظاهر النص فلم يشبه ولم يؤول حيث ردّ علىٰ السائل بجوابه المشهور:

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1].

وما أجاب به الإمام مالك رحمه الله هذا السائل، يصلح جواباً في جميع الصفات، لأن صفات الباري عزّ وجلّ من باب واحد، فنحن ـ يقول المختار بن حامد ـ نقول لمن سألنا عن كيفية النزول مثلاً:

النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. . ونجري جميع الصفات علىٰ هذا النحو[2].

موقفه من التصوف:

يقترب موقف المختار بن حامد ـ من التصوف ـ من موقف شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو لا يحكم عليه بحكم واحد، بل يفصل فيه حيث يقول: «إذا كان المراد بالتصوف تطبيق مقام الإحسان، ولا يخالف صاحبه ما جاء في الكتاب، وثبت في السنّة، وما كان عليه السلف الصالح، فهذا شيء حسن.

---

(١) هذه العبارة توجد في كثير من المراجع، وتجري علىٰ ألسنة كثير من الناس، والنص الذي وقفت عليه في مصادر المالكية المشهورة يخالف هذه العبارة في اللفظ، ويوافقها في المعنىٰ، وهو «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول. . .» راجع الفصل الثالث من هذا البحث.

(٢) مقابلة المختار بن حامد السابقة بتاريخ ١٤١١/٨/٨ هـ.

وإذا كان المراد به ما عليه المتصوفة الدجاجلة الذين همهم تسخير الناس لمصالحهم، وأكل أموالهم بالباطل، فهذا ليس من الحق في شيء، وهو مخالف لهدي النبي ﷺ، ونحن ـ يقول المختار بن حامد ـ ننكره، ونرجو الله لأصحابه الهدىٰ[1].

والمتأمل في هذا الكلام لا يرىٰ تبايناً في المعنىٰ يذكر بين هذا الموقف وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من التصوف، فكل من الموقفين لا يحكم علىٰ التصوف بحكم واحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصوفية: «الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه»...[2].

وقد تشعبت الصوفية وتنوعت وصارت ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم[3].

ونرىٰ في هذين الموقفين من التصوف نموذجاً من وحدة المنهج عند السلفيين علىٰ الرغم من البعد المكاني، والزمني، فشيخ الإسلام ابن تيمية كما هو معروف، توفي سنة ٧٢٨ هـ والمختار بن حامد ما زال حياً يرزق.

ثانياً: الشيخ سيد المختار بن عبد المالك[4]

الشيخ سيد المختار بن عبد المالك، واحد من مشاهير الفقهاء

---

(١) مقابلة المختار بن حامد السابقة، بتاريخ ١٤١١/٨/٨ هـ.

(٢) مجموع الفتاوىٰ: ١٨/١١.

(٣) المصدر السابق نفسه ١٨/١١ ـ ١٩.

(٤) سيد المختار بن عبد المالك الجكني، عالم جليل، له اليد الطولىٰ في القرآن الكريم، =

السلفيين الذين عاصروا الشيخ سيدي باب، وتبنوا منهجه، وقد عاش الشيخ سيد المختار في منطقة [تكانت][1] والرقيبة][2]، وكانت العقيدة السائدة في هاتين المنطقتين آنذاك هي العقيدة الأشعرية، أما العقيدة السلفية فهي شبه معدومة في هذه الناحية من البلاد، ولا يوجد لها ذكر إلا في غرب موريتانيا عند [باب] ابن الشيخ سيدي وتلاميذه.

غير أنّ هناك نقطة غامضة لم نحصل علىٰ خبر جازم في الكشف عن حقيقتها، هذه النقطة الغامضة هي: هل تمّ بالفعل لقاء بين الشيخ سيدي باب والشيخ سيد المختار؟..

هذا ما لم أجد جواباً صحيحاً جازماً فيه، لا بالإثبات ولا بالنفي، والمطالع في المراحل التي مرّ بها الفكر السلفي في موريتانيا، يرىٰ أنّ التأثيرات السلفية التي حصلت في المنطقة في تلك الآونة، ترجع إلىٰ أثر دعوة الشيخ سيدي باب لانعدام دعوة أخرىٰ سلفية في البلاد في تلك الفترة، ولعدم انتشار كتب العقيدة السلفية، آنذاك، وخاصة في المنطقة التي عاش فيها الشيخ سيد المختار بن عبد الملك، التي كان غالبية أهلها يعادون المذهب السلفي وأهله، وكتبه.

= وعلومه، والفقه المالكي، وكان شيخ محضرة، يدرس فيها العقيدة السلفية، من الكتاب والسنّة والقرآن الكريم، وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة العربية وعلومها، مع قيامه بالفتيا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر..

اشتهر بالزهد، والورع، وقد عاش في الفترة ما بين ١٣١٦ هـ ـ ١٣٧٥ هـ، حصلت علىٰ هذه المعلومات من الشيخ التلميدي التلميدي بن محمود، في مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٩/٧ هـ، وستأتي ترجمة التلميدي في الفصل التاسع.

(١) ولاية تكانت هي الولاية التاسعة من ولايات موريتانيا الاثنتي عشرة، وعاصمتها مدينة [تجكجة].

(٢) منطقة [الرقيبة] جزء من ولاية العصابة، وعاصمتها مدينة [كيفا] وهي الولاية الثالثة في البلاد.

فمن الممكن أن يكون الشيخ سيد المختار، والشيخ سيدي باب ـ رحمهما الله ـ قد التقيا، ولم ينقل عنهما هذا اللقاء، ويمكن أيضاً أن يكون الشيخ سيد المختار قد حصل على بعض مؤلفات الشيخ سيدي باب، أو التقى ببعض تلاميذه، فتأثر بشيء من ذلك..

كل هذا جائز، وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بشيء منه، لانعدام الدليل الكافي على ثبوته، وإنما الشيء الذي نستطيع أن نجزم به هو أنّ الرجلين عاشا في فترة زمنية واحدة، واتحدا في المنهج العقدي.

وعلى أي حال، فإنّ الروايات الشفوية التي حدثنا بها تلاميذه ـ رحمه الله ـ تتفق كلُّها على أنه كان سلفي العقيدة، سواء كان متأثراً بالشيخ سيدي باب نفسه، أو بكتبه، أو تلاميذه، أو بغير ذلك.

ولندع تلميذه وابن عمه التلميدي[1] بن محمود، يحدثنا عن منهجه في العقيدة فيقول: «كان شيخنا سيد المختار بن عبد المالك ـ رحمه الله ـ سلفي العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسنّة، واقفاً عندهما، مثبتاً للصفات الإلهية على الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تأويل، وكما هو معروف ـ يقول الشيخ التلميدي ـ فإنّ مسألة الاستواء من أولى المسائل التي احتدم فيها النزاع، واشتهر بين أهل السنّة والجماعة من جهة، وبين الجهمية وغيرهم من طوائف المتكلمين من جهة أخرى[2].

وقد كان الشيخ سيد المختار يقول فيها بما قاله الإمام مالك وغيره من السلف: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

---

(١) ستأتي ترجمته في الفصل التاسع.
(٢) راجع أقوال أئمة السلف في مسألة الاستواء عند ظهور الجهم، ومقالته في كتاب الذهبي، العلو للعلي الغفار، ص ١٠١ وما بعدها.

وما قاله ابن أبي زيد القيرواني، من أنه تعالىٰ فوق عرشه المجيد بذاته[1].

وقد منع الشيخ سيد المختار أولاده من دراسة العقيدة الأشعرية، وعلمهم العقيدة السلفية، من الكتاب، والسنّة، وألزمهم بحفظ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

وكان إذا طلب منه أحد تلاميذه أن يدرس له بعض المتون في العقيدة الأشعرية واضطر لذلك، لا يتجاوز ما يوافق مذهب السلف من تلك المتون، ويترك ما وراء ذلك من مذاهب المتكلمين، قائلاً لمن يدرسه: هذا مذهب كلامي لا حاجة لك به فارمِ به عُرض الحائط.

وكان رحمه الله يذم أهل الكلام من أي مذهب كانوا، وينتقد مناهجهم وينكر علىٰ المتصوفة، ولا يقبل شهادتهم، ولا يصلي خفهم[2].

ثالثاً: الشيخ محمد الشيباني[3]

الشيخ محمد الشيباني بن محمد النجمري، واحد من الفقهاء الذين لم يدركوا الشيخ سيدي باب، ولم يعاصروه، وتبنوا منهجه السلفي بواسطة بعض تلامذته ومطالعة كتبه، فقد درس محمد الشيباني علىٰ الشيخ محمد

---

(١) تقدم تخريج هذا النص في الفصل الثالث من هذا الكتاب وراجع أيضاً كتاب الذهبي: العلو للعلي الغفار ص ١٧١.

(٢) مقابلة الشيخ التلميدي بن محمود السابقة الذكر، بتاريخ ١٤١٢/٩/٧ هـ.

(٣) محمد الشيباني بن محمد النجمري، عالم، وشاعر، وأديب، ولد في حدود سنة ١٣٤٤ هـ، بموريتانيا، في ضاحية من ضواحي مدينة [مقطع الحجار]، من أعمال مديرية ألاك ولاية البراكنة، وحفظ القرآن، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة في صغره، قبل البلوغ، ثم تنقل بين عدد من علماء المنطقة، فدرس العقيدة، والفقه، وأصوله، والحديث، ومصطلحه، واللغة العربية، وعلومها، ومن أبرز العلماء الذين درس عليهم: الشيخ محمد المهابة بن سيدي محمد، الذي ألفت نظره إلىٰ ضرورة الأخذ بالدليل والرجوع إلىٰ الكتاب والسنّة في العقيدة والشريعة والسلوك. =

المهابة[1] بن سيدي محمد، وهو من أبرز تلاميذ الشيخ سيدي باب الذين حملوا لواء الدعوة السلفية من بعده، واعتنق عنده العقيدة السلفية، أيام دراسته عليه، ثم اتبع ذلك بمطالعة كتب الشيخ سيدي باب، وغيرها من الكتب السلفية، فزاده الله بذلك نوراً على نور.

يقول الشيخ محمد الشيباني: «كان شيخنا محمد المهابة رحمه الله ـ أيام دراستنا عليه يحثنا دائماً على اقتفاء آثار السلف الصالح في العقيدة والعمل بالكتاب، والسنّة، حتى تمكن ذلك في قلوبنا[2].

ويبدو أثر هذا التوجيه وهذه التعاليم واضحاً في شرح الشيخ محمد الشيباني لكتاب [تبيين المسالك] الآنف الذكر، حيث يقول فيه:

«إنّ لله عزّ وجلّ صفات ذكرها في كتابه العزيز، وثبتت في السنّة عن رسول الله ﷺ، فهذه الصفات يجب الإيمان بها على مراد الله بها، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، فكما أننا ـ يقول الشيخ محمد الشيباني ـ

= وبعد نهاية دراسته عمل مدرساً في وزارة التعليم الأساسي والثانوي في بلاده، وانتدب بعد ذلك للتدريب في جمهورية مصر العربية، وعند عودته عين مفتشاً في وزارة التعليم، وفي عام ١٩٧٧ م انتدب ضمن بعثة من العلماء للعمل في القضاء والفتيا في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو الآن باحث في دائرة القضاء الشرعي في «أبو ظبي»..

وقد ألف الشيخ محمد الشيباني في مجالات من العلم متعددة، ومن مؤلفاته نظمه المسمى [التعريف بالمجتهدين والمحدثين]، والدروس المفيدة في العربية الأكيدة، ومنظومة في تاريخ الأدب العربي على مر العصور، وديوان شعر، وأهم مؤلفاته: [شرح تبيين المسالك لتدريب السالك إلى أقرب المسالك] للشيخ عبد العزيز أحمد آل مبارك الأحسائي، وقد طبع في دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام ١٤٠٧ هـ، على نفقة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، حصلت على هذه المادة العلمية من محمد الشيباني، حيث أرسلها إلي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٣/٢/١٤١٢ هـ.

(١) تقدمت ترجمته في بداية المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) مراسلة محمد الشيباني السابقة الذكر، بتاريخ ١٣/١٢/١٤١٢ هـ.

نؤمن بوجود ذات الله عزّ وجلّ، من غير تكييف، ولا تشبيه، فكذلك الشأن في صفاته تعالىٰ، وهذا هو مذهب أهل السنّة والجماعة، وهو الذي عليه الأئمة رضوان الله عليهم، وغيرهم من السلف الصالح[1].

إلىٰ أن قال: والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين، منفي عن الله عزّ وجلّ، فإنّ الله لا يشبهه شيء من خلقه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بل الأمر كما قال أئمة السلف ومنهم نعيم بن حماد الخزاعي، شيخ البخاري، قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه، فمن أثبت الله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص فقد سلك سبيل الهدىٰ[2].

قال، وقد نظم ذلك العلامة الشيخ باب بن الشيخ سيدي فقال:

ما أوهم التشبيه في آيات ... وفي أحاديث عن الثقات
فهي صفات وصف الرحمن ... بها وأوجب بها الإيمان
ثم على ظاهرها نبقيها ... ونحذر التأويل والشبيها
قال بذا الثلاثة القرون ... والخير باتباعهم مقرون[3]

وبعد أن أورد الشيخ محمد الشيباني جميع أبيات هذا النظم علق عليها بقوله:

إنّ الشيخ سيدي باب يعني بإبقاء النصوص علىٰ ظاهرها، إبقاءها علىٰ

---

(١) محمد الشيباني، شرح تبيين المسالك: ١/٦٣، ٦٤، ٦٦.

(٢) المرجع السابق نفسه: ١/٦٤، وراجع كلام نعيم بن حماد الخزاعي في تفسير ابن كثير: ٢/٢٢٠، وفي كتاب الذهبي: العلو للعلي الغفار ص ١٢٦.

(٣) راجع نص الأبيات بتمامه في شرح تبيين المسالك، المرجع السابق ص ١/٦٥، وفي بداية المبحث الثاني من الفصل السادس، من هذا الكتاب.

ألفاظها، بدليل قوله: «ونحذر التأويل والتشبيها»[1].

ثم بين الشيخ الشيباني أنّ هذا التفويض الذي ذكره هو الذي عليه السلف، حيث قال:

«وهذا التفويض الذي هو أسلم وعليه السلف الصالح، يشمل جميع آيات الصفات، وأحاديثها، باستثناء آيات المعية، وأحاديثها، فإنّ هذه تؤول حسب ما يناسب المقام من العلم، والحفظ، والنصر، ونحو ذلك[2].

هذا ـ يقول الشيخ محمد الشيباني ـ هو نهج السلف، وهو الذي نسير عليه، ونتمسك باتباعه، وهو التفويض في آيات الصفات، وأحاديثها، والإيمان بها على مراد الله بها، من غير تشبيه، ولا تعطيل، أما آيات المعية، وأحاديثها، فإنّ السلف أولوها[3].

موقفه من التصوف:

يرىٰ الشيخ محمد الشيباني أنّ الصوفية قسمان:

* قسم يلتزم بالكتاب والسنّة، ويزن أعماله بهما، فهذا القسم لا اعتراض عليه.

* وقسم لا يتقيد بالكتاب والسنّة، فيوافقهما تارة، ويخالفهما تارة أخرىٰ، فهذا يجب الإنكار عليه، فيما يخالف فيه الشرع.

وبالجملة، يقول الشيخ محمد الشيباني ـ فموقفي من التصوف يتلخص في مضمون الأبيات التالية:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه   ولا بكاؤك إن غنىٰ المغنونا

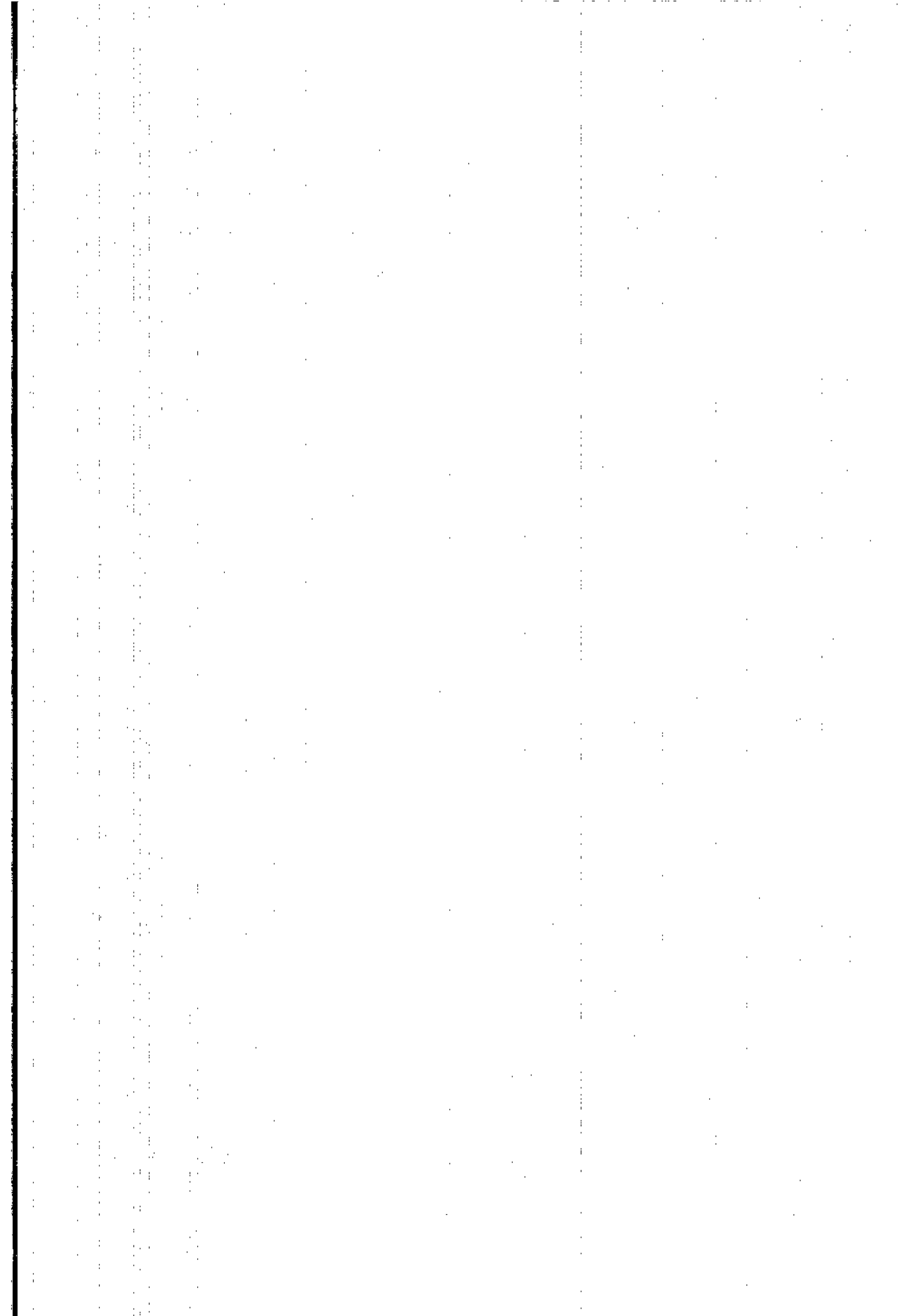
(١) شرح تبيين المسالك، المرجع السابق ١/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٦٦.

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة.

ولا صـيـاح ولا رقـص ولا لـعـب ولا مجون كأن قد صرت مجنونا
بـل الـتـصـوف أن تـصـفـو بـلا كـدر وتـتـبـع الـحـق والـقـرآن والـديـنـا
وإن تـرىٰ عـابـداً لله مـحـتـسـبـاً علىٰ ذنوبك طول الدهر محزونا[1]

(١) مراسلة محمد الشيباني السابقة الذكر، بتاريخ ١٣/١٢/١٤١٢ هـ.



الفصل الثامن

الشيخ الأمين
منهجه في العقيدة، وأثره في موريتانيا

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الأمين.

المبحث الثاني: منهجه في العقيدة.

المبحث الثالث: أثره المباشر علىٰ العقيدة في موريتانيا.

المبحث الرابع: الجدل حول مؤلفاته وأثرها في موريتانيا.

* * *

المبحث الأول
التعريف بالشيخ الأمين

لقد سبق أن أشرنا في لمحة قصيرة إلىٰ الشيخ الأمين في الكلام علىٰ علماء المحاضر الموريتانية، الذين رحلوا إلىٰ أقطار إسلامية في المشرق، واستقروا بها، واستأثروا بإعجاب أهلها[1].

والواقع أنّ الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ هو أبرز هؤلاء العلماء جميعاً، وربما كان هو أبرز علماء القرن الرابع عشر الهجري.

ومع علمي بشهرته، ومعرفة الكثيرين به في موريتانيا، وفي المملكة العربية السعودية، ـ هنا ـ فسوف أقدم تعريفاً وافياً عنه، لأن معرفة الكثيرين له معرفة سطحية، مبنية في الغالب علىٰ لقاء، أو سماع، لا يمثلان المعرفة الحقيقية.

ثم إنّ البلاد الإسلامية الأخرىٰ، قد يكون الكثير من أهلها لا يعرف عنه شيئاً. لذلك فضلت التعريف به قبل الدخول في الموضوعات الأخرىٰ، وفيما يلي بيان ذلك.

فهو: محمد الأمين الملقب [آب]، بمد الهمزة وتشديد الباء، من الإباء، ابن محمد المختار، الملقب [اخطور] اختصاراً للمختار[2]. ابن عبد

---

(١) راجع ص ١٢١ من هذا الكتاب.

(٢) الأمين، والمختار، من الأسماء التي غالباً ما تقترن باسم محمد وأحمد عند الشناقطة، تيمناً وتعبيراً عن حبهم لرسول الله ﷺ.

القادر، بن أحمد نوح اليعقوبي الجكني[1]، ويرجع نسبه إلىٰ قبيلة لمتونة، أبرز قبائل المرابطين، الذين تقدم الكلام عنهم وعن نسبهم[2].

وقد ولد الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ في موريتانيا عند ماء يسمىٰ [تنبه] من أعمال مديرية [كيفا][3] سنة ١٣٢٥ هـ[4] ونشأ يتيماً.

قال عن نفسه: [توفي والدي وأنا صغير، أقرأ في جزء عم، وترك لي ثروة من المال، وكان سكناي في بيت أخوالي، وأمي بنت عم أبي، وحفظت القرآن علىٰ خالي عبد الله بن محمد المختار[5]، ابن أحمد نوح اليعقوبي[6].

وقد ظهرت عليه علامات الذكاء وهو في صباه، فقد نقل عنه الشيخ عطية محمد سالم أنه قال: «كنت أميل إلىٰ اللعب أكثر من الدراسة، حتىٰ حفظت الحروف الهجائية، وبدأوا يقرئونني إياها بالحركات، فقلت لهم أو كل الحروف هكذا؟ قالوا: نعم، فقلت كفىٰ، إني أستطيع قراءتها كلها كي يتركوني، فقالوا: اقرأها فقرأت بثلاثة حروف، أو أربعة، وتنقلت إلىٰ آخرها

---

(١) عطية محمد سالم، مقدمة كتاب: الرحلة، ص ١٣، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٣٢.

(٢) راجع المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣) تبعد مدينة [كيفا] عن مدينة نواكشوط عاصمة الدول ٦٠٦ كليومتراً، شرقاً وتبعد [تنبه] عن ميدنة كيفا ٦٠ كم تقريباً إلى جهة الشمال.

(٤) وقع اختلاف بين المترجمين للشيخ محمد الأمين في تحديد سنة ولادته، فالشيخ عطية محمد سالم في مقدمته لكتاب الرحلة ص ١٤، ذكر أن تاريخ ميلاده ١٣٠٥ هـ، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٣٤، ذكرت التاريخ المثبت في الصلب، وقد استفسرت عن هذا ابني الشيخ محمد الأمين الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله فأفادا أنّ الصواب هو ١٣٢٥ هـ، لذا أثبته في الصلب ونبهت عليه.

(٥) عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم اليعقوبي الجكني، ليست له آثار مكتوبة، راجع: سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧٢.

(٦) عطية محمد سالم، ترجمة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار في آخر المجلد العاشر من أضواء البيان ص ٢١.

بنفس الطريقة، فعرفوا أني فهمت قاعدتها، واكتفوا مني بذلك، وتركوني، ومن ثم حببت إلي القراءة[1].

ومن يومها بدأ شغوفاً بطلب العلم، متفوقاً فيه، فحفظ القرآن علىٰ خاله ـ كما مرّ ـ وعمره عشر سنوات، قال ـ رحمه الله ـ: ثم تعلمت رسم المصحف العثماني عن ابن خالي سيدي محمد[2] بن أحمد بن محمد المختار. وقرأت التجويد في مقرأ نافع، برواية ورش، عن طريق أبي يعقوب الأزرق، وقالون من رواية أبي نشيط، وأخذت عنه سنداً بذلك، إلىٰ النبيّ ﷺ، وذلك وعمري ستة عشر عاماً[3].

وبعد إجازته في القرآن الكريم بروايتي ورش وقالون عن نافع، درس ما في القرآن من متشابه في الرسم، أو التلاوة، ومن المشهور عندهم في هذا، رجز محمد بن امبوجا المشهور بالبحر.. وفي أثناء هذه القراءة درس بعض المختصرات في الفقه المالكي، كمنظومة ابن عاشر المسماة: بالمرشد المعين علىٰ الضروري من علوم الدين.

وفي أثنائها أيضاً درس مبادىء في علم النحو، والأنساب، والسيرة علىٰ زوجة خاله[4] حيث يقول:

«أخذت عنها ـ يعني زوجة خاله ـ مبادىء النحو كالآجرومية،

---

(١) عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) سيدي محمد بن أحمد بن محمد المختار بن إبراهيم اليعقوبي، الجكني، عالم له مشاركة في علم القراءات، ومما خلفه من الآثار العلمية كتاب الخريدة في علم القراءات، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ١/ ٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرىٰ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة ١٤١٠ هـ.

(٤) هي عائشة بنت الأمين الجكنية، لغوية، وأديبة، لها معرفة بعلم الأنساب، وأيام العرب، وليس لها آثار مكتوبة، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧٢.

وتمرينات واسعة في أنساب العرب، وأيامهم، والسيرة النبوية، ونظم الغزوات، لأحمد البدوي الشنقيطي، وهو يزيد علىٰ خمسمائة بيت، وشرحه لابن أخت المؤلف المعروف بحماد المجلسي، ونظم عمود النسب للمؤلف وشرحه لابن أخت المذكور[١].

هذه دراسة في القرآن وعلومه، وأولويات من علوم أخرىٰ، كانت في بيت أخواله، أي أنّ بيت أخواله كان بالنسبة له المدرسة الأولىٰ، أما بقية الفنون فقد قال رحمه الله ـ:

درست مختصر خليل علىٰ الشيخ محمد بن صالح[٢] إلىٰ قسم العبادات، ونصف ألفية ابن مالك، ثم أخذ بقية الفنون علىٰ مشاهير علماء البلاد، ومنهم الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار[٣]، والشيخ أحمد بن عمر[٤] والشيخ أحمد فقال بن آد[٥] والشيخ ....

---

(١) عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة المصدر السابق ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) هو محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم، قال عنه مترجموه: إنه أحاط بالعلوم التي في بلده، جليها وغامضها، قرآناً وتوحيداً، وفقهاً وأصولاً، وقواعد ولغة، اشتهر بالورع والزهد والإكثار من العبادة، والمواظبة علىٰ تلاوة القرآن الكريم، شديد الإنكار علىٰ المتصوفة، جرت بينه وبين شيخ التجانية في قبيلته وهو محمد بن سيدي الجكني ـ محاورات وألف كلاهما رسائل في الرد علىٰ الآخر، من مؤلفاته: [طرد البدعة عن أهل الملة بواضح الأدلة] وإرشاد المغرور، توفي في موريتانيا في بلدة الرقيبة، ودفن بمقبرة ميل ميل، من أعمال مديرية كيفا، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني، علامة زمانه، وفائق أقرانه، عليه تدور رحىٰ القضاء، والفتيا في زمانه، امتاز بالأدب وجودة الشعر، له نظم في التوسل بأسماء الله الحسنىٰ، راجع سميرة بنت صقر المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٤) أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكني، فقيه، وأصولي له معرفة بعلم المنقول، والمعقول اشتهر بقوّة الذاكرة، وسرعة البديهة، وصحة الاستنباط، المرجع السابق ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٥) أحمد فال بن آد الجكني، علامة متبحر في الفنون، له اليد الطولىٰ في النحو، والفقه، اشتهر بالحفظ وقوة الذاكرة، وقد تولىٰ القضاء وسار فيه سيرة حسنة، توفي حوالى ١٣٥٤ هـ، حصلت علىٰ هذه المعلومات من ابن عمه الدكتور باب بن آد الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرىٰ، وذلك في مقابلة أجريتها =

أحمد بن مود[1] وغيرهم.

قال رحمه الله: وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون، النحو، والصرف، والأصول، والبلاغة، وبعض التفسير، والحديث، أما المنطق[2]، وآداب البحث، والمناظرة، فقد حصلناه بالمطالعة[3].

قال عنه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ما حاصله: إنّ هذه الفنون التي درسها الشيخ محمد الأمين علىٰ المشايخ أو حصلها بالمطالعة من الكتب، لم يقتصر في تحصيله علىٰ دراسته، بل كان دائماً يديم النظر، ويواصل التحصيل، حتىٰ غدا في كل منها كأنه متخصص فيه، بل وله في كل منها اجتهادات ومباحث مبتكرة[4].

ويدل لسعة معارف الشيخ محمد الأمين العلمية وعمقها، وخاصة في القرآن الكريم، وعلومه، ما حدثني به ابنه الدكتور عبد الله بقوله:

= معه في مكة المكرمة بتاريخ ١٦/٥/١٤١٢ هـ، وراجع عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة ص ١٧.

(١) أحمد بن مود الجكني: فقيه وأصولي حافظ لنصوص المذهب المالكي، أخذ الطريقة التجانية وبعد أن تبين له الحق رجع عنها، وأصبح من أعدائها، اشتهر بالتواضع، والورع، والتقوىٰ، والمواظبة علىٰ العبادة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرجوع إلىٰ الحق إذا ظهر له الخطأ، ت ١٣٧٠ هـ، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) يقول الشيخ محمد الأمين بن المختار رحمه الله لا شك أنّ المنطق لو لم يترجم إلىٰ العربية ولم يتعلمه المسلمون لكان دينهم وعقيدتهم في غنىٰ عنه كما استغنىٰ عنه سلفهم الصالح ولكنه لما ترجم وتعلم وصارت أقيسته هي الطريقة الوحيدة لنفي بعض صفات الله الثابتة في الوحيين كان ينبغي لعلماء المسلمين أن يتعلموه وينظروا فيه ليردوا حجج المبطلين بجنس ما استدلوا به علىٰ نفيهم لبعض الصفات لأن إفحامهم بنفس أدلتهم أدعىٰ لانقطاعهم وإلزامهم الحق. للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب البحث والمناظرة القسم الأول ص ٤ ـ ٧.

(٣) عطية محمد سالم مقدمة كتاب الرحلة ص ١٧ ـ ١٨.

(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٨.

قال لي الشيخ محمد الأمين رحمه الله ـ لا توجد في القرآن آية من كتاب الله إلا درستها علىٰ حدة، ثم يقول: وقد حدثني الشيخ عطية محمد سالم أنّ الشيخ الأمين قال: كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي[1].

أعماله وجهوده في نشر العلم والدعوة قبل قدومه إلىٰ المملكة:

كانت أعمال الشيخ محمد الأمين، رحمه الله ـ كأعمال غيره من علماء بلاده التدريس، والقضاء، والفتيا.

فكان شيخ محضرة، يعلم فيها الناس كافة العلوم الشرعية، وخاصة تفسير كتاب الله تعالىٰ، والعقيدة السلفية، من الكتاب والسنّة[2].

وقد تلقىٰ الدكتور محمد ولد سيدي الحبيب دروساً من العقيدة في هذه المحضرة، حيث يقول ما نصه: تلقيت عن الشيخ محمد الأمين في البلاد سنة سفره عام ١٣٦٧ هـ، بعض العقائد، إملاءات في التوحيد، حيث كنت أحضر حلقاته وأنا صغير جداً، ووعيت عنه فيها[3].

وقد تولىٰ الفتيا والقضاء، وسار فيهما سيرة حسنة، واشتهر بدقة الفراسة في القضاء، ونال فيه: ثقة عظيمة عند الناس، فكانوا يأتونه للقضاء بينهم، ويفدون إليه من أماكن بعيدة، أو حيث يكون نازلاً[4].

قال الشيخ محمد المجذوب عنه: كان هو المفتي والمرشد، والواعظ، والمصلح، والقاضي، يتقاضىٰ إليه المختلفون، فيصدر حكمه معدلاً مؤيداً بالأدلة الشرعية، فإذا وصل حكمه إلىٰ المشايخ صدقوه، وإذا

---

(١) د. عبد الله بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٢١/٤/١٤١١ هـ.

(٢) سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٤١.

(٣) السديس، المرجع السابق ١/٩.

(٤) عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة، ص ٢٢.

ردّ إلىٰ الحكام نفذوه دون تردد.

وكان يقضي علىٰ هذا النحو في كل القضايا التي تعرض لديه إلا الدماء والحدود.. إذ كان للدماء قضاؤها الخاص بها في أنظمة السلطة الفرنسية، فمحاكمها هي التي تنظر في كل ما كان ذا صلة بهذا الأمر، فإذا انتهىٰ حكمها إلىٰ الإعدام عرضته السلطة المختصة علىٰ لجنة الدماء، وهي مؤلفة عادة من اثنين من كبار علماء الشريعة، وعلىٰ موافقة هذه اللجنة يتوقف نفاذ الحكم.

وكان الشيخ محمد الأمين رحمه الله ـ أحد هؤلاء العلماء المعتمدين لأعوام طويلة[١].

وبعد خروجه من بلاده في رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام، ظل يشتغل بالتدريس والفتيا، أثناء هذه الرحلة، حيث يفيض من علمه الغزير حيثما وجد أرضاً متعطشة للعلم، فقد أفتىٰ ودرس في طريق رحلته للحج في أكثر من عشرة أماكن في أقطار مختلفة[٢].

جهوده في نشر العلم والدعوة بعد الاستقرار في المملكة:

خرج الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ من بلاده لأداء فريضة الحج، وعلىٰ نيّة العودة، وكان سفره براً، ومرّ في رحلته بكثير من البلاد الإفريقية، ونشر تعاليم الإسلام النقية في عدد من الأقطار التي مرّ بها كما قلت، وكان ذلك عام ١٣٦٧ هـ.

وبعد وصوله إلىٰ المملكة العربية السعودية، تجددت نية إقامته في الحرمين، الشريفين، وسبب ذلك أنه مرّ من غير قصد في يوم عرفة بقرب

(١) راجع محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم، ص ١٦٦.

(٢) راجع السديس: المرجع السابق، ص ٩ ـ ١٠.

مسجد نمرة على خيمة فيها الأميران تركي السديري أمير أبها، وخالد السديري، أخوه، أمير تبوك، قال الشيخ: فجلسنا قليلاً في ظل الضحى من خيمتهم، ننتظر رفقتنا، فآوونا وأكرمونا غاية الإكرام، وأظهروا السرور بالمعارفة معنا، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية[1].

قال الشيخ عطية محمد سالم: فوجدوا بحراً لا ساحل له، ومن تلك الجلسة وذلك المنزل تعدلت الفكرة، بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة، وأوصاه الأميران إن هو قدم المدينة أن يلتقي بالشيخ عبد العزيز الزاحم، والشيخ عبد العزيز بن صالح، وفي المدينة التقى بهما، ودارت بينهم مناقشات حول بعض الأمور، التي كان يسمعها عنهم في العقيدة، وفي الفقه، وكان أكثرهما معه مناقشة عبد العزيز بن صالح، وأخيراً قدم الشيخ عبد العزيز بن صالح للشيخ الأمين كتاب المغني لابن قدامة، كأصل للمذهب الحنبلي، وبعض كتب شيخ الإسلام، ابن تيمية، كمنهج للعقيدة، فقرأها، وتعددت اللقاءات، وطالت الجلسات، فوجد الشيخ الأمين مذهباً معلوماً لإمام جليل من أئمة أهل السنّة، هو أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

كما وجد منهجاً سليماً لعقيدة السلف، يعتمد على الكتاب والسنّة، وما كان عليه سلف الأمّة، فذهب زيف الدعايات الباطلة، وظهر معدن الحقيقة الصحيحة، وتوطدت العلاقات بين الطرفين، وتجددت رغبة متبادلة في بقائه، لإفادة المسلمين، ورغب في الجوار والمقام، في مدينة رسول الله ﷺ[2].

وتمّ تعيينه مدرساً للتفسير في المسجد النبوي، بأمر جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله ـ. وقد ختم القرآن

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ص ٢٧٠.

(٢) عطية محمد سالم، الترجمة ص ٣٦ ـ ٣٧، والسديس: المرجع السابق، ١٥ ـ ١٦.

في تفسيره بالمسجد النبوي مرتين، وتوفي قبل أن يكمل الثالثة، وكان الدرس في بداية أمره سنة ٦٩ ـ ١٣٧٠ هـ، يومياً علىٰ مدار العام، ثم صار مقتصراً علىٰ الإجازة الصيفية من عام ١٣٧١ هـ، حيث انتقل إلىٰ الرياض لتدريس التفسير والأصول بالمعهد العلمي، وكليتي الشريعة واللغة.

وبقي بالرياض عشر سنين، يعود إلىٰ المدينة صيف كل عام، حتىٰ فتحت الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١ هـ فعاد إلىٰ المدينة، واستمرّ يدرس بالجامعة الإسلامية، التفسير، والأصول، وآداب البحث، والمناظرة، إلىٰ أن توفي عام ١٣٩٣ هـ، وكان بجانب تدريسه بالجامعة عضواً في مجلسها، فساهم في سيرها ومناهجها، كما ساهم في تعليمها[١].

وفي هذه الفترة الأخيرة من حياته، فترة عمله بالجامعة الإسلامية، كثف نشاطه، علىٰ الرغم من ضعفه، وكبر سنه، فكانت له مشاركة ومساهمة في العمل في مؤسسات إسلامية أخرىٰ، يحدثنا عنها تلميذه الشيخ عطية بقوله:

«وفي سنة ١٣٨٦ هـ افتتح معهد القضاء العالي بالرياض فكان رحمه الله ممن يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير، والأصول، وفي عام ١٣٩١ هـ تمّ تعيين المشايخ الذين تتألف منهم هيئة كبار العلماء وكان الشيخ محمد الأمين رحمه الله أحدهم، وكانت له السياسة الرشيدة فيها.

قال عنه الشيخ عبد العزيز بن صالح: وهو عضو فيها: ما رأيت قبله أحسن إدارة منه مع بعد نظر في الأمور وحسن تدبر للعواقب[٢].

وكان الشيخ الأمين رحمه الله ـ مع كل ما سبق ذكره آنفاً عضواً في

---

(١) راجع نفس المرجع السابق ١/١٦ ـ ١٨ ـ ١٩، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٤٨ ـ ٥١.

(٢) عطية محمد سالم، الترجمة ص ٤٨ ـ ٥٠، والسديس، المرجع السابق ١/١٩، وسيد الأمين الشامي، المعين والزاد في الدعوة والإرشاد ص ١٠٢، الطبعة الأولىٰ، مكة المكرمة ١٣٩٦ هـ.

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ولم يقل نفعه فيها عن نفعه في غيرها.

فقد كان بعيد النظر، سديد الرأي، موفقاً في التصرف، حيثما حل، وقد عصم الله بسببه الرابطة من مأزق كادت أن تقع فيه في فترة من الفترات، وذلك حين قدم المندوب الإيراني طلباً باعتراف الرابطة بالمذهب الجعفري[1]، ومعه وثيقة من إحدىٰ الجهات العلمية، تؤيده علىٰ دعواه، وتجيبه إلىٰ طلبه، فإن قبلوا طلبه دخلوا في مأزق، وإن رفضوه واجهوا حرجاً، فانتدبوا الشيخ الأمين لهذه المشكلة، وكان أهلاً لذلك، وأجاب فيها بجواب أقرّه الجميع، وسحب المندوب الإيراني طلبه[2].

مؤلفاته:

لم يكن الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ رغم سعة علمه ـ من المكثرين في التأليف، ولعل ذلك يعود إلىٰ كثرة مشاغله العلمية، في الدروس، والمحاضرات، والمجالس العامة، والخاصة، وغير ذلك من شؤون الدعوة، والمشاغل الأخرىٰ، التي تحول دون التفرغ للكتابة.

ومع ذلك فقد ألف عدة مؤلفات نافعة في مجالات مختلفة وبعضها مهم للغاية، وتنقسم مؤلفاته إلىٰ قسمين:

* مؤلفاته في موريتانيا:

---

(١) نسبة إلىٰ الإمام السادس من أئمة الروافض جعفر الصادق بن محمد، ٨٣ ـ ١٤٨ هـ، للتوسع في أئمة الروافض ومقالاتهم: راجع الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/٨٨، ١٣٤، والبغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٩ ـ ٧١، والشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٦٢، ١٩٠، وأحمد جلي: المرجع السابق ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة، ص ٣٠، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق، ص ٥٣، وسيد الأمين المامي، المعين والزاد في الدعوة والإرشاد، ص ١٦ ـ ١٧.

وأكثرها منظومات لأن المجتمع الموريتاني يميل إلىٰ النظم ويرتاح له أكثر من غيره، وذلك لأنهم لا يعدون علماً إلا ما حفظ في الصدور، والنظم أسهل حفظاً من النثر.

* مؤلفاته بعد قدومه إلىٰ المملكة العربية السعودية واستقراره فيها وهي جل مؤلفاته..

وفيما يلي عرض لهذه المؤلفات:

مؤلفاته في موريتانيا:

١ ـ نظم في أنساب العرب، ألفه قبل البلوغ، يقول في أوله:

سميته بخالص الجمان   في ذكر أنساب بني عدنان

٢ ـ رجز في فروع مذهب مالك، يختص بالعقود من البيوع، والرهون، وهو آلاف متعددة، قال في أوله:

الحمد لله الذي قد ندبا   لأن نميز البيع من لبس الربا

٣ ـ نظم في الفرائض، قال في أوله:

تركة الميت بعد الخامس   من خمسة محصورة عن سادس

٤ ـ ألفية في المنطق، أولها قوله:

حمداً لمن أظهر للعقول   حقائق المنقول والمعقول

ولم يطبع من هذه المنظومات حتىٰ الآن شيء.

أما مؤلفاته بعد وصوله إلىٰ هذه البلاد:

فهي كما يلي:

١ ـ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ألفه لما رأىٰ جل أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا إلىٰ أنّ القول

فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال[1].

٢ ـ دفع إيهام الاضطراب، عن آيات الكتاب، بين فيه أوجه الجمع بين الآيات التي يظن بها التعارض في القرآن العظيم[2].

٣ ـ بيان الناسخ والمنسوخ في آي الذكر الحكيم.

٤ ـ آداب البحث والمناظرة.

٥ ـ مذكرة في أصول الفقه علىٰ روضة الناظر لابن قدامة رحمه الله.

٦ ـ شرح علىٰ مراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم رحمه الله.

٧ ـ شرح علىٰ سلم الأخضري في فن المنطق.

٨ ـ رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام.

٩ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وهو أهم مصنفاته وآخرها، إذ كلها قد فرغ منها في حياته، إلا الأضواء فإنه توفي ولم يتمه[3] وكتاب الأضواء هذا هو أحسن ما ألف في مجاله[4].

هذه المؤلفات التي سبق ذكرها كلها قد طبعت إلا ثلاثة منها وهي: بيان الناسخ والمنسوخ في آي الذكر الحكيم، وشرح مراقي السعود، وشرح سلم الأخضري، فهذه الكتب ما تزال مخطوطة.

---

(١) مقدمة رسالة منع جواز المجاز، ضمن المجلد العاشر من أضواء البيان ص ٣، والسديس المرجع السابق ١/ ٢٠.

(٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٢١.

(٣) المرجع السابق نفسه ١/ ٢١.

(٤) قال الدكتور أحمد نصيف الجنابي: ذهب جمهور العلماء أنّ أفضل التفاسير هو: أن يفسر القرآن بالقرآن، وأحسن ما ألف في هذا الاتجاه كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، علوم القرآن الكريم، حضارة العراق، نقلاً عن الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

وللشيخ الأمين رحمه الله ـ محاضرات عديدة في موضوعات مهمة، ألقاها في مناسبات مختلفة، وطبعتها الجامعة الإسلامية مشكورة، منها:

١ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محاضرة ألقاها بالجامعة الإسلامية، بتاريخ ١٣/٩/١٣٨٢ هـ، وقد طبعتها الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٠ هـ وأعيد طبعها عام ١٤٠١ هـ.

٢ ـ منهج التشريع الإسلامي وحكمته: محاضرة ألقاها افتتاحية للموسم الثقافي للجامعة الإسلامية عام ١٣٨٢ هـ وطبعها مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية ضمن مطبوعاته برقم [٦٧].

٣ ـ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[١].

محاضرة ألقاها في المسجد النبوي بحضور محمد الخامس ملك المغرب، بين فيها أنّ هذه الآية نص صريح في أنّ الإسلام لم يترك شيئاً يحتاج إليه الخلق في الدنيا والآخرة إلا أوضحه وبينه[٢].

وفـاتـه:

شاءت إرادة الله تعالىٰ ـ جلت قدرته ـ أن يختم للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بالصالحات، وأن يكون أداء مناسك الحج آخر أعماله وبطاح مكة المكرمة آخر محطة له، وأن تفيض روحه ويدفن جثمانه بجوار بيت الله الحرام، حيث توفي رحمه الله يوم الخميس ١٧/١٢/١٣٩٣ هـ بمكة ـ حرسها الله ـ وهو عائد من الحج، وصلىٰ عليه الشيخ عبد العزيز

(١) جزء من الآية رقم ٣، من سورة المائدة.

(٢) راجع عن مؤلفاته وآثاره العلمية: عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة ص ٣١ ـ ٣٢، وكذلك الترجمة في أضواء البيان ص ٥١ ـ ٥٥، وسميرة بنت صقر المرجع السابق، ص ١٠٧ ـ ١٢٩، والسديس: المرجع السابق ١/١١، ١٤، ٢٠، ٣٩، وسيد الأمين المامي المعين والزاد في الدعوة والإرشاد ص ١٠٢ ـ ١٠٤.

بن باز في الحرم المكي، مع من حضر من المسلمين بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، ودفن بمقبرة المعلاة، وفي ليلة الأحد الموافقة للعشرين من الشهر نفسه أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي، وصلّىٰ عليه الشيخ عبد العزيز بن صالح بعد صلاة العشاء مباشرة[1] رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد رثاه عدد كبير من طلابه، ومحبيه في موريتانيا، وفي المملكة هنا وممن رثاه العلامة المحدث محمد بن أبي مدين[2]، حيث قال قصيدة مطلعها:

الله أكبر مات العلم والورع ... يا ليت ما قد مضىٰ من ذاك يرتجع
يبكي الكتاب كتاب الله غيبته ... كذا المدارس والآداب والجمع
مفسراً للذكر الحكيم وما ... من الحديث إلىٰ المختار يرتفع

وممن رثاه أيضاً تلميذه وابن عمه الشيخ أحمد[3] بن أحمد المختار، حيث قال قصيدة طويلة مطلعها:

موت الإمام الحبر من جاكاني ... رزء ألم بأمة العدناني

إلىٰ أن قال:

شيخ أضاء من العقيدة نيراً ... أرساه فوق دعائم البرهان
أعشىٰ سناه كل جهم ملحد ... نبذ الكتاب لمنطق اليونان[4]

---

(١) عطية محمد سالم، الترجمة في أضواء البيان ص ٧، وبكر أبو زيد: طبقات النسابين ص ١٩٨، وسيد الأمين المامي: المعين والزاد في الدعوة والإرشاد ص ١٠٤، الطبعة الأولىٰ، مكة المكرمة ١٣٩٦ هـ.

(٢) تقدم الكلام بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل السابع من هذا الكتاب عن الشيخ محمد بن أبي مدين.

(٣) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

(٤) للتوسع في مراثي الشيخ محمد الأمين رحمه الله ـ راجع: السديس، المرجع السابق ١/ ٦٣ ـ ٧١، وسيد الأمين المامي، المعين والزاد في الدعوة والإرشاد، ص ١٠٤ ـ ١١٠.

منهجه في العقيدة:

إنّ أبرز ما تميز به الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار ـ رحمه الله ـ عقيدته السلفية، التي تابع فيها رجال خير القرون، علىٰ الرغم من أنه نشأ في بيئة علمية، تغلب عليها العقيدة الأشعرية، وعلم الكلام، إلا أنه كان من القلة[1] الذين وقفوا عند نصوص الكتاب، والسنّة، ولفظوا علم الكلام، وبذلك توج علمه الغزير وزاده الله به نوراً علىٰ نور.

إنّ الكثير من طلاب العلم يعلمون أنّ الشيخ محمد الأمين، كان صاحب عقيدة سلفية، ولكن قد يظن البعض أنه لم يعتنق هذه العقيدة إلا بعد وصوله إلىٰ هذه البلاد، وهذا خلاف الحقيقة.

ذلك أنه كان يعتقد مذهب السلف، وهو في موريتانيا، قبل أن يغادرها إلىٰ هذه البلاد.

ويدل علىٰ هذا ما ورد في رحلته حين ردّ علىٰ سؤال وجه إليه في مدينة [النعمة][2] عن مذهب أهل السنّة في آيات الصفات وأحاديثها، فقال في رده علىٰ هذا السؤال:

«فأجبناهم بأن المذهب الذي يسلم صاحبه من ورطتي التعطيل والتشبيه، هو مذهب سلف هذه الأمّة من الصحابة، والقرون المشهود لهم بالخير، وأئمة المذاهب، وعامة أهل الحديث، وهو الذي لا شك أنه الحق الذي لا غبار عليه.

وضابطه مجانبة أمرين:

---

(١) أعني في موريتانيا أيام عهد الشيخ محمد الأمين بها، قبل أن يغادرها في رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام، فقد كان غالبية أهل البلاد إبان ذاك أشاعرة متكلمون، ويرون الخروج عن العقيدة الأشعرية ضلالة.

(٢) مدينة النعمة: هي عاصمة الولاية الأولىٰ من ولايات موريتانيا الاثنتي عشرة، وتقع في الجنوب الشرقي من البلاد.

وهما: التعطيل والتشبيه.

* فمجانبة التعطيل هي: أن تثبت لله جلّ وعلا كل وصف أثبته لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ، إذ من الضروري أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا من رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

* ومجانبة التشبيه هي: أن تعلم أنّ كل وصف أثبته الله جلّ وعلا لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ فهو ثابت له حقيقة على الوجه البالغ من كمال العلو، والرفعة، والشرف، ما يقطع علائق المشابهة بينه، وبين صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[2].

ومن المعلوم أن تغاير الموصوفين يلزمه تغاير صفاتهم، فإذا ثبت عند من ينكر بعض صفاته تعالى، أنه جلّ شأنه ذات مخالفة لسائر الذوات، فأي وجه لاستشكاله أنه موصوف بصفات مخالفة لسائر صفات الحوادث[3].

وقد أطال الشيخ الكلام في الرد على المتكلمين، الأشاعرة، والمعتزلة وبين خطأهم بالعقل وبالنقل، وأورد كثيراً من آيات الصفات، وبين مذهب أهل السنّة والجماعة فيها، وناقش المتكلمين بإسهاب، ثم قال:

«ولا شك أنّ الطريق المأمونة هي طريق الكتاب والسنّة، وهذا الذي أوضحنا من إثبات الصفات لله حقيقة من غير تكييف، ولا تشبيه، هو معنى قول الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول[4].

فقوله: الاستواء غير مجهول: نفي للتعطيل، وقوله: الكيف غير معقول: نفي للتشبيه والتكييف[5].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١١.

(٢) الرحلة ص ٧٣، والآية رقم ٤ من سورة الإخلاص.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) نفس المصدر والصفحة، تقدم تخريج هذا النص في ص ١٧٨ من هذا الكتاب.

(٥) راجع الرحلة ص ٧٤ ـ ٨٧.

ويؤكد ابنه عبد الله اعتناقه لعقيدة السلف قبل مغادرته لموريتانيا وأن ذلك حصل بعد إمعان النظر الطويل في قضية التأويل، فلم يرَ لها دليلاً فتركها، ثم يقول:

وقد حدثني الشيخ الأمين رحمه الله ـ عن بداية اعتناقه لمذهب السلف فقال لي: رأيت كتاباً عند الشيخ المبجل ـ رحمه الله ـ وكان في هذا الكتاب «لا يصف الله نفسه بصفة فيأتي العبد ويقول هذه الصفة التي وصف الله بها نفسه غير لائقة به هذه جراءة عظيمة، فعند ذلك وافق هذا الكلام ما في خاطري، واعتقدت مذهب السلف من الحين[(١)].

وقد حدثني الدكتور محمد سيدي الحبيب أنه سمعه يقول: درسنا المذهب الأشعري، ولكن ما خرجنا من بلاد شنقيط إلا بعد أن عرضناه علىٰ الكتاب والسنّة فما وافقهما قبلناه وما خالفهما طرحناه[(٢)].

ومما يزيد هذا المعنىٰ تأكيداً ما نقله الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين، عن الشيخ محمد عبد الله بن آد الجكنى أنّ الشيخ الأمين تطابقت وجهة نظره في مباحث العقيدة مع مشايخ المدينة المنورة، أيام قدومه عليها.

ويعلق الدكتور محمد مختار علىٰ هذه الرواية بقوله: ولا غرابة في ذلك، فهو قبل أن يقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في المشرق، قرأ كتب الحافظ ابن عبد البر في موريتانيا[(٣)].

كل هذه النصوص التي سقناها سواء منها ما هو موجود في كتاب الرحلة، أو ما نقلناه عن تلاميذه الثقات، تدل دلالة واضحة علىٰ أنّ الشيخ

---

(١) د. عبد الله محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة بتاريخ ٢١/٤/١٤١١ هـ.

(٢) د. محمد سيدي الحبيب، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة بتاريخ ٥/٥/١٤١١ هـ والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه.

(٣) د. محمد المختار بن محمد الأمين، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٥/٣/١٤١١ هـ.

محمد الأمين رحمه الله ـ جاء إلىٰ هذه البلاد وهو علىٰ منهج السلف، وقد ظهر ذلك جلياً في محاضراته التي ألقاها في الرياض عند قدومه عليها[1].

ومع هذا، فإننا نستطيع القول بأنه بعد قدومه علىٰ هذه البلاد توسع في العلوم الإسلامية عموماً، وفي العقيدة السلفية خصوصاً، وذلك بسبب وفرة المصادر الإسلامية، والنهضة العلمية التي تزامنت مع قدومه علىٰ هذه البلاد.

وقد أشار الشيخ عطية إلىٰ هذا المعنىٰ مبيناً أنّ هذا التوسع العلمي ظهر في منهجه في أضواء البيان في المباحث الفقهية، ثم قال: أما في العقيدة فقد بلورها منطقاً ودليلاً ثم لخصها في محاضرة آيات الأسماء والصفات في أول محاضرات الجامعة الإسلامية، ثم بسطها ووضحها إيضاحاً شافياً في أخريات حياته في كتاب آداب البحث والمناظرة، دليلاً واستدلالاً وعرضاً وإقناعاً[2].

ومع أنّ اتباع المنهج السلفي في العقيدة أمر مشهور عن الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ فإنني سوف أقتطف من مؤلفاته أمثلة في ذلك، إذ يقول رحمه الله في أقسام التوحيد، وقد دلّ استقراء القرآن العظيم علىٰ أنّ توحيد الله تعالىٰ ـ ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

* **الأول**: توحيد في ربوبيته:

وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، وذكر الأدلة القرآنية علىٰ ذلك، ومنها قوله تعالىٰ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾[3].

---

(١) راجع عطية محمد سالم: الترجمة ص ٣٩ وقد تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك في الفصل الأول.

(٢) عطية محمد سالم، الترجمة ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

* الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته:

وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنىٰ لا إله إلا الله وهي مركبة من نفي وإثبات، فمعنىٰ النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله تعالىٰ، كائنة ما كانت، في جميع أنواع العبادات، كائنة ما كانت، ومعنىٰ الإثبات منها: إفراد الله جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات، بإخلاص علىٰ الوجه الذي شرعه الله علىٰ ألسنة رسله، عليهم الصلاة والسلام.

* **الثالث**: توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته[1]:

وهذا القسم الأخير، هو أصعب أقسام التوحيد وأدقها مسلكاً لما فيه من الشبه بين النفي والإثبات.

ولذلك زلت فيه أقدام كثير من العلماء، ولا سيما بعد فتح أبواب الترجمة للمنطق والفلسفة، وإدخالهما في أسماء الله تعالىٰ، وصفاته، لإجراء القوانين المنطقية عليهما.

ولذلك نرىٰ الشيخ محمد الأمين رحمه الله ـ يركز علىٰ هذا المبحث في عدد من مؤلفاته في مباحث مسهبة، وبمنهج علمي رصين، وصفه الشيخ سيد الأمين المامي بقوله:

منهجاً مدعماً بالأدلة النقلية، ومفصلاً بالأدلة العقلية، ورد الشبهات العارضة، وإيضاح الطريق السوي لهذا المبحث الخطير[2].

وقد خصص الشيخ رحمه الله ـ لهذا المبحث محاضرته القيمة التي بين فيها معتقد السلف، في أسماء الله وصفاته، وردّ فيها علىٰ الفرق المخالفة لأهل السنّة والجماعة في هذا الموضوع. . والتي عنوانها «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» وبدأها بقوله: «اعلموا أنّ كثرة الخوض

---

(١) أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١١.

(٢) المعين والزاد في الدعوة والإرشاد ص ١٩.

والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف».

«.. اعلموا أنّ مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يرتكز على ثلاثة أسس، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه، والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ[1].. إلخ. كلامه.

وفي كتابه آداب البحث والمناظرة، الذي بين فيه عقيدة السلف بياناً شافياً، ورد على الفرق المخالفة لأهل السنّة والجماعة أيضاً عرض لهذه الأسس الثلاثة حيث قال:

«اعلم أنّ المعتقد الصحيح المنجي عند الله في آيات الصفات هو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وهو مقتضى نصوص القرآن العظيم.. وينبني على ثلاثة أسس كلها صرح الله بها في كتابه عن نفسه، وصرح بها رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة. وهذه الأسس:

* **أولها**: تنزيه خالق السموات والأرض جلّ وعلا، عن مشابهة خلقه في شيء من ذواتهم، أو صفاتهم، أو أفعالهم.

* **ثانيها**: تصديق الله فيما أثنى به على نفسه، وتصديق رسوله ﷺ فيما أثنى على ربه، والإيمان بتلك الصفات الثابتة في القرآن العظيم، والسنّة الصحيحة، إيماناً مبنياً على أساس ذلك التنزيه.

* **وثالثها**: هو أن تعلم أنّ العقول البشرية عاجزة عن إدراك كيفية اتصاف الله جلّ وعلا بتلك الصفات[2].

وفي مسألة الإيمان، يسلك الشيخ ـ رحمه الله ـ كعادته ـ مسلك أهل

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣، طبعة الجامعة الإسلامية ١٤٠٠ هـ.

(٢) آداب البحث والمناظرة، القسم الثاني، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، طبعة دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة، [د. ت].

السنّة والجماعة، وهو أنّ الإيمان قول، واعتقاد، وعمل، يزيد وينقص، ذكر ذلك في مواضع من كتابه أضواء البيان، فقد قال عند قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[1]، ما نصه:

«ومعلوم أنّ الحق الذي لا شك فيه، الذي هو مذهب أهل السنّة والجماعة أنّ الإيمان شامل للقول، والعمل، مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة»[2].

وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[3]. ذكر الآيات الدالة علىٰ زيادة الإيمان، ثم قال: وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أنّ الإيمان يزيد مفهوم منها أنه ينقص أيضاً، كما استدل بها البخاري ـ رحمه الله ـ علىٰ ذلك، وهي تدل عليه دلالة صريحة، لا شك فيها، فلا وجه معها للاختلاف في زيادة الإيمان ونقصه، كما ترىٰ، والعلم عند الله تعالىٰ[4].

وفي مسألة القدر، بيّن الشيخ ـ رحمه الله ـ معتقده وهو مذهب أهل السنّة والجماعة، الذي هو وسط بين الجبرية والقدرية، وورد في ثنايا كتابه أضواء البيان، وفي مواضع كثيرة منه علىٰ هاتين الفرقتين الضالتين.

ومن ذلك ما ذكره في كلامه علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾[5].

حيث قال: بعد أن بين أن الإرادة الكونية لا تستلزم الرضىٰ، وحاصل هذا أنّ الله تبارك وتعالىٰ قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق الخلق، وعلم أنّ قوماً صائرون إلىٰ الشقاء، وقوماً صائرون إلىٰ السعادة، فريق في الجنة

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.
(٢) أضواء البيان ٧/٢٠١.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣.
(٤) أضواء البيان ٤/٢٩.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

وفريق في السعير.. وأقام الحجة علىٰ الجميع ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبساً، فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك.

ثم إنه تعالىٰ وفق من شاء توفيقه ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة، وإرادة يقدر بها علىٰ تحصيل الخير والشر، وصرف قدرتهم وإرادتهم بقدرته وإرادته إلىٰ ما سبق لهم في علمه من أعمال الخير المستوجبة للسعادة، وأعمال الشر المستوجبة للشقاء. فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا طائعين، مختارين، غير مجبورين، ولا مقهورين، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

وادّعاء أنّ العبد مجبور لا إرادة له ضروري السقوط عند عامة العقلاء ومن أعظم الضروريات الدالة عليه، أنّ كل عاقل يعلم أن بين الحركة الاختيارية، والحركة الاضطرارية، كحركة المرتعش، فرقاً ضرورياً لا ينكره عاقل[2].. إلخ كلامه.

وقد تكلم الشيخ رحمه الله ـ علىٰ قول الله عزّ وجلّ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[3]، ورد علىٰ الزمخشري في تفسيره لهذه الآية، وذكر عنه أنه ضرب المثل لمعنىٰ هذه الآية في كتابه [الكشاف] بقوله: ونظيره أن يقول العدلي: للمجبر إن كان الله تعالىٰ خالقاً للكفر في القلوب ومعذباً عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول: هو شيطان وليس بإله..[4].

هذه نماذج في مباحث من العقيدة، احتدم فيها النزاع، واشتهر بين

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) أضواء البيان ٧/٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨١.

(٤) أضواء البيان ٧/٣٠٠.

أهل السنّة والفرق الأخرىٰ المنتسبة للإسلام، وهي تلقي الضوء علىٰ عقيدة الشيخ محمد الأمين رحمه الله ومنهجه السلفي، وسأكتفي بها.

وهناك مسألة أخرىٰ أشرت إليها في ثنايا هذا المبحث، وهي أنّ الشيخ الأمين رحمه الله ـ لم يقتصر علىٰ اتباع عقيدة السلف وبيانها، بل تصدىٰ للرد علىٰ المبتدعة، والضلال، وأسكت حججهم الواهية، بالأدلة النقلية، والعقلية.

يقول سيد الأمين المامي في كتابه: المعين والزاد في الدعوة والإرشاد: وقد تصدىٰ الكثيرون من أئمة الإسلام للرد علىٰ المبتدعة والضلال، وفندوا أقوالهم بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنّة، وردوا كيدهم في نحورهم، ومن بين من تصدىٰ للرد عليهم فقيد الإسلام والسنّة، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، وقد ردّ عليهم بما لا يدع مجالاً للشك[1].

وسوف نأتي بنماذج من ردوده علىٰ المتكلمين والمتصوفة، تزيد في توضيح منهجه، ومن ذلك قوله:

«فصل في إيضاح طرق مناظرة المتكلمين، والأدلة التي جاءوا بها، ونفوا بها بعض صفات الله الثابتة في الكتاب والسنّة الصحيحة، ويكفينا في هذا المبحث تطبيقه علىٰ مثال واحد هو: استواء الله جلّ وعلا علىٰ عرشه.

فالمتكلمون النافون لبعض الصفات ينفون استواءه جلّ وعلا علىٰ عرشه فيقولون:

«لم يستوِ علىٰ العرش، وهذه الدعوىٰ المخالفة لصريح القرآن في سبع مواضع منه ينتجونها من قياس منطقي فيقولون: لو كان مستوياً علىٰ العرش لكان مشابهاً للمخلوقات، لأن الاستواء علىٰ المخلوق من صفات

(١) المعين والزاد في الدعوة والإرشاد: ص ٩ ـ ١٠.

المخلوق، لكنه غير مشابه للمخلوقات، ينتج عندهم هو ليس مستوياً علىٰ العرش.

وهذه النتيجة من أعظم الافتراء علىٰ الله، وأشنع الكذب، لأنها تكذب سبع آيات من القرآن العظيم.

وإيضاح إبطال هذا الدليل من أوجه:

الأول: منع كبراه، وهي الشرطية، فقولكم لو كان مستوياً علىٰ العرش لكان مشابهاً للمخلوق، شرطية متصلة كاذبة، لأن الربط بين مقدمها وتاليها غير صحيح، ومدار صدق الشرطية علىٰ صدق الربط، فإذا كان الربط بين المقدم والتالي غير صحيح كما هنا، كانت الشرطية غير صحيحة.

ولذلك أنتجت نقيض آيات القرآن، والتالي في هذه الشرطية أخص من المقدم والحكم بالأخص علىٰ الأعم لا يصدق إلا جزئياً سلباً كان أو إيجاباً، سواء كان الحكم معلقاً كما في الشرطيات، أو غير معلق كما في الحمليات، بل هو تعالىٰ مستوٍ علىٰ عرشه كما قال مع التنزيه التام عن مشابهته المخلوق في استوائه كسائر صفاته[1].. إلخ كلامه.

وفي مسألة رؤية الله تعالىٰ في الآخرة، رد علىٰ المعتزلة عند قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[2] حيث قال:

واستدلّ المعتزلة النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامة بهذه الآية علىٰ مذهبهم الباطل، وقد جاءت آيات تدل علىٰ أنّ نفي الرؤية إنما هو في الدنيا، وأما في الآخرة فإنّ المؤمنين يرونه جلّ وعلا بأبصارهم، كما صرح به تعالىٰ في قوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[3].

---

(١) آداب البحث والمناظرة، القسم الثاني، ص ١٢٢ ـ ١٢٣، بتصرف، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص ١٤، ١٥، ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة القيامة، الآيتين: ٢٢ ـ ٢٣.

وقد تواترت الأحاديث عن النبيّ ﷺ أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وتحقيق المقام في المسألة:

أن رؤية الله جلّ وعلا بالأبصار جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة علىٰ جوازها عقلاً في دار الدنيا قول موسىٰ ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، لأن موسىٰ لا يخفىٰ عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالىٰ.

وأما شرعاً فهي جائزة وواقعة في الآخرة، كما دلت عليه الآيات، وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعاً كما دلت عليه آية الأعراف هذه[1].

أما بالنسبة للمتصوفة فقد ردّ عليهم في ثنايا كتابه أضواء البيان في عدة أماكن منه، وتقدمت الإشارة إلىٰ شيء من ذلك، فيما نقلناه عنه في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[2].

وردّ علىٰ المتصوفة، والجبرية، معاً في استدلالهم بالإلهام، والخواطر وذلك في كلامه علىٰ قول الله عزّ وجلّ ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾[3].

حيث قال بعد أن بيّن أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا طريق الوحي:

«إنّ المقرر في الأصول، أنّ الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به علىٰ شيء لعدم العصمة، وعدم الدليل علىٰ جواز الاستدلال به، بل

---

(١) راجع كتابي الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان ٢/ ٣٣٢، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٢٠ ـ ١٢٢، مطبعة المدني، القاهرة [د. ت].

(٢) راجع ص ٢٩٤ من هذا الكتاب.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

ولوجود الدليل علىٰ عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام، في حق الملهم وغيره، جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، مستدلين بظاهر قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1] باطل، لا يعول عليه، لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان.

أما ما يلهمه الأنبياء، مما يلقيه الله في قلوبهم، فليس كإلهام غيرهم، لأنهم معصومون، وما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أنّ لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله، ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسىٰ، زندقة وذريعة إلىٰ الانحلال من دين الإسلام بالكلية، بدعوة أنّ الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره[2].

كما ردّ الشيخ رحمه الله علىٰ الزنادقة المدعين للتصوف في تفسيرهم لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[3].. حيث قال بعد بيانه لمعنىٰ الآية:

«اعلم أن ما يفسر به هذه الآية الكريمة بعض الزنادقة الكفرة المدعين للتصوف من أنّ معنىٰ اليقين المعرفة بالله جلّ وعلا، وأنّ الآية تدل علىٰ أنّ العبد إذا وصل من المعرفة بالله إلىٰ تلك الدرجة، المعبر عنها باليقين، أنه تسقط عنه العبادات، والتكاليف، لأن ذلك اليقين هو غاية الأمر بالعبادة.

إنّ تفسير الآية بهذا كفر بالله، وزندقة، وخروج عن ملة الإسلام بالإجماع وهذا النوع لا يسمىٰ في الاصطلاح تأويلاً، بل يسمىٰ لعباً،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) أضواء البيان ١٥٩/٤، ١٦٠، بتصرف.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

ومعلوم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه، وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله جلّ وعلا، وأشدهم خوفاً منه، وطمعاً في رحمته، والله جلّ وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

وخلاصة القول أنّ الشيخ محمد الأمين رحمه الله ـ سلفي العقيدة، ويمكن اعتباره مثالاً في الاعتدال، والوسطية، التي خصّ الله بها هذه الأمّة من بين سائر الأمم، والتي هي منهج أهل السنّة والجماعة، وهذا معروف عنه عند الكثيرين من طلاب العلم، لا يحتاج إلىٰ دليل لاستفاضته وشهرته.

وهو فوق ذلك كله ذو نظرة شاملة لدين الله، وفهم عميق لجذور البلاء ومكامن الخطر، فيصرف الدواء علىٰ بصيرة من تشخيص الداء، ويعطي كل قضية حجمها من دين الله، فلا يبالغ فيما خطبه يسير، ولا يهون من شأن أمر خطير، والاتصاف بهذه الشمولية، وبهذا التوازن في التعامل مع قضايا هذا الدين صفة العلماء الراسخين في الدين[2].

(١) راجع أضواء البيان ٣/٢٠٧، والآية من سورة فاطر، رقم: ٢٨.

(٢) راجع السديس: المرجع السابق ١/٤٦ ـ ٤٧.

المبحث الثالث

أثر الشيخ الأمين المباشر علىٰ العقيدة في موريتانيا

إنّ من يزور موريتانيا، ويقابل السلفيين فيها، يتبين له بجلاء أنّ كثيراً منهم، قد تأثر في اتجاه العقيدة السلفية بالشيخ الأمين رحمه الله، إما عن طريق مباشر، أو غير مباشر، وفي هذا المبحث سوف نتناول أثره المباشر بعد خروجه من موريتانيا، في رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام.

فقد ظلّ الشيخ ـ رحمه الله ـ وهو في المملكة العربية السعودية هنا ـ يجري الاتصالات مع الموريتانيين القادمين علىٰ هذه البلاد من رجالات العلم والفكر والسياسة، وغيرهم، ثم توج ذلك برحلة قام بها للدعوة في عشر دول إفريقية[1] ومنها موريتانيا، التي استغرقت وقتاً كبيراً من المدة

(١) في سنة ١٣٨٥ هـ كونت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، بعثة رفيعة المستوىٰ، للقيام بالدعوة الإسلامية في عشر دول إفريقية، بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا، وكان لها أثر كبير في تلك البلاد، وقد ترأس هذه البعثة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، رحمه الله، وتضم بالإضافة إليه ثلاثة أعضاء من خيرة طلابه وهم: الشيخ عطية محمد سالم، والشيخ محمد أمان، والشيخ سيد الأمين المامي وكلهم من الجامعة الإسلامية، إلا الشيخ سيد الأمين المامي فهو من رابطة العالم الإسلامي، وقد بدأت البعثة نشاطها في موريتانيا يوم ١٥/ ٥/ ١٣٨٥ هـ واستمر لعدة أسابيع، وشمل إحدىٰ عشرة مدينة من المدن المهمة في البلاد..
راجع كتاب سيد الأمين المامي، لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، ص٥٣، وما بعدها، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٦ هـ، =

المخصصة للدعوة في هذه الرحلة.

وقد حدثني ابنه الدكتور: محمد المختار[1] عن تأثيره المباشر في موريتانيا بعد استقراره في هذه البلاد، بقوله:

أما تأثيره المباشر في موريتانيا فلا أعرفه إلا من أمرين:

* أولاً: اتصالاته المتكررة بالوافدين من موريتانيا على هذه البلاد للحج أو العمرة، أو غير ذلك.

فقد كان رحمه الله ـ يلتقي بكثير من هؤلاء ويدعوهم إلى بيته، ويحسن إليهم، ثم يشفع ذلك بدروس وتوجيهات، يضمنها دائماً بيان مذهب السلف، وخطورة العدول عنه، والحث على الرجوع إلى الكتاب والسنّة.

* ثانياً: رحلته إلى إفريقيا التي زار فيها موريتانيا، وجرت بينه وبين العلماء فيها أثناء تلك الزيارة مناقشات علمية، كانت نتيجتها أن رجع بعض المخالفين له في العقيدة عن مواقفهم، وقبلوا ما عنده واستحسنوه، ومن هؤلاء الشيخ أحمد الأفرم بن محمد[2] رحمه الله ـ الذي قال كل الناس:

= وعطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة، ص ٢٩، والترجمة في الأضواء ص ٤٨ ـ ٤٩.

(١) هو الابن الأكبر للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وهو فقيه، وأصولي، طيب الشمائل، كريم السجايا، ولد في موريتانيا عام ١٣٦٦ هـ، وحفظ القرآن، وتعلم مبادىء من علوم الدين واللغة العربية، ثم لحق بوالده في هذه البلاد، وتلقى التعليم في مدارس المدينة المنورة، ثم التحق بالجامعة الإسلامية، وتابع دراسته فيها، حتى حصل على الدكتوراه من كلية الشريعة قسم أصول الفقه عام ١٤٠٤ هـ وعين بعدها رئيساً لهذا القسم، ومدرساً بنفس الكلية، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٨٢ ـ ٨٣، والسديس، المرجع السابق ١/ ٩٠.

(٢) أحمد الأفرم بن محمد: فقيه نحوي، حسن الخلق، واسع الاطلاع، تولى القضاء في بلاده، وسار فيه سيرة حسنة، وهو رئيس قبيلته [اشواوف] توفي نحو ١٣٨٨ هـ، حدثني بذلك الدكتور محمد عمر بن حويه، والدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين في مقابلته السابقة بتاريخ ٥/ ٤/ ١٤١١ هـ.

قد استفاد من الشيخ محمد الأمين، فالعالم لم يبقَ عنده إشكال، والجاهل ليس له أن يتكلم.

وكان الشيخ محمد الأمين ابن الشيخ أحمد[1] رحمه الله ـ إمام وخطيب الجامع في مدينة كيفا، يحذر الناس من آراء الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الاعتقادية، ولما لقيه واجتمع به، قال قصيدة تدل على اقتناعه، واستحسانه لما سمعه منه في مجالسه ومحاضراته[2].

ويؤكد الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين ما ذكره أخوه الدكتور محمد المختار، وكل منهما على حدة، حيث قال:

«لقد أثر الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ على العقيدة في القطر الموريتاني، سواء في ذلك أثناء وجوده هنا في هذه البلاد، أو في زيارته لموريتانيا سنة ١٣٨٥ هـ، ثم يسوق نفس الحكاية التي ذكرها محمد المختار ويزيد عليه بأنّ الشيخ أحمد الأفرم بن محمد قال: لسنا على مستوى ننكر فيه هذا الكلام[3].

وفي هذا الموضوع، نسوق ما ذكره الشيخ محمد الأمين[4] بن الحسين حيث قال: «كان لشيخنا محمد الأمين بن محمد المختار ـ رحمه الله ـ تأثير كبير في الفكر الإسلامي في موريتانيا، وكان شديد الاهتمام بكل

---

(١) محمد الأمين بن الشيخ أحمد، عالم أشعري العقيدة، اشتهر بالذكاء، والفهم، عين إماماً وخطيباً في الجامع بمدينة كيفا، وكان ينتقد الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار في منهجه في العقيدة، وبعد أن التقى به في زيارته لموريتانيا المذكورة، تأثر به إلى حد ما، ت ١٣٩٩ هـ راجع عن مؤلفاته: الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) د. محمد المختار بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٥/ ٤/ ١٤١١ هـ.

(٣) د. عبد الله بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٤١١ هـ.

(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

ما يعود عليهم بالنفع خاصة فيما يتعلق بالعقيدة، التي هي جوهر الدين وأساسه..

لذلك فإنه لم يترك مناسبة تفوته إلا استغلها في توجيههم، ودعوتهم إلىٰ المنهج الإسلامي الذي كان عليه السلف الصالح، سواء في ذلك رحلته إلىٰ إفريقيا عام ١٣٨٥ هـ والتي خصص لموريتانيا منها حظاً وافراً أو في المدينة المنورة، حيث كان يقدم عليها من حين لآخر جماعاتٍ موريتانية لأغراض مختلفة، ووفود رسمية، فكان يلتقي بهم، ويدعوهم إلىٰ بيته، ويكرمهم فيه، ويلقي عليهم دروسه، وتوجيهاته، وقل وفد إلا وفيه علماء، فمنهم من يناقش، ومنهم من يقتنع رأساً بدون مناقشة، وكان جلّ نشاطه في ترسيخ العقيدة السلفية.

ثم يقول: وأما تأثير الشيخ فواضح إذ لم يجتمع به أحد ويناقشه إلا وتأثر به حالاً، وخير مثال علىٰ ذلك ما حصل للشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد، حيث كان من أشد الناس إنكاراً لمنهجه في العقيدة، وبعد أن لقيه واجتمع به انقلب من خصم إلىٰ مادح، وكذلك الشيخ أحمد الأفرم بن محمد الذي قال: نحن في واد والعلم في واد..[١].

ويذكر الدكتور محمد الخضر[٢] الناجي في سياق حديثه عن هذه الرحلة، وهو أكثر تلاميذ الشيخ محمد الأمين اهتماماً ونشاطاً واندفاعاً في سبيل الدعوة السلفية، وخاصة في موريتانيا، مسقط رأسه، أنّ مشايخ الأشاعرة في موريتانيا لما التقوا بالشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ ورأوا شخصيته العلمية، لم يستطيعوا الوقوف أمامه، حيث قال:

وقد ذهب الشيخ الأمين رحمه الله ـ في رحلته المشهورة علىٰ رأس

---

(١) محمد الأمين بن الحسين، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١١/٦/١٣ هـ.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

بعثة الجامعة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي، إلىٰ عدد من دول افريقيا، وكان لهذه الرحلة صدىً كبيراً في موريتانيا، التي شغلت حيزاً كبيراً في مدتها ونشاطها، وتأثر كثير من أهلها بالشيخ الأمين، وظهرت شخصيته العلمية فوق ما كان فقهاء البلاد يتصورون بكثير..

ولذلك يقول الدكتور محمد الخضر: فإنّ الذين استعدوا للرد عليه فيما يخص آيات الصفات، وأحاديثها، وبالذات في الجانب الذي يخالف العقيدة الأشعرية، السائدة في موريتانيا، رجعوا عن موقفهم بعد لقائهم بالشيخ ومجالسته، وسماع محاضراته، وأكثروا من الثناء عليه، ومن هؤلاء الشيخ محمد الأمين ابن الشيخ أحمد، والشيخ أحمد الأفرم بن محمد، وغيرهما..

ثم يقول: وقد أثرت دعوة الشيخ ـ رحمه الله ـ في موريتانيا سواء من خلال لقائه بالقادمين من موريتانيا علىٰ المملكة العربية السعودية، أو في هذه الزيارة، غير أنّ الناس يتفاوتون، فالدارسون للعقيدة الأشعرية تأثرهم محدود، وغير الدارسين لها تأثر كثير منهم[1].

وقد وصف الشيخ سيد الأمين المامي، عضو البعثة هذه الرحلة في كتابه [لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية] وألقىٰ الضوء علىٰ نشاط هذه البعثة، وتأثر الناس بها في موريتانيا حيث قال:

وقد قام الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بإلقاء عدد من المحاضرات الإسلامية النافعة، والدروس القيمة المفيدة المؤثرة، وكان له أثره الكبير في التحريك إلىٰ العمل الإسلامي، والتوجيه إليه، ضمن المنهج السلفي السليم، البعيد عن البدع والخرافات[2].

---

(١) محمد الخضر الناجي: مقابلة أجريتها معه في مكة المكرمة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٢٣/٥/١٤١١ هـ.

(٢) لمحات فيصلية، المصدر السابق ص ١٢.

وقد أمضت البعثة وقتها في مساجلات علمية، وحلقات، ودروس، ليل نهار وكانت المجالس كلها مجالس دروس، وعلوم، ونقاش، وقد تركت البعثة فيهم أثراً.

والجدير بالذكر ـ كما يقول سيد الأمين المامي ـ أنه كان يوجد في هذه البلدة[١]، رجل[٢] له مكانته، وهو إمام الجمعة خطب الناس، وحذرهم مما ستأتي به البعثة من العقائد، ولما قدمت البعثة، وسمع هذا الرجل من الشيخ الأمين رحمه الله ـ ما قدمه في آيات الصفات، وأعجب بما سمع شرح الله صدره، وأخلف ظنه، فجاء من اليوم التالي بقصيدتين إحداهما للبعثة عامة، والأخرىٰ للشيخ خاصة[٣].

ومما قاله في خصوص الشيخ الأمين رحمه الله:

علىٰ الشهم علق العلم مني تحية	وسامح فإن الشعر عطله العلق
لو أنّ الثريا في المعالي تعرضت	تسابق هذا الشهم في جوها سبق
فإنك بحر والبحور إذا طغت	يخاف علىٰ الملاح من آفة الغرق
تصول علىٰ المعنىٰ وما بك ريبة	وتصدع بالقول البليغ ولا فرق
وتقطع كالمغلوب سيف بن ظالم	شكوك الورىٰ بالحق والنور كالفلق

إلىٰ آخر أبياته التي يشيد فيها بعلوم الشيخ وتأثيره في الناس وما نفع الله به في تلك الرحلة، ولم يزل ملازماً للشيخ إلى أن ودعه بقصيدة أخرىٰ[٤].

---

(١) البلدة هي: مدينة كيفا، عاصمة ولاية العصابة، التي بها مسقط رأس الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وبها أولاده، وجل أهله، وذويه، وأقربائه، راجع المصدر السابق نفسه، ص ١١٥.

(٢) الرجل هو: محمد الأمين بن الشيخ أحمد الجكني، إمام وخطيب الجامع في مدينة كيفا آنذاك، وقد تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٣) لمحات فيصلية، المصدر السابق، ص ١١٥، ١١٧.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١١٦.

والناظر في تقرير هذه البعثة، الذي قدمته إلىٰ الجهات المختصة، الذي تضمن عرضاً وافيا عما قامت به من أعمال، وما أسفرت عنه تلك الأعمال من نتائج، والذي تضمنه كتاب سيد الأمين المامي: لمحات فيصلية، يلاحظ أنّ موريتانيا كان لها نصيب الأسد من هذه الرحلة، سواء من حيث المدة الزمنية، أو من حيث ما امتازت به فترتها من كثرة المحاضرات، والدروس، والمساجلات، والحلقات العلمية، أو من حيث شمول الزيارة لمعظم المدن المهمة في البلاد.

وقد بررت البعثة ذلك بقولها: فكان عمل البعثة في موريتانيا عملاً في عامة إفريقيا، لمكانتها ودورها في الدعوة الإسلامية، والثقافة العربية، ولأنها هي مركز العلم، والدعوة في غرب إفريقيا[١].

لذلك أعطت البعثة ـ وهي عارفة بمصلحة الدعوة ـ عناية خاصة للدعوة في موريتانيا، وإقناع الأشاعرة فيها، بضرورة الوقوف عند نصوص الكتاب، والسنّة، ورفض التأويل الكلامي، ونبذ علم الكلام، واقتفاء آثار السلف الصالح، لأن الموريتانيين في القديم والحديث، هم أساتذة غرب إفريقيا، والقدوة الدينية في تلك المنطقة.

ولمعرفة الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بذلك، فقد بذل كل ما في وسعه في سبيل بيان الحق، لهؤلاء في العقيدة، وفي غيرها من أمور الدين، فتناول بالبحث الدقيق المنقطع النظير، عدداً من الموضوعات، كان أهمها مبحث الصفات[٢].

وقد دأب علىٰ ذلك في إحدىٰ عشرة مدينة زارها في موريتانيا وهي: [نواكشوط، كيفا[٣]، ....

(١) المصدر السابق نفسه ص ١١٩، ١٢٢.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١١ ـ ١١٢.

(٣) مدينة كيفا عاصمة ولاية العصابة، وهي ثالثة ولاية في البلاد وتقع إلىٰ جهة الجنوب الشرقي عن مدينة نواكشوط العاصمة، وتبعد عنها ٦٠٦ كيلومتراً.

العيون[1]، والنعمة، المجرية[2]، كيهيدي[3] ألاك[4] بتلميت، نواذيب[5] أزويرات[6]، وأطار..

وكانت ساحة نزول البعثة في هذه المدن عبارة عن مدرسة دائمة، وندوة عامرة، تلقىٰ فيها المحاضرات، والكلمات من جانب البعثة، وتقدم فيها الكلمات، والقصائد من جانب الأهالي، وما أن يعلن عن المحاضرة إلا واجتمع الناس من جميع طبقات الشعب، رغبة في الخير، وطلباً للفائدة، وإذا بهم كلهم آذان صاغية، وقلوب واعية، يعقب ذلك أسئلة عميقة، واستفسارات وجيهة، مما يؤكد أصالة العلم في هذا الشعب، حتىٰ في البوادي.

وقد أثرت البعثة في كثير من طلاب العلم في المناطق التي زارتها[7].

ويلاحظ أنّ أكثر أهل هذه المدن تأثراً بدعوة هذه البعثة وارتياحاً لها هم أهالي مدينة بتلميت، وخاصة أهل الشيخ سيدي لاتفاقهم مع الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ في العقيدة السلفية[8].

---

(١) مدينة العيون، هي عاصمة ولاية الحوض الغربي، وهي ثانية ولاية في البلاد، وتقع في جنوب شرقي البلاد.

(٢) مدينة المجرية، مقاطعة تابعة لولاية تكانت، وهي تاسعة ولاية في البلاد، وعاصمتها مدينة تجكجة.

(٣) مدينة كيهيدي هي عاصمة الولاية الرابعة وتقع في جنوب البلاد علىٰ ضفة نهر السنغال.

(٤) مدينة ألاك: هي عاصمة ولاية البراكنة، وهي الولاية الخامسة وتقع إلىٰ جهة الجنوب الغربي من البلاد.

(٥) مدينة نواذيب: هي عاصمة الولاية الثامنة، وتقع في أقصىٰ شمال البلاد، علىٰ شاطىء المحيط الأطلسي، وهي العاصمة الاقتصادية للبلاد.

(٦) مدينة أزويرات: تقع في شمال البلاد، وبها مناجم الحديد، وهي علىٰ مقربة من مدينة أفديرك، عاصمة الولاية الحادية عشرة.

(٧) سيد الأمين المامي، لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية، ص ١١٣، ١١٥، ١٢١، ١٢٣، بتصرف.

(٨) راجع المصدر السابق نفسه ص ١١٦، ١١٧.

وهذه أبيات من قصيدة لأحد شعرائهم تصور لنا مدىٰ إعجابه بالشيخ الأمين وعلمه ومنهجه، حيث يقول:

فيا آب بالتشديد أهلاً ومرحباً ... بكفيك أنواع العلا والمآثر

إلىٰ أن يقول:

فأهلا بمن لم يخش في الله لومة ... إذا اختلفت في الدين عمىٰ البصائر

وأهلاً بمن لا ينثني عن مؤسس ... من العلم يبدي وجهه غير حائر

فهذا فريد العصر واحد عصره ... أخو مفخر بين النوادر نادر[1]

كان هذا عرضاً موجزاً عن نشاط الشيخ محمد الأمين، رحمه الله - في نشر العقيدة السلفية، في موريتانيا، وتأثيره هناك، بعد رحيله عن تلك البلاد واستقراره خارجها.

وعلىٰ أي حال، فإنّ الشيخ الأمين، وإن كان قد رغب في نشر العلم، والجوار بالحرمين الشريفين، فإنه لم يغفل عن وطنه الأول موريتانيا، بل ظلت توجيهاته وتعاليمه وأنشطته ملحوظةً.

وقد رأينا كيف كان يلتقي بالوافدين علىٰ هذه البلاد من موريتانيا وكيف مكنته رحلته إلىٰ إفريقيا من زيارة بلده، والاحتكاك المباشر بكثير من العلماء وطلاب العلم فيه، الشيء الذي أتاح له فرصة طيبة للدعوة إلىٰ العقيدة السلفية، وبيانها، والترغيب فيها، والرد علىٰ شبه المتكلمين، وغيرهم من المبتدعة في تلك البلاد.

أما أثر مؤلفاته فسيكون الحديث عنه في المبحث الآتي.

---

(١) هذه أبيات من قصيدة مدح بها الشيخ محمد الأمين بن المختار في مدينة بتلميت أو نواكشوط أيام زيارته لهما في هذه الرحلة، وقد حصلت علىٰ جزء من هذه القصيدة مخطوطاً ولم أتمكن معرفة قائلها.

المبحث الرابع
الجدل حول مؤلفات الشيخ الأمين وأثرها في موريتانيا

سبق أن ذكرنا أنّ غالبية الموريتانيين في عهد الشيخ الأمين رحمه الله أشاعرة، وجميعهم مالكيون في الفروع، لا يرون الخروج عن مذهب الإمام مالك رحمه الله.

ومن هنا فإنه ما إن وصل كتاب أضواء البيان إلىٰ موريتانيا وقرأه مشايخ الأشاعرة المالكيين، ووقفوا علىٰ منهج صاحبه البعيد عن تأويل المتكلمين، والتعصب لآراء الفقهاء[1] حتىٰ قامت حوله ضجة، ودار جدال مرير داخل المؤسسات العلمية الموريتانية [المحاضر] ما بين مؤيد وناقد، وكان السبب في نقده هو: ما فيه من إثبات كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً[2].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ فإنّ استقلالية مؤلفه في الرأي عند عرض آراء الفقهاء علىٰ الأدلة الشرعية، وترجيحه أحياناً لما يخالف المذهب المالكي، كان أيضاً سبباً في نقده.

ولندع الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين، يحدثنا عن هذا الموضوع الذي يتعلق بأهم مؤلفات والده فيقول: «لما ألف الشيخ الأمين ـ

---

(١) راجع كتابه أضواء البيان ١/ ٦٠٥.

(٢) المرجع السابق نفسه، ١/ ١٩ ـ ٣٠.

رحمه الله ـ كتابه أضواء البيان، وبين في المقدمة التي هي تعبير عن منهجه ـ أنّ جميع ما وصف الله به نفسه من الصفات في القرآن فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً.

وحين طبع الكتاب أرسلت نسخ منه إلىٰ موريتانيا، فلما قرءوا كلمة حقيقة لا مجازاً في الكتاب، ووقفوا علىٰ منهج مؤلفه في الاستقلالية عند عرض الآراء، والترجيح بينها، كان ذلك محل نقد من بعض الفقهاء، وكان غالبية الفقهاء في البلاد يرون الخروج عن مذهب الأشاعرة ضلالة، ويسمون من يثبت الصفات حقيقة حشوية، ومجسمة.

وعليه، كان ذلك محل انتقاد للشيخ رحمه الله ـ وسبباً في عدم الانتفاع من كتبه كما ينبغي:

وهناك جماعة أخرىٰ لم تعهد الخروج عن مذهب الإمام مالك فقرأوا في الأضواء ترجيحات رجح فيها الشيخ خلاف ما هو راجح في المذهب.. بل قد تكون مخالفة لصريح المذهب، فكان هذا سبباً في انتقاده رحمه الله، وانتقاد كتبه.

ومن الغريب أنني أنا ـ يقول الدكتور عبد الله ـ قدمت إلىٰ السعودية هنا وأنا متحفظ من كتاب أضواء البيان[1].

وقد وصل الأمر ببعض هؤلاء الفقهاء إلىٰ وصف الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بالخروج عن السنّة، كما أنهم حذروا منه، ومن كتبه.

ويقولون: الرجل عنده من العلم ما يستميل به القارىء، فالحذر الحذر.

---

(١) د. عبد الله بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٢١/١٤/١٤١١ هـ.

يقول الدكتور محمد عمر[1] بن حويه، وقد وجد عند ظهور كتب الشيخ محمد الأمين رحمه الله في موريتانيا رد فعل من بعض أهل العلم، لكن هذا البعض منه من لم يبح بمخالفته للشيخ رحمه الله، لمعرفته بتبحره في العلم، وقوته في الجدل، ومنهم من فاه بما أراد، وهؤلاء قلة، ومنهم ابن عمه الشيخ محمد الحسن[2] بن الطيب اليعقوبي الجكني ـ رحمه الله ـ.

فقد كان عند ظهور كتب الشيخ الأمين يظهر خلافه ويحذر منه، ومن كتبه، ويقول: إنه قد خرج عن منهج أهل السنة، وابتدع في كتبه[3].

وقد ألف بعض العلماء في الرد عليه في بعض المسائل، ومن هؤلاء الشيخ محمد عبد الله[4] بن الإمام رحمه الله ـ الذي ألف رسالة في إثبات المجاز في القرآن الكريم، القصد من تأليفها الرد على الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ في منعه المجاز في القرآن.

كما أنه نظم أراجيز اتهمه فيها باتباع متشابه القرآن، حيث يقول موجهاً كلامه إلى الشيخ الأمين رحمه الله.

فالطعن كل الطعن في من اتبع   مشتبه الذكر وبئس ما ابتدع

هذه هي ردة فعل بعض الفقهاء في موريتانيا على كتب الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله، عند وصولها إلى الساحة العلمية هناك، أما بعد وصول مؤلف هذه الكتب إلى موريتانيا بعد ذلك، سنة

---

(١) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

(٢) هو عالم أشعري ثاقب الذهن، حافظ لكثير من النصوص، له اليد الطولى في علم المعقول، اشتهر بالإنكار على المتصوفة، وأصحاب الشعوذة، والخرافات، ت ١٤٠٧ هـ، حدثني بذلك الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين، في المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٥/١٤/١٤١١ هـ.

(٣) د. محمد عمر بن حويه، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١١/٦/١٢ هـ.

(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الثاني.

١٣٨٥ هـ، والتي تحدثنا عنها في المبحث السابق، فقد أعاد بعض الفقهاء النظر في مواقفهم من الشيخ محمد الأمين، رحمه الله ومن مؤلفاته.. وأصبح كتاب أضواء البيان الذي كان بالأمس منبوذاً من عدد من الفقهاء، يلقىٰ قبولاً واسع النطاق في الأوساط العلمية في موريتانيا[١].

ويتفق كل من لقيتهم من العلماء، والدعاة المهتمين بنشر العقيدة السلفية في القطر الموريتاني، علىٰ أنّ كتب الشيخ محمد الأمين رحمه الله لها تأثير في اتجاه العقيدة السلفية في تلك البلاد.

وقد حدّثني كثير من المشايخ السلفيين الذين قابلتهم أنهم تأثروا ببعض مؤلفاته ـ رحمه الله ـ في هذا الاتجاه، ومن هؤلاء علىٰ سبيل المثال الشيخ محمد[٢] بن مود، الذي حدثني بأنه قرأ له كتاب أضواء البيان، وكتاب آداب البحث والمناظرة، ومحاضرته منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وأعجبه منهجه السلفي في هذه الكتب وتأثر به[٣].

وحدثني أيضاً الشيخ محمد محمود[٤] بن أحمد يور، أنه كان في شبابه أيام طلبه للعلم يسمع بعض الطلاب يتحدثون عن كتاب أضواء البيان، ولكنه لم يتمكن من الحصول عليه، وذات يوم كان جالساً في بيت لأحد أصدقائه، فوقعت عينه علىٰ كتاب فأخذه لينظر فيه فإذا هو أحد أجزاء أضواء البيان، فبدأ يطالع فيه، وأعجب بمؤلفه لما لمسه في هذا الكتاب من تمكن في اللغة العربية، وتبحر في العلوم الشرعية، بالإضافة إلىٰ منهجه السلفي في العقيدة، المستمد من الكتاب والسنّة.

وعندما أظهر إعجابه بالكتاب لأهل ذلك المنزل أعطوه إياه، والواقع

---

(١) راجع الخليل النحوي: المرجع السابق ص ٢٧٢.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث عشر.

(٣) راجع ص ٥٢٦ من هذا البحث.

(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الحادي عشر.

أنني ـ يقول الشيخ محمد محمود ـ بعد أن ملكته وأكثرت المطالعة فيه تأثرت به في أمرين:

* **أولهما**: عدم التعصب لآراء الفقهاء، وعرضها على الكتاب والسنّة، والترجيح بينها بمقتضى الدليل.

* **وثانيهما**: هو إثبات الصفات لله تعالىٰ التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ علىٰ الوجه اللائق به عزّ وجلّ، والابتعاد عن تأويل المتكلمين[١].

ويقول الشيخ يعقوب[٢] بن محمد: كان سبب اعتناقي لمذهب السلف هو أنني قرأت كتاب أضواء البيان للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، ومحاضرته: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ومن حينها اعتقدت مذهب السلف[٣].

وقد أخبرني الدكتور محمد عمر بن حويه أنه قرأ للشيخ محمد الأمين في موريتانيا كتابه: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ومحاضرته: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وتأثر بهما وهو في تلك البلاد، ورغب في السفر إلىٰ مؤلفهما لتلقي العلم عنه، وبعد قدومه علىٰ هذه البلاد صار من تلامذته[٤].

وأخبرني الناجي[٥] بن محمد بن عبد الله، أنّ سبب اعتناقه لعقيدة

---

(١) محمد محمود بن أحمد يور، مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من صاحبها بتاريخ ١٤١٢/٧/٨ هـ.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث عشر.

(٣) يعقوب بن محمد، مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من صاحبها بتاريخ ١٤١٢/٧/١٤ هـ.

(٤) محمد بن عمر بن حويه، المقابلة السابقة بالمدينة المورة بتاريخ ١٤١١/٦/١٢ هـ.

(٥) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث عشر.

السلف واتباع منهجهم هو أنه قرأ محاضرة الشيخ محمد الأمين: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وكتاب السيوطي صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام[1].

وقد حدثني الشيخ المختار بن عمر[2] أنه أثناء دراسته علىٰ مشايخ الأشاعرة في موريتانيا، سمعهم في بعض المناسبات ينتقدون الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار ـ رحمه الله ـ في منهجه في العقيدة، فرغب في الاطلاع علىٰ كتبه التي دار الجدل حول منهجه فيها، وقبل أن يتمكن من المطالعة في هذه الكتب التقىٰ بالدكتور محمد الخضر الناجي في إحدىٰ زياراته لموريتانيا ووجده يتحدث عن عقيدة السلف، ويشرحها لجلسائه، وفي الجلسة نفسها قرأ عليهم شيئاً من محاضرة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، فتأثر الشيخ المختار بذلك، غير أنه لم يتمكن من الوقوف علىٰ منهج الشيخ محمد الأمين العقدي بالتفصيل، وبعد ذلك بمدة قليلة حصل علىٰ كتاب أضواء البيان، فطالع فيه، وأعجب بفكر صاحبه ومنهجه السلفي المتكامل، ومنذ ذلك الحين اعتقد مذهب السلف في صفات الله تعالىٰ طبقاً لما حرره الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار في كتابه أضواء البيان[3].

هذه أمثلة فقط من العلماء، وطلاب العلم الذين تأثروا بكتب الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ في العقيدة السلفية، وكما ذكر، فإنّ المهتمين بالدعوة السلفية في موريتانيا لا يختلفون في تأثير هذه الكتب هناك، وإنما الخلاف بينهم في المستوىٰ الذي وصل إليه هذا التأثير في الأوساط العلمية.

---

(١) راجع ص ٥٣٠ من هذا الكتاب.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الثالث عشر.

(٣) حدثني بذلك في مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة وهي عندي مسجلة بصوته في شريط بتاريخ ٥/١١/١٤١٢ هـ.

فمنهم من يصفه بأنه كثير، ومنهم من لم يصفه بذلك، وسنورد من أقوال العارفين بهذا الموضوع ما يلقي الضوء على ذلك.

يقول الشيخ أحمد بن المرابط[1] وهو من السلفيين البارزين في موريتانيا علماً ونشاطاً، إن كتب الشيخ محمد الأمين، وخاصة كتابه أضواء البيان، ومحاضرته: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، أثرت في كثير من طلاب العلم، وظل هذا التأثير يتزايد منذ وصول هذه الكتب إلى البلاد حتى اليوم.

وأنا شخصياً ـ يقول الشيخ أحمد ـ من الذين تأثروا بها، كما أن الشيخ محمد بداه وغيره من كبار العلماء السلفيين يعولون على هذه الكتب، وكتاب تنبيه الخلف الحاضر على أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر للشيخ محمد بداه شاهد بذلك[2].

ويصف الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين هذا التأثير ويفصل فيه فيقول:

«لقد أثرت كتب الوالد الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ كثيراً في القطر الموريتاني، والذي يزور موريتانيا حالياً يرى أنّ العقيدة السلفية أصبح كثير من الدارسين يعتنقها، ولكن هذا التأثير لم يكن ملموساً إلا بعد زيارة الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ لموريتانيا سنة ١٣٨٥ هـ.

وبعد انتشار أشرطته، ورجوع تلاميذه الشناقطة[3].. إلى وطنهم بعد نهاية دراستهم عليه[4].

---

(١) ستأتي ترجمته في الفصل الحادي عشر.

(٢) أحمد بن المرابط، مقابلة أجريتها معه في مكة المكرمة، وهي عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٣/١/٤ هـ.

(٣) سنتحدث إن شاء الله تعالى في الفصل الآتي عن نشاط طلاب الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشناقطة، في الدعوة السلفية في موريتانيا.

(٤) د. عبد الله بن محمد الأمين، مقابلة سبق ذكرها، أجريتها معه بالمدينة المنورة، بتاريخ ١٤١١/٤/٢١ هـ.

ويقول الدكتور محمد عمر بن حويه: لقد تأثر كثير من الناس بكتب الشيخ محمد الأمين رحمه الله، واعتنقوا العقيدة السلفية، بعد مطالعتهم في هذه الكتب، ووقوفهم علىٰ منهج صاحبها، وخاصة بعد زيارته الأخيرة لموريتانيا، ولقائه بالعلماء، وطلاب العلم فيها[1].

ويقول الشيخ محمد أحيد[2] بن عمر: بالتأكيد أنّ في موريتانيا عدداً كبيراً من طلاب العلم قد تأثروا بكتب الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ وخاصة كتابه أضواء البيان، وأكثر أهل تلك البلاد تأثراً بهذه الكتب أهل المناطق الغربية، حيث وافق ما كان عند البعض منهم كأهل الشيخ سيدي[3].

هذه تصريحات من شخصيات مطلعة في هذا الموضوع، تصف تأثير كتب الشيخ محمد الأمين في موريتانيا بأنه كثير، وهناك شخصيات أخرىٰ مطلعة في هذا الموضوع أيضاً توافق علىٰ وجود هذا التأثير، ولكنها تتحفظ من أن تصفه بأنه كثير أو قليل.

ومن هؤلاء الشيخ محمد أحمد دادح[4] الذي يقسم الناس في موريتانيا إلىٰ قسمين:

* قسم رزقه الله الإنصاف فتأثر بكتب الشيخ محمد الأمين رحمه الله واستفاد منها.

* وقسم متشبع بعلم الكلام، ومتعصب له. فهذا القسم وقف من الشيخ محمد الأمين ومن كتبه موقف الشك، ولم يستفد، ثم يقول:

---

(١) د. محمد عمر بن حويه، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ١٤١١/٦/١٢ هـ.

(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

(٣) الشيخ محمد أحيد بن عمر: مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، وهي عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١١/٧/٦ هـ.

(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

والحقيقة أنّ أهل المناطق الغربية في موريتانيا [بتلميت وما جاورها] كانوا متأثرين بالشيخ سيدي باب وبكتبه الداعية إلى التمسك بالكتاب والسنّة[1].

ويقول الشيخ محمد عبد الله[2] بن أحمد مزيد: لقد لقيت كتب الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ ترحيباً من بعض أهل بلاده، وتأثر بها بعض طلاب العلم في هذه البلاد.

ثم يقول: ومكانة الشيخ محمد الأمين في الأوساط العلمية في موريتانيا محفوظة[3].

أما الشيخ التلميدي[4] بن محمود، وهو من أكثر تلاميذ الشيخ محمد الأمين ـ رحمه الله ـ نشاطاً في الدعوة السلفية، فيبدو أقل تفاؤلاً في هذا التأثير من هؤلاء جميعاً، حيث يقول:

وقد تأثر أشخاص بكتب الشيخ محمد الأمين، وقد لقيت من هؤلاء من يصرح بتعلقه بأضواء البيان، ورضاه عن منهج مؤلفه، وذكر نماذج من هؤلاء، ومنهم الشيخ محمد فاضل[5] بن محمد الأمين، الذي وصفه بأنه سلفي بالمعنىٰ الصحيح، وعالم لبق، وداعية نشط[6].

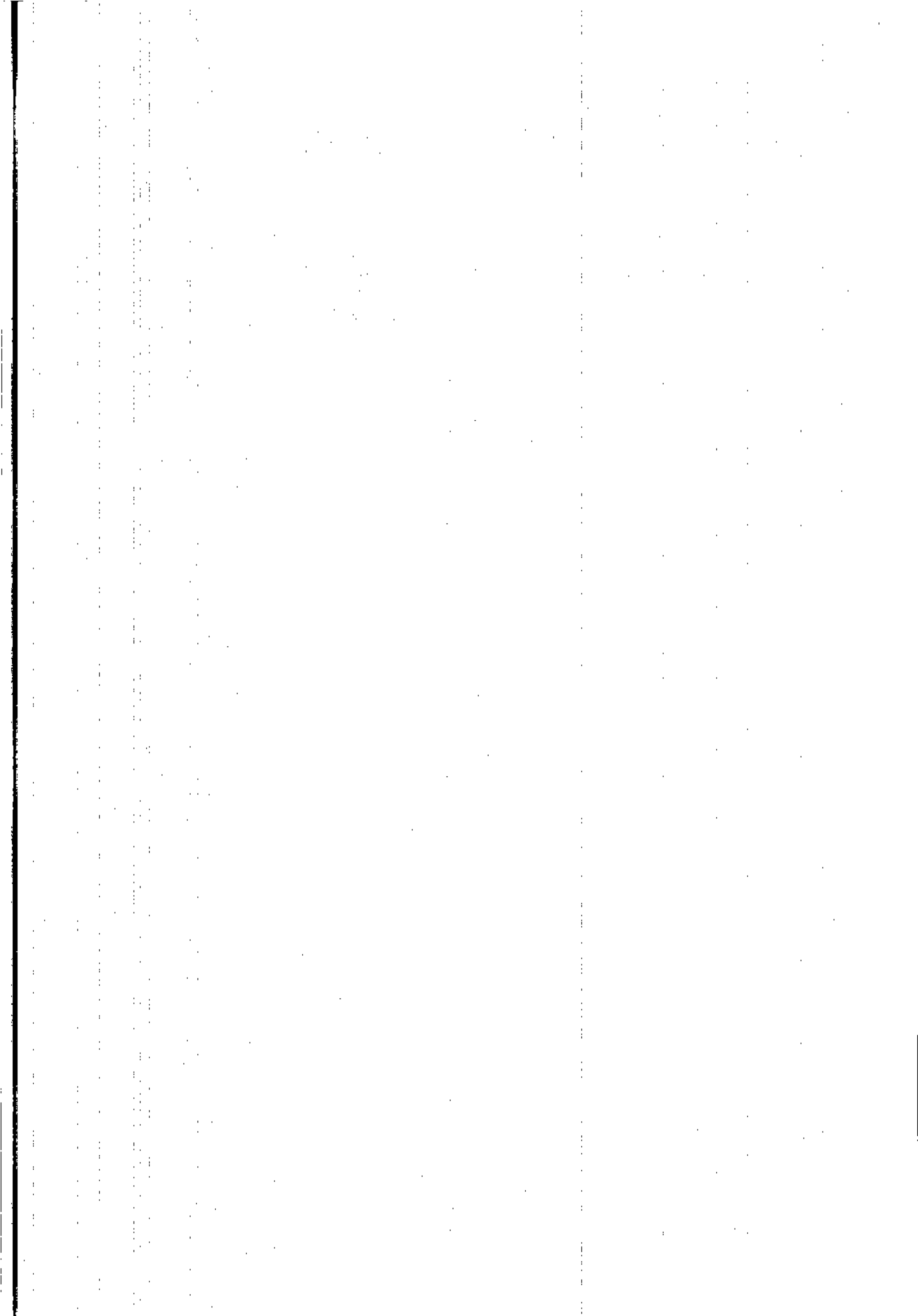
والواقع أنّ المتأثرين بكتب الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ الراضين عنها، وعن منهجها كثيرون في موريتانيا اليوم، وفي الوقت نفسه فإنّ المعادين لها، والناقمين عليها، من متكلمين، ومتصوفة، كثيرون أيضاً.

---

(١) محمد أحمد دادح بن الشيخ، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٥/٥/١٤١١ هـ.
(٢) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.
(٣) محمد عبد الله بن أحمد مزيد: مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤/٤/١٤١١ هـ.
(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.
(٥) ستأتي ترجمته في الفصل الثاني.
(٦) التلميدي بن محمود، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٧/٩/١٤١٢ هـ.

أما تحديد أي الطائفتين أكثر: أهل السنّة والجماعة، أنصار كتب الشيخ الأمين، والمتكلمين، والمتصوفة، أعداؤها الناقمون عليها، فهذا أمر يصعب الحكم عليه.

والذي يظهر أنّ أعداءها ـ علىٰ الرغم من أنهم يتناقصون ـ ما زالوا أكثر من أنصارها، والله أعلم.



الفصل التاسع

نشاط تلاميذ الشيخ الأمين
في الدعوة السلفية في موريتانيا

اشتهر الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بالعلم، والكرم، والشهامة، في موريتانيا قبل أن يخرج منها، فكان علماً من أعلام البلاد، ومحل ثقة أهلها، وهو أبرز علمائها المعاصرين، ومشايخ المحاضر فيها[1].

لذلك فإنه ما إن وصل هذه البلاد واستقرّ بها، حتىٰ حصلت عنده مجموعة من طلاب العلم الشناقطة، بعضهم سبقه إلىٰ هذه البلاد، والبعض الآخر جاء معه، أو لحق به، وعامل الجميع كعادته معاملة الوالد لأبنائه، ففتح لهم بيته مدرسة، ونصب نفسه مدرساً ومربياً لهم[2].

وقد حدثني الشيخ الحسين[3] بن عبد الرحمن وهو من هؤلاء الطلبة أنّ الشيخ الأمين رحمه الله كان يُسكنهم في حجرات بيته، وينفق عليهم، من ماله الخاص، فضلاً عما يقوم به من تعليم وتربية[4].

وقد تزايد عدد تلاميذ الشيخ الأمين الشناقطة، بعد افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، حيث كان الهدف من إنشائها تعليم أبناء المسلمين، بصرف النظر عن جنسياتهم، وقد وفدت عليها مجموعات من طلاب العلم الموريتانيين، وكان من حسن حظهم أنهم وجدوا الشيخ الأمين

---

(١) راجع: عطية محمد سالم، مقدمة كتاب الرحلة ص ٢٢، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق، ص ٤٠ وما بعدها، والسديس: المرجع السابق ١/ ٩.

(٢) عطية محمد سالم، الترجمة في الأضواء، ص ٤٥، ومقدمة كتاب الرحلة ص ٢٧، والسديس: المرجع السابق ١/ ١٨.

(٣) ستأتي ترجمته في الفصل الآتي.

(٤) حدثني بذلك في مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه، بتاريخ ٥/ ٥/ ١٤١٢ هـ.

ـ رحمه الله ـ مدرساً بهذه الجامعة، فلازموا دروسه في الجامعة، وفي خارجها، حتىٰ تخرجوا مع من تخرج من طلاب الأقطار الإسلامية الأخرىٰ[1].

وقد بذل الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ ما في وسعه من العناية والنصح لطلابه، وحرص علىٰ تكوين جيل من شباب المسلمين، قادر علىٰ ممارسة الدعوة الإسلامية بجدارة، ويستطيع النهوض بالمجتمع الإسلامي طبقاً للتعاليم الإسلامية، الخالية من شوائب البدع.

وقد اشتهر عنه ذلك سواء في أثناء دروسه، أو في محاضراته، وأحاديثه العامة.

وقد أشار تلميذه الشيخ عطية إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله: فلم يدخر وسعاً في تعليم الناس، ولم يتوان في توجيههم سواء في دروسه، أو أحاديثه، أو محاضراته، وسواء مع الطلاب، أو المدرسين، فكان كالأب الرحيم، والداعية الناصح، تحمل عنه تلاميذه إلىٰ أنحاء العالم الإسلامي حينما وصلت منح الدراسة بالجامعة لبلدان العالم الإسلامي[2].

ويعبر تلميذه الشيخ محمد الأمين بن الحسين عن هذا المعنىٰ بقوله: إنّ الشيخ الأمين رحمه الله ـ نتيجة لحثه الدائم في محاضراته ودروسه علىٰ اتباع عقيدة السلف، والرجوع إلىٰ العمل بالكتاب والسنّة، ربط طلابه

---

(١) يقول الشيخ عطية محمد سالم عن الشيخ الأمين رحمه الله، إنه ربىٰ أفواجاً متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي كليات ومعاهد الإدارة العامة بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في أنحاء البلاد ابناً من أبنائه، وفي كل قطر إسلامي بعثة من البعثات الإسلامية، لمنح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.. الترجمة في الأضواء ص ٨ ـ ٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧ ـ ٤٨، ومقدمة كتاب الرحلة، ص ٢٨.

بالمنهج السلفي، وعودهم على الدعوة إليه[1].

ويؤكد الشيخ الحسين بن عبد الرحمن ذلك بقوله: كان شيخنا محمد الأمين بن محمد المختار ـ رحمه الله ـ يولي تلاميذه عناية فائقة، ويسهر على تربيتهم تربية إسلامية على طريقة السلف الصالح، ويوصيهم دائماً بتقوىٰ الله، والتمسك بالكتاب والسنّة، والتعفف عما في أيدي الناس[2].

هذه هي طريقة الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ في تكوين طلابه، وتربيتهم ومن المتوقع من طلاب تربوا على يد هذا الداعية الناصح الأمين، أن يكونوا دعاة وفق منهجه الذي رباهم عليه.

والواقع أنني لا أعرف جميع من تلقى العلم عن الشيخ محمد الأمين رحمه الله، ولكنني أعرف منهم عدداً كبيراً، غالبيتهم دعاة إلى التمسك بالكتاب والسنّة، واقتفاء آثار السلف الصالح، وفق المفهوم السلفي الذي تعلموه من شيخهم، والذي حرره في مؤلفاته.

وما يهمنا في هذا الفصل هو نشاط تلاميذه الشناقطة في الدعوة السلفية في موريتانيا، وهو نشاط رفيع المستوىٰ، حيث برزت مجموعة كبيرة من هؤلاء التلاميذ في الدعوة إلى العقيدة السلفية، والإصلاح بوجه عام في موريتانيا.

يقول الدكتور محمد المختار ابن الشيخ محمد الأمين: إنّ تلاميذ الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ قاموا بنشاط في موريتانيا لم يقتصر على الإصلاح العقدي، والديني، بوجه عام، بل تعدىٰ ذلك إلى الإصلاح الشامل في ذات البين، وتسوية الخلافات سواء كانت ناشئة عن خلافات دينية، أو سياسية، وقد أثروا كثيراً في تلك البلاد[3].

---

(١) محمد الأمين بن الحسين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ١٣/٦/١٤١١ هـ.

(٢) الحسين بن عبد الرحمن، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٥/٥/١٤١١.

(٣) د. محمد المختار بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٥/٣/١٤١١ هـ.

وسوف أذكر نبذة مختصرة عن كل واحد من هؤلاء التلاميذ، الذين برزوا في الدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ، لنلقي الضوء بذلك علىٰ شخصياتهم، ونشاطهم في الدعوة السلفية في موريتانيا، وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل:

١ ـ الشيخ أحمد(١) بن أحمد المختار:

يعتبر الشيخ أحمد بن أحمد المختار، من أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين، علماً، ونشاطاً، ومن أشدهم في انتقاد البدع، ولا سيما بدع المتصوفة، وكتاباه: إكمال تحفة الألباب، ومواهب الجليل، شاهدان بذلك.

وقد قابلت الشيخ أحمد في بيته، بمدينة [كيفا] أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها إلىٰ موريتانيا، وحدثني عن نشاطه في الدعوة السلفية، وما لقيه من المشقة، والأذىٰ في سبيل ذلك، ثم قال:

ومفهوم السلفية عندنا: هو اعتقاد ما كان يعتقده السلف الصالح، وهو إجراء النصوص علىٰ ظاهرها مع كمال التنزيه لله عزّ وجلّ عن مشابهة شيء من صفات مخلوقاته، ومعنىٰ ذلك:

أنّ كل وصف وصف الله به نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه به

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٣٤٤ هـ، وحفظ القرآن الكريم، ودرس مبادىء من علوم الدين واللغة العربية، ثم درس مختصر خليل بن إسحاق، في الفقه المالكي، والتكميل في قواعد المنهج، في أصول الفقه، وكان قبل ذلك قد درس اللغة الفرنسية في المدارس الفرنسية أيام الاستعمار الفرنسي للبلاد، واتباعاً لطريقة السلف في الرحلة لطلب العلم، رحل الشيخ أحمد إلىٰ المملكة العربية السعودية، ليأخذ العلم علىٰ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله ـ ولازمه، ودرس عليه في التفسير، وأصول الفقه، والنحو، وأجازه في التفسير، وأصول الفقه، واللغة العربية، ولم يدرس الدراسة النظامية، عمل مدرساً في الحرم المكي سنين عديدة، حتىٰ أحيل إلىٰ التقاعد عام ١٤٠٨ هـ، وبعد ذلك استقرّ في موريتانيا، له عدة مؤلفات طبع منها: ثلاثة كتب هي: إكمال تحفة الألباب شرح الأنساب، ومواهب الجليل علىٰ مختصر خليل، وإعداد المهج للاستفادة من المنهج.. راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٨٣ ـ ٨٦. والسديس: المرجع السابق، ١/ ٣٤، ٣٧، ٨٨.

رسوله ﷺ في الذي صح عنه من سنّته، يجب وصفه به على الوجه اللائق به عزّ وجلّ، بلا تكييف، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل، على غرار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.. فهذه الآية سلاح ذو حدين على المشبهة وعلى المعطلة.

هذا ـ يقول الشيخ أحمد ـ هو الذي كان يعتقده السلف الصالح، لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ.

فلذلك كان السلف يتدارسون الكتاب، والسنّة، ويقفون عند نصوصهما، فهذا الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ كيف استوى؟ وقف عند النص، وأجاب بقوله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وفي أفعال العباد، يقول الشيخ أحمد ـ نعتقد أنها مخلوقة لله لقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[١]، وأنّ العبد تستند إليه أفعاله حقيقة، ويفعلها باختياره، وبسبب ذلك نسبت إليه..

دما تدل لذلك الآيات القرآنية، والعقيدة الإسلامية غنية بمصادرها عن المناهج الكلامية، فلا تحتاج إلى التمييز بين العرض والجوهر، فأبو بكر، وعمر، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، لا يميزون بين العرض والجوهر، واستغنوا بالكتاب والسنّة عن كل ما سواهما[٢].

أما التعصب المذهبي ـ يقول الشيخ أحمد ـ فقد أضر بكثير من طلبة العلم في هذه البلاد، وقد بينت لهم في المحاضرات والدروس والتوجيهات، أنّ المسلم عليه أن يلتزم بالكتاب والسنّة، ولا يعنيه قول من

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٢) أحمد بن أحمد المختار: مقابلة أجريتها معه في مدينة كيفا، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٨/٧/١٤١٢ هـ.

خالفها، كائناً من كان، وأنّ التعصب لقول معين بدون دليل لا ينبغي أن يفعله من له مسكة علم، وأنه لا يجب علىٰ أحد تقليد مجتهد بعينه.

وقد لاقيت الأمرين في سبيل الدعوة إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة واتباع منهج السلف الصالح في العقيدة، وفي غيرها من أمور الدين، يقول الشيخ أحمد ـ وتقول علي بعض الناس أقاويل في الاعتقاد، وفي غيره من المسائل الدينية، نبرأ إلىٰ الله منها، وقاطع كثير منهم الصلاة في مسجدنا، خوفاً مما يسمونه [الوهابية].

وبالنسبة للمتصوفة فقد أخذوا مني جهداً في الدعوة أكثر مما أخذه المتكلمون، وأصحاب التعصب المذهبي، وأحيلك في ذلك..

يقول الشيخ أحمد ـ إلىٰ ما كتبته في اثنين من كتبي هما: إكمال تحفة الألباب، ومواهب الجليل، فقد بينت في هذين الكتابين ما فيه كفاية لمن وفقه الله لاتباع الحق[1].

وبالرجوع إلىٰ مؤلفات الشيخ أحمد نجد أنه قد خصص مساحة كبيرة منها في مباحث كثيرة، رد فيها علىٰ المتصوفة، بردود علمية، وموضوعية، وفيما يلي نذكر أمثلة من ذلك:

قال الشيخ أحمد: ثم إن زعم أنّ للشريعة باطناً يعلمه الخواص، وظاهراً يعلمه أهل الظاهر، زعم باطل، وخرافة لا يقرها الواقع، وأين الحقيقة إن لم تكن في تحكيم كتاب الله ـ تعالىٰ ـ وسنّة رسوله ﷺ؟..

فأما إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يُبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم، فهذا نوعان:

* أحدهما يخالف العلم الظاهر.

* والثاني: لا يخالفه.

---

(١) أحمد بن أحمد المختار، المقابلة السابقة بتاريخ ١٨/٧/١٤١٢ هـ.

فأما الذي يخالف العلم الظاهر فباطل، فمن ادّعىٰ باطناً أو علماً بباطن يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً، إما أنه جاهل، وإما أنه زنديق، وبذلك تعلم أنّ ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله، ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، زندقة، وذريعة إلىٰ الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوىٰ إن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره، ذلك أنه لا طريق إلىٰ معرفة أمر الله، ونهيه إلا بالوحي(١).

وفي قول المتصوفة، إنّ المريد لا ينبغي له أن ينكر علىٰ شيخه بقلبه ولو يراه مخالفاً لظاهر الشرع، لئلا يحبط عمله(٢).

رد الشيخ أحمد عليهم بالحديث الثابت عن النبيّ ﷺ حيث قال [هذا مخالف لما جاء في الحديث الصحيح من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان](٣).

وقد تتبع الشيخ أحمد النظام الذي تقوم عليه الطرق الصوفية وانتقده جميعاً.

ونذكر من ذلك نظام الخلافة عندهم، حيث قال الشيخ أحمد: ومن ظواهرهم التي تخالف السنّة التزامهم بأن يولوا الحلقة دائماً ابن الشيخ، وإن كان أجهل وأفسق من حمار أبيه، وقد انتقل الرسول ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وفي حلقته أهل قرابته، ابناه الحسن والحسين، ووالدهما ابن عمه، شقيق أبيه، علي بن أبي طالب، وعمه العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهم، فعدل المسلمون عن هؤلاء ابتغاء مرضاة الله، وسعياً في مصلحة المسلمين

---

(١) راجع إكمال تحفة الألباب، المرجع السابق ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب محمد فاضل بن مامين: نعت البدايات وتوصيف النهايات، الباب الأول، في آداب المريد مع شيخه، وما يصلح له معه إلىٰ تمام رسخه، ص ٤ وما بعدها، دار الفكر، [د. ت].

(٣) إكمال تحفة الألباب ١/ ٣٥٤، وتقدم تخريج الحديث في الفصل الثاني.

إلىٰ رجل من تيم بن مرة، فبايعوا لأبي بكر رضي الله عنه.

فما بال هذه الحلقات والزوايا التي يدعي أصحابها أنها يبتغي بها وجه الله والدار الآخرة، أن لا تجري خلافتها علىٰ هذا النمط؟..

ولكن الجواب الذي يفرض نفسه هو: أنها مؤسسات تجارية قام أصحابها بتأسيسها ابتزازاً لأموال الناس، وتسخيراً للأيدي العاملة لمصالحهم الدنيوية ليس إلا..[1].

٢ ـ الشيخ محمد عبد الله[2] بن الصديق:

يعتبر الشيخ محمد عبد الله من أبرز العلماء المعاصرين، من حيث

---

(١) تحفة الألباب، المرجع السابق ١/ ٣٥٥، وللتوسيع في نقد الطرق الصوفية وأهلها انظر نفس المرجع السابق ١/٣٤٨ ـ ٣٧١، ٢/ ١١٠، ١١٣، ١٦٤، ١٦٨، ٣١٤ ـ ٣١٨، ومواهب الجليل ٤/ ٥١، وما بعدها

(٢) هو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المختار بن الصديق، وهو من مشاهير علماء موريتانيا المعاصرين، ولد في ضواحي مدينة [كيفا] عاصمة الولاية الثالثة من ولايات موريتانيا، وحفظ القرآن صغيراً، وأخذ فيه الإجازة على الشيخ أعمر بن محم بوب، وتنقل بين عدد من مشاهير علماء بلاده، في طلب العلم، حتى أتقن كثيراً من العلوم التي تدرس في المحاضر الموريتانية ومن هذه العلوم: العقيدة، والفقه، وأصوله، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والأدب، والتاريخ، والسيرة، والأنساب، والمنطق، وتوسع في هذه العلوم عن طريق المطالعة.. أما الشاطبية، والدرة، والتفسير، فقد حصل عليها بالمطالعة، ثم عرض الشاطبية والدرة، على محمد شيخنا ابن أباه بن محمد الأمين، وأجازه في القراءات العشر سافر لأداء مناسك الحج، والتقى بالشيخ محمد الأمين، بن محمد المختار، فرغب في الاستفادة من علمه، فكان يحضر دروسه في المسجد النبوي الشريف، كما أعاد عليه بعض المواضع من مراقي السعود، ثم سافر إلى السودان، ودرس في المعهد العلمي بأم درمان، وكان في فترة دراسته في المعهد يقوم بدروس من الفقه، والنحو في بعض المساجد، ثم عاد إلى موريتانيا عام ١٩٦٤ م، وظل يزاول مهنة التدريس بها في بيته، وفي وزارة التعليم طيلة ثلاث عشرة سنة قضى منها ست سنين مدرساً بمعهد بتلميت، وقد انتسب في كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، وحصل منها على الإجازة العالية (الليسانس) وانتسب في كلية الشريعة بالأزهر، وحصل منها على نفس الشهادة، =

المستوىٰ العلمي، وهو أول عالم موريتاني عاد إلىٰ بلاده بعد أن التقىٰ بالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار ـ رحمه الله ـ في المدينة المنورة وأخذ عنه، حيث عاد إلىٰ بلاده عام ١٩٦٤ م، وقد زاول مهنة التدريس في وزارة التعليم في موريتانيا، وفي بيته ثلاثة عشر عاماً، وفي مدن ذات أهمية في البلاد.

وقد وصفه شيخه محمد الأمين بن محمد المختار بأنه هو أفهم طلابه الموريتانيين للمنطق وأصول الفقه(١).

وقال عنه الشيخ بداه بن البصيري: إنه السني السني، علامة زمانه، وسيد أوانه(٢).

وقال عنه الدكتور محمد عمر بن حويه: إنّ مثله اليوم قليل، فهو صاحب نشاط تعليمي متواصل، وداعية إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، وعقيدة السلف الصالح، ومنهجهم سواء في المدارس أو في المساجد، أو في غير ذلك.

وكنت قد قررت ـ يقول الدكتور محمد عمر ـ أن أسافر إليه وأجلس معه فترة لأخذ العلم عنه لكن ظروفاً حالت دون ذلك.

والشيخ محمد عبد الله بن الصديق واحد من أبرز مشاهير علماء بلاده ويمتازة بالحكمة في الدعوة، ويحظىٰ بثقة غالبية العلماء وطلاب العلم في بلاده، وله سمعة طيبة في الأوساط العلمية، ولذلك لقيت دعوته قبولاً وتأثر

= انتدب ضمن بعثة من خيرة علماء بلاده للعمل في القضاء والفتيا في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو الآن باحث ومفتي في دائرة القضاء الشرعي في أبو ظبي، ومدرساً بالجامع الكبير بها، حصلت على هذه المعلومات من الشيخ محمد عبد الله بن الصديق، حيث أرسلها إلي مكتوبة بخط أحد تلاميذه، وموقعة من الشيخ محمد عبد الله بن الصديق نفسه، بتاريخ ١٤/٥/١٤١٣ هـ

(١) حدثني بذلك الدكتور محمد عمر بن حويه في المقابلة السابقة بتاريخ ١٢/٦/١٤١٢ هـ

(٢) أسنى المسالك في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك، ص ٢٩٠

به كثير من طلاب العلم، وترتكز دعوته علىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، واتباع طريقة السلف في فهم الإسلام، وتطبيقه.

وتحتل العقيدة مكان الصدارة في دعوته، ويؤكد دائماً أنّ الطريق الوحيد إلىٰ العقيدة الصحيحة هو طريق السلف ومنهجهم القائم علىٰ الأخذ بما جاء في الكتاب والسنّة، ونبذ كل ما يخالفهما، وإثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، ونفي كل ما نفاه الله جل وعلا عن نفسه، أو نفاه رسوله ﷺ.

وفي التصوف، يرتضي موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الصوفية[١] فلا يحكم عليها كلها بأنها خارجة عن السنّة، إذ يقول:

إذا كان التصوف لا يخالف ما جاء في الكتاب والسنّة، ويقوم علىٰ الزهد في الدنيا والاتجاه للآخرة، ولا يصرف أصحابه عما أوجبه الله عزّ وجلّ عليهم، فهذا نقره، وما خالف الكتاب والسنّة وعمل السلف الصالح ننكره.

والجدير بالذكر أنّ الشيخ محمد عبد الله بعد استقراره في السنوات الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، حصلت عنده مجموعة من طلاب العلم الموريتانيين وغيرهم يرغبون في أخذ العلم عنه، ففتح لهم جزءاً من بيته مدرسة، وجعل فيه مكتبة ضخمة، زاخرة بالمصادر والمراجع وخصص جزءاً كبيراً من وقته لتدريس العلم لهؤلاء الطلاب، وهو في أغلب أوقات فراغه من العمل الرسمي لا يخرج عن هذه المكتبة، فساعة يطالع فيها، وساعة يدرس بها، وقد نفع الله به كثيراً من الشباب الموريتانيين وغيرهم[٢].

---

(١) تقدم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن التصوف، راجع الفصل السابع.

(٢) حصلت على هذه المادة العلمية عن طريق المراسلة مع الشيخ محمد عبد الله بن الصديق بواسطة الشيخ المختار بن عمر، حيث أرسل إلي المعلومات التي طلبت منه، جزاه الله خيراً، مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤/٥/١٤١٣ هـ، وقد أضفت إليها ما أعرفه عنه، وخاصة فيما يتعلق بشهرته العلمية

٣ ـ الشيخ محمد المختار[1] بن سيدي محمد:

الشيخ محمد المختار بن سيدي محمد، واحد من تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار المتبعين لمنهجه السلفي، والقائمين بنشاط كبير، ومتواصل في الدعوة إليه في موريتانيا، ويعتبر من أبرز دعاة السلفية المعاصرين في المنطقة.

ونسوق في التعريف بعقيدته ما ذكره عنه شيخه حماد الأنصاري، وهو: من علماء الحديث الكبار في الجامعة الإسلامية[2] حيث قال:

«كان محمد المختار بن سيدي محمد، طالباً عندي في المدينة المنورة وقد حدثني أنه كان يكره السلفيين، وبعد الدراسة والبحث، تبين له أنهم علىٰ الحق، وقد طلب مني ـ يقول الشيخ حماد ـ أن أملي عليه أسماء كتب السلف في العقيدة، وبعد ذلك صار يبحث عنها، ويبالغ في جمعها، وشرائها، وما توجه إلىٰ موريتانيا إلا وهو يحمل مذهب السلف في صدره،

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٤٣م، وتعلم القرآن الكريم، ومبادىء من علوم الدين في بلاده، وفي عام ١٩٥٨م رحل إلى المملكة العربية السعودية، وأدى مناسك الحج، ثم استقر به المقام في المدينة المنورة، واتصل بالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، والشيخ حماد الأنصاري، ودرس عليهما.

وفي أثناء هذه الدراسة التحق بالجامعة الإسلامية، وواصل دراسته فيها، حتى تخرج من كلية الشريعة بالإجازة العالية (الليسانس) عام ١٩٧١م، وعاد إلى بلاده في نفس السنة، وعندما وصل إليها عين رئيساً للمحكمة الإقليمية في مدينة [أطار] ثم شغل نفس الوظيفة في مدينة العيون، ومدينة ألاك، وفي عام ١٩٨٤ م عين رئيساً لمحكمة الاستئناف في نواكشوط، وهو الآن مستشاراً في محكمة العدل الخاصة في مدينة نواكشوط.

حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من محمد المختار بن سيدي محمد بتاريخ ٦/١/١٩٩٢ م.

(٢) السديس: المرجع السابق ٩٦/١.

بالإضافة إلىٰ المكتبة السلفية الكبيرة التي حصل عليها في هذه البلاد[1].

وقد قابلت الشيخ محمد المختار بن سيدي محمد في منزله بمدينة نواكشوط وحدثني عن عقيدته السلفية، ونشاطه في الدعوة فقال:

إنّ المنهج الذي نتبعه في العقيدة هو ما كان عليه السلف الصالح، رضي الله عنهم، وهو التمسك بالكتاب والسنّة، والوقوف عند نصوصهما، ونبذ المحدثات، والبدع، هذا المنهج هو الذي تعلمته واقتنعت به أثناء دراستي في المملكة العربية السعودية، علىٰ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله، والشيخ حماد الأنصاري حفظه الله، وفي الجامعة الإسلامية.

لأن اتباع الكتاب والسنّة، والإيمان بما ورد فيهما من أسماء الله وصفاته، علىٰ ما يليق بجلاله، وكماله، من غير تشبيه، ولا تأويل، هو الذي تكون به معرفة الله تعالىٰ، وأسمائه، وصفاته، ويجد فيه المسلم الطمأنينة والراحة..

أما طريقة المتكلمين فهي تبعد عن الكتاب، والسنّة، وتشحن الذهن بمقدمات ونتائج تؤدي إلىٰ الحيرة والضلال.

أما بالنسبة لنشاطي في الدعوة إلىٰ منهج السلف، ـ يقول الشيخ محمد المختار ـ فبعد تخرجي من الجامعة الإسلامية، رجعت إلىٰ بلادي، ومارست الدعوة إلىٰ عقيدة السلف، من ذلك اليوم إلىٰ هذا الحين، وقد لاقتني صعوبات كثيرة في سبيل ذلك، وقاطع كثير من الناس دروسي في بداية الأمر، خوفاً من أن يتأثروا بما يسمونه [الوهابية] التي كانوا يسيئون فهمها يومئذٍ، وذلك بصفتي خريج الجامعة الإسلامية، وشيخي محمد الأمين بن محمد المختار، الذي حكم عليه كثير من أهل هذه البلاد بأنه وهابي.. وحكموا أيضاً علىٰ طلبته بذلك.

---

(١) مقابلة حماد الأنصاري السابقة، بتاريخ ١٤١٠/٦/٢٣ هـ.

وقد تعاملت مع هذه الصعوبات بالصبر، والمرونة، وكنت أتجنب دائماً ذكر أسماء الفرق المنحرفة، وأركز على بيان الحق بدليله، من الكتاب والسنّة.

وقد قمت بالتدريس في عدة مساجد في المدن التي سكنتها بعد عودتي من الدراسة في المملكة العربية السعودية، والكتب التي درستها في هذه المساجد هي: صحيح مسلم، وتفسير ابن كثير، ورياض الصالحين للنووي، ونيل الأوطار للشوكاني، وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد ساعدني الشيخ عبد العزيز بن باز ـ يقول الشيخ محمد المختار ـ فأمدني بالكتب السلفية، وخاصة كتاب الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، والأنوار الرحمانية في هداية الفرقة التجانية، لعبد الرحمن بن يوسف الإفريقي..

وقمت بتقسيم هذه الكتب على الناس، وكان ذلك سبباً في هداية بعضهم، وخلال هذه العشرين سنة في الدعوة التي قمت بها في عدد من المدن في البلاد، لاحظت تأثيراً متزايداً، ولله الحمد ـ في اتجاه العقيدة السلفية[1].

٤ ـ الدكتور محمد[2] بن ماديك:

الدكتور محمد بن ماديك واحد من تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن

(١) محمد المختار بن سيدي محمد، المقابلة السابقة، نواكشوط ١٩٩٢/١/٦ م.

(٢) ولد في موريتانيا سنة ١٩٤٠ م، وحفظ القرآن الكريم، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، في محاضر موريتانيا، ثم التحق بالدراسة في الجامعة الإسلامية، وحصل منها على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الشريعة، وفي هذه الفترة لازم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، فدرس عليه في التفسير، والعقيدة، كما درس العقيدة أيضاً على الشيخ عبد العزيز بن باز. =

محمد المختار، الذين قاموا بالدعوة إلىٰ العقيدة السلفية في موريتانيا، وقد استخدم الدكتور ماديك لهذا الغرض وسائل متعدّدة، فقد ألقىٰ المحاضرات الكثيرة، التي نشرت في وسائل الإعلام، وفتح المعهد الإسلامي السلفي في مدينة [كيفا]، وألف كتاباً جيداً بيّن فيه عقيدة السلف، وردّ علىٰ المخالفين لهم، سماه: رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد.

يقول في مقدمته: في الواقع أنني لم أقف علىٰ خلاف كان قد نشب بين اثنين من كبار علماء هذه الأمّة الأقدمين في أنّ العدول عن المنهاج الذي كان عليه السلف الذين هم صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، والأئمة الأربعة، وأصحابهم، أنه عدول عن المحجة البيضاء، ونكوب عن الصراط المستقيم، واتباع لغير سبيل المؤمنين.

وإنه ليكفي المؤمن في الزجر عن ذلك كله، ما قد ورد من الوعيد المغلظ في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[1].

= عمل مدرساً بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية، وبعد سنتين قدم استقالته منها، وسافر إلى القاهرة، والتحق بالدراسات العليا في الجامع الأزهر، وتابع فيه دراسته حتى حصل على الدكتوراه في الفقه الإسلامي، وبعد ذلك رجع إلى المملكة العربية السعودية، وعينته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد مديراً لمركز الدعوة السعودي في موريتانيا، ولما تولى إدارة هذا المركز قام بعمل نشط في الدعوة، فأثار عليه ذلك فرق المتصوفة، أعداء الدعوة السلفية، فتألبوا عليه وحاربوه محاربة لا هوادة فيها، واستخدموا في ذلك المكر، والسياسة، فاستدعته الرئاسة العامة للعمل في داخل المملكة، ففضل الاستقالة وأسس المعهد الإسلامي السلفي في [كيفا] الذي سنتحدث عنه في الفصل الثاني عشر، ضمن المعاهد السلفية، وما زال هو مدير هذا المعهد، والقائم على أمره حتى الآن.
حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من صاحبها بتاريخ ١٢/٧/١٤١٢ هـ.

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

وإذا تقرر ذلك فلا شكّ أنّ سبيل المؤمنين في الاعتقاد هو الإيمان بصفات الرب الواردة في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، ولا تجاوز لها، ولا تفسير، ولا تأويل، ولا تعطيل، بل الصحيح، أنهم كلهم قد أجمعوا علىٰ أن يمروها كما جاءت[1].

وقد حدثني الدكتور محمد بن ماديك أنه قام بنشاط متواصل في نشر العقيدة السلفية، منذ سنة ١٩٧١ م، حين عين مديراً لمركز الدعوة السعودي في موريتانيا، وقد ركز في هذا النشاط علىٰ بيان عقيدة السلف من الكتاب والسنّة، والرد علىٰ شبه المتكلمين، وإبطال مزاعم المتصوفة، وخرافاتهم، وذلك في المحاضرات الكثيرة التي نشرت في الصحف، وأذيعت في برامج الإذاعة الوطنية في نواكشوط.

وقد لاقيت الأذىٰ في سبيل ذلك ـ يقول محمد بن ماديك ـ من طوائف المبتدعة، وخاصة المتصوفة، وقد نجح هذا النشاط والحمد لله في آخر المطاف فاستفاد كثير من الناس ولا سيما بعد تأسيس المعهد الإسلامي السلفي في مدينة [كيفا] وتوفير المصادر والمراجع السلفية فيه[2].

هذه الطائفة من طلاب الشيخ الأمين التي تحدثنا عنها، عادت إلىٰ موريتانيا بعد نهاية فترة طلب العلم، واستقرت بها ومارست عملها فيها، وهناك طائفة أخرىٰ من طلاب الشيخ الأمين رحمه الله، فضلت البقاء في هذه البلاد، ومارست عملها فيها.. ولكنها ظلت علىٰ صلة وثيقة بالشعب الموريتاني في داخل بلاده، وفي خارجها وخاصة في هذه البلاد، حيث يقدم عليها في مواسم الحج.. وغيرها كثير من الموريتانيين، فيلتقون بهم دائماً، ويدعونهم إلىٰ بيوتهم، ويكرمونهم فيها، ويقدمون لهم الهدايا في بعض الأحيان، ويقومون لهم بالخدمات التي يحتاجون إليها.

---

(١) د. محمد بن ماديك: رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد، ص ٦، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط بتاريخ ١٤١١ هـ.

(٢) د. محمد بن ماديك، المقابلة السابقة في نواكشوط بتاريخ ١٤١٢/٧/١٢ هـ.

وفي أثناء ذلك كله يقومون ببيان عقيدة السلف، والدعوة إليها، والتحذير مما يخالفها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ فإنّ الكثير منهم قام برحلات متعددة إلىٰ موريتانيا للدعوة فيها إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، وما كان عليه سلف الأمة، مع بيان منهج السلف والترغيب فيه، والتحذير مما يخالفه، والرد علىٰ شبه أهل البدعة، وذلك في كثير من المحاضرات، والدروس، والندوات، وفي عدد من المناطق، وفيما يلي نبذة عن كل واحد من هؤلاء الدعاة ونشاطه:

١ ـ الدكتور محمد الخضر[(١)] الناجي ضيف الله:

قام الدكتور محمد الخضر الناجي بزيارات متعددة إلىٰ موريتانيا، ومارس الدعوة السلفية في كثير من مدنها وقراها، ولقي في سبيل ذلك الكثير من المتاعب، والمضايقات، من الأشاعرة، والمتصوفة علىٰ حدّ سواء، وهدد بالضرب من أتباع فرقة الطريقة القادرية.

والدكتور محمد الخضر من أخص تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله، ومن أكثرهم نشاطاً في الدعوة السلفية.

وقد حدثني عن بداية نشاطه في الدعوة في موريتانيا فقال: «بعد

---

(١) ولد في موريتانيا بولاية [تكانت] وحفظ القرآن وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، وسافر إلى المملكة العربية السعودية، لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، وكان قد قرأ في كتاب أضواء البيان قبل سفره، وعزم على التعلم على مؤلفه، والتقى لأول مرة بالشيخ محمد الأمين في محرم من عام ١٣٨٥هـ، ولازمه حتى توفي ١٣٩٣هـ وقد أخذ عنه في هذه المدة بعض علم النحو، والتفسير، وأصول الفقه، ومبادىء في علم المنطق، وقال:
إن أهم شيء استفاده منه هو كونه كان كاتباً له في أضواء البيان فترة من الزمن، وبسبب ذلك قرأ عليه الجزء الخامس والسادس، وشيئاً من السابع، ويلي ذلك في الاستفادة كثرة المرافقة له، والسؤال عن كل مشكل عرض له.. وهو الآن أستاذ بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، السديس: المرجع السابق ١/ ٨٨ ـ ٨٩.

قدومي إلىٰ المملكة العربية السعودية عام ١٣٨٤ هـ، وبعد سبع سنين قضيتها في طلب العلم عند الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار وغيره من المشايخ، وفي الجامعة الإسلامية، سافرت إلىٰ موريتانيا لزيارة أهلي، والدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ، وعندما أردت السفر دخلت علىٰ شيخي محمد الأمين بن محمد المختار في بيته، وطلبت منه النصح والتوجيه، فقال لي:

«أوصيك بوصية الله التي أوصىٰ بها الأولين، والآخرين، ثم تلىٰ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1].

ثم قال لي: أوصيك يا ولدي إذا جلست في مجلس فانظر حال أهله، فإن رأيت إصغاء ولمست استفادة فتكلم، وإلا فاترك، ثم شد عزمي بكلمة أخرىٰ عندما أبديت له تخوفي من مواجهة الفقهاء الكبار، في موريتانيا، فقال: يا بني لا تخف سوف لن يقف أحد أمامك إن شاء الله لأن الذي عندك مبني علىٰ أدلة من الوحي، وهم علىٰ خلاف ذلك، فمضيت ذاهباً إلىٰ موريتانيا، وبناء علىٰ استفادتي من هاتين الوصيتين كنت أتحين الفرص التالية:

١ - فرصة المجالس الخاصة مع أهلي وأقراني فأتكلم بما عندي من التوجيه والدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ، وأحاول بكل جهدي ألا أدع مجالاً للنقاش خوف ضياع الوقت.

٢ - انتهز فرص التجمعات الكبيرة في المساجد يوم الجمعة، وكانت أول محاضرة لي يوم الجمعة بالجامع الكبير بالعاصمة نواكشوط، والذي يؤمه العلامة بداه بن البصيري، ويحضره العلماء، وكبار الدولة، وركزت في هذه المحاضرة علىٰ أمور أساسية منها:

* الحث علىٰ إقامة حدود الله علىٰ أرض الله، ونبهت على أنّ رئيس

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣١.

الدولة مسلم والشعب مسلم، فما المانع من تطبيق شرع الله، والحالة هذه؟.. وكان كلامي موجهاً أولاً وقبل كل شيء للقادة السياسيين، ومن يثقون فيهم، وكان ذلك في سنة ١٣٩١ هـ.

* الحث على العودة إلى الكتاب والسنّة، والتحذير من البدع، وبينت أنّ الطرق الصوفية الموجودة في البلاد كلها بدعية.

وتتابعت المحاضرات بعد ذلك، في مساجد نواكشوط، وفي نفس السنة زرت مدينة نواذيب، وألقيت محاضرة في جامعها، ثم سافرت إلى قرية بلحراث[1]، ومكثت فيها عشرين يوماً، وكنت أقوم في هذه المدة بمناقشات في مسجد الحي هناك، وألقي من خلالها الضوء على بعض المسائل المهمة في العقيدة، وفي خطورة مخالفة السنّة بوجه عام.

وكان في الحي طوائف من أهل الطرق الصوفية، فلم أستطع الكلام في الجامع بطريقة صريحة معلنة، خوفاً من الفتنة بين الأحياء.

قال: ثم رجعت من عامي هذا إلى المملكة العربية السعودية، وعاودت إلى موريتانيا في العام الثاني، وقمت بإلقاء عدد من المحاضرات في جوامع نواكشوط، ومساجده، ثم سافرت إلى جنوب البلاد، قرية بلحراث وما جاورها، حيث يوجد كثير من عشيرتنا وأصدقائنا.

وقد تأثر بعض أهل هذه المنطقة بما سمعوه مني من دروس في هذه السنة وفي السنة التي قبلها، ثم سافرت - يقول الدكتور محمد الخضر - إلى مدينتين، هما أكبر مدن تلك المنطقة، وغالبية الناس فيهما أشاعرة، والبعض من الأشاعرة فيهما متصوفة، وهاتان المدينتان هما: مدينة كيفا، ومدينة قرو[2]، وكثفت النشاط في الدعوة، ومكثت في هاتين المدينتين عدة

---

(١) قرية بلحراث، تقع في الجهة الجنوبية من البلاد، وهي تابعة لمديرية كيفا ولاية العصابة.

(٢) مدينة قرو: مقاطعة تابعة لمديرية كيفا، عاصمة الولاية وتبعد عنها نحو ٥٧ ك م على جهة الشمال الغربي.

أسابيع، لم تفتني جمعة إلا وألقيت فيها محاضرة علىٰ منبر الجامع، إما في جامع كيفا، وإما في جامع قرو.

وكان موضوع هذه المحاضرات بيان منهج السلف والتحذير من البدع والمذاهب الفكرية المعادية للإسلام مثل الشيوعية، والعلمانية، والقومية.

وتوالت الزيارات بعد ذلك، وكان آخرها في عام ١٤٠٩ هـ. حيث سافرت إلىٰ موريتانيا ضمن وفد للدعوة والإصلاح، يضم معي الشيخ محمد الأمين بن الحسين، والدكتور محمد سيدي الحبيب، والشيخ محمد أحمد دادح ابن الشيخ وكان الغرض من هذه الزيارة يتمثل في نقطتين اثنتين:

* أولهما: بيان عقيدة السلف والدعوة إليها والرد علىٰ مخالفيها.

* وثانيهما: إصلاح ذات البين بين طبقات من المجتمع.

وقد كان لهذا الوفد أثر كبير في المدن التي زارها، وخاصة في مدينة نواكشوط ومدينة كيفا، ومدينة قرو.

وتمثل عمله في الدعوة في عدد من المحاضرات، والمناقشات في مناطق مختلفة من البلاد.

وقد ختموا هذا النشاط بندوة علمية في مدينة قرو، اشتركوا فيها جميعاً، وكانت تحت عنوان [مسؤولية الدعوة إلىٰ الله].

هذا النشاط الذي قمت به في الدعوة ـ يقول الدكتور محمد الخضر الناجي ـ كان دائماً يتركز علىٰ الأشاعرة المتكلمين، والمتصوفة أصحاب الطريقة القادرية، ومحاولة إقناعهم بالرجوع إلىٰ الحق، وذلك لأن هاتين الفرقتين لهما وجود كبير وتأثير قوي في تلك البلاد.

وفي هذا الصدد، بينت أنّ السلامة المضمونة ـ بإذن الله تعالىٰ ـ محصورة في اتباع نصوص الكتاب، والسنّة النبوية المطهرة، وما كان عليه أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، وهو وصف الله عزّ وجلّ، بكل

صفة وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ في الذي صح عنه من سنته على الوجه اللائق به عزّ وجلّ، من غير تعطيل، ولا تأويل، ومن غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، لأن القول في الصفات كالقول في الذات.. فكما أنّ ذاته تعالىٰ مخالفة لذوات مخلوقاته، فكذلك صفاته جلّ وعلا فهي أيضاً مخالفة لصفات مخلوقاته، ولا سبيل إلىٰ معرفة العقيدة الإسلامية إلا من الكتاب والسنّة النبوية المبينة له.

وإذا كان للعقل دور بعد ذلك، فهو في فهم نصوص هذين المصدرين، وتصديقهما، والإذعان لهما، والوقوف عندهما..

أما تقديم العقل على النقل ـ كما هو منهج المتكلمين ـ فهذا خطأ وخطر يؤدي إلىٰ الحيرة، والضلال.

فالعقل ـ يقول الشيخ محمد الخضر ـ يجب أن يكون سائراً وراء نصوص الكتاب، والسنّة، ومذعناً لها، لأنه لا يصلح أن يكون دليلاً مستقلاً فيما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها العلية.

أما المتصوفة، أصحاب الطريقة القادرية ـ فقد شرحت لمن لقيت منهم سلوك السلف الصالح، وزهدهم، وبينت لهم ـ يقول محمد الخضر ـ أنّ التصوف بدعة، وأنّ نظام الزوايا الصوفية التي انتشرت في العالم الإسلامي مخالف للسنّة، وكنت أركز النقاش دائماً ـ يقول الشيخ محمد الخضر ـ مع هؤلاء المتصوفة علىٰ انحرافاتهم في العقيدة، وخاصة توحيد العبادة، حيث أنّ المتصوفة يسيطر عليهم الغلو في مشايخهم الأحياء، والأموات، إلىٰ حد أنّ كثيراً منهم ينادي هؤلاء المشايخ الذين يسمونهم بالأولياء فيستغيثون بهم، ويطلبون منهم ما هو من خصائص الرب جلّ وعلا.. مثل حصول الولد، وشفاء المريض، وتفريج الكربات، وغير ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عزّ وجلّ، والتي هي من خصائصه سبحانه وتعالىٰ ـ.

وقد بينت لهؤلاء ـ يقول الدكتور محمد الخضر ـ أنّ الدعاء مخ

العبادة.. ولا يجوز صرفه لغير الله عزّ وجلّ، وأنّ هؤلاء المخلوقين ليس بيدهم شيء، ولا يستطيعون أن يعطوا هذه المطالب التي لا يملكون منها حقيراً ولا نقيراً..

وعلى كل حال ـ يقول الدكتور محمد الخضر ـ فقد تأثر كثير من الناس في اتجاه العقيدة السلفية، غير أنّ الناس يتفاوتون، فالدارسون للعقيدة الأشعرية وأتباع الطرق الصوفية تأثرهم محدود، وغير هؤلاء تأثر الكثير منهم وخاصة الشباب»[1].

٢ ـ الدكتور محمد[2] بن سيدي الحبيب

يعتبر الدكتور محمد بن سيدي الحبيب واحداً من أبرز تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله، وخاصة من الناحية العلمية، والاعتدال في الآراء، وقد حظي بالدراسة على الشيخ الأمين في موريتانيا قبل خروجه منها، وفي هذه البلاد بعد استقراره فيها، وهو الذي يقدمه طلاب الشيخ الأمين الشناقطة، لمناظرة مشايخ الأشاعرة الذين يفدون من موريتانيا على هذه البلاد من حين لآخر.

وقد سافر إلى موريتانيا للقيام بالدعوة السلفية والإصلاح بوجه عام ضمن

---

(١) د. محمد الخضر الناجي، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١١/٥/٢٣هـ.

(٢) ولد في موريتانيا سنة ١٣٥٧ هـ وحفظ القرآن، وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، ودرس العلم على عدد من مشايخ البلاد، ومنهم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله ـ ثم سافر من بلاده وقدم على مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، ورغب في طلب العلم في هذه البلاد، فدرس على الشيخ محمد الأمين أصول الفقه، ولامية الأفعال، كما درس عليه في تفسير القرآن الكريم، والتحق بالجامعة الإسلامية، في المدينة المنورة، وتابع فيها دراسته حتى حصل منها على الدكتوراه من قسم التفسير، شارك الشيخ عطية محمد سالم في كتابة [تتمة أضواء البيان] طبع له في جدة كتابه [الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل] وهو الآن أستاذ في قسم الكتاب والسنة بجامعة أمر القرى، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٩٢ ـ ٩٣، والسديس المرجع السابق ١/٨٨.

وفد رفيع المستوى، يضم أربعة من خيرة طلاب الشيخ الأمين رحمه الله.

وقال إنه ركز في هذه الزيارة في محاضراته ودروسه ومناقشاته، مع العلماء وطلاب العلم على بيان عقيدة السلف، والدعوة إليها، والتحذير من البدع في العقيدة، وفي غيرها من أمور الدين، وذكر أنه لاحظ التأثر في كثير ممن سمعوا منه، كما لاحظ أيضاً أن ابتعاد الناس عن عقيدة السلف ونفور بعضهم منها، كان ناجماً عن الجهل بها، وعدم توفر كتبها، وبعد أن توفرت هذه الكتب، وقرأوها رجع كثير منهم إلى ما فيها[1].

٣ ـ الشيخ الحسين[2] بن عبد الرحمن

يعتبر الشيخ الحسين بن عبد الرحمن من أبرز مجموعة الشناقطة

---

(١) الدكتور محمد بن سيدي الحبيب، المقابلة السابقة بتاريخ ٥/٥٥/١٤١١ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) ولد في موريتانيا سنة ١٣٤٥ هـ في بلدة [سيف الكعب] من أعمال مديرية كيفا، وعاش يتيماً في بيت أخواله، آل أحمد بن الحسين، حتى تعلم القرآن ورسمه، وقرأ على خاله الشيخ الحسن بن أحمد بن الحسين، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والعاصمية في علم القضاء، والخزرجية في علم العروض، وتنقل بين محاضر بلاده، فدرس إضاءة الدجنة، ومختصر خليل، والآجرومية، ثم توجه برفقة والدته إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك الحج، وقدم على مكة المكرمة عام ١٣٧١ هـ وطاب له المقام بجوار الحرمين الشريفين، وواصل دراسته على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وغيره من مشاهير علماء هذه البلاد.. ولازم الشيخ محمد الأمين، وحضر دروسه في الحرم المدني، وفي بيته..

فدرس عليه في التفسير، والعقيدة، وأصول الفقه، والنحو، كما درس العقيدة أيضاً على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والفرائض على أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحم الله الجميع، كما درس الفقه على الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله، ثم التحق بالجامعة الإسلامية، وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة.

— له مؤلفات في الفقه منها: طلاق البدعة، وتحريم الخمر، والمسح على الجوربين، وكتاب الحج والعمرة، وهذا الأخير طبعته إدارة الشؤون الدينية بالحرس الوطني في المملكة العربية السعودية، وفي اللغة العربية له رسالة بعنوان [الأمثال والحكم في لغة العرب]..

=

الأولى التي درست على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وقد لازمه من أول زمنه في هذه البلاد إلى وفاته رحمه الله.

وكان لهذه الملازمة الطويلة أثرها الكبير على منهجه في العقيدة والدعوة، وللشيخ الحسين نشاط في الدعوة السلفية، في عدد من شعوب العالم.

وأما بالنسبة للشعب الموريتاني فقد تركز عليه نشاطه دائماً، سواء في ذلك القادمون منه على هذه البلاد، أو في داخل موريتانيا نفسها.

قال عن نفسه: لقد زرت موريتانيا عدة مرات، وجُبت أطرافها شرقاً وغرباً، يميناً وشمالاً، وقد دعوت إلى العودة إلى العمل بالكتاب والسنة، وبينت منهج السلف الصالح في كل المناطق التي زرتها، وكنت أركز دائماً في المناقشات، والتوجيهات، التي قمت بها على توحيد الله عز وجل، وخاصة توحيد العبادة، حيث أن كثيراً من المنتسبين للإسلام ـ وللأسف ـ ينادون المخلوقين من أحياء، وأموات، ويستغيثون بهم، ويَطلبون منهم الحوائج التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، مثل حصول الولد، وشفاء المريض، وتفريج الكربات، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[1].

وفي هذا الصدد، فقد بينت ـ يقول الشيخ الحسين ـ أن الدعاء مخ العبادة، والمسلمُ يجب عليه إفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه الله عز وجل، على لسان خاتم أنبيائه

= وله نشاط كبير في تحقيق ونشر مؤلفات جده الشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان المتوفى عام ١٣٢٥ هـ رحمه الله، والشيخ الحسين الآن مدير الشؤون الدينية بالحرس الوطني بالمدينة المنورة.. حصلت على هذه المعلومات في مقابلة مع صاحب الترجمة سبق ذكرها، وقد جرت في المدينة المنورة بتاريخ ١٤١٢/٥/٥ هـ وراجع السديس، المرجع السابق ٩١/١.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

ﷺ وأن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فقد أشرك.. ذاكراً الآياتِ القرآنية الكثيرةَ، التي فيها صريح النهي عن دعاء غير الله عز وجل، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[1].

ومبيناً أن الله عز وجل الذي بيده وحده النفع، والضر، بين في محكم تنزيله أنه قريب يجيب دعوة من دعاه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[2].

ومن الأمور المهمة التي قال الشيخ الحسين أنه ركز عليها خلال نشاطه في الدعوة في موريتانيا، توضيح الشروط التي لا يقبل الله عز وجل عمل عبده بدونها وهي:

أولاً: أن يكون العبد موحداً لله عز وجل على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، لأن غير الموحد لا يقبل الله عز وجل عمله بصريح نص القرآن الكريم، وذلك في عدة آيات منه، منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾[3]...

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٧.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

* **ثانياً**: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله عز وجل، فلو كان الإنسان موحداً وعمله غيرُ خالص لله تعالى، فعمله لا يقبل لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2].

ويقول جل من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3].

* **ثالثاً**: أن يكون الإنسان في عمله متابعاً لما جاء به النبي ﷺ فلو كان العبد موحداً وعمله خالصاً لوجه الله، ولكنه غير متابع في عمله لهدي النبي ﷺ فلا يقبل منه ذلك العمل، ولا يرفع إلى الله عز وجل وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[5].

والحديث الصحيح الذي لا مخصص له، وهو قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[6].

هذه القاعدة التي تجمع التوحيد، والإخلاص في العمل، ومتابعة النبي ﷺ في هديه، كنت - يقول الشيخ الحسين - أذكر بها إخواني

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣.

(٣) سورة البينة: الآية ٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٦) الحديث أخرجه البخاري ومسلم، راجع صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣١٧، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٦٠.

المسلمين، وأشرحها لهم، وأبين لهم برهانها من الكتاب والسنة، وأقول لهم دائماً إن العبد المسلم يعمل في حياته لينال رضا الله تعالى، والجنة، في الدار الآخرة.. ويحقق ما خلقه الله من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

فحري به أن يأخذ في عين الاعتبار هذه الشروط التي لا يقبل الله عمل عبده بدونها.

هذا في داخل موريتانيا، وأما بالنسبة للوافدين منها على هذه البلاد للحج أو العمرة، أو لغرض آخر، فيحاول الشيخ الحسين دائماً أن يلتقي بكثير منهم، وخاصة رجال العلم، والفكر، والسياسة، وأثناء وجودهم بالمدينة المنورة، يدعوهم إلى بيته، ويكرمهم فيه، ويلقي عليهم توجيهات ونصائح مستقاة من الكتاب، والسنة، ويبين لهم منهج السلف الصالح، ويحذرهم من البدع، والخرافات، وفي غالب الأحوال يقدم لهم هدايا من الكتب، أو غيرها مما هو مناسب في حينه.

وبالإضافة إلى هذا النشاط، فقد قام بتكوين مكتبة ضخمة تزيد على ألف كتاب، تضم كثيراً من المصادر والمراجع، المعتبرة عند أهل السنة، والجماعة، في جميع مجالات العلوم الإسلامية، وأرسلها إلى مدينة [قرو] في وسط موريتانيا، وأوقفها على طلبة العلم هناك، وقد ساعده في هذا المشروع الخيري زميله ابن خاله وابن عمه الشيخ محمد الأمين بن الحسين.. وغيره من المحسنين جزى الله الجميع خير الجزاء[2].

٤ ـ الشيخ محمد الأمين[3] بن الحسين

ذكر الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار أن

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) حصلت على هذه المادة العلمية عن طريق الشيخ الحسين بن عبد الرحمن في المقابلة السابقة بالمدينة المنورة بتاريخ ٥/٥/١٤١٢ هـ.. وأضفت إليها ما أعرفه عنه.

(٣) ولد في موريتانيا سنة ١٩٤٤ م وحفظ القرآن صغيراً على عمه الشيخ عمر بن الحسين =

محمد الأمين بن الحسين هو أخص تلاميذ والده، وكنت ـ يقول الدكتور عبد الله ـ ألاحظ أن الوالد ـ رحمه الله ـ يرتاح له أكثر من أي طالب آخر من طلابه..

وقد عرف عن الشيخ محمد الأمين اهتمامُه الكبيرُ، ونشاطه المتواصل في الدعوة والإصلاح في داخل موريتانيا، وفي الضيوف الموريتانيين في المملكة العربية السعودية.

وتقوم دعوته في الغالب على تصحيح المفاهيم الخاطئة، سواء كانت في العقيدة، أو في غيرها من المجالات الأخرى، مع التركيز على العقيدة، وإصلاح ذات البين، وتحقيق مفهوم الأخوة الإسلامية.

قال عن نفسه: «لقد زرت موريتانيا عدة مرات، والتقيت بكثير من العلماء، والسياسيين، وأعيان البلاد، وناقشت معهم قضايا تحتاج إلى

= رحمه الله وأخذ إجازتين في قراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، إحداهما على عمه الشيخ الحسن بن أحمد بن الحسين، والثانية على الشيخ سيد المختار بن محمد بن عبدي، ثم تنقل بين مشاهير علماء المنطقة في طلب العلم، ولازم كلاً من الشيخ الحاج بن السالك بن فحف، والشيخ الإمام بن المانه.

فدرس في العقيدة الأشعرية إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، وفي الفقه: منظومة ابن عاشر، ومختصر خليل بن إسحاق، وفي النحو والصرف: ألفية ابن مالك، والآجرومية، ولامية الأفعال.

وبعد هذه الدراسة سافر لأداء مناسك الحج وبنية العودة، وأدى مناسك الحج عام ١٣٧٩ هـ ثم طاب له المقام بجوار الحرمين الشريفين، ورغب في الاستفادة من علم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، رحمه الله، فلازمه ودرس عليه في التفسير، وأصول الفقه، وهو واحد من طلبته الذين قاموا بكتابة أضواء البيان وتبييضه، التحق بالجامعة الإسلامية، وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة، والماجستير من كلية القرآن قسم التفسير، وموضوع رسالته [دراسة وتحقيق لجزء من تفسير ابن المظفر السمعاني من سورة الشورى إلى نهاية النجم] وهو الآن مدرس في مادة التفسير في الجامعة الإسلامية، راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٩٣، ٩٤، والسديس، المرجع السابق ١/ ٩١.

إصلاح، وكنت أركز دائماً على مسألتين:

* الأولى منهما: الدعوة إلى عقيدة السلف، وبيانُها والتحذيرُ مما يخالفها، والردُ على الشبه والمزاعم التي توجه إليها.

* والثانية منهما: محاولة إصلاح ذات البين، بين فئات من المجتمع. وقد حققنا - يقول الشيخ محمد الأمين - بعض النجاح في ذلك كله، وخاصة في مدينة [قرو] التي كان أهلها على خلاف كبير، ومتشعب.

والشيخ محمد الأمين في دعوته يراعي حال المخاطبين، فيتكلم في كل ما يراهم بحاجة إليه، ولندع ابنَ عمه المختار بن عمر الذي حضر بعض الاجتماعات معه في زيارته لموريتانيا عام ١٤٠٥ هـ يحدثنا عنه حيث يقول:

«قل واحد من هذه الاجتماعات إلا تناول فيه قضية تناسب حاجة الحاضرين فتارة تكون في العقيدة، في باب الأسماء والصفات، وتارة في بيان معنى التجويد، وأنه إعطاء الحروف حقها ومستحقها، وتارة في قضية إبدال الهمزة هاء خالصة، وهي قضية معروفة هناك.

وقد ترأس الشيخ محمد الأمين بن الحسين عام ١٤٠٩ هـ وفداً رفيعَ المستوى سافر إلى موريتانيا لغرض الدعوة والإصلاح، كما مر..

وكان لهذا الوفد أثر واضح في المناطق التي زارها، وخاصة في مدينة نواكشوط، وكيفا، وقرو، وقد اشترك مع زملائه الثلاثة فيما قاموا به من نشاط في الدعوة، وفي المحاضرات، والمناقشات العلمية، كما عقدوا جميعاً ندوة في مدينة [قرو] بعنوان [مسؤولية الدعوة إلى الله]..

هذا بالنسبة لنشاطه في داخل موريتانيا، وأما بالنسبة للضيوف الموريتانيين الذين يقدمون على هذه البلاد، فإنه يلتقي بكثير منهم، وفيهم العلماء، والمسؤولون الكبار في الدولة، من وزراء، وغيرهم، ويقوم لهم بالخدمات المناسبة، ويدعوهم إلى زيارة بيته، ويحسن إليهم فيه، ويناقش

معهم في القضايا التي تحتاج إلى إصلاح في البلاد ، ويكون التركيز دائماً على إصلاح المنهج العقدي في كافة المؤسسات التعليمية، سواء كانت حكومية أو أهلية، وتنقية منهج العقيدة مما علق به من شوائب البدعة أياً كان شكلها.

وقد ذكرت قريباً أن الشيخ محمد الأمين بن الحسين كون مع الشيخ الحسين ابن عبد الرحمن مكتبة ضخمة، وأرسلاها إلى مدينة [قرو] وقفاً على طلبة العلم هناك(١).

٥ ـ الدكتور محمد عمر(٢) بن حويه

الدكتور محمد عمر بن حويه من الذين يمتازون بالحكمة في الدعوة وبمعالجة القضايا بالأسلوب العلمي الهادىء، والاكتفاء ببيان الحق بدليله،

---

(١) حصلت على هذه المادة العلمية، عن طريق الشيخ محمد الأمين بن الحسين نفسه، في مقابلته السابقة الذكر، وكذلك حدثني ببعضها كل من الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين، والشيخ الحسين بن عبد الرحمن، والشيخ المختار بن عمر بن الحسين، في مقابلاتهم التي سبق ذكرها جميعاً، وقد أضفت إلى ذلك كله ما أعرفه عنه.

(٢) ولد في موريتانيا سنة ١٩٥٣ م، وحفظ القرآن في صغره، وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، ودرس العقيدة الأشعرية والفقه المالكي، والنحو، واللغة العربية، وأثناء هذه الدراسة قرأ بعض مؤلفات الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وتأثر بها، وسافر إلى المملكة العربية السعودية، لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، وبعد قدومه عليها اتصل بالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، فدرس عليه في التفسير، والعقيدة، والمنطق، والتحق بالجامعة الإسلامية وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة والتحق بالدراسات العليا في جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة. قال عنه الدكتور محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ الذي أشرف عليه في رسالتي الماجستير والدكتوراه، أن مستواه العلمي أعلى من هاتين المرحلتين، طبع له في جدة كتابه: الخمر في ضوء الكتاب والسنة، وهو الآن أستاذ بالدراسات العليا في قسم التفسير في الجامعة الإسلامية.
حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة في مقابلة سبق ذكرها أجريتها معه في المدينة المنورة، بتاريخ ٣/٥/١٤١٢ هـ، وكذلك حدثني الشيخ بن مايابي في مكة المكرمة بتاريخ ٧/٦/١٤١٢ هـ وراجع: السديس: المرجع السابق ١/ ٩٠.

وتجنب جرح المشاعر، ويحظى بثقة غالبية الموريتانيين الذين يعرفونه، حتى أعداءُ السلفيين من الفرق الأخرى، من متكلمين، ومتصوفة.

وقد سمعت بعضهم يثني على أسلوبه في الدعوة ويقول إنه لا يرضى عن أسلوب أحد من دكاترة الجامعة الإسلامية في الدعوة إلا أسلوبَ الدكتور محمد عمر.

وقد سألت محمد عمر نفسَه عن نشاطه في الدعوة السلفية في موريتانيا فقال: «من المعروف أن الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ درس عليه طلاب كثيرون من موريتانيا بعضهم سافر إلى بلاده وأقام بها، والبعض الآخر استقر في هذه البلاد رغبة في الجوار بالحرمين الشريفين. . ولكن مع ذلك كانوا يذهبون إلى موريتانيا للدعوة إلى الله كما سنحت لهم الفرصة، وقاموا بنشاطات في الدعوة إلى عقيدة السلف. . ولاقوا في سبيل ذلك مضايقاتٍ كثيرة.

هذا بالإضافة إلى دعوة الوافدين على هذه البلاد من موريتانيا والجالية الموجودة هنا أيضاً.

وأنا كواحد من هؤلاء قمت بزيارة موريتانيا في سنتي ١٩٧٤ م، ١٩٧٧ م، وتنقلت بين عدد من المناطق في داخل البلاد، ودعوت فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، واتباع عقيدة السلف الصالح، وبينت عقيدة السلف وشرحتها للناس. .

أما مسألة إثبات الصفات جميعاً لله تعالى، بلا تأويل، فهذه هي أصعب المسائل العقدية في البلاد، لوقوف المتكلمين الأشاعرة بالمرصاد لمن يقول بذلك، واتهامه بالتجسيم تارة، وبالتشبيه تارة أخرى.

وفي هذا الصدد فقد بينت ـ يقول الدكتور محمد عمر ـ أن السلامة في اتباع هدي النبي ﷺ وما كان عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة وأن كل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ يمر كما جاء، مع اعتقاد التنزيه لله عز وجل، ويكون ذلك على ثلاثة أسس وهي:

* تنزيه الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته.

* الإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق به عز وجل.

* وقطع الطمع عن الإحاطة بالكيفية.

كل هذه الأسس دل عليها القرآن العظيم، وهي معتقد السلف الصالح.

كما وضحت للناس في المناطق التي زرتها - يقول الدكتور محمد عمر - الزيارة الشرعية للمقابر، وبينت لهم أن الزيارة التي يفعلها كثير من الناس ليست بشرعية، وكنت أذكرهم بالحديث الصحيح «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها...»[١].

والحديث الآخر: «.. فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»[٢].

وفي الختام، يقول الدكتور محمد عمر: فإن موريتانيا أصبح اليوم فيها دعاة إلى الفكر السلفي، وحركة علمية في الاتجاه الصحيح. وخاصة في مدينة نواكشوط..

ومن العلماء البارزين في هذا الموضوع: العلامة محمد بداه بن البصيري وتلميذه الشيخ محمد الأمين بن الحسن، والشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين[٣].

٦ - الدكتور سيد محمد[٤] ساداتي

يعتبر الدكتور سيد محمد واحداً من أكثر تلاميذ الشيخ محمد الأمين

---

(١) المنذري مختصر صحيح مسلم ص ١٣٣.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) د. محمد عمر بن حويه: مقابلة سبق ذكرها أجريتها معه في المدينة المنورة بتاريخ ١٤١٢/١/١٢ هـ.

(٤) ولد في موريتانيا بولاية [تكانت] عام ١٣٦١ هـ وقدم به أهله على المملكة العربية =

رحمه الله نشاطاً في الدعوة إلى العقيدة السلفية في القطر الموريتاني.

وهو أيضاً من أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين.

وقد قام بزيارات كثيرة لمناطق مختلفة من موريتانيا، ومارس نشاطاً في هذه المناطق، تمثل في إلقاء عدد من المحاضرات ، والدروس، وتمكن خلال تلك الفترات من الاتصال بعدد من الدعاة، وتبادل معهم وجهات النظر، في مصلحة مستقبل الدعوة السلفية، واستفاد كل طرف مما عند الآخر من أفكار مفيدة في الموضوع.

وقد استهدف هذا العمل كله تصحيح المفاهيم، والعودة إلى العمل بالكتاب والسنة، وتحسين الصلة بهما، تدبراً، وفهماً، وعملاً، وقد ركزت - يقول الدكتور سيد محمد - في المحاضرات، والدروس، والندوات، واللقاءات، وفي المجالس الخاصة، على بيان عقيدة السلف، وشرحها،

= السعودية، وهو صغير، ودرس الابتدائية في المدينة المنورة، والمتوسطة، والثانوية في مكة المكرمة، ثم درس في كلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة الرياض قديماً، ثم التحق بالدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الإعلام، وتابع دراسته في هذا القسم، حتى حصل على الماجستير والدكتوراه، الأولى بعنوان وكالة الأنباء الإسلامية الدولية في الميزان.. والثانية بعنوان: وظيفة الأخبار في سورة الأنعام..

وهاتان الرسالتان قد طبعتا وطبع له معهما أيضاً عدة كتب أخرى منها [الرأي العام في ضوء الإسلام] والبرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، والمدخل إلى الإعلام، والإعلام الإسلامي من الأهداف والوظائف..

أما كتابه [القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان] فهو ما زال تحت الطبع، والدكتور سيد محمد يحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع، وهو من خيرة طلاب الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، الذين كانوا يأخذون العلم عنه في بيته، ويحضرون دروسه في التفسير بالحرم المدني، وهو الآن أستاذ مشارك في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من الدكتور سيد محمد سادتي بتاريخ ٢٦/٢/ ١٤١٣ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به عن نفسه ما أعرفه عنه.

وترسيخها في النفوس، لأن الغاية الأولى من الدعوة إلى الله تعالى هي ترسيخ الإيمان في النفوس، على أساس سليم من البدع.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بينت خطر البدعة، وكشفت عن حقيقة البدع المتفشية في البلاد، ولا سيما بدعة التصوف، وأقول دائماً يقول سيدي محمد: إن من أولويات الدعوة، محاربةُ الفكر الصوفي، باعتباره أخطرَ شيء يهدد الدعوة السلفية.. ولأن هذا الفكر يقوم على ربط الناس بغير الله عز وجل، ونجم عن ذلك صور من الشرك عند كثير من المتصوفة، حيث يعظمون مشايخهم إلى حد أنهم ينادونهم، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم الحوائج التي هي من خصائص الرب جل وعلا.

أما مسألة إثبات الصفات جميعاً لله تعالى بلا تأويل، فهذه هي أصعب مباحث العقيدة في موريتانيا، لوقوف الأشاعرة المتكلمين بالمرصاد لمن يقول بذلك، واتهامه بالتشبيه تارة، وبالتجسيم تارات أخرى.

وفي هذا الصدد، يقول الدكتور سيد محمد: فقد بينت أن السلف الصالح آمنوا بكل ما جاء في القرآن الكريم، وصح في السنة النبوية من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تعطيل، ولا تأويل، وبينت أن من يعتقد غير هذا فهو مخطىء كائناً من كان.

أما الفقهاء أصحاب التعصب المذهبي، فقد نبهتهم ـ يقول الدكتور سيد محمد ـ على أن المسلم يجب عليه أن يلتزم بما في الكتاب، وصحيح السنة، ولا يعنيه قول من خالفهما، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

وهناك مسألة أخرى أوليتها عناية، وأخذت مني جهداً ـ يقول الدكتور سيد محمد ـ وهي فتنة كثير من الشباب الموريتانيين أصحاب الاتجاه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

الإسلامي بالخميني وثورته التي أدت به إلى تسلم مقاليد السلطة في إيران، والتي عنونها بالثورة الإسلامية، فكان لا بد من بيان الحق في هذا الموضوع، وكشف حقيقة التشيع وأهله، وبيان ما عليه ما يسمى بالثورة الإسلامية في إيران، ومن زيف، وباطل..

ولذلك كان هذا الموضوع في تلك الفترة محور الحديث في لقاءات متعددة مع الشباب.

وفي هذه اللقاءات بينت أن التشيع أول من عرف من دعاته عبد الله بن سبأ[1]، المضل، الحاقد، الماكر، وأن الخميني يحمل فكر الروافض، ويمثله، وهذا الفكر اشتهر بالانحراف عن المحجة البيضاء، والعداء للسنة وأهلها.

وهو الذي عششت فيه البدع، وباضت، وفرخت، وهو الذي مزق وحدة الكيان الإسلامي، وفرقه تفرقاً حقيقياً على مدى التاريخ، ولم يزل هذا التمزق ينخر في كيان المسلمين إلى يومنا هذا.

وعلى كل حال ـ يقول الدكتور سيد محمد ـ فقد استفاد المجتمع الموريتاني في فهم المنهج الإسلامي السليم، سواء مني أو من غيري من الدعاة.

حيث أصبح في هذه البلاد اتجاه سلفي ملموس، يتمثل في عدد من المدارس، والمعاهد السلفية، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من العلماء، والدعاة السلفيين[2].

٧ ـ الدكتور عبد الله[3] بن الشيخ محمد الأمين

سار الدكتور عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين سيرة والده في اتباع

---

(١) هو عبد الله بن وهب بن سبأ الضال المضل، وقد تقدمت ترجمته أول هذا الكتاب.

(٢) د. سيد محمد ساداتي: المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٣/٢/٢٦ هـ.

(٣) ولد في موريتانيا، سنة ١٣٦٨ هـ، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادىء من علوم =

منهج السلف، والدعوة إليه، والتواضع، وكرم النفس، والسجايا الحميدة[1].

وقد اختارته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليكون على رأس بعثتها للدعوة في موريتانيا سنة ١٤٠١ هـ كما اختارت والده من قبل للغرض نفسه، وقد زار الدكتور عبد الله في هذه الرحلة كثيراً من المدن الموريتانية المهمة، وركز نشاطه في المدن التالية: نواكشوط، نواذيب، كيفا، قرو، العيون، النعمة.

وقد قام بنشاط مكثف في الدعوة في هذه المدن، يتمثل في إلقاء كثير من المحاضرات، التي حضرها كثير من الناس، وأولتها السلطات المركزية في كل هذه المدن عناية كبيرة، ودارت كلها حول منهج السلف في العقيدة، وفي غيرها من أمور الدين، والتحذير من البدع، والتيارات الفكرية المعادية للإسلام، وكان لذلك أثر طيب في هذه المناطق.

وفي سنة ١٤١٢ هـ سافر إلى موريتانيا للقيام بالدعوة السلفية فيها أيضاً واقتصر في هذه الزيارة على الحوار، والمناقشات مع العلماء، وطلاب العلم في عدد من البلاد، وقال إنه لاحظ تقدماً ملموساً في نجاح الدعوة السلفية في موريتانيا[2].

= الدين واللغة العربية، في محاضرها، وبعد أن التحق بوالده هنا في المملكة العربية السعودية، درس عليه، والتحق بالمدارس النظامية في المدينة المنورة، وبعد حصوله على الثانوية العامة درس في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، حتى حصل منها على الدكتوراه في التفسير عام ١٤٠٠ هـ، وكان موضوع رسالته: دراسة وتحقيق لكتاب الواضح في التفسير للدينوري، وبعد ذلك عين رئيساً لقسم التفسير، ثم عميداً لكلية القرآن الكريم بنفس الجامعة، ولا يزال يشغل هذا المنصب حتى الآن.

راجع: السديس المرجع السابق ١/ ٩٠، وسميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٨١ ـ ٨٢.

(١) راجع السديس: المرجع السابق ١/ ٧١.

(٢) د. عبد الله بن محمد الأمين، المقابلة السابقة في المدينة المنورة بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٤١١ هـ.

وللدكتور عبد الله نشاط في الدعوة السلفية بين الجالية الموريتانية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقادمين على هذه البلاد من موريتانيا، وقد لقيت دعوته حسن القبول، سواء في داخل موريتانيا أو في الجالية هنا..

ولعل ذلك يرجع إلى أمرين:

أولهما: تواضعه وحسن خلقه.

وثانيهما: كونه ابن الشيخ محمد الأمين ورث عزه وسمعته الطيبة.

٨ ـ الدكتور محمد عبد الله[1] بن عمر

وصف الدكتور محمد عبد الله بن عمر المجتمع الموريتاني بأنه استفاد في اتجاه العقيدة السلفية، وذكر أنه زار البلاد عدة مرات، وقام بدروس ومحاضرات وتوجيهات في أماكن مختلفة، ومناسبات عديدة، وقال إنه دائماً يراعي حال المخاطبين.

فتارة يركز على توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، وتارة يركز على متابعة النبي ﷺ والتثبت في أمور العبادة، بحيث تكون ثابتة عنه ﷺ فيما صح عنه من سنته.

وأحياناً في بث روح المحبة بين المسلمين، إذا كانت هناك فُرقة وضغائن بين الناس.

---

(١) ولد سنة ١٣٦٥ هـ ونشأ في المملكة العربية السعودية، وتلقى تعليمه في المدارس النظامية فيها، وحفظ القرآن، وأتقن تجويده، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتابع دراسته حتى حصل منها على الدكتوراه في أصول الفقه، وهو الآن وكيل عميد كلية القرآن بنفس الجامعة.

حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة بالمدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من صاحبها، بتاريخ ١٤١٢/٥/٦ هـ.

وقد شمل نشاطه عدة مدن، منها: نواكشوط، وقرو، وباركيول، وخلال إقامته في قرو وباركيول كان يواظب في كل يوم جمعة على إلقاء كلمة في الجامع بعد صلاة الجمعة، يتحدث فيها عن واجب المسلمين تجاه دينهم، وخاصة العلماء منهم.

أما مسألة إثبات جميع الصفات لله تعالى بلا تأويل وهي من أصعب مباحث العقيدة هناك.

يقول الدكتور عبد الله ـ تكون بيني وبينهم في هذه المسألة مشادات أحياناً وقد يستفيد البعض..

وهناك مسألة أخرى لا تقل صعوبة عنها، وهي تقويم انحرافات غلاة الصوفية، وقد كانت هذه المسألة هي الأخرى موضع نقاش مع المتصوفة، وقد استفاد المجتمع من ذلك كله سواء مني أو من غيري..

يقول الدكتور عبد الله: فأصبحوا لا يرون في الدعوة السلفية إلا الخير، عكس ما كانوا يتصورونه عنها في السابق[1].

٩ ـ الدكتور محمود[2] محمد الأمين باب

درس الدكتور محمود محمد الأمين الشريعة في المرحلة الجامعية،

---

(١) المقابلة السابقة نفسها بتاريخ ٦/٥/١٤١٢ هـ.

(٢) ولد سنة ١٣٦٩ هـ ونشأ في المملكة العربية السعودية، وتلقى جميع مراحل التعليم في المدينة المنورة، حصل على الثانوية العامة من مدارسها، والتحق بالجامعة الإسلامية، وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة، ثم بعد ذلك التحق بمعهد الدعوة في المدينة المنورة، التابع الجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصل منه على الماجستير في الإعلام، ثم عاد إلى الجامع الإسلامية وتابع دراسته فيها حتى حصل منها على الدكتوراه في الإعلام، عام ١٤٠٦ هـ وكان موضوع رسالته [منهج الإعلام الإسلامي في توثيق العلاقات في الأمة الإسلامية].
أما بالنسبة لأخذه عن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار رحمه الله فقد كان يحضر دروسه في التفسير في المسجد النبوي، كما أنه كان يحضر دروس الحديث =

ودرس الإعلام الإسلامي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وقد ساعدته هذه الازدواجية في التعليم على أداء مهمة الدعوة على الوجه الحسن، وذلك لاجتماع أمرين لا يستغني عنهما الداعية هما:

* معرفة حكم الله تعالى.

* وكيفية تبليغه للناس بطريق مناسب ومؤثر يستدعي قبوله من المدعوين.

وللدكتور محمود نشاطات في الدعوة السلفية في عدد من دول العالم. وأما بالنسبة لموريتانيا فقد سافر إليها مرتين الأولى سنة ١٤١٠ هـ والثانية سنة ١٤١٢ هـ، وقد ركز في دعوته في هاتين الزيارتين على ثلاث قضايا رآها أكثر أهمية من غيرها في ذلك الحين.

وأول هذه القضايا إقناع الأشاعرة بترك التأويل في الصفات الإلهية، حيث بين لهم أن المسلم يجب عليه الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه به رسوله ﷺ فيما صح عنه من سنته من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ومن غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تحريف، وأن القول في الصفات كالقول في الذات.

فالله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولأن من باينت ذاته الذواتِ، باينت بديهة صفاته الصفات.

وكوننا ـ يقول الدكتور محمود ـ نؤمن ببعض الصفات على الوجه

= عند أبرز تلامذة الشيخ محمد الأمين، رحمه الله من الشناقطة، وهو العلامة المحدث محمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد، رحمه الله، المتوفى عام ١٤٠٥ هـ صاحب شرح سنن النسائي، المسمى [شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية] والدكتور محمود أستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٣/٢/٤ هـ.

اللائق بالله عز وجل بدون تأويل، ونؤول البعض الآخر هذا التقسيم في صفات الله عز وجل لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ولم يثبت عن السلف الصالح، رضي الله عنهم، وليس العقل ميزاناً صحيحاً فيما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها.

وقد تأثر المستمعون بهذا الكلام في عدة مناسبات، وعلق عليه بعض المشايخ بقوله:

«يظهر لنا أنك لست وهابياً..» مما يدل ـ يقول الدكتور محمود ـ أن البعض ما زال يسيء فهم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، لذلك ركزت على تصحيح هذا المفهوم الخاطىء، فبينت في عدة مناسبات أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.. قامت على التمسك بالكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح رضي الله عنهم.

وأما القضية الثانية فهي وحدة كلمة المسلمين، وتجنب كل ما يؤدي إلى فرقتهم، وكان يركز على هذه المسألة دائماً، وخاصة في زيارته الأخيرة لموريتانيا التي جاءت بعد نهاية حرب الخليج.

فقد ذكرهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[1]..

وبين أن الخلاف ظل هو العامل الأساسي في ضعف المسلمين، منذ قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم إن حرب الخليج ـ يقول الدكتور محمود ـ انتهت ولا داعي لتوسيع نطاق الخلاف بين المسلمين.

وأما القضية الثالثة فهي إصلاح ذات البين بين الجماعات المختلفة هناك وقد نصحت ـ يقول الدكتور محمود ـ كل طرف بتناسي أخطاء الطرف الآخر وذكر بقول الله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

ويختم الدكتور محمود كلامه بقوله: هذه الموضوعات الثلاثة هي التي أخذت الحيز الكبير من نشاطي في الدعوة هناك، وأرجو من الله العلي القدير أن يكون ذلك كله خالصاً لوجهه الكريم[١].

١٠ ـ الدكتور محمد يعقوب[٢] طالب عبيدي

الدكتور محمد يعقوب، واحد من تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الذين استقروا في المملكة العربية السعودية، ولكنه ظل وثيق الصلة بالموريتانيين الذين يزورون هذه البلاد للحج أو العمرة، أو لغير ذلك.

وقد زرته في بيته بالمدينة المنورة مرات عديدة، وفي كثير منها أجد عنده ضيوفاً موريتانيين، يناقش معهم مسائل من أمور الدين في العقيدة وفي غيرها.

---

(١) د. محمود محمد الأمين، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٣/٢/٤ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) ولد عام ١٣٧٢ هـ ونشأ في المملكة العربية السعودية، ودرس جميع مراحل التعليم فيها وبعد أن حصل على الثانوية العامة التحق بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتابع دراسته فيها، حتى حصل منها على الدكتوراه من قسم الفقه، عام ١٤٠٦ هـ. وكان موضوع رسالته [تحقيق قسم المعاملات من كتاب المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة لجمال الدين الريمي].
وأثناء دراسته النظامية بالمدينة المنورة كان يأخذ العلم عن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، في بيته، وفي الحرم المدني، حيث كان يحضر دروسه في التفسير.
وللدكتور محمد يعقوب عدة مؤلفات طبع منها في القاهرة كتابه [أحكام السجود في الصلاة] في الفقه المقارن، كما طبع له أيضاً تحقيق الجزء الأول من كتاب الإفصاح لابن هبيرة، والباقي لم يطبع.. والدكتور محمد يعقوب يشغل الآن منصب وكيل عميد المكتبات بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.
حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٢/٢٨ هـ.

وقد حدثني أنه قام بنشاط في الدعوة إلى العقيدة السلفية في عدد من أقطار العالم، وأنه زار موريتانيا ومارس فيها نشاطاً في الدعوة إلى العقيدة السلفية، من خلال توجيهاته، ولقاءاته، ومناقشاته للفقهاء، وطلاب العلم، من أصحاب الاتجاهات الدينية المختلفة في البلاد.

وقد تركزت المناقشات مع الأشاعرة ـ يقول الدكتور محمد يعقوب ـ في قضية التأويل في الصفات، وبينت لهم أن التفويض الذي كان عليه السلف هو الأسلم، وأن الأشاعرة يسلمون ذلك، فقد نص أحمد المقري في إضاءته التي ظل عليها المعول في العقيدة في موريتانيا، منذ عهد بعيد، على أن طريقة السلف أسلم حيث قال:

وما له محامل الرأي اختلف	فيه وبالتفويض قد قال السلف
من بعد تنزيه وهذا أسلم	والله بالمراد منها أعلم
لذاك قال مالك إذا سئلا	في الاستوا والكيف منه جهلا[1]

كما أن العبارة المشهورة عن المتكلمين تنص أيضاً على أن مذهب السلف أسلم، وهي قولهم «مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم»[2].

هذه العبارة مع ما فيها من كذب تقر بأن مذهب السلف أسلم، ونحن ـ يقول الدكتور محمد ـ نقول: إن مذهب السلف أسلم، وأحكم، وأعلم، فينبغي للمسلم أن يختار لنفسه هذا المذهب الذي حصل الاتفاق على أنه هو الأسلم، ولا يعرض نفسه للخطر.

وهذا المذهب هو: إثبات الصفات لله عز وجل، صفات الجلال

---

(١) إضاءة الدجنة، المصدر السابق ص ٨٩.

(٢) راجع هذه العبارة في كتاب آداب البحث والمناظرة، المرجع السابق، القسم الثاني ص ١٢٦، وكتاب المهابة بن سيدي محمد: مذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها ص ٥٩، وشيخ الإسلام ابن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى ص ١٣.

والكمال التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله ﷺ في الذي صح عنه من سنته، على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تشبيه ولا تكييف ومن غير تعطيل، ولا تأويل، لأن السلامة متحققة في اتباع الكتاب والسنة، وما ثبت عن السلف الصالح رضي الله عنهم، وليست متحققة في غير ذلك.

هذا مع الأشاعرة، أما أصحاب الطرق الصوفية، فقد التقيت بجماعات منهم وناقشت معهم - يقول الدكتور محمد يعقوب - مفهوم الزهد عند السلف وبينت لهم أنه لا علاقة بين الزهد الذي كان عند السلف والتصوف الذي نشاهده الآن، والذي انتشر في العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة..

هذا التصوف الذي أصبحت فيه أمور كثيرة لا تقرها الشريعة الإسلامية ومن ذلك على سبيل المثال:

إن شيخ الطريقة الصوفية يأتيه المريد تاركاً والديه، وزوجته وأولاده الذين تجب عليه نفقتهم، فيجلسه عنده ليخدمه، ويقف عند أوامره، ونواهيه، فيضيع بذلك من تجب عليه نفقتهم.

ومن ذلك ما يسميه المتصوفة بصلاة أهل الأحوال، حيث قرر بعض مشايخ هذه الطرق أن المريد في فترة الأحوال عليه لا تبطل صلاته بالأقوال والأفعال المنافيةِ للصلاة. ومن ذلك أن الورد لا يجوز أن يعطيه للمريد إلا من أذن له الشيخ في إعطاء الورد. فالورد: يقول الدكتور محمد يعقوب - لا يخلو من أحد أمرين:

إما أنه من الدين، أو ليس من الدين.

فإن كان من الدين فهذا مخالف لسنة التبليغ وإن لم يكن من الدين فلا يجوز إعطاؤه أصلاً.. لا من الشيخ ولا ممن أذن له الشيخ، وعلى كل حال - يقول الدكتور محمد يعقوب - فقد لاحظت تجاوباً وإصغاء ورغبة في

الوصول إلى معرفة الحق من كثير ممن ناقشتهم، سواء في ذلك الأشاعرة أو المتصوفة، كما أن البعض منهم استفاد وتأثر(١).

١١ ـ الشيخ محمد أحمد دادح(٢) بن الشيخ

اشتهر الشيخ محمد أحمد دادح بالدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة وإتباع منهج السلف الصالح.

وله في ذلك منظومات نذكر منها ما يلقي الضوء على حبه لاتباع السنة، ومن ذلك قوله:

تعالوا عباد الله نقفوا نبينا ... وننشر دين الله بين عباده

بقدر ابتعاد المرء عن ذكر ربه ... مشاكله تزداد طول ابتعاده

وقد مر في أول هذا الفصل أن الشيخ محمد أحمد دادح سافر إلى موريتانيا ضمن وفد رفيع المستوى، لغرض الدعوة والإصلاح، وقد حدثني

---

(١) د. محمد يعقوب طالب عبيدي، المقابلة السابقة بتاريخ ٢٨/٢/١٤١٢ هـ.

(٢) ولد في موريتانيا سنة ١٩٤٠ م، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، في محاضر بلاده، ثم سافر إلى هذه البلاد لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، وبعد وصوله ونهايته من أعمال الحج طاب له المقام بالحرمين الشريفين، وواصل دراسته على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، فدرس عليه ألفية ابن مالك، ولامية الأفعال، وسلم الأخضري في المنطق، ومنظومة محب الدين محمد الشحنة في البلاغة، وكان يواظب على حضور دروسه في التفسير في المسجد النبوي الشريف.

وبعد هذه الدراسة التحق بالجامعة الإسلامية وتابع دراسته فيها حتى حصل على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة، وفور تخرجه من هذه الكلية عرض عليه القضاء فرفضه، واشتغل في التدريس بوزارة المعارف، وظل يدرس بمدارس المدينة المنورة حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٥ هـ.

حصلت على هذه المعلومات في مقابلة مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة بتاريخ ٣/٥/١٤١٢ هـ.

عن نفسه أنه دعا إلى الله في أكثر مساجد نواكشوط، وفي ولاية [تكانت] حيث أقام فيها سبعة أيام، وخلال هذه الفترة قام بتوجيهات، ونصائح، لقيت استجابة من المستمعين، وتركزت الدعوة حول العودة إلى العمل بالكتاب والسنة وعرض كلام العلماء عليهما فما وافقهما أخذ وما خالفهما ترك.

كما قام بالدعوة لمدة شهر في قبيلة [أدوعيش][1] وهي أعظم قبيلة في ولايتي [العصابة وتكانت] وقد اتصل الشيخ محمد أحمد بأمراء هذه القبيلة وبين لهم منهج السلف الصالح، وحذرهم من البدع والمحدثات، وذكرهم بالله عز وجل، وخوفهم من عقابه، ورغبهم في ثوابه.

وقد لقيت دعوته قبولاً واسع النطاق في هذه القبيلة، ويرجع ذلك إلى صداقة لها جذور بعيدة المدى ظلت تربط بينه وبين أمراء هذه القبيلة.

كما أن الشيخ محمد أحمد دادح سافر إلى مدينة قرو، وألقى فيها محاضرة في منهج السلف في العقيدة والشريعة، وذكر أنه لما قدم على البلاد في رحلة الدعوة هذه عام ١٤٠٩ هـ نظم الأبيات التالية التي قال إنها تدل على ما يصبو إليه، وهي قوله:

إلى الله أشكو من تقاليد دونت ... وعمت بها البلوى ودانت بها الأمم
وأضحى عباد الله في كل منزل ... يرومون أشتاتاً من الرأي في الظلم
رضوه بديلاً عن كتاب وسنة ... فيا لبديل شابه عور وذم
أيرغب عن نص محاط بعصمة ... ويتبع مخلوق من الناس ما عصم
فيا أيها المغرور بادر برجعة ... إلى الحق قبل الموت تنجو من الألم

(١) عن قبيلة أدوعيش وأمرائها وما لعبوه من دور كبير في إقامة التوازن بين القبائل في بلاد شنقيط راجع: معهد البحوث، المرجع السابق ص ٢٦.

تـدبـر كـتـاب الله والـزم بـيـانـه   بما سنه الرسول في الحل والحرم[1]

١٢ ـ الشيخ محمد أحيد[2] بن عمر

حدثني الشيخ محمد أحيد عن السلفية في موريتانيا، فوصفها بأنها في نمو وازدياد، وتحسن، ثم قال: وقد زرت البلاد كثيراً، وفي هذه الزيارات نقوم بالدعوة إلى اتباع منهج السلف الصالح، في قضايا الدين الإسلامي عموماً، ونركز بصفة خاصة على توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات.

فقد حذرت ـ يقول الشيخ محمد أحيد ـ في المناطق التي زرتها من الاستعانة بغير الله تعالى في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل وبينت منهج السلف في الصفات، وناديت بضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ كل ما يخالفهما.

ثم يقول:

«.. وقد أخبرني الثقات العارفون بأحوال البلاد بأن مدينة نواكشوط فيها حركة علمية تنطلق من منطلق سلفي.

---

(١) هذه أبيات من قصيدة طويلة، تدور كلها حول الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة، وقد أملاها على قائلها الشيخ محمد أحمد دادح، كما حدثني عن نشاطه في الدعوة في هذه الرحلة، وذلك في المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٥/٣ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) ولد عام ١٣٦٣ هـ ونشأ في المملكة العربية السعودية، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وبعد حصوله على الثانوية العامة التحق بجامعة الملك سعود بالرياض، وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] وتابع دراسته بعد ذلك في المعهد العالي للدعوة بالمدينة المنورة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصل منه على الماجستير، أخذ بعض التفسير عن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، حيث كان يحضر دروسه في المسجد النبوي الشريف، وهو الآن مدير مالية شرطة المدينة المنورة.

حصلت على هذه المعلومات في مقابلة مع صاحب الترجمة بتاريخ ١٤١٢/٥/٦ هـ.

وتتمثل هذه الحركة العلمية في المدارس والجمعيات العلمية والثقافية، بالإضافة إلى المحاضرات، والدروس في المساجد التي يقوم بها العلماء، والدعاة السلفيون[1].

١٣ ـ الشيخ إبراهيم[2] بن عثمان

حدثني الشيخ إبراهيم بن عثمان أنه سافر إلى موريتانيا في الدعوة إلى الله تعالى عدة مرات، ودعا إلى العقيدة السلفية، وركز على محاضراته ومناقشاته على النقاط التالية:

١ ـ العودة إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما.

٢ ـ إثبات الصفات لله تعالى، على الوجه اللائق به عز وجل، والبعد عن التأويل الكلامي.

٣ ـ عرض آراء الفقهاء على الكتاب والسنة، فما كان موافقاً لهما أخذ وما كان بخلاف ذلك ترك.

وقد ناقشت هذه القضايا في مناسبات متعددة مع المتكلمين الأشاعرة وبعض فقهاء المالكية المتعصبين ـ يقول الشيخ إبراهيم ـ كما ناقشت بعض أصحاب الطرق الصوفية في انحرافاتهم العقدية، والسلوكية.

---

(١) المقابلة السابقة نفسها بتاريخ ٦/٥/١٤١٢ هـ.

(٢) ولد في موريتانيا، سنة ١٣٣٨ هـ، وحفظ القرآن، ودرس الفقه المالكي، والنحو، والصرف، في محاضر بلاده، ثم سافر لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، درس على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار التفسير، وأصول الفقه، وآداب البحث، والمناظرة، والنحو.
التحق بالجامعة الإسلامية وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الشريعة سنة ١٣٨٥ هـ، عمل مدرساً في وزارة المعارف، وما زال يدرس في مدارس المدينة المنورة حتى الآن.
راجع سميرة بنت صقر، المراجع السابق ص ٩٠ ـ ٩٢.

ثم يقول:

وبعض الناس في البلاد تبنى الفكر السلفي، ورجع إليه، واقتنع بضرورة التمسك بالكتاب والسنة، والوقوف عند نصوصهما، وبالذات في أخطر المسائل هناك. . وهي مسألة إثبات جميع الصفات لله تعالى على الوجه اللائق به، من دون تأويل.

وعرفوا أن ذلك لا ينافي التنزيه على أساس قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

١٤ ـ الشيخ التلميد[2] بن محمود

يعتبر الشيخ التلميد بن محمود داعية سلفياً نشطاً، لا يخشى في بيان الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لومة لائم.

وقد ذكر أنه زار موريتانيا مرات عديدة، وقام بنشاط في الدعوة فيها تمثل في عدد من اللقاءات، والمناقشات، مع مجموعات من الفقهاء،

---

(١) إبراهيم بن عثمان، مقابلة أجريتها معه في المدينة المنورة وهي عندي مكتوبة، وموقعة منه بتاريخ ١٤١١/٧/٣٠ هـ.
والآية من سورة الشورى رقم: ١١.

(٢) ولد في موريتانيا عام ١٩٣٩ م، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ سنداً في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، على ابن عمه الشيخ سيد المختار بن عبد المالك، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية في بلاده، ثم رحل إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك الحج وطلب العلم، وبعد نهايته من أعمال الحج واصل تعليمه على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، فدرس عليه في العقيدة، وأصول الفقه، والنحو، والتفسير، والتحق بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وحصل منها على الإجازة العالية [الليسانس] وبعد تخرجه اشتغل بالتدريس في مدارس المدينة المنورة، وما زال في هذا العمل حتى الآن.
حصلت على هذه المادة العلمية من صاحب الترجمة في المقابلة السابقة بتاريخ ٩/٧/ ١٤١٢ هـ.
وراجع: السديس: المرجع السابق ١/ ٩١.

وطلاب العلم من أصحاب الاتجاهات الإسلامية المختلفة.

وقال: إنه بين للناس في مناسبات متعددة: أن السلامة في اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وحذر من البدع وبين خطورتها، وركز على قضية التأويل في الصفات، وبين للأشاعرة أن المسلم يجب عليه أن يقف عند نصوص الكتاب والسنة، ويثبت لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وأثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تأويل لها، ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، مع التنزيه للخالق عز وجل، وذاته العلية، عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوقين.

وقال: إن السلف أجمعوا كلهم على أن يمروا آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تشبيه، ولا تكييف، وأن ما أجمع عليه السلف خير مما اختارته طائفة من المتكلمين.

كما أن التلميذ بن محمود ألقى عدة محاضرات قال: إنها تناولت مجالات من الدين مختلفة، في جوامع متعددة في مدينة نواكشوط، ومنها جامع قطر، وجامع المقاطعة الخامسة، وجامع أشراف تشيت، الذي يؤمه الشيخ محمد الأمين بن الحسن..

ومن هذه المحاضرات، محاضرة بعنوان: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وأخرى بعنوان: ما تحمل الرسول ﷺ من الأذى في سبيل الدعوة[1].

---

(١) حصلت على هذه المادة العلمية في المقابلة السابقة الذكر مع الشيخ التلميذ بن محمود بتاريخ ٧/٩/١٤١٢ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه، وخاصة فيما يتعلق بشجاعته في بيان الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٥ ـ الشيخ محفوظ[1] بن سيدات

قام بزيارتين لموريتانيا عامي ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥ هـ وقال إنه زار عدة مناطق داخل البلاد، والتقى ببعض مشايخ الأشاعرة، والمتصوفة، واشترك معهم في مجالس علمية، ومناقشات، وبين لهم أن الأولى للمسلم والأحوط له أن يقف عند نصوص الكتاب والسنة، وما كان عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة.. فهذا هو الذي فيه السلامة المحققة.

وشرح لهم مذهب السلف بالتفصيل، وحذرهم من مذهب الخلف، وقد ركزت ـ يقول الشيخ محفوظ ـ على مسألة تقسيم الأشاعرة لصفات الله عز وجل، وبينت لهم أن هذا التقسيم أمر مستحدث في الدين، لم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته رضي الله عنهم، ولا التابعون لهم بإحسان..

وأنه يجب على المسلم أن يصف الله تعالى بكل وصف وصف به نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه به نبيه ﷺ، فيما صح عنه من سنته على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل.

أما المتصوفة، فقد كانت مناقشاتي معهم ـ يقول الشيخ محفوظ ـ أكثرَ حدة، حيث أن بعضهم يرى أن مشايخهم يدبرون الكون مع الله عز وجل،

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٤٤ م، وحفظ القرآن، وأخذ مبادىء لبعض العلوم في المحاضر الموريتانية، وبعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية واصل الدراسة النظامية فيها حتى حصل على الإجازة [الليسانس] من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأثناء دراسته في كلية الشريعة درس على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، رحمه الله مادتي التفسير وأصول الفقه.

اشتغل بالتدريس في وزارة المعارف، وأخذ الماجستير بالانتساب من معهد الدعوة في المدينة المنورة، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وما زال يدرس في مدارس المدينة المنورة حتى الآن.

حصلت على هذه المعلومات في مقابلة مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من صاحبها بتاريخ ١٤١٢/٥/٦ هـ.

ويسمونهم بالأقطاب، وفي هذا الصدد فقد بينت لهؤلاء الغلاة: أن الأقطاب والأبدال إن صحت أحاديثهم مع أنه حسب علمي ـ يقول الشيخ محفوظ ـ لم يصح منها شيء، وإن صح فإنهم لا يصلون إلى درجة المشاركة مع الله تعالى في إدارة الكون، وأن هذا يعتبر شركاً أكبر..

وقد قضيت ـ يقول الشيخ محفوظ ـ سنتي ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ هـ في الدعوة في دولة النيجر، مبتعثاً من طرف دار الإفتاء بالرياض. ومن المعروف أن دولة النيجر تسكنها جالية موريتانية كبيرة، لها مكانة دينية في تلك البلاد.. وترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلادها وبالموريتانيين الذين يتنقلون دائماً بين موريتانيا والنيجر..

وفي هاتين السنتين كان يجري الحوار دائماً بيني وبين المشايخ الموريتانيين في النيجر، وقد ركزت في هذه المدة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على الشبه والإشاعات والمزاعم التي يحاول المتبدعة إثارتها حول السلفيين وعقيدتهم[(١)].

١٦ ـ الشيخ محمد عبد الله[(٢)] بن أحمد مزيد

الشيخ محمد عبد الله بن أحمد مزيد، داعيةٌ حسن المناظرة، قال إنه

---

(١) الشيخ محفوظ بن سيدات المقابلة السابقة في المدينة المنورة، بتاريخ ٢٠/١٠/١٤١١هـ.

(٢) هو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد مزيد، ولد في موريتانيا سنة ١٣٣٩هـ وحفظ القرآن صغيراً، وأخذ مبادىء لبعض العلوم في محاضر بلاده، ثم ارتحل لأداء فريضة الحج، وبعد نهايته من أعمال الحج استقر به المقام في المملكة العربية السعودية، فواصل دراسته على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وبعد استقرار الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار في المدينة المنورة، بدأ يأخذ عليه العلم، فدرس عليه البلاغة، والنحو، والصرف، وأصول الفقه، والمنطق، كما أخذ عليه التفسير في المسجد النبوي الشريف، وقد حصل منه على إجازة خطية تؤهله لتدريس هذه العلوم، وهو أيضاً يحمل إجازات من مشايخ آخرين، منهم شقيقه العلامة المحدث محمد المختار بن محمد بن أحمد مزيد، رحمه الله، والشيخ محمد عبد الله، وإن كان =

سافر إلى موريتانيا مراتٍ عديدةٍ، وناظر مشايخ الأشاعرة فيها، وأرشدهم إلى التمسك بما كان عليه السلف، وبين لهم أخطاء مذهب الخلف، وكان يفضل المناظرات والمناقشات مع العلماء، وطلاب العلم، ويرى أنها أكثر تأثيراً وفائدة، وأبلغ في الإقناع من المحاضرات.. لأن المناظر إذا لم يقتنع من حينه سيبقى في ذهنه أثر تلك المناظرة، فربما يغلب على ما في نفسه. وعلى كل حال، يقول الشيخ محمد عبد الله ـ فإن البلاد قد تنورت، وظهرت فيها نتائج الدعوة السلفية سواء من طلاب الشيخ الأمين رحمه الله، أو غيرهم من الدعاة[1].

١٧ ـ الشيخ مأمون[2] محمد أحمد بن أمينوه

يعتبر الشيخ مأمون محمد أحمد، واحداً من أبرز تلاميذ الشيخ محمد

= لم يدرس الدراسة النظامية، إلا أنه فقيه، وأديب، وشاعر مجيد. وقد قضى من عمره أربعة وثلاثين عاماً في التدريس بين وزارة المعارف ودار الحديث المدنية، وأحيل إلى التقاعد عن العمل في عام ١٤٠٥هـ. راجع سميرة بنت صقر، المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٨٨، والسديس: المرجع السابق ص ١/ ٩١.

(١) محمد عبد الله بن أحمد مزيد: مقابلة سبق ذكرها، أجريتها معه في المدينة المنورة بتاريخ ٤/٤/١٤١١هـ، وأضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) ولد في موريتانيا عام ١٣٥٠هـ، بولاية [تكانت] وتعلم القرآن الكريم في صغره، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، ثم رحل إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، ووصل إلى مكة المكرمة بتاريخ ١/١٢/١٣٧٠هـ، وبعد نهايته من أعمال الحج طاب له المقام بجوار الحرمين الشريفين، وواصل دراسته على عدد من العلماء.
فدرس على الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بعض مراقي السعود في أصول الفقه، وواظب على حضور دروسه في التفسير في الحرم المدني، وفي غيره، كما درس عليه ألفية ابن مالك، وسلم الأخضري في المنطق، ودرس صحيح البخاري على الشيخ محمد الحركان، وصحيح مسلم على الشيخ محمد المختار بن أوقال.
اشتغل بالتدريس في وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية، في عام ١٣٧٢هـ ثم مديراً لعدة مدارس من عام ١٣٧٨هـ حتى عام ١٣٨٠هـ ثم اشتغل في وزارة الإعلام محاسباً ومراقباً حتى عام ١٣٨٨هـ ثم حول إلى وزارة التجارة، وعمل فيها رئيساً لقسم =

الأمين الشناقطة، الذين استقروا في المملكة العربية السعودية، وكان لهم نشاط بارز في الدعوة السلفية في موريتانيا.

وقد حدثني عن نشاطه في الدعوة السلفية بوجه عام ثم قال:

«وفيما يخص بلدي الأصلي: موريتانيا، فقد سافرت إليها عدة مرات وتجولت في طولها وعرضها، داعياً إلى الله عز وجل، مركزاً في دعوتي على الأمور التالية:

١ ـ التمسك بالكتاب والسنة، والعمل بهما، ونبذ كل ما يخالفهما من فكر أو قول أو عمل، والاقتداء بالسلف الصالح في فهم الإسلام وتطبيقه، وترك البدع والمحدثات في الدين.

٢ ـ توحيد العبادة لله عز وجل، حيث بينت ـ يقول الشيخ مأمون ـ أن ما يفعله كثير من أتباع الطرق الصوفية وغيرهم من عوام المسلمين عند قبور من يسمونهم بالأولياء والصالحين، مناف لتوحيد العبادة لله تعالى، حيث يصرفون لأصحاب هذه القبور ما هو من خصائص الرب جل وعلا.. ولا يجوز صرفه لغيره من المخلوقين، كالدعاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة، وغير ذلك.

فهذا من الشرك الأكبر، المحبط لجميع الأعمال، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

= السجل التجاري والشركات، ثم رئيساً لقسم التموين إلى أن أحيل إلى التقاعد في عام ١٤٠٨هـ.

وقد حقق الشيخ مأمون بعض المخطوطات ونشرها، ومن ذلك كتاب فتح الودود شرح المقصور والممدود، للشيخ سيدي المختار الكنتي، وكتاب: القبا في مسجد قبا، للشيخ محمد علي بن علان من علماء القرن العاشر، كما أنه ألف رسالة مطولة في نكاح المتعة.

حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في المدينة المنورة، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة من بتاريخ ١٤/٧/١٤١٣هـ.

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾[1].

٣ ـ رفض إدخال علم الكلام في المعتقد، والإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الجلال والكمال، على الوجه اللائق بالله عز وجل، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تأويل، والوقوف حيث وقف الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، والابتعاد عن مناهج المتكلمين.

٤ ـ نبهت الفقهاء ـ يقول الشيخ مأمون ـ على أن التعصب لقول عالم معين بدون دليل خطأ، والصواب أن تعرض آراء العلماء على الكتاب والسنة فما وافقهما قبلناه، وما خالفهما طرحناه.

ويضيف الشيخ مأمون قائلاً: «وأعتقد أنه حصل تحسن في بعض هذه الأمور فقد اقتنع كثير من الشباب بعقيدة السلف ومنهجهم، وخفت درجة التعصب عند بعض المتكلمين الأشاعرة، وبعض الفقهاء، وذلك بفضل الله تعالى، ثم بما بذله الدعاة السلفيون في الدعوة إلى العودة إلى العمل بالكتاب والسنة، واتباع نهج السلف الصالح، وخاصة الطلاب الذين تخرجوا من جامعات المملكة العربية السعودية، وكذلك مركز الدعوة، ومعهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا التابعين للمملكة العربية السعودية[2].

(١) سورة الزمرة الآية: ٦٥.

(٢) مقابلة مأمون محمد أحمد السابقة بتاريخ ١٤١٣/٧/١٤هـ، وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

الفصل العاشر
الشيخ [بداه]
نشاطه، ومنهجه في العقيدة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ بداه.

المبحث الثاني: نشاطه.

المبحث الثالث: منهجه في العقيدة.

المبحث

التعريف بالشيخ بداه

هو محمد بن البصيري وقد اشتهر بلقبه [بداه] ويقال له محمد بداه جمعاً بين الاسم واللقب، ويعد من أبرز العلماء السلفيين المعاصرين، وهو المفتي العام في موريتانيا، وإمام جامع الملك فيصل في وسط مدينة نواكشوط.

وقد ولد الشيخ بداه عام ١٣٣٨ هـ من أبوين صالحين من قبيلة تندغ، وهي إحدىٰ قبائل المرابطين الذين تقدّم الكلام عنهم وعن نسبهم(١).

وقد اشتهرت هذ القبيلة بالمواظبة علىٰ طلب العلوم الشرعية، ولزوم الطريق المستقيم، والدعوة إلىٰ ذلك.

يقول الشيخ محمد فال بن أحمد التندغي:

وقول ما لا ينبغي لا ينبغي ... لتندغ ولا لغير تندغي
وفعل ما لا ينبغي لا ينبغي ... لتندغ ولا لغير تندغي(٢)

في هذه البيئة الصالحة، نشأ الشيخ بداه، فحفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون، وورش، علىٰ الشيخ سيد الفال بن محمد(٣).

---

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الثاني.

(٢) عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) سيد الفال بن محمد المجلسي البنعمري، فقيه، نحوي، لغوي،له اليد الطولى في علم =

كما أخذ سنداً في قراءة ابن كثير، اشتغل بتحصيل العلم على مشاهير علماء بلاده، وأجازوه في العلوم التي درس عليهم، ومن هؤلاء العلماء:

* الشيخ محمد سالم بن آلما[1]، والشيخ محمد بن المحبوب[2] والشيخ المختار بن ابلول[3]. ومحمد عال بن عبد الودود[4]

= القراءات، مشاركاً في علم التفسير، وعلم الحديث، حسن السيرة، والسلوك، اشتهر بالورع، والتقوى، والزهد.. حصلت على هذه العلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ بداه بن البصيري في منزله بمدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة ومختومة بختم الشيخ بداه، وموقعة منه بتاريخ ٥/ ٧/ ١٤١٢ هـ.

(١) محمد سالم بن المختار بن آلما، عالم صوفي، شاذلي، وشيخ محضرة، له اليد الطولى في علم الفقه، والنحو، ألف عدة مؤلفات، توفي ١٣٨٣ هـ، راجع الخليل النحو، المرجع السابق ص ٥٢٤ ـ ٥٨٩.

(٢) محمد بن المحبوب: عالم جليل، له اليد الطولى في علوم اللغة العربية، والفقه، وأصوله، ت ١٣٨٥ هـ، مقابلة الشيخ محمد بداه البصيري السابقة بتاريخ ٥/ ٧/ ١٤١٢ هـ.

(٣) المختار بن ابلول، عالم سلفي جليل، ومن دعاة الإصلاح في العصر الحديث، قال في قضية التفويض:

مذهبنا التفويض في التوحيد ... لله والتنزيه والتجويد
وما لنا عن ذاك من محيد ... بإذن ربنا ولا تقييد

وقد نادى المختار بن ابلول بالنهوض ضد الاستعمار الفرنسي وحرم التعليم في المدارس الفرنسية، ت ١٣٩٨ هـ. . راجع المختار بن حامد: حياة موريتانيا، الجزء الخاص بقبيلة أدولحاج ص ١٥ مخطوط، توجد منه نسخة في المعهد العلمي في نواكشوط، وأحمد سالم بن مولاي اعلى دراسة لشخصية المختار بن ابلول ص ٣٠ بحث غير منشور، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنواكشوط: ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م، ومحمد عبد الله بن سيد أحمد: الفكر النهوضي عند المختار بن ابلول ص ١٠ وما بعدها، بحث غير منشور قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من جامعة نواكشوط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م، ومحمد الصوفي، المرجع السابق ص ٨٣، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٣٠.

(٤) محمد عال بن عبد الودود المباركي، فقيه ولغوي، اشتهر بالمهارة في علم النحو، وكان في أيامه هو المدرس الأعلى في المعهد الإسلامي في مدينة [بتلميت] ت ١٣٨٧ هـ، محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ص ٣٤٢، والخليل النحوي المرجع السابق ص ١٩٢.

وغيرهم[1].

وبعد أن درس الشيخ بداه العلوم المتداولة في محاضر بلاده اتجه إلىٰ التدريس والمطالعة والتأليف، وكان في حقبه الأولىٰ يميل إلىٰ التقليد والجمود علىٰ أقوال الفقهاء، غير أنه لم يلبث أن تحول عن هذا الاتجاه، فقرّر التمسك بالكتاب والسنّة، والوقوف عند نصوصهما، ورجع عن التقليد.

وكان السبب في هذا التحول أنه قرأ كتاب: سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، فأعجب بمنهجه في عرض آراء الفقهاء علىٰ الكتاب والسنّة والترجيح بينها بمقتضىٰ الدليل.. وعند ذلك حصل له انقلاب فكري، فأصبح لا يثق بشيء من معلوماته إلا ما قام عليه الدليل.

وأقبل علىٰ قراءة كتب التفسير والحديث، وجمع مكتبة قيمة، وعكف علىٰ المطالعة فيها، واعتنىٰ بمؤلفات الشوكاني[2].

وبعد هذا الانقلاب الفكري وفقه الله تعالىٰ ـ لنصرة السنّة وعداء البدعة والرد علىٰ المبتدعين، وظل يحرس العقيدة السلفية في بلاده، معتصماً بالكتاب والسنّة، داعياً إلىٰ التمسك بمنهج السلف الصالح وعقيدتهم.

ولما كان معظم أهل القطر الموريتاني في المعتقد علىٰ المذهب الأشعري الأوسط، وفي الفروع علىٰ رواية ابن القاسم عن مالك في

---

(١) راجع عن دراسة بداه بن البصيري ومشايخه كتابه: الحجر الأساس لمن أراد شرعة خير الناس، المقدمة، ص ٢، مخطوط عندي صورة منه، والطالب بن حمود بن محمد عبد الله في مقدمته لتحقيق كتاب الشيخ بداه بن البضيري: الحجج المتكاثرة في صحة الصلاة في الطائرة، ص ٤ ـ ٧، بحث غير منشور، قدم لنيل الإجازة العالية [الليسانس] في العلوم الشرعية من معهد ابن عباس للدراسات الإسلامية بنواكشوط ١٤٠٩ هـ ـ ١٤١٠ هـ.

(٢) راجع كتاب: بداه بن البصيري، الحجر الأساس ص ٣.

المدونة، ويرون الحق منحصراً في هذا وهذا، بين لهم أنّ الحق في المسألة الأولىٰ هو اتباع ما كان عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة، وهو إمرار ظواهر الكتاب والسنّة كما جاءت من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تكييف وأنه لا يترتب علىٰ ذلك أي مفسدة[1].

وفي المسألة الثانية بيّن أن تقليد غير المعصوم في كل ما قال من غير الرجوع إلىٰ الدليل خطأ، ودعا إلىٰ عرض آراء الفقهاء علىٰ الكتاب والسنّة والترجيح بينها بمقتضىٰ الدليل.. وانتقد المتأخرين من فقهاء المالكية في شدّة تعصبهم للمذهب حيث قال:

«وقد بلغ التعصب بالمتأخرين من فقهاء المالكية مبلغاً لا حد له فقالوا إنّ قول مالك في المدونة مقدم علىٰ قول غيره فيها، بل ذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك حيث قالوا إنّ مجرد وجود القول في المدونة مرجح له حتىٰ ولو خالف الكتاب والسنّة إلىٰ آخر ما أصلوه..».

وقد أبطل الشيخ بداه هذه المزاعم، وبين أنّ الدليل المطلوب الذي يترجح به القول إنما هو الكتاب، أو السنّة، أو الإجماع، أو القياس، علىٰ خلاف فيه لا مجرد الرأي[2].

أقوال العلماء فيه

لعلّ مما يزيد في إيضاح معالم شخصية الشيخ بداه بن البصيري ويلقي الضوء علىٰ مكانته العلمية، وتمسكه بالكتاب والسنّة، واقتدائه بالسلف الصالح هو شهادات العلماء الذين صحبوه، وعرفوه.

فقد جاء في تقريظ العلامة المختار بن ابلول لكتاب أسنىٰ المسالك

(١) راجع مقدمة تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، المرجع السابق.

(٢) أسنىٰ المسالك ص ٣٤، وراجع الحجر الأساس ص ٣٠ ـ ٤٤.

للشيخ بداه بن البصيري ما نصه: «إنه الإمام العلامة المتقن، ناصر السنة، وقامع البدع»[1].

وقال عنه الشيخ محمد أحمد بن عبد القادر القلاوي: إنه العلامة الجليل، النبيل، الذي ليس له فيما يعانيه من مثيل، ولا يكون له به كفيل، وما ذاك إلا لخلو البلاد ممن يدانيه، ولا قريب من مبانيه، لقيامه بالسنن عندما أميتت، وإماتته للبدع بعدما أبيحت»[2].

وقال عنه صاحبه وتلميذه العلامة محيي الدين محمد سالم بن الفتى إنه: العالم المحقق، قامع الباطل بالحق، ودافع الشبهة بالحجة، الداعي إلى الحق، المتمسك بالكتاب والسنّة»[3].

وقال عنه صديقه الشيخ محمد فال بن احميدة الحسني: هو العلامة المحدث، الأصولي، الجامع بين علمي المعقول والمنقول، الخاشع، الأواه[4]. وقال عنه تلميذه وصديقه الإمام بن الشريف: إنه العلامة القدوة الداعي إلى الحق بالحق[5] ووصفه صديقه الشيخ سعد بوه بن الصف بقوله: علامة زمانه، وحافظ أوانه»[6].

أما صديقه الشيخ حماد الأنصاري فيقول عنه: هو العالم الصالح، السلفي الذي نفع الله به أهل بلاده[7].

---

(١) أسنى المسالك ص ٢٥٨.
(٢) الدر النضيد، المرجع السابق ص ٤٩.
(٣) أسنى المسالك، المرجع السابق ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.
(٤) المرجع السابق نفسه ص ٢٨٣.
(٥) المرجع السابق نفسه ص ٢٩٢.
(٦) المرجع السابق نفسه ص ٢١٥.
(٧) مقابلة الشيخ حماد الأنصاري السابقة بتاريخ ١٤١١/٦/٢٣ هـ.

مؤلفات الشيخ بداه

ألف الشيخ بداه بن البصيري في مجالات من العلم متعددة، ولعل مما يصور مكانته العلمية واتجاهه الفكري ذكر مؤلفاته القيمة، التي تلقي الضوء علىٰ تنوع معارفه، وسعة اطلاعه، الشيء الذي مكنه من عرض آراء العلماء علىٰ الكتاب والسنّة، بعيداً عن التقليد، والتعصب المذموم. وفيما يلي عرضاً لهذه المؤلفات:

١ ـ تنبيه الخلف الحاضر علىٰ أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، وهو كتاب قيم في العقيدة نهج فيه نهج السلف، وسوف تأتي نصوص منه في منهج المؤلف العقدي.

٢ ـ الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، وقد ردّ فيه على المتكلمين بما لا مزيد عليه، وسوف تأتي نصوص منه في منهج المؤلف العقدي.

٣ ـ الحجر الأساس لمن أراد شرعة خير الناس، وقد بين فيه تمسكه بالكتاب والسنّة.

٤ ـ أسنىٰ المسالك في أنّ من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك.. وقد بين فيه أنّ تقليد غير المعصوم في كل ما يقول بدون الرجوع إلىٰ الدليل خطأ، وأنّ الدليل الذي يترجح به القول، هو الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس.

٥ ـ القول المفيد في ذم فادح الاتباع وفادح التقليد، وقد دعا فيه إلىٰ عرض آراء الفقهاء علىٰ الكتاب والسنّة، فما كان موافقاً لهما أخذ، وما كان خلاف ذلك ترك.

٦ ـ القول المبين في الرد على من قال بالتزام مذهب معين، وقد ردّ فيه علىٰ القائلين بأنه يجب الالتزام بواحد من المذاهب الأربعة فقط ولا يجوز الجمع بين مذهبين فأكثر.

٧ ـ تنبيه المغتر في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بين فيه وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مستدلاً بالكتاب، والسنة علىٰ ذلك.

٨ ـ الكتائب الشرعية في صد هجوم القوانين الوضعية، وقد دعا فيه إلىٰ تحكيم الشريعة الإسلامية، في كافة مجالات الحياة، وحذر من تحكيم القوانين الوضعية، وبين خطره علىٰ الأمّة الإسلامية، في الدنيا والآخرة.

٩ ـ مبادىء الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.

١٠ ـ تذكرة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ.

١١ ـ تنبيه الجماعة علىٰ أحاديث أشراط الساعة.

١٢ ـ تنبيه الحيارىٰ وتذكرة المهرة في الجمع بين أحاديث الفرار والنهي ولا عدوىٰ ولا طيرة.

١٣ ـ بغية الميمم إلىٰ صوب أحاديث التيمم.

١٤ ـ منظومته [الانتصار للسنة].

١٥ ـ القول السديد في الرد علىٰ أهل التقليد.

١٦ ـ تحفة الكرام في بيان الحلال والحرام.

١٧ ـ حاشية علىٰ مختصر خليل بن إسحاق المالكي.

١٨ ـ منح الجليل في ما عارض المختصر من الدليل.

١٩ ـ إعلام الجماعة بوجوب خبر الإذاعة.

٢٠ ـ الحجج المتكاثرة في صحة السجود في الطائرة.

٢١ ـ تحفة نساء السود والبيض في حكم ما يستعمل لدفع وجلب المحيض.

٢٢ ـ تعجيل المنفعة في جواز نقل الجمعة.

٢٣ ـ تنبيه الأنام علىٰ مشروعية القراءة حال جهر الإمام.

٢٤ ـ رسالة في الرد علىٰ القائلين بإرسال اليدين في الصلاة.

٢٥ ـ رسالة في الأشياء التي أجمع العلماء علىٰ إخراج الزكاة منها.

٢٦ ـ رسالة في الرد على القائلين بالأذان الثالث للجمعة.

٢٧ ـ رسالة في نكاح السر.

٢٨ ـ رسالة في حكم تولي المرأة للقضاء والجهاد وغير ذلك.

٢٩ ـ نيل السول في مبادىء الأصول.

٣٠ ـ إسعاف المهرة في تذييل المطهرة.

٣١ ـ فوائد القسطلاني.

٣٢ ـ حسن التقاضي من والدنا القاضي.

٣٣ ـ تحفة الولدان في سيرة خير بني عدنان.

٣٤ ـ إتحاف ذوي النجابة في مشاجرة الصحابة.

٣٥ ـ الهدية المرضية في الفرق بين الغزوة والبعث والسرية.

٣٦ ـ إسعاف الظرفاء في تاريخ الخلفاء[1].

هذه هي أهم مؤلفات الشيخ بداه بن البصيري، وما يزال أغلبها مخطوطاً إذا لم يطبع منها إلا كتابان هما: تنبيه الخلف الحاضر علىٰ أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء علىٰ الظواهر، وأسنىٰ المسالك في أنّ من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك.

وقد أخبرني الشيخ بداه بن البصيري أنه يستعد لطبع عدد من مؤلفاته في المستقبل القريب إن شاء الله.

(١) راجع عن مؤلفات بداه بن البصيري كتبه التالية: أسنىٰ المسالك، المرجع السابق ص ١ ـ ٢، والحجج المتكاثرة، المرجع السابق ص ٨ ـ ٩، والحجر الأساس، المرجع السابق ص ٤، وكتاب الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط ص ٥٤٩.

المبحث الثاني
نشاط الشيخ بداه

يعتبر الشيخ بداه بن البصيري هو أبرز العلماء السلفيين الموجودين الآن في موريتانيا، ومن أكثرهم نشاطاً في نشر العلم، والدعوة إلىٰ الله عزّ وجلّ.

ويمكن إجمال نشاطه في الأمور التالية:

١ ـ مدرسته.

٢ ـ إمامة الجامع والتدريس والفتيا به.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يلي بيان ذلك بشيء من التفصيل.

أولاً: مدرسته:

بعد أن تضلع الشيخ بداه في العلوم المتداولة في أيام دراسته جلس للتدريس عام ١٩٥٨ م، وتوافد عليه طلاب العلم من جميع أنحاء البلاد الموريتانية، رغبة في الاستفادة من علمه الواسع، وسلوكه الحسن، وقد بذل ما في وسعه من العناية، والنصح لطلابه، وواظب علىٰ تعليمهم وتربيتهم تربية إسلامية علىٰ منهج السلف.

وقد عرف عنه الصبر والحرص علىٰ إفادة طلابه، لا من الناحية العلمية فحسب، بل من الناحية السلوكية والخلقية كذلك.

وما يزال يواصل جهوده في التدريس، والقيام بشؤون هذه المدرسة، علىٰ الرغم من ضعفه وكبر سنه.

وتعتبر مدرسته هي الأصل للحركة العلمية الحديثة التي ظهرت في مدينة نواكشوط في العقدين الماضيين، حيث تخرج منها عدد من العلماء وتفرعت عنها مدارس[1]، كان لها دور بارز في نشر العلم، والدعوة إلىٰ العقيدة السلفية[2].

وقد سألت الشيخ بداه عن المواد التي يدرسها لطلابه فأجاب بقوله: «ليس عندنا منهج محدد علىٰ عادة المحاضر المعروفة، وأهم المواد التي نركز علىٰ تدريسها: مادة العقيدة، والكتب المعتمدة فيها: مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، والدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، وتنبيه الخلف الحاضر علىٰ أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، كلاهما لبداه بن البصيري.

وأما مادة التفسير، فالكتب المعتمدة فيها هي: تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، وتفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، وفتح القدير للشوكاني.

وفي مادة الحديث: موطأ الإمام مالك بشرح الزرقاني، وصحيح البخاري بشرح الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، وصحيح مسلم بشرح الأبي، ونيل الأوطار للشوكاني، وسبل السلام للصنعاني.

وفي مصطلح الحديث: ألفية العراقي، وطلعة الأنوار لسيد عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.

---

(١) سوف نتحدث في الفصل الآتي عن المدارس السلفية التي تفرعت عن مدرسة الشيخ بداه بن البصيري.

(٢) راجع مقدمة كتاب الشيخ بداه بن البصيري: الحجج المتكاثرة، المرجع السابق ص ٧ - ٨.

وفي الفقه: مختصر خليل بن إسحاق المالكي، وشراحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وشراحها، ومختصر الأخضري، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر.

وفي أصول الفقه: الورقات للجويني، وجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.

وفي النحو والصرف والبلاغة: ألفية ابن مالك، وشراحها، والمثلث والمقصور والممدود، كلاهما لابن مالك أيضاً، وألفية السيوطي في البلاغة: عقود الجمان[1].

ثانياً: إمامة الجامع والتدريس والفتيا به:

أسندت إمامة الجامع العتيق بمدينة نواكشوط إلى الشيخ بداه بن البصيري، مع التدريس والفتيا به، حين تأسست العاصمة الموريتانية نواكشوط بعد استقلال البلاد عن فرنسا مباشرة، ومنذ ذلك اليوم دأب الشيخ بداه بن البصيري في خطبه، ودروسه، على بيان الحق ودحض الباطل.

وظلت خطبه ودروسه نبراساً يهتدى به، ومرجعاً لأهل السنة والجماعة في مسائل الدين، فأحياناً يركز على جانب العقيدة، فيبين عقيدة السلف ومنهجهم ويحذر من الشرك، والبدع، وتارة يتجه إلى بيان أحكام فروع الشريعة، ويحث على التمسك بالدليل، ويحذر من التقليد الأعمى، وتارة يتجه إلى الترغيب والترهيب، وأحياناً يركز على الحث على تحكيم الشريعة الإسلامية، والتحذير من تحكيم القوانين الوضعية[2] إلى غير ذلك من

---

(١) مقابلة بداه بن البصيري السابقة، بتاريخ ٥/٧/١٤١٢ هـ.

(٢) تقدم عند ذكر مؤلفات الشيخ بداه بن البصيري أنه ألف كتابه المسمى: الكتائب الشرعية في صد هجوم القوانين الوضعية، وبدأ كلامه فيه بقوله: أما بعد، فقد عم =

الموضوعات المهمة التي يتناولها في خطبه ودروسه ومحاضراته.

أما بالنسبة للفتيا، فمن المعروف أنّ الشيخ بداه هو المفتي العام في بلاده، وفتواه تستند إلىٰ الدليل. قال الله تعالىٰ، وقال رسول الله ﷺ، ومع أنه في الفروع مالكي المذهب، إلا أنه غير جامد، علىٰ تقليد الإمام مالك رحمه الله.. ولا من دونه من فقهاء المذهب، بل إذا وجد الدليل يرجح خلاف ما عليه المذهب أخذ به وترك أقوال أهل المذهب.

فهو مستقل الفكر في العقيدة، وفي الفروع معاً، وهو دائماً في فتواه يعرض آراء العلماء علىٰ الكتاب والسنّة، ويفتي بما يرجحه الدليل دون تعصب لمذهب معين.

والجدير بالذكر أنّ الشيخ بداه بعد قيام المملكة العربية السعودية ببناء جامع الملك فيصل في وسط مدينة نواكشوط، حول إليه من الجامع العتيق وأصبح إماماً ومدرساً ومفتياً به[1].

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعتبر الشيخ بداه بن البصيري داعية مصلحاً نشطاً، وقد اشتهر عنه القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعندما يستلم أي رئيس مقاليد السلطة في موريتانيا يبادر إلى عقد اجتماع معه فيأمره بالخير ويحثه

= البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً الحكم بالقوانين الوضعية، وبعضهم: والعياذ بالله، يسمي الشريعة المحمدية بالدكتاتورية الرجعية، وبعضهم يصفها بغير ذلك من الأوصاف الردية، راجع ص ١ من كتاب بداه بن البصيري: الكتائب الشرعية في صد هجوم القوانين الوضعية، مخطوط شخصي.

(١) لخصت المادة العلمية في هذا الموضوع من مقدمة محمد محمود بن أحمد يور لكتاب بداه بن البصيري: تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، والخليل النحوي: المرجع السابق ص ٥٠٨، ومقابلة الشيخ بداه بن البصيري السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/٥ هـ، ومقابلة الشيخ أحمد بن المرابط السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ.

علىٰ تحكيم الشريعة الإسلامية، ويحذره من تحكيم القوانين الوضعية، ويأخذ موافقته علىٰ أن كلمة الحق علىٰ المنابر تكون الحرية فيها لأئمة المساجد مهما كانت الظروف.

وعلىٰ الرغم من كثرة مشاغله فإنه يجلس مع الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم أمور دينهم، ويرشدهم إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، مع تجنب ما يؤدي إلىٰ جرح المشاعر من دون جدوىٰ.

يقول عن نفسه: «نحن نبين الحق للناس، وندعو إلى التمسك بالكتاب والسنّة، واتباع طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، ونحذر من كل ما يخالف ذلك دون التعريض بطائفة معينة، لأن ذكر طوائف المبتدعة بأسمائها يؤدي إلى جرح مشاعر البعض من دون جدوىٰ»[1].

والواقع أنّ الشيخ بداه بن البصيري ـ حفظه الله ـ جند نفسه في الدعوة إلىٰ هذا المبدأ الإسلامي العظيم في اجتماعاته مع الزعماء السياسيين، وفي خطبه، ودروسه، وجلساته العامة، والخاصة، وفي مؤلفاته أيضاً[2].

---

(١) مقابلة بداه بن البصيري السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/٥ هـ، وكذلك حدثني بهذه المعلومات أحمد بن المرابط في مقابلته السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ وراجع مقدمة محمد محمود بن أحمد يور، لكتاب الشيخ بداه بن البصيري: تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر.

(٢) تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل في ترجمة الشيخ بداه بن البصيري أن من ضمن مؤلفاته كتابه المسمى: تنبيه المغتر في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث

منهج الشيخ بداه في العقيدة

لقد تابع الشيخ محمد بداه بن البصيري رجال خير القرون في العقيدة والمنهج، فقد ظلّ التمسك بالكتاب والسنّة، والاقتداء بالسلف الصالح هو أبرز سماته.

وكتابيه الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، وتنبيه الخلف الحاضر على أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، شاهدان بذلك حيث ردّ في الأول منهما على المتكلمين وفي الثاني بيَّن تمسكه بمنهج السلف، وعقيدتهم.

ومع أنّ هذا مشهور عنه فسوف أسوق في هذا المبحث من كلامه ما يدل على ذلك ويؤكده حيث يقول:

«أعتقد أنّ الله تعالىٰ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ونؤمن بما جاء عن الله علىٰ مراد الله جلّ وعلا، وبما جاء عن نبيه ﷺ علىٰ مراد نبيه، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، ولا تعطيل، تبعاً للصحابة، والتابعين، وغيرهم رضي الله عن الجميع الآخذ عقيدته من الكتاب والسنّة، لأنه لم ينقل عن النبيّ ﷺ ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، من طريق صحيح التصريح بتأويل شيء من ذلك، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله تعالىٰ، نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه،

---

(١) جزء من الآية: ١١ من سورة الشورىٰ.

وينزل عليه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]. ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز»[2].

وقد عرف الشيخ بداه بن البصيري بآرائه القوية، والجريئة في بيان الحقّ ونصرة السنّة، والدفاع عنها.

يقول: إنّ السلامة في اتباع هدي النبي ﷺ وما كان عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة، وأنّ أصول التأويل كلها راجعة إلى الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، وأنّ ما يلزم به المتكلمون أهل السنّة والجماعة في صفات الاستواء، والنزول، واليد، وغيرها، فإنّ أهل السنّة يلزمونهم به في الصفات التي يثبتونها، لأن جميع صفات الباري عزّ وجلّ من باب واحد..

فكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يخشىٰ منه تشبيه، ولا تكييف، ويمر كما جاء مع اعتقاد التنزيه لله عزّ وجلّ عن التشبيه بشيء من مخلوقاته، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] ولأن ما باينت ذاته الذوات باينت بديهة صفاته الصفات[4].

وقد ركز الشيخ بداه في مباحث متعدّدة في مؤلفاته علىٰ أنّ منهج السلف هو إثبات كل ما جاء في الكتاب والسنّة من الصفات، وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، ولا تعطيل[5] مستشهداً علىٰ ما ذكره بكلام العلماء المعترف لهم بالرسوخ في العلم.

ومن ذلك ما نقله عن الأشعري، ونصه: قالت المجسمة له يدان، ورجلان، ووجه، وعينان، وجنب، يذهبون إلىٰ الجوارح، والأعضاء، وقال

---

(١) تقدم تخريج هذه الآية وتفسير ابن عباس لها.

(٢) بداه بن البصيري، تنبيه الخلف الحاضر ص ٢ ـ ٣.

(٣) سورة الشورىٰ: الآية ١١.

(٤) تنبيه الخلف الحاضر، ص ١ ـ ٣، ٥٤، ٩٣، ٩٤.

(٥) المرجع السابق، نفسه، ص ٣.

أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عزّ وجلّ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ فنقول: وجه بلا كيف، ويدان، وعينان بلا كيف[1].

مبيناً أنّ الأشعري رجع عن مذاهب المتكلمين إلىٰ عقيدة أهل الحديث، التي كان عليها الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وهي التمسك بالكتاب والسنّة[2].

ونقل عن ابن عبد البر كلاماً في بيان مذهب السلف في الصفات، ومنه قوله: إنّ أهل السنّة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنّة، ولم يكيفوا شيئاً منها، وأما الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، فقالوا من أقرّ بها فهو مشبه، فسماهم من أقرّ بها معطلة[3].

ونقل عن الذهبي ما نصه: «مقالة السلف، وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون، أنّ الله عزّ وجلّ في السماء، وأنّ الله علىٰ العرش، وأنّ الله فوق سماواته ينزل إلىٰ السماء الدنيا..

وحجتهم علىٰ ذلك النصوص والآثار ومقالة الجهمية، أنّ الله تبارك وتعالىٰ في جميع الأمكنة تعالىٰ الله عن قولهم..»[4].

قلت وقد ساق الشيخ بداه بن البصيري نصوصاً من كتاب العلو للعلي الغفار للذهبي مفادها: أنّ الله عزّ وجلّ مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه[5]، ثم علق عليها بقوله:

---

(١) راجع هذا النص في كتاب الأشعري، مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٠.

(٢) تنبيه الخلف الحاضر، ص ٧.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٥، وتقدم تخريج كلام ابن عبد البر.

(٤) تنبيه الخلف الحاضر، ص ١٥، وراجع النص في كتاب الذهبي، العلو للعلي الغفار ص ١٠٧.

(٥) راجع المصدر السابق ص ١٠٤، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧.

قال جامعها: ومن تأمل كتاب العلو ناقلاً عن الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، وأئمة الإسلام، أكثر وأوضح من هذا علم أنّ لا خير في اتباع الجهميين، ولست بمعترض علىٰ من يؤول بعض التأويل، كتأويل ﴿مَعَكُمْ﴾ و ﴿جَنبِ ٱللَّهِ﴾ مثلاً باللائق في محله، مسالماً لغيره، ولست بمتبعه في رأيه، بل أتبع السلف الصالح في التفويض، لا أهل التأويل، والصرف عن الظاهر[1].

ويتفق رأي الشيخ بداه بن البصيري في مسألة التفويض مع ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث نقل كلامه مسترضياً له قائلاً: واعلم أنّ من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أنّ ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ مجمل، فإنّ قوله ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين، وصفات المحدثين، فلا شك أنّ هذا غير مراد..

ومن قال: إنّ مذهب السلف أنّ هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنىٰ لكن أخطأ بإطلاق القول بأنّ هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع[2].

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: الظاهر غير مراد عندهم أنّ المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة المخلوقين غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف.

فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل علىٰ أنهم كانوا يعتقدون أنّ الله ليس فوق العرش، ولا أنّ الله ليس له سمع، ولا

---

(١) راجع: تنبيه الخلف الحاضر ص ١٧.

(٢) من الكتب التي تناول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الموضوع: الرسالة التدمرية ص ٢٣ ـ ٢٧.

بصر، ولا يد حقيقة[1].

وبعد أن أورد الشيخ بداه بن البصيري نصوصاً كثيرة عن عدد كبير من العلماء كلها تؤكد صحة ما ذهب إليه قال:

«وإنما اقتصرنا علىٰ لفظ من ننقل عنه من العلماء لنبين للناس كلام دواوين أئمة السلف، والخلف، كي يراجعوا رشدهم، ويفهموا أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء علىٰ الظاهر، وأنما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً، وأنّ من فرّ من التشبيه بالتأويل وقع في محذور التعطيل، وهو أشر من محذور التشبيه، لأن المعطل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً فالمعطل في شريته أشر من المشبه في شريته، وقانا الله شرّ التشبيه، والتعطيل، وكل ما يفضي إلىٰ الضلال والتضليل[2].

وقد أوضح الشيخ بداه بن البصيري أنّ الإيمان بالصفات الواردة في الكتاب والسنّة علىٰ الوجه اللائق بجلال الله عزّ وجلّ، وكماله ليس فيه تشبيه، وإنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد، أو سمع كسمع، وأما مجرد الاشتراك في التسمية فليس فيه تشبيه[3].

ويسوق الشيخ بداه الكلام في بيان مذهب السلف والرد علىٰ المتكلمين فيقول إنّ قول الله عزّ وجلّ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، الظاهر فيه أنه تعالىٰ يشير لخلقه، أن لا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره، من جراء أنّ الحادث متصف بالسمع، والبصر، وغيرهما علىٰ حدّ قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.. فإن للخالق صفات، وللمخلوق صفات مشتركة في الأسماء، لكنها في أشد المباينة.

(١) تنبيه الخلف الحاضر ص ٦٤، ٦٥، ٩٧، ٩٨، وراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٠٨/٥ ـ ١٠٩.

(٢) تنبيه الخلف الحاضر ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) تنبيه الخلف الحاضر ص ٥، ٥١، ٥٢، وراجع هذا الموضوع في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي حيث اعتمد الشيخ بداه على النقل منه كثيراً.

ومن المعلوم أنّ النبيّ ﷺ لم يأوّل، ولو كان التأويل هو معنىٰ آيات الصفات وأحاديثها لبادر الرسول ﷺ إليه، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز في حقه..

ومن المعلوم أيضاً ـ يقول الشيخ بداه ـ أنّ العقيدة مكلف كل أحد باعتقادها وبالعمل علىٰ مقتضاها قبل كل عمل، فلا يجوز لأحد أن ينفي عن الله عزّ وجلّ شيئاً مما وصف به نفسه من صفاته الدالة علىٰ باهر الجلال، والكمال، ومن نفىٰ عنه شيئاً منها كان مشبهاً أولاً ومعطلاً ثانياً[1].

ويختم الشيخ بداه كلامه في مبحث الصفات بقوله: قال مقيده عفا الله عنه فما تقدّم من اتفاق السلف الصالح علىٰ الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها علىٰ ظاهرها، ووجوب تنزيه الله تعالىٰ، عن مشابهة الخلق ظاهر ومن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم، ومن المعلوم أنّ ما اتفق عليه السلف الصالح مقدم علىٰ ما ذهب إليه بعض المتأخرين[2].

معتقد الشيخ بداه في كلام الله تعالىٰ:

بين الشيخ بداه معتقده في كلام الله تعالىٰ، وهو معتقد السلف حيث قال: إنّ القرآن كلام الله عزّ وجلّ، منزل غير مخلوق، وبين أنّ السلف منعوا من قول لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لا يتميز، كما منعوا من قول لفظي بالقرآن غير مخلوق، فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلىٰ القول بخلق القرآن، وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه[3].

(١) تنبيه الخلف الحاضر ص ٣٧.
(٢) المرجع السابق نفسه ص ٩٦ ـ ٩٧.
(٣) تنبيه الخلف الحاضر ص ٨٥، ٨٩، ٩٩، وراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣/٤٠١ ـ ٤٠٤، حيث نقل الشيخ بداه كلامه مستشهداً به على صحة ما قرره في مسألة الكلام.

وقد ركز الشيخ بداه في هذا المبحث على مسألة الحرف، والصوت، وأثبت أنّ الله متكلم بحرف وصوت، واستشهد لصحة ما ذهب إليه بجملة من النصوص نقلها عن عدد من العلماء.

ومن ذلك ما نقله عن الحافظ ابن حجر مرتضياً له حيث قال: وأثبت الحنابلة أنّ الله متكلم بحرف وصوت ـ أما الحروف فللتصريح بها في القرآن، وأما الصوت فمن منع قال: إنّ الصوت هو الهواء المنقطع المسموع من الحنجرة.

وأجاب من أثبته بأنّ الصوت الموصوف بذلك هو المعهود من الآدميين، كالسمع والبصر، وصفات الرب بخلاف ذلك، فلا يلزم المحذور المذكور مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه[1].

انتصار الشيخ بداه للسلفيين:

عرف الشيخ بداه بالانتصار للسلفيين، والدفاع عنهم، والمطالع في مؤلفاته يلاحظ ذلك بشكل واضح، ومن الأمثلة علىٰ ذلك، أنه ركز خلال مباحث متفرقة في كتبه علىٰ مسألتين:

* المسألة الأولىٰ: إثبات رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذاهب المتكلمين إلىٰ عقيدة أهل السنّة والجماعة، وصحة نسبة كتاب الإبانة إليه.

* المسألة الثانية: الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ونفي التهم التي وجهها إليه أعداؤه، وسنلقي الضوء علىٰ ذلك فيما يلي:

لقد ذكر الشيخ بداه: أنّ الأشعري ساق عقيدة أهل الحديث وأهل السنّة التي هي: الإيمان بما ورد في الكتاب والسنّة، وإمراره كما جاء من غير تأويل، قائلاً: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول: وإليه نذهب، وما

---

(١) تنبيه الخلف الحاضر ص ١٠٠، وراجع نص كلام الحافظ ابن حجر في كتابه: فتح الباري ١٣/ ٤٦٠.

توفيقنا إلا بالله[1].

وبين أنّ الأشعري أعلن عقيدته التي انتهىٰ إليها فكره في العبارة التالية:

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها هي: التمسك بكتاب الله تعالىٰ، وسنة نبيه محمد ﷺ، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أحمد بن حنبل، نضر الله وجهه ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون: ولمن خالف قوله مجانبون..[2]

وقد أفرد الشيخ بداه مبحثاً خاصاً في كتابه: تنبيه الخلف الحاضر بين فيه صحة نسبة كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، قال فيه: خاتمة في صحة نسبة الإبانة عن أصول الديانة إلى الشيخ الإمام أبي الحسن الأشعري، رداً علىٰ من زعم خلاف ذلك من المنتسبين للأشعري في العقيدة معتقدين، أنهم علىٰ معتقد السلف الصالح، وأنهم أشعريون وهم براء من مذهبه الذي انتهىٰ إليه فكره في آخر حياته الذي صنف فيه كتابه الإبانة، وساق نقولاً كثيرة تؤكد ذلك[3].

أما المسألة الثانية، وهي تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من مزاعم أعدائه فقال الشيخ بداه بعد أن بين مذهب السلف ذاكراً أقوال أئمة السنّة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية:

فمن طعن على شيخ الإسلام في هذا فليطعن على أئمة الإسلام، والسلف الصالح قبله جميعاً، ولا يجعل شيخ الإسلام حائطاً قصيراً يتخطاه

---

(١) تنبيه الخلف الحاضر ص ٦، ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٥٠.

(٢) تنبيه الخلف الحاضر ص ٧، وراجع: الإبانة عن أصول الديانة ص ٥٢، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٤.

(٣) راجع تنبيه الخلف الحاضر ص ٧٨ ـ ٨٤.

القوي والضعيف، جراء إشاعات من أعدائه لا أصل لها، ولا فرع في الحقيقة، فلو كان ما يقول الطاعنون الجاهلون بحياته ومستواه في العلم حقاً لما سمي شيخ الإسلام، من طرف خمسة وثمانين عالماً كما بيناه في ترجمته في القول المفيد في ذم فادح الاتباع وفادح التقليد[1].

وليس من العسير التعليل لتركيز، الشيخ بداه على هاتين المسألتين، فهو عالم سلفي يعيش في وسط بيئة يسود فيها مذهب الأشعري الأوسط، الذي جزم أحمد المقري بأنه هو اعتقاد أهل السنّة، حيث قال في إضاءته:

سميتها إضاءة الدجنة   لكونها اعتقاد أهل السنّة[2]

وليس من شك في أنّ من يحاول إقناع أشاعرة موريتانيا بأنّ الأشعري رجع عن مذهبه الأوسط الذي عليه مؤلفات السنوسي، وأحمد المقري، سوف يلقىٰ تكذيباً وإنكاراً منهم، لذلك ركز الشيخ بداه علىٰ إثبات ذلك بالنقول الصريحة الواضحة، والحجج القوية التي لا يعارضها إلا مكابر.

أما التعليل لتركيز الشيخ بداه على تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من مزاعم أعدائه، فمن المعروف أنّ شيخ الإسلام وقف يدافع عن السنّة بلسانه وقلمه وحاول تنقية الإسلام مما علق به من بدع، وتصدىٰ لمناهضة الآراء التي تخالف الكتاب والسنّة، وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم.. وأدىٰ به ذلك إلىٰ الاصطدام بالطوائف المنتسبة للإسلام، السائدة في عصره من المتكلمين، والمتصوفة، والفقهاء المتعصبين، وغيرهم.

وكانت الغلبة والسطوة حينذاك لتلك الطوائف، فقاموا بإلحاق الأذىٰ به وتشويه دعوته، وتحمل المعاناة في سبيل إحقاق الحق، ودحض الباطل،

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٩٨، وللتوسع في دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية، راجع كتابه: القول المفيد في ذم فادح الأتباع وفادح التقليد ص ٦ ـ ٣٢، مخطوط توجد منه نسخة بمكتبة المؤلف في نواكشوط.

(٢) أحمد المقري: إضاءة الدجنة ص ٧.

وتوالت عليه المحن حتىٰ توفي رحمه الله في سجن قلعة دمشق عام ٧٢٨ هـ علىٰ أيدي الظلمة المنحرفين وأعوانهم من أصحاب الهوىٰ والتعصب، وقاموا بإنزال الأذىٰ بتلاميذه من بعده تارة بالتعزير، وتارة بالحبس، وخاصة حامل اللواء من بعده شمس الدين ابن قيم الجوزية[١].

وكانت هذه المصيبة التي ألمت بأهل السنّة والجماعة فرصة لأرباب الهوىٰ والبدع، حيث وجدوا الجو خالياً فقاموا بتلفيق الاتهامات الكاذبة التي تهدف إلىٰ تشويه شيخ الإسلام ابن تيمية، ودعوته، وروجوا لها، ونشروها في كتبهم[٢].

وقد وجدت هذه الاتهامات المزعومة ـ وللأسف ـ آذاناً صاغية وقبولاً من عدد من علماء الشناقطة[٣] مما أدىٰ بكثير من الناس إلى رفض القراءة والمطالعة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، حتى لا يتأثروا بهذه الكتب التي ما زال بعضهم إلىٰ الآن يصفها بأنها تحمل البدع المضلة..

فقد حدّثني مدير مدرسة الهدىٰ لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة [قرو] الشيخ محمد الأمين[٤] ابن الإمام أنه سمع بعض المنتسبين للعلم يحذر الناس من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: انتبهوا لعقيدتكم فقد رأيت مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية وصل إلىٰ كامور[٥].

---

(١) راجع الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤ ـ ١٤٩٧، دار الكتب العلمية، [د. ت]، والمقريزي: الخطط ٣٥٩/٢، ومحمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٠٠ ـ ٦٤٨، ومصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي ص ١١٥، وما بعدها. ومحمد أحمد الهبراوي، المرجع السابق ص ١٧ ـ ٣٩.

(٢) راجع كتاب السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص ١٦٠ ـ ١٦١، الطبعة عام ١٣٧١ هـ، ورحلة ابن بطوطة ص ٩٠ ـ ٩١، والدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي: مناهج الأشاعرة في العقيدة ص ١٤ ـ ١٥.

(٣) راجع على سبيل المثال كتاب محمد حبيب الله بن مايابي: زاد المسلم ٢١٥/٥.

(٤) ستأتي ترجمته في الفصل الثاني عشر.

(٥) حدثني بذلك في مقابلة أجريتها معه في مدينة [قرو] خلال الرحلة العلمية التي قمت =

لذلك كله قام الشيخ بداه بواجبه في توضيح الحقيقة في هذا الموضوع فبين في مباحث متفرقة من كتبه أنما رمي به شيخ الإسلام ابن تيمية لا يعدو إشاعات من أعدائه لا أصل لها في الحقيقة.

هذا وقد اشتهر الشيخ بداه بنصرة المؤسسات السلفية المعاصرة والقائمين على أمرها، ويدل لهذا أنه لما أسست الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان كثير من أهل بلاده يتهمونها بأنها تروج للبدعة، وتقوم بنشرها، قام بزيارتها، وتعرف على عقيدتها، ومنهجها، واتضح له أنها مؤسسة إسلامية تقوم على الكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح. لذلك مدحها وزكاها، وبين محاسنها في قصيدة طويلة نذكر منها ما يدل لهذا المعنىٰ حيث يقول:

لجامعة الإسلام في القلب موقع	أليس بها نور المدينة يسطع
وقد رامها أبناء بجدتها علىٰ	قيادة بن باز الرفيع المرفع
وقد أحكمت أحكامها ودروسها	وهيئتها الحسنىٰ هنالك تلمع
هداها هدىٰ الله العزيز وهديها	دواماً كما يَهدي الشفيع المشفع
ولا عيب فيها غير أن دروسها	تقدسها غير المذاهب الأربع
عقيدتها بين العقائد درة	فلا كيف لا تعطيل لا شبه تتبَع
تفوض في كيف الصفات وتنتقى	أقاويل تأويل الصفات وتدفع
وهذا هو النهج القويم لأحمد	ونهج الإمام الأشعري المتتبع
أبان لنا ذا في اختلاف إبانة	كتابيه إبداء الإبانة أنفع
وتقديم ذا العلم القديم مقدم	على رأي غير بان فيه التوسع

إلىٰ أن قال:

= بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٦/٧/١٤١٢ هـ، الموافق ٢٢/١/١٩٩٢ م، وكامور: قرية من أعمال ولاية العصابة، وتبعد عن مدينة كيفا عاصمة الولاية نحو ٩٠ كم.

فبورك في أعضائها ودروسها　　　وفي ملكها لهو الشجاع المقنع[1]

موقف الشيخ بداه من علم الكلام

يعتبر الشيخ بداه بن البصيري من أشدّ العلماء السلفيين عداء لعلم الكلام.

والمطالع في مؤلفاته يلاحظ ذلك بشكل واضح، وقد ألف في الرد على المتكلمين كتابه: [الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد]، ونص فيه علىٰ تحريم علم الكلام، وبين بدع طوائف المتكلمين ورد عليها[2] وساق نماذج من ذم علماء السلف لعلم الكلام، وأهله.

ومن ذلك قول الإمام مالك رحمه الله [لا تجوز شهادة أهل البدع، والأهواء.. ويقصد بذلك أهل الكلام علىٰ أي مذهب كانوا، كما بينه أصحابه، وقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: علماء الكلام زنادقة[3].

وقد ركز الشيخ بداه بن البصيري علىٰ أنّ السلامة والنجاة في اتباع ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، مبيناً أنه لن يأتِ آخر هذه الأمة بأفضل مما جاء به أولها، وقال: إنه أحجم عن علم الكلام بعد أن تعاطاه فراراً من الشك إلىٰ اليقين لأن من فرّ إلىٰ هدي النبيّ ﷺ وما كان عليه أهل القرون المحمودة عمل بالاحتياط في الدين، فمتىٰ ثبت النقل عن شيء من أسماء الله وصفاته، وغير ذلك، من أمور الدين قبلناه، واعتقدناه،

---

(١) هذه أبيات من قصيدة طويلة قالها الشيخ بداه بن البصيري بمناسبة زيارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٤ م، بدعوة من الشيخ عبد العزيز بن باز نائب رئيس هذه الجامعة آنذاك، وقد عثرت على نسخة من هذه القصيدة في مكتبة أحمد بن المرابط في مدينة نواكشوط.

(٢) للتوسع في ذلك راجع: كتاب بداه بن البصيري: الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد ص ١ ـ ٤، ٢٨، ٤٧.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٣٩، راجع كلام الإمام مالك في كتاب ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧، وراجع كلام الإمام أحمد بن حنبل في كتاب ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٨٣.

وسكتنا عما عداه، كما هي طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، وما سوىٰ ذلك لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين في تحريمه، وممن ذهب إلىٰ التحريم مالك، والشافعي، وأحمد، وأهل الحديث قاطبة[١].

موقف الشيخ بداه من التصوف:

اعتنق الشيخ بداه بن البصيري التصوف في أيام شبابه، فقد أخذ الطريقة الشاذلية علىٰ الشيخ محمد سالم بن آلما، أثناء دراسته عليه ولكنه ترك التصوف ونبذه وراء ظهره بعد الانقلاب الفكري الذي حصل له، وواظب علىٰ متابعة النبي ﷺ في الأذكار، والأدعية الواردة عنه[٢].

ويلاحظ أنّ الشيخ بداه بن البصيري في دفاعه عن العقيدة السلفية أشد انتقاداً للمتكلمين منه للمتصوفة، على الرغم من أنه لفظ التصوف ونبذه.. وقد سألته عن سبب ذلك فردّ بقوله:

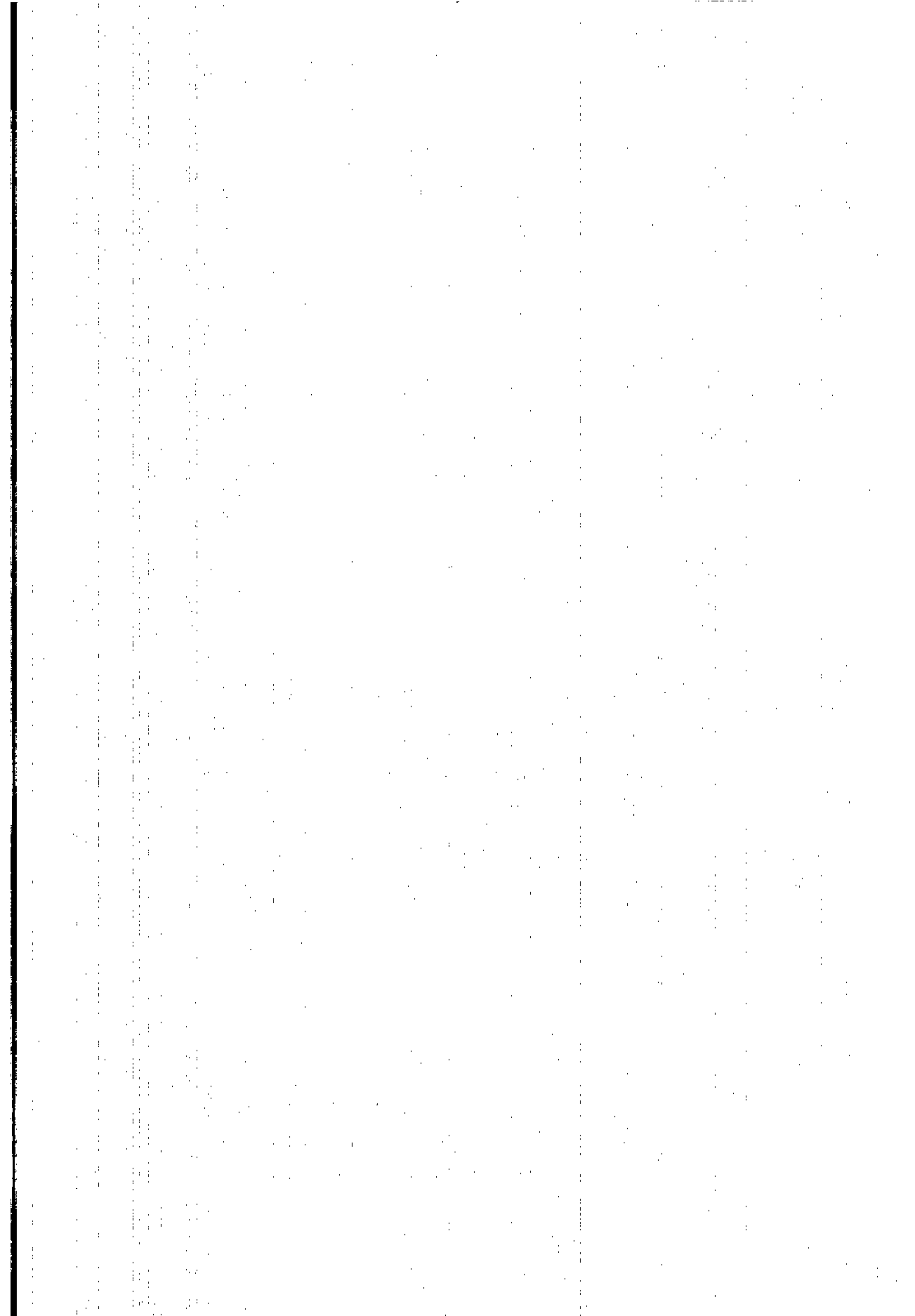
إنّ مصلحة الدعوة السلفية تحتم علينا أن نتحاشا المصادمة مع أصحاب الطرق الصوفية الذين هم أكثرية أهل هذه البلاد، وذلك رغبة في اجتذاب الناس إلىٰ منهج السلف، وعقيدتهم، دون الدخول في مشادات كلامية لا جدوىٰ من ورائها، لذلك فإننا نركز علىٰ بيان المنهج الذي كان عليه الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، ونحذر من كل ما يخالف ذلك دون أن نذكر أسماء الطرق الصوفية أو مشايخها[٣].

---

(١) الدر النضيد ص ١٢، ١٩، ٣٥، ٣٨.

(٢) بداه بن البصيري، الحجر الأساس، المقدمة ص ٣.

(٣) مقابلة بداه بن البصيري السابقة، بتاريخ ١٤١٢/٧/٥ هـ.



الفصل الحادي عشر
المدارس المتفرعة عن مدرسة بداه

وفيه أربعة مباحث:

* المبحث الأول: مدرسة العون للتعاليم الإسلامية.
* المبحث الثاني: معهد الفاروق.
* المبحث الثالث: مدرسة أحمد بن المرابط.
* المبحث الرابع: مدرسة محمد محمود بن أحمد يور.

المبحث الأول

مدرسة العون للتعاليم الإسلامية

تقدم في الفصل السابق أنّ مدرسة الشيخ بداه بن البصيري تفرعت عنها مدارس سلفية، وهذه المدرسة هي أول تلك المدارس نشأة، حيث تأسست على يد مديرها الحالي الشيخ محمد الأمين[1] بن الحسن عام ١٣٩٣ هـ في وسط مدينة نواكشوط، وتقرر أن يكون شعارها قول النبي ﷺ [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين][2].

وقد نص مدير هذه المدرسة على أنها قامت بدور ريادي في تدريس العلوم الشرعية، وتزويد المعاهد والجامعات الإسلامية بالطلاب المؤهلين

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٥٢ م وحفظ القرآن وأخذ فيه سنداً في القراءات السبع، وتلقى مبادىء من علوم الدين واللغة العربية على والده الحسن بن سيد عبد القادر، وتنقل بعد ذلك في طلب العلم بين عدد من مشاهير العلماء في جنوب البلاد وغربها، فدرس العقيدة والفقه وأصوله والسيرة النبوية، والتاريخ، والأنساب، واللغة العربية وعلومها، والمنطق، وفي آخر دراسته لازم الشيخ بداه بن البصيري، فدرس عليه في التفسير، وفي الحديث وعلومه، وراجع عليه الفنون التي درسها قبله، وكان يساعده في التدريس للطلاب، وبعد أن أصبح شخصية علمية مرموقة لها مساهمة في مجال التعليم والدعوة الإسلامية، أسس مدرسة العون للتعاليم الإسلامية.

يقول عنه محمد فاضل بن محمد الأمين: إنه شخصية عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، محمد فاضل بن محمد الأمين: شخصية محمد الأمين بن الحسن، ص ١، وما بعدها، مخطوط عندي صورة منه.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث في الفصل الأول .

تأهيلاً علمياً يمكنهم من مزاحمة العلمانيين في الجامعات، والأماكن الحيوية الأخرىٰ، وتكوين الدعاة القادرين علىٰ ممارسة الدعوة الإسلامية بجدارة[1].

وتمتاز هذه المدرسة عن غيرها من المدارس السلفية في موريتانيا بالتركيز علىٰ إتقان حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع، والتعمق في دراسة أحكام التجويد وتطبيقها، ويتكون منهجها من المواد التالية:

١ ـ القرآن الكريم وعلومه، وتفسيره.

٢ ـ الحديث الشريف وعلومه.

٣ ـ الفقه، وأصوله.

٤ ـ اللغة العربية وعلومها.

٥ ـ السيرة النبوية.

٦ ـ التاريخ، والأنساب.

وفي العقيدة التي هي موضوع دراستنا فإن هذه المدرسة تولي عناية خاصة للعقيدة وتلتزم بالسير على درب السلف الصالح، ولذلك فإنها اختارت أن تقرر علىٰ طلابها حفظ مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، كما عهدت إلىٰ أساتذتها بتدريس العقيدة السلفية في مقدمة كل متن من المتون التي تدرس فيها أثناء تدريسهم لهذه المتون[2].

وقد سألت مدير هذه المدرسة عن المنهج الذي تسير عليه مدرسته فقال: هذه المدرسة تولي عناية خاصة لتعليم الناس العلوم الإسلامية الصحيحة، سواء في العقيدة أو في السلوك، أو في التشريع وتعاليمها قائمة

---

(١) خطاب وجهه محمد الأمين بن الحسن، مؤسس مدرسة العون ومديرها إلى هيئة الإغاثة العالمية بتاريخ ١٠/٢/١٤١٢ هـ وتوجد منه صورة عندي.

(٢) للتوسع فيما يتعلق بمدرسة العون ومقرراتها راجع منهجية الدراسة عن طريق المتون في مدرسة العون ص ١ ـ ٣ منشورات مدرسة العون بتاريخ ١/٥/١٤٠٠ هـ.

علىٰ الكتاب، والسنّة، وهدي السلف الصالح، ونبذ البدع، والخرافات، لا تخوض في علم الكلام، ولا تدخله في المعتقد، لأن مقدمات، ونتائج المناطقة إن أخطأت كان ذلك خطيراً، وعلم الكلام في حد ذاته بدعة، فمن تلقىٰ منه عقيدته فقد أخطأ، وإن وافق الحق في النتيجة.

وليس هناك حاجة للاعتماد علىٰ العقل في معرفة الحقيقة الدينية، فهي موجودة في الكتاب والسنّة.

ولهذا يقول مدير المدرسة: فنحن نرىٰ السلامة في الوقوف عند نصوص الكتاب والسنّة، فنثبت لله أسماءه الحسنىٰ وصفاته العليا، التي وردت في القرآن الكريم، وصحيح السنّة، على الوجه اللائق بالله تعالىٰ، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تأويل، ونقف حيثما وقف السلف الصالح، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم به من رسوله الكريم محمد ﷺ.

وهذه المدرسة كما يقول مديرها، ستظل مصممة العزم ـ إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ الالتزام باتباع الكتاب والسنّة، والابتعاد عن البدع وأهلها، سواء في ذلك المتكلمون أو المتصوفة، ولن يصيد منها ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ أصحاب بدعة، لا متكلمون، ولا متصوفة ولا غيرهم.

وبالنسبة للتشريع، فإننا ـ يقول مدير المدرسة ـ نميل إلىٰ الدليل ونسير معه ونبرأ إلىٰ الله من التعصب الأعمىٰ فلا نقدم قول أحد كائناً من كان على ما جاء في القرآن الكريم، وثبت في السنّة الصحيحة[1].

---

(١) محمد الأمين بن الحسن، مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٦ هـ.

المبحث الثاني
معهد الفاروق

تأسس معهد الفاروق للدراسات الإسلامية في مدينة نواكشوط سنة ١٤٠٠ هـ على يد مديره الحالي الشيخ محمد عبد الرحمن[١] بن محمد محمود، وتقرّر أن يكون شعاره آية من القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[٢].

ويعتبر أهم أهداف هذا المعهد هو الدعوة إلى الله تعالى، بالحكمة والموعظة الحسنة، وتكوين شباب راسخ الإيمان بالله تعالى، محصن ضد

---

(١) ولد سنة ١٩٤٥ م في جنوب موريتانيا، وحفظ القرآن، وأخذ فيه الإجازة في القراءات السبع ودرس العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والسيرة النبوية، واللغة العربية، والنحو، والصرف، على مشاهير علماء بلاده... وبعد أن درس هذه الدراسة انتقل إلى الشيخ محمد بداه بن البصيري في مدينة نواكشوط ولازمه واتجه إلى دراسة الكتاب والسنة، واعتنق العقيدة السلفية، ثم التحق بوزارة التعليم الأساسي والثانوي، وعمل فيها مدرساً للتربية الإسلامية واللغة العربية، وبعد أن أسس معهد الفاروق تفرغ للقيام بمهامه إدارة وتدريساً، وانتسب في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية وحصل منه على الإجازة العالية، (الليسانس شعبة الأساتذة) وهو الآن مدير هذا المعهد، والقائم على جميع شؤونه، وإمام جامع قطر بمدينة نواكشوط».. حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٢٩/٦/١٤١٢ هـ.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

جميع الأمراض العقائدية، يستطيع النهوض بالمجتمع طبقاً لتعاليم الإسلام الصحيحة[1].

وقد اشتهر هذا المعهد بالقيام بالدعوة السلفية وحمل مسؤوليتها وظهر منه ذلك في عدّة مناسبات، وجاء في العرض الموجز عنه بقلم مديره النص علىٰ ذلك حيث يقول:

«. . . إن المعهد يحمل علىٰ عاتقه نشر الإسلام وعقيدته السلفية في ربوع موريتانيا وغيرها، بواسطة طلبته الذين يتخرجون برصيد إسلامي مهم من المعرفة»[2].

ويمتاز معهد الفاروق عن غيره من المعاهد السلفية الأخرىٰ في موريتانيا بانطلاقه من المرحلة الثانوية وشموله المرحلة الجامعية.

ويتكون منهجه من: المواد الشرعية، واللغة العربية، بالإضافة إلىٰ مواد أخرىٰ علمية وثقافية[3].

وقد سألت مدير المعهد عن المنهج الذي يسير عليه معهده في العقيدة والسلوك والتشريع، وعن الكتب المقررة في مادة العقيدة فقال:

«هذا المعهد يتبع في العقيدة طريقة السلف الصالح، فهو يقف عند نصوص الكتاب والسنّة، وما ثبت عن السلف الصالح لا يتجاوز ذلك، ويؤمن بما ورد في القرآن الكريم، وصح في السنّة النبوية المطهرة، من أسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العليا، علىٰ ظاهرها على الوجه اللائق بالله عزّ

(١) أبوه بن سيد الأنصاري، بحث حول معهد الفاروق، ص ٤ ـ ٥، ٧ ـ ١٠، بحث غير منشور، قدم لمعهد تحفيظ القرآن الكريم في نواكشوط، التابع لرابطة العالم الإسلامي، للحصول على الإجازة في القراءات السبع سنة ١٤١٠ هـ.

(٢) محمد عبد الرحمن بن محمد محمود عرض موجز عن معهد الفاروق ص ١ منشورات معهد الفاروق بتاريخ ١٤١٠/٩/٥ هـ.

(٣) للتوسع في منهجه راجع: أبوه بن سيد الأنصاري، المرجع السابق ص ٥ ـ ٦، وإفادة عن معهد الفاروق، ص ١ منشورات المعهد ١٤٠٦ هـ.

وجلّ، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تأويل، وذلك لأننا ـ يقول مدير المعهد ـ نعلم أنّ التمسك بالكتاب والسنّة، والوقوف عند نصوصهما، واقتفاء آثار السلف الصالح، هو الذي يضمن السلامة للمسلم في عقيدته، وفي سلوكه، وفي عبادته.

ولذلك فإنّ المنهج في المعهد يقوم علىٰ العقيدة السلفية الخالية من البدع، ولا يدرس فيه علم الكلام، لأن علم الكلام بدعة في الدين، وفيه تكلف وخطر.

وبالنسبة للسلوك، فإننا نرىٰ ـ يقول مدير المعهد ـ أنّ في الكتاب والسنّة، من السلوك المثالي ما يكفي المسلم عن غيره، وتسمية التصوف لا أصل لها في الإسلام، والمتصوفة بعد الاطلاع علىٰ أحوالهم، والنظر في الجوانب الدينية في حياتهم، ظهر لنا أنّ الصوفية أصبحت مهنة معيشية قائمة علىٰ الدجل وضياع أوقات المسلمين، وبدعة، ووسيلة إلىٰ الضلال، والمعهد لا علاقة له بالتصوف، ولا بغيره من البدع.

وبالنسبة للتشريع فإننا ـ يقول مدير المعهد ـ نسير مع الدليل، ونعمل بمقتضاه أياً كان، وحيث كان القائل به.

أما الكتب المقررة في المعهد في مادة العقيدة فهي: عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، والأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن[1].

---

(١) مقابلة محمد عبد الرحمن بن محمد محمود السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٩ هـ وللتوسع في منهج معهد الفاروق ونشاطه في الدعوة السلفية، راجع: سجل الزيارات والتزكيات في المعهد، ص ١ وما بعدها، وهذا السجل عبارة عن مجلد ضخم خاص بتزكيات الشخصيات العلمية المعتبرة لمعهد الفاروق.

المبحث الثالث
مدرسة أحمد بن المرابط

أسس هذه المدرسة أخص تلاميذ الشيخ بداه، وهو ابن عمه، وزوج ابنته الشيخ أحمد[1] بن المرابط في مدينة نواكشوط عام ١٤٠٣ هـ، وظلّ

---

(١) ولد في الجانب الغربي من موريتانيا عام ١٣٧٠ هـ، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأتقن تجويده، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية على والده، وتنقل في طلب العلم بين عدد من علماء بلاده، ولازم الشيخ بداه، فدرس عليه في التفسير، والحديث، وعلومه، وأجازه في جميع مروياته، ومسموعاته، وهو فقيه، ولغوي، وشاعر، وتشهد بمكانته العلمية ومؤلفاته العديدة المتنوعة، وفيما يلي ذكرها: كتاب تصحيح المعتقدات فيما ورد في القرآن والحديث من الصفات، رسالة في صفة الكلام، رسالة تبصرة الناظرين في افتراق الأمة على ثلاث وسبعين، منظومة في مذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة، منظومة سماها إماطة الأستار عما جرى في رؤية المختار، منظومة سماها: تنبيه الغبي على حقيقة الولي، هذا في العقيدة، وأما مصطلح الحديث فله منظومة سماها نشأة علم مصطلح الحديث وتطوره، ومنظومة في المرجحات عند ظهور التعارض بين الأحاديث، وتعليق على ألفية العراقي، لم يكمل، وفي الفقه منظومة على مختصر خليل بن إسحاق، ومنظومة في الحج وزكاة العين، ورسالة في معاملة المشركين، ورسالة في الطلاق، ورسالة في علم الفرائض ومنظومة في أحكام الأضحية، ورسالة في الشركات، ورسالة في الشهادات، ورسالة في أحكام الرضاع، وشرح على مختصر خليل لم يكمل، وفي أصول الفقه: ألفية في أصول الفقه، وفي اللغة العربية منظومة في النحو والصرف، وألفية في البلاغة، وكل هذه المؤلفات ما تزال مخطوطة وبعضها تحت الطبع الآن.. وللشيخ أحمد بن المرابط بالإضافة إلى نشاطه الكبير في التأليف والتدريس نشاط آخر كبير في الدعوة الإسلامية، فهو يقوم دائما بإلقاء المحاضرات والدروس في عدد من المساجد في مدينة نواكشوط، وكذلك في مركز الدعوة والإرشاد التابع للرئاسة العامة لإدارات البحوث =

يزاول فيها التدريس بنفسه متفرغاً لها، إلىٰ سنة ١٤٠٩ هـ حيث أضاف إلىٰ ذلك مهمة التدريس في معهد العلوم الإسلامية والعربية في نواكشوط، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد سألت الشيخ أحمد بن المرابط عن المواد التي يدرسها لطلابه في مدرسته فقال: إنّ هذه المدرسة لا تختلف كثيراً عن مدرسة شيخنا محمد بداه ابن البصيري، فهي فرع عنها، والمواد التي تدرس فيها بكثافة منها: مادة العقيدة، والكتب التي تدرس فيها: رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، الحموية الكبرىٰ، والرسالة التدمرية، والعقيدة الواسطية، والعقيدة الطحاوية، وشرحها لابن أبي العزّ الحنفي، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحه المسمىٰ: قرة عيون الموحدين، وكتاب الشيخ صالح بن اعثيمين، الفوائد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، وكتاب الشيخ عبد العزيز بن باز عقيدة أهل السنّة والجماعة، وكتاب الشيخ بداه بن البصيري: تنبيه الخلف الحاضر علىٰ أنّ تفويض السلف لا ينافي الإجراء علىٰ الظواهر، وكتابه الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، ومؤلفاتنا الثلاثة ـ يقول الشيخ أحمد بن المرابط ـ وهي: كتاب تصحيح المعتقدات فيما ورد في القرآن والحديث من الصفات، ورسالة تبصرة الناظرين في افتراق الأمّة إلىٰ ثلاث وسبعين، ورسالة صفة الكلام.

أما مادة التفسير فالكتب التي نركز علىٰ تدريسها هي: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني.

وفي مادة الحديث: صحيحي البخاري، ومسلم، وكتب السنن الأربعة، ونيل الأوطار للشوكاني، وسبل السلام للصنعاني.

وفي مصطلح الحديث، البيقونية، وألفية العراقي.

= العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، حصلت على هذه المعلومات في مقابلة الشيخ أحمد بن المرابط السابقة الذكر، بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ.

وفي الفقه: مختصر خليل وشراحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشراحها.

وفي أصول الفقه: ورقات الجويني، وجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي.

وفي البلاغة: ألفية السيوطي، عقود الجمان.

وفي النحو والصرف: الآجرومية، وملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك وشراحها، ولامية الأفعال.

هذه هي أهم الكتب التي يتمّ التركيز عليها، وقد يدرس غيرها[1]، لأن هذه المدرسة ما زالت علىٰ طريقة المحاضر القديمة في عدم وضع منهج دراسي مقنن[2].

والشيخ أحمد بن المرابط هو الذي يدرس لطلابه هذه المواد جميعاً وهو دائماً في أثناء تدريسه يوجه طلابه إلىٰ تعلم الكتاب والسنة، والتمسك بهما في أصول الدين، وفروعه، وله في هذا المعنىٰ منظومات متعددة منها قوله:

يا طالباً للعلم بجهد فيه	أرجو التوجه منك بالتوجيه
اقرأ كلا الأصلين بل بهما اعتصم	وبكل قول للصحاب وجيه
واسمع مقالة ناصح ولها استجب	من يستجب لنصحه ينجيه
العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا نفي الصفات وجحدها	حذراً من التعطيل والتشبيه[3]

---

(١) يشترط ألا يكون ذلك مخالفاً لمنهج أهل السنّة والجماعة، حسبما قال لي الشيخ أحمد بن المرابط مؤسس المدرسة.

(٢) مقابلة الشيخ أحمد بن المرابط السابقة، بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ.

(٣) مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد بن المرابط في مكة المكرمة، وهي عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٣/١/٤ هـ.

منهج هذه المدرسة في العقيدة:

هذه المدرسة تسير وفق معتقد السلف ومنهجهم، وقد تقدم قبل قليل ذكر الكتب التي تدرسها، في مادة العقيدة وهي تلقي الضوء علىٰ نهجها السلفي، وقصيدة مؤسس هذه المدرسة الشيخ أحمد بن المرابط التي حررها علىٰ منهج السلف ومعتقدهم، شاهدة بذلك حيث يقول:

أيا من لتصحيح العقيدة يطلب ... وقد كان ذو الإسلام في ذاك يرغب
تنبه وألق السمع منك لنبذة ... يطيب لنا من فيضها العذب مشرب
تمذهبت فيها مذهب السلف الرضا ... فهل بسواه مؤمن يتمذهب؟
لقد جاء في الأصلين وصف إلهنا ... صفات كمال كيفها متغيب
ولكن معناه جلي وواضح ... به اللغة الفصحى تنادي وتعرب
ومعتقد الأسلاف فيهن ينبني ... على أسس من محكم الذكر تجلب
هي النفي للتشبيه تصديق ربنا ... ونفي احتياط العلم بالله مطلب
فمعنىٰ صفات الله يعلم فاعلموا ... وتفويضنا في الكيف أولى وأوجب
فلا تحكموا بالشبه بل لا تعطلوا ... وللصرف عن تلك الظواهر جنبوا
فذلك تأويل وفيه تكلف ... وبعد عن التحقيق إن كان يطلب
نعم قد أتىٰ عن زمرة أشعرية ... ولكن رجوع الأشعري عنه أصوب
فشدوا علىٰ التحقيق والحق أيدياً ... فليس علىٰ من عانق الحق معتب
وإني ولو عن ذي العقيدة أعرضوا ... وقالوا لي التأويل للرشد أقرب
أقررها تقرير معتقد لها ... وأشدو إذا ما عاتب لي يعتب
ومالي إلا آل أحمد شيعة ... ومالي إلا مذهب الحق مذهب[1]

* * *

(١) حصلت على هذه القصيدة في مكتبة قائلها: الشيخ أحمد بن المرابط بخطه، وذلك خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا.

المبحث الرابع
مدرسة محمد محمود بن أحمد يور

أسس هذه المدرسة شيخها الحالي، محمد محمود[1] بن أحمد يور عام ١٤٠٧ هـ وجعل مقرها جامع الملك فيصل في وسط مدينة نواكشوط، ويجري التعليم فيها على طريقة المحاضر القديمة، وتولي عناية خاصة لحفظ القرآن وتجويده، وتفسيره، ودراسة الحديث، وعلومه.

وقد سألت الشيخ محمد محمود ـ مؤسس هذه المدرسة ـ عن المواد التي يدرسها لطلابه، وعن الكتب التي تدرس في مدرسته فقال:

نحن نركز على حفظ القرآن الكريم، وإتقان رسمه، وضبطه،

---

(١) ولد في بادية بتلميت، وحفظ القرآن الكريم وتنقل بين عدد من مشاهير علماء بلاده، فأتقن حفظ القرآن ورسمه وضبطه وتجويده، وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، وتابع دراسته فدرس العقيدة، والفقه المالكي، والنحو، والصرف، واللغة العربية، والسيرة، والأنساب، ثم اتجه إلى دراسة الحديث وعلومه، فرحل إلى الفقيه المحدث محمد بن أبي مدين ودرس عليه مصطلح الحديث، ثم رحل إلى الشيخ محمد بداه بن البصيري، فدرس عليه القرآن وعلومه، وتفسيره، والحديث وعلومه، وأخذ عليه سنداً في القراءات السبع، وأجازه في جميع العلوم التي درسها عليه، عمل مدرساً في وزارة التعليم الأساسي والثانوي في موريتانيا، وانتسب في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية وحصل منه على الإجازة العالية (الليسانس) شعبة الفقه والأصول، وهو الآن يقوم على شؤون مدرسته، وأمين مكتبة مركز الدعوة والإرشاد السعودي في نواكشوط، ونائب إمام جامع الملك فيصل، حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة في المقابلة السابقة الذكر بتاريخ ٨/ ٧/ ١٤١٢ هـ.

وتجويده، بقراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، وقراءة الإمام عاصم بروايتي حفص وشعبة.

وفي العقيدة ندرس مقدمة ابن أبي زيد القيرواني، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بشرح محمد خليل هراس، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، مع التركيز أثناء تدريس مادتي التفسير والحديث على الآيات والأحاديث المتعلقة بالعقيدة، وبيان منهج السلف فيها، والرد على المخالفين لهم من الفرق الأخرى، وفي التفسير نبدأ تفسير القرآن الكريم من أوله حتى نختمه، ثم نعود إلى أوله وهلم جراً..

والكتب المعتمدة في هذه المادة: تفسير ابن كثير، وفتح القدير للشوكاني وفي مادة الحديث: صحيحي البخاري، ومسلم، وكتب السنن الأربعة، والأربعين النووية بشرح ابن دقيق العيد، وبلوغ المرام وشرحه، سبل السلام للصنعاني.

وفي مصطلح الحديث: البيقونية، وطلعة الأنوار لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وألفية العراقي بشرح العراقي لها.

وفي الفقه: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومنظومة ابن عاشر، ومختصر خليل بن إسحاق وشراحه.

وفي أصول الفقه: ورقات الجويني، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم وشروحه.

وأما علوم الآلة فلا يختلف المنهج عن منهج المحاضر المعروف[1].

أما منهج هذه المدرسة في العقيدة فهو سلفي، والذي نراه ـ يقول الشيخ محمد محمود ـ أنّ مفهوم السلفية هو اتباع الكتاب والسنّة وما كان عليه أهل القرون الثلاثة الأولى، وهذا هو الذي تأسست عليه هذه المدرسة، وتسير عليه.

---

(١) عن منهج المحاضر في علوم الآلة، راجع ص ١١٢ ـ ١١٣. من هذا الكتاب.

ومن الأمثلة على ذلك رفضها للتأويل في آيات الصفات وأحاديثها، واتباعها لما قاله السلف: «أمروها كما جاءت»، وما قاله الإمام مالك عندما سئل عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ حيث وقف عند النص ولم يؤول وأجاب بقوله:

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»: .

فهذه المدرسة تقف عندما وقف السلف لا تتجاوزه، وتؤمن بجميع الصفات التي وردت في القرآن الكريم، وصحيح السنّة النبوية المطهرة على الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ، من غير تشبيه ولا تكييف، ومن غير تأويل ولا تحريف، ولا تدخل المنطق، وعلم الكلام في المعتقد، لأن في الكتاب والسنّة وعمل السلف ما يغني عن ذلك.

أما التصوف ـ يقول الشيخ محمد محمود ـ: فإذا كان معناه: الإيمان بجميع شعبه، والاستقامة، والإنابة، والخشية، فهذه أمور رغب فيها الكتاب والسنّة، فنعمل بهما وندع هذه التسمية المبتدعة التي لم تكن موجودة في عهد الصحابة رضي الله عنهم ـ ونستخدم ألفاظ الكتاب والسنّة، كما فعل السلف الصالح رضي الله عنهم.

أما إذا كان بمعناه المنحرف الخارج عما درج عليه السلف والذي انتشر في طوائف كثيرة محسوبة على الإسلام، وأدخلت فيه أشياء كثيرة لا تقبلها الشريعة الإسلامية، حتى إنهم قسموا الشريعة إلى ظاهر لأناس وباطن لآخرين، فهذا الضلال البعيد، وأمره واضح لا يحتاج إلى بيان[1].

هذه هي المدارس التي تفرعت عن مدرسة الشيخ بداه، وهناك مدارس أخرى سلفية قائمة الآن في موريتانيا سنعرض لها في الفصل الآتي:

* * *

(١) محمد محمود بن أحمد يور، المقابلة السابقة في نواكشوط ١٤١٢/٧/٨ هـ.

الفصل الثاني عشر
مؤسسات سلفية ذات طابع مختلف

وفيه تمهيد وثمانية مباحث:

التمهيد: لمحة عن أسباب كثرة المعاهد والمدارس السلفية في موريتانيا المعاصرة.

المبحث الأول: مدرسة الفلاح.

المبحث الثاني: جمعية الدعوة السنية السلفية.

المبحث الثالث: معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا.

البمحث الرابع: مركز الدعوة السعودي في موريتانيا.

المبحث الخامس: المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

المبحث السادس: معهد ابن عباس.

المبحث السابع: مدرسة الهدىٰ لتحفيظ القرآن الكريم.

المبحث الثامن: المعهد الإسلامي السلفي في كيفا.

التمهيد

لمحة عن أسباب كثرة المعاهد والمدارس السلفية في موريتانيا المعاصرة

ازدهرت المحاضر الموريتانية بعد نهاية حرب [شربية] كما سبق ذكره[1]، ولكن العقيدة الأشعري ظلت هي السائدة في هذه المؤسسات التعليمية، وانحصر وجود العقيدة السلفية في أفراد من العلماء، وفي النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، بدأ هذا الوضع يتغير شيئاً فشيئاً، وذلك بسبب ازدياد الاتصال بين الموريتانيين، وعدد من الدول الإسلامية، ومؤسساتها التعليمية، وخاصة المملكة العربية السعودية، التي فسحت المجال للطلاب الموريتانيين في جامعاتها ومعاهدها[2].

وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب بعد نهاية تكوينهم العلمي إلى بلادهم، وهم يحملون العقيدة السلفية، ويدعون إليها، ويدافعون عنها، وقاموا بمجهودات كبيرة في سبيل نشرها، وخدمتها، كل حسب طبيعة عمله.

وأسس البعض منهم معاهد ومدارس سلفية إما بمفرده وإما بالتعاون مع الحكومة الموريتانية أو مع غيرها من الجهات الأخرىٰ كما أنّ المملكة العربية السعودية أيضاً قامت بفتح معهد العلوم الإسلامية والعربية، ومركز

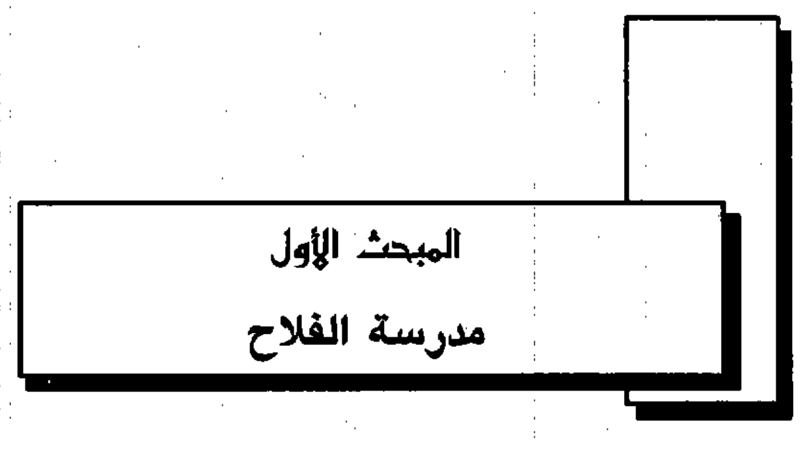
---

(١) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٢) راجع كتاب محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، ص ٥٩ ـ ٦٠.

الدعوة في مدينة نواكشوط عام ١٣٩٩ هـ كما سنرى في أثناء الكلام على هذه المؤسسات السلفية التي سنتعرض لها في هذا الفصل، ونعطي نبذة عن كل واحدة منها في مبحث خاص بها.

* * *



المبحث الأول
مدرسة الفلاح

هذه هي أقدم مدرسة سلفية نظامية في موريتانيا، ويوجد الآن مركزها الأساسي وإدارتها العامة في مدينة نواكشوط، وقد تأسست عام ١٣٦٠ هـ في قرية جول(١)، على يد الحاج محمود باه(٢) وذلك بعد رحلة قام بها إلى مكة المكرمة، أدىٰ فيها مناسك الحج وجلس اثنتي عشرة سنة في طلب العلم وتحصيله بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومنذ أن تأسست هذه المدرسة وهي تقوم بجهود في نشر العقيدة السلفية، من الكتاب، والسنّة في موريتانيا وفي غيرها من الدول الإفريقية، رغم ضعف وسائلها وإمكانياتها

(١) هي قرية صغيرة في جنوب موريتانيا تابعة لمديرية الولاية الرابعة، وتقع على بعد ٨ كيلومتر من مدينة كيهيدي عاصمة الولاية.

(٢) الحاج محمد محمود ياه داعية سلفي نشط، اشتهر بمحاربة البدعة وأهلها، ويعتبر من كبار المؤسسين للحركات الثقافية الإسلامية في غرب إفريقيا، ولد عام ١٩٠٨ م، في قرية جول، وهو من أسرة فلانية محافظة معروفة بالالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد حفظ القرآن في صغره، وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، في محاضر بلاده، ثم سافر إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، وعاد إلى بلاده إبان الحرب العالمية الثانية، وأسس مدرسة الفلاح، (ت ١٩٧٨ م).

راجع دليل المدرسة الفلاحية في الجمهورية الإسلامية الموريتانية بقلم مديرها محمد غالي بن الحاج محمود باه، ص ١ مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط عام ١٤٠٨ هـ، وراجع أيضاً بحثاً أعده موسى الحسن دنب عن والده بعنوان: ترجمة الوالد الحسن دنب صو ص: ١ ـ ٣، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط [د. ت].

المحدودة، وظلت تستقبل على مدى أعوام كثيرة آلافاً من الطلاب في موريتانيا وغيرها.

وقد أصبحت لهذه المدرسة فروع متعدّدة في داخل موريتانيا وفي دول إفريقية أخرى، وأثرت في كثير من المناطق، ولا سيما في جنوب موريتانيا، ويلتحق بهذه المدرسة وبفروعها في داخل موريتانيا وخارجها خمسة آلاف تلميذ في كل سنة، وتقتصر الدراسة فيها على مرحلتين: الابتدائية والمتوسطة، وبعد هاتين المرحلتين تسعى لصفوة تلاميذها على منح لمتابعة الدراسة في جهات أخرى[1].

يقول مدير هذه المدرسة[2] ـ في حديثه عن نشاط مدرسته في الدعوة السلفية، منذ أن أسس الوالد ـ رحمه الله ـ هذه المدرسة قام بنشر العقيدة السلفية الخالية من البدع والشوائب، وحارب البدعة وأهلها، وأسلم على يديه عشرات الآلاف في غرب إفريقيا، وقد ظلت هذه المدرسة ـ والحمد لله ـ سلفية متمسكة بالكتاب والسنّة في العقيدة والتشريع والسلوك.

(١) راجع الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٤٥٢.

(٢) هو محمد غالي بن الحاج محمود باه، ولد بقرية جول سنة ١٩٤٩ م وحفظ القرآن، ودرس العلوم الشرعية، والعربية في مدرسة والده، وبعد حصول موريتانيا على استقلالها عن فرنسا سافر في أول بعثة طلابية توجهت إلى جمهورية مصر العربية، للدراسة في الأزهر سنة ١٩٦٤ م، فحصل على الثانوية ودخل في كلية الزراعة، وتخرج منها مهندساً زراعياً، وبعد عودته لبلاده عين مديراً للزراعة في ولايتي البراكنة وتكانت، وفي سنة ١٩٧٥ م طلب والده من الحكومة أن تفرغه له من العمل الإداري لمساعدته في شؤون المدرسة والدعوة الإسلامية، فوافقت الحكومة على ذلك، وبعد وفاة والده سنة ١٩٧٨ م، وقع اختيار من لهم مشاركة في مدرسة الفلاح في موريتانيا وخارجها على تنصيبه في محل والده، فوافق على ذلك والشيخ محمد غالي هو المدير العام لهذه المدرسة وفروعها. حصلت على هذه المعلومات في مقابلة مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٦ هـ الموافق ١٩٩٢/١/٢ م، وراجع الخليل النحوي المرجع السابق، ص ٤٥٢، ودليل المدرسة الفلاحية، المرجع السابق ص ٦.

ففي مبحث الأسماء والصفات مثلاً تثبت لله أسماءه الحسنىٰ، وصفاته العليا، لا تفرق بين صفة وأخرىٰ، وتؤمن بآيات الصفات وأحاديثها، وتمرها كما جاءت، علىٰ الوجه اللائق، بجلال الله وكماله، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تدخل المنطق وعلم الكلام في المعتقد، وتبرأ إلىٰ الله من التعصب الأعمىٰ، فلا تقدم قول أحد كائناً من كان على ما جاء في القرآن الكريم، وصح في السنّة النبوية المطهرة.

أما التصوف، فنحن نرى ـ يقول مدير هذه المدرسة ـ أنه بدعة، وعامل أساسي من عوامل الضعف والانحطاط في الأمّة الإسلامية، ونبرأ إلىٰ الله من كل بدعة في الدين، سواء كانت صوفية أو غيرها[1].

وقد اشتهر عن هذه المدرسة وعن مؤسسها الحاج محمود باه ـ رحمه الله ـ حب الاتباع وكراهية الابتداع ومحاربته، وقد وقف مشايخ الصوفية ضده وضد مدرسته منذ عودته من المملكة العربية السعودية، بعد نهاية طلبه للعلم فيها، وتأسيسه لمدرسته في مسقط رأسه، ودعوته إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، ونبذ كل ما يخالفهما.

فوقف مشايخ الطرق الصوفية من هذه الدعوة موقف العداء وحاربوا صاحبها وحاولوا تشويهه وتشويه دعوته، بشن حملات معادية، واتهموه بما يسمونه [الوهابية] التي أسيء فهمها يومئذٍ في تلك البلاد[2].

أما عن مقرر هذه المدرسة في العقيدة فقد سألت مديرها الشيخ محمد غالي فقال: دعني أولاً لأشكر الله تعالىٰ علىٰ أن وفقنا لاتباع منهج السلف الصالح المنجي عند الله عزّ وجلّ يوم الجزاء، وبعد ذلك ينبغي أن

---

(١) مقابلة محمد غالي بن محمود باه السابقة، بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٦ هـ الموافق ١٩٩٢/١/٢ م.

(٢) راجع دليل المدرسة الفلاحية المرجع السابق ص ٢.

أنوّه هنا ـ يقول الشيخ محمد غالي ـ بمؤسسات وجدنا منها مؤازرة وتعاوناً في وضع البرامج، والمساعدة بالمقررات الدراسية، والمصادر، والمراجع السلفية، وأذكر منها على سبيل المثال الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض.

أما الكتب المقررة عندنا في مادة العقيدة فهي كما يلي:

مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكتاب مقرر التوحيد والفقه، وهو كتاب مدرسي[1].

---

(١) مقابلة محمد غالي بن الحاج محمود باه، السابقة في نواكشوط بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٦ هـ الموافق ١٩٩٢/١/٢ م. وللتوسع فيما يتعلق بنظام هذه المدرسة وميزانيتها والمنح التي حصلت عليها من الدول الإسلامية، راجع دليل المدرسة الفلاحية، المرجع السابق ص ٢ ـ ٥.

المبحث الثاني
جمعية الدعوة السنية السلفية
لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي

أسس هذه المدرسة مديرها الحالي الشيخ الحسن(1) دنب في مدينة نواكشوط عام ١٣٩٠ هـ وجعل شعارها آية من القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾(2).

وقد أنشئت هذه المدرسة من أجل تعليم الدين الإسلامي ولغة القرآن

---

(1) ولد الحسن دنب صو الفلاني في الجنوب الغربي من موريتانيا عام ١٩٣٤ م وهو من عائلة محافظة مشهورة بالاستقامة والتمسك بتعاليم الإسلام، وكان والده دنب صوهو أمير قبيلته، وهو أيضاً من أبرز زعماء المنطقة، وتجارها في زمنه، وقد درس الشيخ الحسن دنب القرآن الكريم في صغره ثم التحق بمدرسة الحاج محمود باه وحصل منها على الشهادة المتوسطة، وابتعثته المدرسة مع عدد من زملائه إلى الجامع الأزهر لمتابعة الدراسة فيه، وبعد أن درسوا به مدة من الزمن أجبرتهم السلطات الفرنسية على مغادرة جمهورية مصر والعودة إلى بلادهم قبل إكمال دراستهم، ووصلوا إلى مدينة دكار بالسنغال في آخر عام ١٩٥٤ م، وقام الحسن دنب على الفور بتأسيس مدرسة إسلامية في دكار وقد تطورت هذه المدرسة وأصبحت معهداً إسلامياً مرموقاً يشرف عليه أساتذة تخرجوا منه وأكملوا دراستهم في الجامع الأزهر، أما الشيخ الحسن دنب فقد عاد إلى بلاده موريتانيا وعمل فيها مدرساً بوزارة التعليم الأساسي والثانوي، فترة من الزمن، ثم أسس جمعية الدعوة السنية السلفية، وهو الآن رئيس هذه الجمعية، راجع موسى الحسن دنب، المصدر السابق، ص ١ ـ ٣.

(2) الحسن دنب، كتاب جمعية الدعوة السنية السلفية ص ٣، طبعة نواكشوط [د. ت] والآية من سورة النحل رقم: ١٢٥.

الكريم، ومحاربة دعاة الكفر والضلال من النصارىٰ والشيوعيين والعلمانيين، والقوميين، وأصحاب الهوىٰ والمبتدعة[1].

وقد بدأت جمعية الدعوة السنية السلفية نشاطها في التعليم والدعوة علناً بعد الاعتراف بها من طرف وزارتي العدل والداخلية بموجب القرار رقم ٢٦٧ الصادر بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٤ م. وركزت أكثر جهودها علىٰ المناطق الجنوبية من البلاد حيث أنّ غالبية سكانها من غير الناطقين باللغة العربية، وحيث يتسابق إليها دعاة التنصير وأصحاب المذاهب الفكرية المعادية للإسلام، وخاصة دعاة الشيوعية، والقومية، الذين يستغلون فارق اللغة، واللون بين شمال البلاد وجنوبها[2].

وقد نشطت الجمعية في مقاومة هذه الدعوات المضللة، وفي هذا الصدد فقد شكلت لجنة للتوعية، وتحصين المسلمين ضد خطر دعاة الشر، كما أنّ أساتذة الجمعية قاموا بإلقاء عدد من المحاضرات والدروس في عدد من المناطق، ولا سيما في الجنوب، ومن ناحية أخرىٰ فقد أعدت الجمعية برنامجاً خاصاً لتعليم النساء حيث يذهب إليهنّ أفراد من علماء الجمعية ليعلموهن أمور دينهن في الأماكن المخصصة لهن.

كما أنّ الجمعية شكلت لجنة من النساء تتولىٰ مهمة الدعوة في النساء، وإخضاع حركاتهن وسكناتهن لما يوافق الشريعة الإسلامية[3].

وقد نجحت الجمعية في هذه الجهود نجاحاً طيباً في عدد من المناطق، ولا سيما في الجنوب الموريتاني، الذي هو الموطن الأصلي للشيخ حسن دنب رئيس الجمعية، حيث أصبح سكان تلك المنطقة متمسكين بالإسلام علىٰ نهج أهل السنّة والجماعة[4].

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٥.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤، ٧.

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٩ ـ ١١.

(٤) موسى الحسن دنب، المصدر السابق ص ٣.

أهداف هذه المدرسة ومنهجها السلفي:

لقد ورد ضمن أهداف هذه المدرسة التي تسعىٰ إلى تحقيقها ما يلي:

١ ـ الدعوة إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، واتباع نهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢ ـ محاربة التنصير ودعاته المتمثلين في البعثات الغربية التي تسعىٰ إلىٰ تنصير شعوب المنطقة.

٣ ـ محاربة البدع والتقاليد الفاسدة.

٤ ـ محاربة المذاهب الفكرية المعادية للإسلام مثل الشيوعية، والعلمانية، والماسونية، والقومية، وغير ذلك من التيارات الهدامة.

٥ ـ تحرير عقول المسلمين من الجمود الفكري الذي رانَ على قلوبهم خلال فترات الضعف التي مرت بها البلاد.

٦ ـ غسل العقول المشحونة برواسب الفكر العلماني الذي يحصر الإسلام في المسجد..

٧ ـ العمل علىٰ تربية الشباب تربية إسلامية سليمة لبناء مجتمع إسلامي متكامل محصن ضد البدع والتيارات المعادية للإسلام.(١)

أما منهج هذه المدرسة فهو يقوم علىٰ التمسك بالكتاب والسنّة وإتباع طريقة السلف الصالح في فهم الإسلام وتطبيقه، ومحاربة كل بدعة وضلالة. يقول مؤسس هذه المدرسة ومديرها: إنّ أعضاء هذه الجمعية دعاة محبة وتسامح وتعاون أخوي، دعاة إلىٰ العمل بالكتاب والسنّة، واتباع نهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

لا يصرفهم عن ذلك رغبة ولا رهبة، مع محاربة المبتدعين وأصحاب

---

(١) الحسن دنب، ضو المصدر السابق ص ٦ ـ ٧.

الهوىٰ الذين اتخذوا الدين سلعة وتجارة يتصرفون بها طبقاً لمصالحهم الخاصة[1].

إنّ الرجوع إلىٰ العمل بالكتاب والسنّة وما كان عليه السلف الصالح هو خير منقذ للمسلمين مما وقع فيه كثير منهم من المعتقدات الفاسدة، لذلك فإنّ هذه المدرسة قد بينت مراراً لأصحاب الهوىٰ، والبدع، أنه لن يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أولها[2].

وقد التقيت بمدير هذه المدرسة وسألته عن منهجها العقدي، وعن الكتب المقررة في مادة العقيدة فقال:

«إنّ جمعية الدعوة السنية السلفية تستمد عقيدتها من الكتاب والسنّة، علىٰ منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، لا تخوض في علم الكلام، ولا تدخله في المعتقد، لأن ذلك بدعة في الدين.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ـ يقول الحسن دنب ـ إنّ المنهج عندنا قائم علىٰ مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر نصوص الكتاب والسنّة، والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا تعطيل، مع تنزيه الله تعالىٰ وذاته العلية عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوقين.

أما التصوف، يقول حسن دنب ـ فإنّ القائمين علىٰ أمر جمعية السنة السلفية يرون أنه بدعة أضرت بالمسلمين، وانحرفت بكثير منهم عن النهج الإسلامي القويم، وفرقتهم شيعاً وأحزاباً، خاصة بعد أن ظهر التصوف الفلسفي ممثلاً في مذهبي الحلول ووحدة الوجود.

كما أنّ التصوف كان من أهم العوامل التي أدّت إلىٰ الجمود الفكري، والتقدم الحضاري في الأمّة الإسلامية.

(١) المصدر السابق نفسه ص ٤.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٣.

أما الكتب المقررة في مادة العقيدة في هذه المدرسة موزعة بين مرحلتي الدراسة بها، وهما: المتوسطة، والثانوية، فهي:

كتاب التوحيد والفقه، وهو كتاب مدرسي وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية[1].

---

(١) حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع الشيخ الحسن دنب صو رئيس جمعية الدعوة السنية السلفية في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٦ هـ، وللتوسع فيما يتعلق بهذه المدرسة وفروعها وأقسامها راجع كتاب جمعية الدعوة السنية السلفية المصدر السابق ص ١٢.

المبحث الثالث
معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا

تأسس معهد العلوم الإسلامية والعربية في مدينة نواكشوط عام ١٣٩٩ هـ بناءً علىٰ اتفاقية بين المملكة العربية السعودية وجمهورية موريتانيا الإسلامية، وهو تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وكان المعهد في بداية أمره يشتمل علىٰ مرحلتين دراسيتين: المتوسطة والثانوية، وفي تطور لاحق تمّ افتتاح قسم جامعي بالمعهد عام ١٤٠٦ هـ وفق المنهج الدراسي بكلية الشريعة في نفس الجامعة بالرياض، وبذلك أصبح المعهد يشتمل علىٰ ثلاث مراحل دراسية.

وفي خطوة تالية ألغيت المرحلة المتوسطة وأنشئت بدلاً عنها المرحلة التأهيلية لحملة الشهادة المتوسطة لسنة دراسية واحدة تمهيداً للمرحلة الثانوية.

وقد نصّ المعهد علىٰ أنّ من أهدافه القيام بالدعوة في المجتمعات الإسلامية وانطلاقاً من ذلك فقد رسم في كل عام خطة لهذا الغرض، تنفذ داخل المعهد وخارجه علىٰ النحو التالي:

١ ـ تنظيم دروس علمية وثقافية يلقيها أساتذة المعهد في داخله وفي المساجد الكبيرة في البلد بالتعاون مع أئمة المساجد والدعاة.

٢ ـ عقد الندوات والمحاضرات التي يحضرها عدد غفير من طلاب العلم.

٣ ـ تنظيم معرض للشريط الإسلامي في كل عام دراسي لنشر الوعي الإسلامي بين المسلمين[١].

وقد أعطىٰ هذا النشاط ثماراً طيبة حيث أصبح للمعهد صيت وتأثير في الساحة العلمية في موريتانيا، وفي المناطق المجاورة لها، من خلال طلابه الذين أصبحوا دعاة في بلادهم[٢].

ويذكر مدير المعهد[٣] أنه بالإضافة إلىٰ هذا النشاط فإن هناك عملاً آخر ناجحاً في نشر العقيدة السلفية وهو توزيع الكتب التي تحمل هذا الفكر، وفي هذا الصدد فإنّ المعهد وزع كثيراً من المصادر السلفية علىٰ المؤسسات العلمية وعلىٰ الأفراد.

كما أنّ مكتبة المعهد الضخمة الغنية بالمصادر والمراجع السلفية تظل أبوابها مفتوحة لروادها في أول النهار وآخره، وقد لقيت إقبالاً كبيراً من

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع: راجع تعريف موجز عن أعمال معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا ص ١ ـ ٣ منشورات المعهد بدون تاريخ، وراجع أيضاً بيان المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية التي نظمها وينظمها معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا ص ١ ـ ٦ منشورات المعهد بدون تاريخ.

(٢) تعريف موجز عن أعمال المعهد المصدر السابق ص ٥، وعن عدد الدول التي يدرس طلاب منها في المعهد وعدد الطلاب فيه: راجع المصدر السابق نفسه ص ٤ وما بعدها.

(٣) هو محمد بن سعد الدوسري، ولد في منطقة وادي الدواسر بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٨١ هـ ودرس المراحل الأولى من دراسته بوادي الدواسر، حتى حصل على الثانوية العامة، ثم التحق بكلية الشريعة في أبها التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصل منها على الإجازة العالية (البكالوريوس) وبعد التخرج عين مدرساً في المعهد العلمي بوادي الدواسر، ثم عين مديراً له، ومنذ خمس سنوات اختارته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لإدارة معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا، وما زال مديراً له حتى الآن. حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٢/٧/١٤١٢ هـ.

طلاب العلم[1].

ومنذ سنتين ـ يقول مدير المعهد ـ ركزنا علىٰ جانب آخر مهم وهو إقامة الدورات التي نستجلب لها أساتذة نثق في علمهم وعقيدتهم، من حوالي عشرين مؤسسة تعليمية، وهذه الدورات مدتها شهر واحد، وفي الإجازة الصيفية تصل مدتها إلىٰ شهرين[2].

وقد سألت مدير هذا المعهد عن المنهج العقدي فيه، وعن الكتب المقررة في مادة العقيدة، فقال:

«المعهد يسير علىٰ طريقة السلف الصالح، ويطبق خطة علمية هي الخطة المتبعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والكتب التي تدرس في مادة العقيدة في المرحلة التأهيلية والثانوية هي:

كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعقيدة الواسطية والحموية الكبرىٰ كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأسس العقيدة، وتلخيص الحموية، كلاهما للشيخ محمد بن صالح ابن اعثيمين، وفي المرحلة الجامعية شعبة الشريعة، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي[3].

ولاكتمال الصورة عن المعهد ومنهجه العلمي، نأتي بقصيدة للشيخ أحمد بن المرابط المدرس بشعبة الشريعة بالمعهد نفسه، حيث يقول في مطلعها:

علوم الشرع طالعةُ السعود   بجو المعهد العلمي السعودي

---

(1) محمد بن سعد الدوسري، المقابلة السابقة نفسها، نواكشوط ١٤١٢/٧/١٢ هـ وعن مكتبة المعهد ونظامها وإقبال الناس عليها، راجع تعريف موجز عن أعمال المعهد، المصدر السابق ص ٢.

(2) مقابلة محمد بن سعد الدوسري السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/١٢ هـ.

(3) المقابلة السابقة نفسها بتاريخ ١٤١٢/٧/١٢ هـ.

فموريتانيا تبدي ارتياحاً ... لما يوليه من بذل الجهود
هنالك سيرة الرضي قد ... عيد نشاطها بعد الركود
فثم عقيدة مجموعة من ... أحاديث وقرآن مجيد
ومما نقله فاش صحيح ... عن الأسلاف من رأي سديد
فما لله من وصف حميد ... يقر له على الوجه الحميد
فينفي الكيف والتمثيل عنه ... فليس له مثيل في الوجود
وينفي القول بالتأويل أيضاً ... فتأويل الصفات هدي اليهود
وفي التفسير منه يخاض بحر ... فيؤتى منه بالدر النضيد
وفي علم الحديث وفي أصول ... وفي التصريف والنحو المفيد
وفقه الأربع المرضي عنهم ... يساق دليله للمستفيد
على هذا الجماعة قد تواصت ... بجامعة الإمام فتى سعود
وقد عهدت به لمحات دين ... مديرهم محمد بن سعيد
ولا استغراب في إنجاز عهد ... به متعهد وافي العهود

إلى أن يقول:

فإني لم أكن لأقول شعراً ... لنفع من قريب أو بعيد
ولست أقوله أبداً هجاء ... ولا وصفاً لربات القدود
ولكن ربما نوهت نصراً ... لدين الله بالفعل الرشيد[1]

---

(١) هذا جزء من قصيدة أنشأها وألقاها الشيخ أحمد بن المرابط في قاعة معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا، وذلك بمناسبة ملتقى نظمه مدير المعهد محمد بن سعيد الدوسري، مع شخصيات كبيرة من منظمة التربية والتعليم والثقافة (اليونسكو) وحضره رجال العلم والفكر والثقافة في مدينة نواكشوط، حدثني بذلك الشيخ أحمد ابن المرابط في المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ.

المبحث الرابع
مركز الدعوة السعودي في موريتانيا

تأسس مركز الدعوة السعودي في مدينة نواكشوط سنة ١٣٩٩ هـ ومنذ ذلك الوقت وهو يزاول عمله بنشاط في مجال الدعوة والتوجيه والإرشاد، ويستخدم لتحقيق الغرض الذي تأسس من أجله ـ وهو نشر العقيدة السلفية الخالية من شوائب البدعة، والرد بأسلوب حكيم علىٰ الشبه، والمزاعم، والإشاعات التي يوجهها المبتدعة إلىٰ السلفيين، ومنهجهم ـ عدة وسائل أهمها ما يلي:

١ ـ دعم المؤسسات التعليمية والاتصال بها وحثها علىٰ التمسك بالكتاب والسنّة.

٢ ـ إلقاء الدروس والمحاضرات في المساجد والمعاهد الإسلامية.

٣ ـ توزيع الكتب السلفية والشريط الإسلامي وتسهيل تداوله بين الناس.

٤ ـ فتح مكتبة المركز الغنية بالكتب السلفية أمام جميع الناس رجالاً ونساءً.

للرجال قسم خاص بهم، وللنساء قسم خاص بهن، ويرتادها يومياً عدد كبير، ويزداد إقبال الناس عليها، كما أنّ سجل الإعارة من المكتبة مفتوح لأساتذة وطلاب الجامعة والمعاهد الإسلامية.

وقد سألت مدير المركز[1] عن الأسلوب الذي يتخذه في التعامل مع الطوائف المنحرفة عن السنة، فقال:

«لقد اتخذنا أسلوب الحكمة وعدم الطعن في الطوائف المبتدعة، والاكتفاء ببيان الحق بدليله لأن ذلك أقرب إلىٰ القبول، وقد حرصت ـ يقول مدير المركز ـ علىٰ جمع ما استطعت جمعه من كبار التجانية وقرأت عليهم رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلىٰ أهل القصيم، وتأثروا بما سمعوا، وأثنوا علىٰ الرسالة خيراً وقالوا: كنا نظن أنّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يكفر الناس وهم غير كفار، وسبب ذلك عدم قراءة كتبه، والآن تبين لنا أنه علىٰ المنهج السليم، واقتنعنا بصحة ما في هذه الرسالة[2].

ويذكر الشيخ أحمد بن المرابط[3] أن مركز الدعوة السعودي في نواكشوط يعتبر من أهم الأسباب التي أدت إلىٰ انتشار الدعوة السلفية في موريتانيا حيث يقول:

«إنّ السبب في انتشار الدعوة السلفية في موريتانيا بعد توفيق الله تعالىٰ ـ هو البحث الذي قام به المحققون من علماء هذا البلد والانفتاح علىٰ

---

(١) هو الشيخ صالح بن عبد العزيز السبيعي، ولد بجلاجل في المملكة العربية السعودية، سنة ١٣٦٠ هـ وتابع دراسته حتى حصل على الثانوية العامة، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج منها سنة ١٣٨٧ هـ وعين مدرساً بوزارة المعارف، ثم عين أمين سر مجلس المحاكمة في هيئة التأديب بالرياض، التي ضمت إلى ديوان المظالم، ثم عمل بعد ذلك مستشاراً شرعياً في وزارة الشؤون البلدية والقروية، ثم حول إلى العمل في البنك الزراعي العربي السعودي في البحث القانوني، وفي سنة ١٤٠٢ هـ عين مديراً لمركز الدعوة السعودي في موريتانيا وما زال مديراً له حتى الآن. حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة الشيخ صالح بن عبد العزيز في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٥ هـ.

(٢) صالح بن عبد العزيز السبيعي، المقابلة السابقة نفسها بتاريخ ١٤١٢/٤/٢٥ هـ.

(٣) الشيخ أحمد بن المرابط من أبرز الدعاة السلفيين في موريتانيا ويقوم دائماً بالتعاون والتنسيق في الدعوة مع مركز الدعوة السعودي في مدينة نواكشوط.

العالم الإسلامي، ومؤسساته السلفية، وخاصة منها ما له مراكز في البلاد مثل: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وما قامت به هذه المؤسسات من جهود جبارة وأخص من ذلك ما قام به مركز الدعوة السعودي في موريتانيا من عمل بناء يتمثل فيما يلي:

١ ـ إرسال الدعاة إلىٰ الجهات المختلفة حيث يقومون بإلقاء الدروس والمحاضرات في الجوامع والمساجد، ويركزون علىٰ بيان عقيدة السلف وشرحها وتوضيحها.

٢ ـ توزيع كتب العقيدة السلفية، مع مراعاة أحوال الناس في المستوىٰ العلمي، بالإضافة إلىٰ مكتبة المركز الغنية بالكتب النفيسة والتي تظل أبوابها مفتوحة لطلاب العلم ويتولىٰ شؤونها رجال أكفاء ويتوافد عليها الدارسون والدارسات.

٣ ـ دعم المؤسسات الإسلامية سواء في مدينة نواكشوط أو في غيرها[١].

---

(١) أحمد بن المرابط، المقابلة السابقة بتاريخ ٢٣/٦/١٤١٢ هـ.

المبحث الخامس
المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

أسست الدولة الموريتانية هذا المعهد عام ١٣٩٩ هـ وأسندت إدارته إلىٰ الشيخ أسلم[١] بن سيد المصطفىٰ، وورد ضمن أهدافه أنه يسعىٰ في حدود إمكانياته إلىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليم العقيدة من الكتاب والسنة، علىٰ طريقة السلف الصالح، وتشجيع التعليم المحضري وتطويره بما يتلاءم ومقتضيات العصر.

ويندرج المعهد في إطار المؤسسات الجامعية، فهو يقبل حملة شهادة

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٤٨ م، وحفظ القرآن في صغره، ودرس مبادىء من علوم الدين واللغة العربية على عدد من علماء المنطقة، وفي عام ١٩٦٦ م التحق بالمعهد الإسلامي في مدينة بتلميت، وحصل منه على الشهادة المتوسطة، وعين مدرساً بوزارة التعليم الأساسي والثانوي في بلاده، ثم ابتعث للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وحصل من معاهدها على الثانوية العامة، وبعد ذلك التحق بكلية الشريعة في مكة المكرمة التابعة آنذاك لجامعة الملك عبد العزيز بجدة، والتي صارت فيما بعد النواة الأولى لجامعة أم القرى، وحصل منها على الإجازة العالية (البكالوريوس) بتقدير ممتاز، مع الحصول على دبلوم من كلية التربية في الفترة نفسها، وبعد عودته إلى بلاده عين أستاذاً للتربية وعلم النفس في مدرسة تكوين المعلمين في مدينة نواكشوط، ثم حول إلى إعدادية كيفا، وأسندت إليه مادة العلوم الشرعية فيها، وفي عام ١٩٧٩ م بدأ إنشاء المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وعين مديراً له، وكلف بالإشراف على إنشائه من طرف وزارة العدل والشؤون الإسلامية، وما زال مديراً له حتى الآن، حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٦/١/١٩٩٢ م.

الثانوية العامة، والمتفوقين من طلاب المحاضر الذين لا يحملون شهادة، وذلك بعد اجتياز مسابقة يجريها لهم، ومدة الدراسة فيه أربع سنوات، يتخرج الطلاب بعدها بالإجازة العالية (الليسانس) في أحد تخصصات ثلاث: الدعوة، القضاء، التدريس، وفي كل هذه الشعب الثلاث مواد مشتركة.

ومن هذه المواد مادة العقيدة، وتسند إلىٰ أساتذة سلفيين يقدمونها للطلاب من الكتاب، والسنّة، علىٰ طريقة السلف الصالح، والكتاب المقرر مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتدرس العقيدة دراسة موسعة في المعهد، مع التركيز علىٰ المباحث الآتية:

تعريف العقيدة، مفهوم الإيمان، الصفات التي وردت في الكتاب والسنّة وإثباتها لله عزّ وجلّ علىٰ الوجه اللائق بجلاله وكماله، والقضاء والقدر، البرزخ، البعث، اليوم الآخر، الحساب، الشفاعة، أخذ الكتاب، الحوض، الصراط، الجنة، النار، الرد علىٰ شبهات يثيرها أعداء الإسلام[١].

كما تدرس العقيدة أيضاً من خلال دراسة مادة الفرق حيث تدرس آراء هذه الفرق الاعتقادية، كل واحدة على حدة، ويبين ما عند كل فرقة من صواب وخطأ، مع الرد على كل رأي مخالف لأهل السنّة والجماعة، وبيان وصف الفرقة الناجية[٢].

وقد التقيت بمدير هذا المعهد وأجريت معه حواراً بين لي من خلاله تمسك المعهد بالكتاب والسنّة، واتباعه لمنهج السلف الصالح في العقيدة. ومن ضمن ما ذكره في هذا الموضوع قوله:

---

(١) راجع الخليل النحوي المرجع السابق ص ٤٦١ ـ ٤٦٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٦٣، وللتوسع في نظام المعهد ومقرراته الدراسية ومقارنته بالمعاهد الإسلامية الأخرى من ناحية، والمحاضر الموريتانية من ناحية أخرى: راجع نفس المرجع السابق ص ٤٦١ ـ ٤٦٦.

«إنّ المعهد يسير وفق منهج السلف الصالح، في العقيدة، وقد ارتأينا أن نقرر عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، ونسند مادة العقيدة لأساتذة سلفيين نثق في عقيدتهم، وعلمهم، يأخذون الدروس التي يقدمونها للطلاب في هذه المادة من الكتاب، والسنّة، علىٰ طريقة السلف الصالح.

ومادة الفرق الإسلامية يدرسها هؤلاء الأساتذة أيضاً ويبينون من خلال تدريسها عقيدة أهل السنّة والجماعة، ومنهجهم، كما أنهم يبينون أخطاء الفرق المنحرفة، ويردون عليها، ونحن نرىٰ ـ يقول مدير المعهد ـ أن العقيدة الإسلامية ليست بحاجة إلىٰ المنطق وعلم الكلام، لاستغنائها عن ذلك بالكتاب والسنّة، ولهذا فليس في مقررات المعهد علم كلام. ولا شيء من ذلك القبيل.

ومن الأمثلة علىٰ اقتداء المعهد بالسلف، وتجنبه لطرق المتكلمين ومناهجهم رفضه للتأويل الكلامي وإثباته لجميع صفات الله تعالىٰ، التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، أو وصفه بها رسوله ﷺ فيما صحّ عنه من سنّته علىٰ الوجه اللائق به عزّ وجلّ، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تأويل، كما أننا ـ يقول مدير المعهد ـ ليس عندنا شيء يسمىٰ التصوف، لأن في الكتاب والسنّة ما يغني المسلم عن غيره.

أما بالنسبة للتشريع، فالمعروف أنّ المعهد مؤسسة إسلامية ذات مستوىٰ عال، فتدرس فيه جميع الآراء الفقهية بأدلتها، ويرجح بينها حسب الدليل، وكل أستاذ له ميوله، وسعته العلمية، ولا توجد سياسة رسمية تفرض منهجاً معيناً في الفقه، وأنا ـ يقول مدير المعهد ـ كواحد من هؤلاء الأساتذة، نختار ما يرجحه الدليل بدون تعصب لمذهب معين»[1].

* * *

(١) أسلم بن سيد المصطفى، مدير المعهد، المقابلة السابقة بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٩٢ م.

المبحث السادس
معهد ابن عباس

تأسس هذا المعهد في مدينة نواكشوط عام ١٤٠٤ هـ، وقد أنشأته جماعة من المحسنين، وأسندت إدارته إلىٰ الداعية السلفي المشهور في بلاده، الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين[1] وأهم أهدافه: الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ونشر العقيدة السلفية، وتعليم أحكام الإسلام.

ولذلك، فإنّ أساتذة المعهد وطلابه يقومون بتدريس تعاليم الدين الإسلامي في العقيدة، وفي الأحكام، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في المساجد

---

(١) محمد فاضل بن أباه بن محمد الأمين، داعية مشهور ولد في موريتانيا عام ١٩٥٤ م وهو من عائلة ذات شهرة علمية كبيرة، درس على والده ابراهيم بن أمانة الله الملقب (أباه) بن محمد الأمين، وغيره من علماء المنطقة، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ فيه سنداً في القراءات السبع، ثم درس في العقيدة مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنّة، لأحمد المقري، وفي الفقه وأصوله درس مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، وفي النحو والصرف درس ألفية ابن مالك، وبعض المتون الأخرى.. شارك في امتحان في معهد بتلميت وحصل على الشهادة المتوسطة منه، والتحق بمدرسة تكوين المعلمين، وتخرج منها معلماً، وعين مدرساً في وزارة التعليم الأساسي والثانوي في بلاده، وانتسب في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وحصل منه على الإجازة العالية (الليسانس) وهو الآن مدير معهد ابن عباس، حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، وذلك في مدينة نواكشوط، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٥/١/١٩٩٢ م، وقد أضفت إلى ما حدثني به عن نفسه ما أعلمه عنه.

في داخل وخارج مدينة نواكشوط، كما يقومون بنشاط في الدول المجاورة لموريتانيا، ففي كل سنة ترسل بعثات للدعوة، موزعة على الدول الإفريقية المجاورة، وذلك في كل إجازة صيفية، لمدة شهر أو أكثر، بتمويل من جمعية اقرأ الخيرية في المملكة العربية السعودية.

وقد شمل هذا النشاط حتى الآن كلاً من الدول التالية: (السنغال، مالي، بركينا فاسو، غينيا كوناكري، ساحل العاج) هذا بالإضافة إلى محاضرات الدعوة الأسبوعية التي تقع داخل مباني المعهد، والتي يشارك في إنعاشها الطلبة ويختار لها أجلاء العلماء ومشاهير الدعاة[١].

وورد ضمن أهداف المعهد أيضاً أنه يسعى في حدود إمكانياته إلى إعادة الاعتبار إلى المحاضر الموريتانية، وإعطاء تلاميذها فرصاً لتركيز معلوماتهم في مجالات علمية تخصصية، تجعلهم جديرين بممارسة العمل في الوظائف، وتحمل المسؤوليات، وإبلاغ كلمة الله تعالى، مع التركيز على تكوينهم تكويناً يتلاءم ومقتضيات العصر[٢].

والمعهد يندرج في إطار المؤسسات الجامعية فهو يجري مسابقة لتلاميذ المحاضر الذين لهم حصيلة علمية طيبة، ويقبل الفائزين منهم في هذه المسابقة، ومدة الدراسة فيه أربع سنوات، يتخرج الطلاب في نهايتها بشهادة الإجازة العالية (الليسانس) في إحدى شعبتين: شعبة القرآن والحديث، وشعبة الفقه والأصول، وفي كل من الشعبتين بالإضافة إلى مواد التخصص مواد أخرى ثقافية يوسع بها الطالب دائرة معارفه[٣].

---

(١) محمد فاضل بن محمد الأمين، استمارة معهد ابن عباس، ص ١٣ منشورات المعهد نفسه، نواكشوط ١٩٨٨ م.

(٢) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٤٥٥، واستمارة معهد ابن عباس، المصدر السابق، ص ٥.

(٣) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٤٥٥، واستمارة معهد ابن عباس المصدر السابق ص ١ ـ ٢.

ومن المواد المشتركة بين الشعبتين مادة العقيدة ومنهجها يقوم على دراسة موسعة للعقيدة الإسلامية، انطلاقاً من القرآن والحديث والبراهين العلمية[1].

وقد سألت الشيخ محمد فاضل ـ مدير المعهد ـ عن المراد عندهم بالبراهين العلمية فقال: مرادنا بذلك: الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، وما كشف عنه العلم الحديث مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2].

وسألت الشيخ محمد فاضل أيضاً عن الكتب المقررة في المعهد في مادة العقيدة فأجاب بقوله: نحن حتىٰ الآن لم نحدد كتباً معينة في مادة العقيدة. ولكننا جمعنا الآيات والأحاديث التي تتعلق بالعقيدة، كأساس للمنهج في هذه المادة، ويدرسها للطلاب أساتذة سلفيون يعدون دروسهم من كتب التفسير، وكتب الحديث التي يختارونها، وذلك ريثما نتمكن من تحديد كتب معينة تدرس للطلاب في هذه المادة.

وعلىٰ أي حال، يقول الشيخ محمد فاضل ـ فإنّ التعليم عندنا في معهد ابن عباس يقوم علىٰ الكتاب والسنّة، وما كان عليه الرعيل الأول من هذه الأمّة في جميع المجالات. والعقيدة التي هي جوهر الدين وأساسه أول ذلك.

ولهذا فإنّ المعهد يرفض التأويل الكلامي في آيات الصفات، وأحاديثها، ويؤمن بجميع الصفات التي وردت في كتاب الله تعالىٰ، وثبتت في صحيح السنّة النبوية المطهرة علىٰ الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ من غير تشبيه ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، علىٰ حدّ قول الله عزّ وجلّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

---

(١) الخليل النحوي، المرجع السابق ص ٤٥٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

فهذه الآية رد علىٰ المشبهة، وعلى المعطلة في آنٍ واحد، وهي دستور أهل السنّة والجماعة.

والمعهد لا يدخل المنطق وعلم الكلام في المعتقد، ويحجم عن تعاطي علم الكلام والخوض فيه، لأن هذا أمر لم يرد به نص من كتاب، ولا سنّة، ولم يفعله الرسول ﷺ ولا صحابته رضي الله عنهم، ولا الأئمة الأربعة، ولا غيرهم من أئمة السنّة رحمهم الله[1].

وقد اشتهر عن معهد ابن عباس ومديره الدعوة إلىٰ تحقيق التوحيد لله عزّ وجلّ، والنهي عن الشرك، والتحذير منه، وذلك في مناسبات عديدة، وهذا ما تشير إليه الأبيات التالية، التي هي جزء من منظومة تدل علىٰ حرص المعهد علىٰ حماية جانب التوحيد.

وقد أعدّ هذه المنظومة وألقاها مدير المعهد بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي للمعهد لعام ١٤١١ هـ ونشرها المعهد ضمن منشوراته في تلك السنة، تحت عنوان [وقت إحسان الغافلين] وقد مهد الشيخ محمد فاضل لمنظومته بقول الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[2].

وهذه الأبيات هي:

هـو الـدعـا بـريـد مـا تـريـد	إلـىٰ الـذي يـفـعـل مـا يـريـد
ولا تـرسـل الـطـلـب لـلـمـجـيـد	بـطـابـع الإشـراك فـي الـبـريـد
ولا تــظــن الــســلــم الإداري	دون الـعـلـي يـا سـائـل الـقـهـار
فـهـو الـسـمـيـع والـبـصـيـر والـقـريـب	وهـو الـغـنـي والـكـريـم والـمـجـيـب[3]

(١) مقابلة الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين، السابقة، بتاريخ ١٩٩٢/١/٥ م.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) محمد فاضل بن محمد الأمين، منظومة في توحيد العبادة، نشرها معهد ابن عباس ضمن منشوراته عام ١٤١١ هـ تحت عنوان [وقت إحسان الغافلين].

ومن أبرز ميزات معهد ابن عباس السلفية نبذ البدع بجميع صورها، وأشكالها، وخاصة بدعة التصوف، وقد ألقىٰ الشيخ محمد فاضل الضوء علىٰ ذلك بقوله:

«والتصوف بدعة والآية الكريمة تنطبق على المتصوفة حسبما يظهر لي - يقول الشيخ محمد فاضل - وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

وعلىٰ أي حال، فإن معهد ابن عباس لم يعرف عنه سوىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، وترسم خطىٰ السلف الصالح، ونبذ البدع والابتعاد عنها، وعن أهلها.

وأما بالنسبة لمسائل فروع الدين، فإنه يميل إلىٰ الأخذ بالدليل، وينقاد له أياً كان القائل به، ويرىٰ السلامة في ذلك، وهذا ما يشير له الشيخ محمد فاضل مدير المعهد بقوله:

وكلما جرى الخلاف وعلم   نص فمن كان مع النص سلم[2]

---

(١) مقابلة الشيخ محمد فاضل السابقة بتاريخ ١٤١٢/١/٥ هـ والآية رقم ٢٧ من سورة الحديد.

(٢) محمد فاضل بن محمد الأمين، منظومة في التقليد والاجتهاد، نشرها معهد ابن عباس بتاريخ ١٩٩١/٨/١١ م، تحت عنوان [المقلد الأعمى].

المبحث السابع

مدرسة الهدى لتحفيظ القرآن الكريم

تعتبر هذه المدرسة - والتي أطلق عليها مديرها الحالي الشيخ محمد الأمين[1] ابن الإمام مدرسة الهدىٰ لتحفيظ القرآن - امتداداً لمحضرة والده الشيخ محمد عبد الله[2] ابن الإمام - رحمه الله - وقد اعتمدت هذه المدرسة

---

(١) محمد الأمين بن محمد عبد الله بن الإمام، ولد في ولاية [تكانت] في وسط موريتانيا عام ١٩٦٠ م، وحفظ القرآن في صغره، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، كما درس بعد ذلك مختصر خليل، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والنحو، والبيان، والمنطق، وشيئاً من التفسير على والده، وما سوى ذلك من معارفه العلمية حصل عليه بالمطالعة، وهو الآن مدير مدرسة الهدى لتحفيظ القرآن الكريم، والقائم على شؤونها، حصلت على هذه المعلومات من صاحب الترجمة في مقابلته السابقة بتاريخ ١٦/٧/١٤١٢ هـ الموافق ٢٢/١/١٩٩٢ م.

(٢) هو عالم جليل من أبرز علماء بلاده، ولد في ولاية [تكانت] عام ١٣٤٩ هـ وحفظ القرآن في صغره، وتنقل في طلب العلم بين عدد من مشاهير علماء البلاد، فدرس العقيدة والفقه، وقواعده، وأصوله، والنحو، والصرف، والبيان، والمنطق، والباقي من معارفه العلمية حصل عليه بالمطالعة، وقد أجازه الشيخ بداه بن البصيري في القراءات العشر، وفي الحديث، قال عن نفسه: إنه يتمسك بالكتاب والسنّة، وما كان عليه السلف الصالح، ويؤمن بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا التي وردت في القرآن الكريم وفي صحيح السنّة النبوية المطهرة، كالاستواء، والنزول، واليد، وغيرها ويمر ذلك كما جاء من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تأويل، كما فعل السلف الصالح، رضي الله عنهم - وللشيخ محمد عبد الله بن الإمام - رحمه الله - مكانة علمية مرموقة في القطر الموريتاني، وقد ألف عدة كتب منها: موقف المقلدين من الأدلة ومن أقوال المجتهدين، وحلية المسامع بمكنونات الدرر اللوامع، في علم القراءات، وله رسالة في الرد على أهل الطريقة القادرية، وكل مؤلفاته ما تزال مخطوطة، وكان أيام مقابلتي =

منهج المحضرة المعروف في بلاد شنقيط وهي من المدارس التي تركز علىٰ القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله.

وقد صرح مدير هذه المدرسة بأنها أسست لنشر عقيدة أهل السنّة وتحفيظ كتاب الله عزّ وجلّ لأبناء المسلمين وتعليمهم أحكام الدين الإسلامي، والدعوة إلىٰ التمسك بالكتاب والسنّة، ولمواجهة تيارين خطيرين:

أحدهما: ينتسب للإسلام وهو الفكر الصوفي.

والثاني: هو البعثات النصرانية التي كثفت نشاطها في الفترة الأخيرة في موريتانيا وغرب إفريقيا عموماً تحت ستار المساعدات الطبية، والتعاونيات الزراعية، وغير ذلك، والهدف من ذلك كله تنصير المسلمين، أو تشكيكهم في دينهم[(١)].

وقد سألت مدير هذه المدرسة عن المنهج العقدي الذي تسير عليه، فقال: «هذه المدرسة تسير علىٰ طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم ومهمتها الأولىٰ التي تأسست من أجلها هي تعليم عقيدة أهل السنّة ونشرها، وحراستها في هذه البلاد، ونبذ البدع بجميع صورها وأشكالها، والرد علىٰ أصحابها، بالإضافة إلى تدريس القرآن والسنّة والفقه وغير ذلك من العلوم التي تدرس في البلد والتعليم فيها والحمد لله ـ قائم على التمسك بالكتاب، والسنّة، لا ترىٰ الخوض في علم الكلام، من عمل المهتدين، ولا تدخله في العقيدة لأن علم الكلام بدعة في الدين. يقول مؤسسها الأول العلاّمة

= له هو إمام الجامع الثاني بمدينة [قرو] بالإضافة إلى التدريس في مدرسة الهدى لتحفيظ القرآن الكريم، وقد توفي رحمه الله في ١٤١٣/٩/٢٦ هـ وكانت مقابلتي له التي حصلت فيها على هذه المعلومات في تاريخ ١٤١٢/٧/١٦ هـ وذلك خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه.

(١) مقابلة محمد الأمين ابن الإمام، السابقة، بتاريخ ١٤١٢/٧/١٦ هـ الموافق ١٩٩٢/١/٢٢ م.

محمد عبد الله بن الإمام.

الخوض في مشتبهات الذكر ... مما يجر لفساد الفكر
آمن به على مراد الحق ... من غير تشبيه له بالخلق ...
إلخ

ومن الأمثلة على ذلك ـ والأمثلة كثيرة ـ يقول مدير هذه المدرسة: هو رفض مدرسة الهدى للتأويل الكلامي وإثباتها لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا التي جاءت في القرآن الكريم، وثبتت في السنّة النبوية المطهرة، على الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تأويل.

(١) مقابلة محمد الأمين ابن الإمام السابقة، بتاريخ ٦/٧/١٤١٢ هـ الموافق ٢٢/١/١٩٩٢ هـ.

المبحث الثامن
المعهد الإسلامي السلفي في كيفا

أسس هذا المعهد مديره الحالي الدكتور محمد بن ماديك[1] في وسط مدينة كيفا عام ١٤٠٤ هـ وجعل الدراسة فيه مقتصرة على مرحلتين: المرحلة المتوسطة، والمرحلة الثانوية.

وقد نصّ الدكتور محمد ماديك على أن المعهد قام بنشاط في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر تعاليم الإسلام وعقيدته الصافية اقتداء بالسلف الصالح، مبيناً أن أساتذة المعهد قاموا بعمل ناجح في عرض عقيدة أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة[2].

وقد ألف الدكتور محمد ماديك كتابه [رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد] الذي تقدم ذكره، وبين فيه عقيدة السلف، ورد على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، من المتكلمين، ومتصوفة، وأصحاب الشعوذة، والخرافات[3].

---

(١) الدكتور محمد بن ماديك، واحد من تلاميذ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار - رحمه الله - وقد تقدم التعريف به وذكر شيء من نشاطه في الدعوة السلفية في موريتانيا، راجع الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(٢) مقابلة الدكتور محمد بن ماديك السابقة بتاريخ ١٢/٧/١٤١٢ هـ.

(٣) راجع عن هذا الموضوع كتاب الدكتور محمد ماديك [رسالة المعهد الإسلامي السلفي] المرجع السابق ص ١٠.

وجعل هذا الكتاب ضمن الكتب المقررة في المعهد في مادة العقيدة[1].

وسوف نسوق نماذج من هذا الكتاب بوصفه يمثل الاتجاه العقدي في هذا المعهد، كما أننا سوف نأتي بأبيات من منظومته في التوحيد لأبرز أساتذة المعهد[2] في المرحلة التي تلت إنشاءه، ونختم هذا المبحث بذكر الكتب المقررة في مادة العقيدة، لنلقي الضوء بذلك كله على الاتجاه الفكري في المعهد.

ولنبدأ بسياق ما وعدنا بذكره فنقول وبالله التوفيق:

ذكر الدكتور محمد بن ماديك في مقدمة كتابه الذي مر ذكره آنفاً أنّ السلف أجمعوا على أن يمروا آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت وآمنوا بها على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ وأيقنوا أن المتكلم بها صادق لا شك عندهم في صدقه فصدقوه، وسكتوا عما لم يعلموا[3].

ولما سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك

---

(١) سيأتي قريباً ذكر الكتب المقررة على طلاب هذا المعهد في مادة العقيدة ومنها كتاب الدكتور محمد بن ماديك: رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد..

(٢) هو محمد الأمين بن محمد محمود بن محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني من عائلة ذات شهرة علمية كبيرة، وهو فقيه سلفي حاد الذكاء، ولد في موريتانيا عام ١٩١٧ م، اشتهر بلقبه أنقاية بن الطلبة وعرف عنه التمسك بالكتاب والسنّة، والعقيدة السلفية، ومن ميزاته البارزة الشدّة في نصرة السنّة، والدعوة إليها، والصرامة في الحق، وكان هو أبرز المدرسين الذين تأسس عليهم المعهد الإسلامي السلفي في مدينة كيفا، ت عام ١٩٨٧ م، حصلت على هذه المعلومات من ابن صاحب الترجمة محمد محمود بن محمد الأمين الوالي المساعد في مدينة ألاك، وذلك في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٠/١/١٩٩٢ م.

(٣) رسالة المعهد، المرجع السابق ص ٦ ـ ٨.

رجل سوء، وأمر به فأخرج.

فهذا الجواب من هذا الإمام في الاستواء هو جواب عامة السلف الصالح، فمن أول الاستواء بالاستيلاء أو اليد بالقدرة، أو الوجه بالذات، أو الرؤية بالشعاع، فقد أجاب بغير ما أجاب به هذا الإمام، وسلك سبيلاً آخر غير سبيل عامة السلف، وعرض نفسه للوعيد الشديد[1].

ونقل عن ابن عبد البر قوله: إن أحاديث الصفات رواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفاً، ولم يكن سكوتهم عن عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر.

قال: وقد نهى السلف عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته، وفي أسمائه، لأن الله عزّ وجلّ لا يوصف عند الجماعة ـ أهل السنّة ـ إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه[2].

على هذا المنهج ـ وهو الوقوف عند نصوص الكتاب والسنّة والاقتداء بالسلف الصالح ـ سار الدكتور محمد بن ماديك في كتابه مبيناً أن هذا هو المنهج الحق، وهو سبيل السلف الصالح في الاعتقاد، ذاكراً أن السلف أوصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع، والوقوف عند نصوص الكتاب والسنّة وبينوا لنا سبيلهم، ومذهبهم مستدلاً علىٰ ما ذكر أنه هو مذهب السلف، بأنه هو الذي ثبت عنهم، ولم ينقل عنهم غيره حيث قال ما نصه:

«والدليل القاطع أن مذهبهم هو ما ذكرنا أنهم نقلوا إلينا القرآن، والأحاديث الواردة في آيات الصفات، نقل مصدق لها مؤمن بها، غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها، ولم يفسروا ما تعلق بالصفات منها، ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٧ ـ ٨.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٨، وانظر تخريج كلام ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ١١٣/٢، ١١٧ ـ ١١٨.

لنقل عنهم[1].

هذه نماذج من رسالة محمد بن ماديك: رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد، الذي يعتبر بمثابة تعريف بعقيدة المعهد.

وبعد، هذه المقتطفات من هذا الكتاب سوف نأتي بأبيات الشيخ محمد الأمين بن محمد محمود أبرز الأساتذة الذين تأسس عليهم المعهد، وهو الذي ظل يحتل الصدارة فيه، لما له من قوة علمية، وفكرية، ولأنه من بيت علم وصلاح مشهور، وهذا ما جعله يكسب المعهد وتعاليمه: ثقة الناس بعد أن كان أغلب أهل المنطقة فيهم نفور عن منهج السلف في الصفات.

وهذا نص الأبيات التي وعدنا بذكرها آنفاً والتي تلقي الضوء على عقيدة صاحبها، حيث يقول فيها:

يجب أن نصدق القرآنا	في كل وصف وصف الرحمانا
ولا نجسم ولا نعطل	ولا نبدل ولا نؤول
بل بالكتاب نؤمنوا ونثبتوا	ما أثبت الله له ونسكتوا
بعد الإيمان بصفاته التي	وصف نفسه بها وجلت
خوف التنطع أو التعطيل	لصفة المصور الجليل
لأننا مطلبنا التواضع	وضده الخلاف والتنطع
ونقتفي رجال علم بررة	والتابعين والصحاب المهرة
ونقتفي طريقة النبي	وماله من خلق مرضي[2]

أما الكتب المقررة في مادة العقيدة فقد سألت مدير المعهد عنها فقال: «مقرر العقيدة في المعهد كالآتي: مقدمة رسالة ابن أبي زيد

---

(١) رسالة المعهد في التوحيد، المرجع السابق ص ٧.

(٢) محمد الأمين بن محمد محمود: نبذة في التوحيد لمن يريد الحق والتفويض، ص ٢ ـ ٣، مخطوط يوجد في مكتبة الشيخ الحسين بن عبد الرحمن بالمدينة المنورة.

القيرواني، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والعقيدة الواسطية، والرسالة التدمرية، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلو للعلي الغفار للذهبي، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنهج الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي في آيات الأسماء والصفات، ورسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد للدكتور محمد بن ماديك[1].

* * *

---

(١) دكتور/محمد بن ماديك، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/١٢ هـ.

الفصل الثالث عشر
فقهاء ومثقفون سلفيون

تقدم الحديث في الفصول السابقة عن المدارس والمعاهد السلفية القائمة في موريتانيا، وفي هذا الفصل سنتحدث عن أفراد من الفقهاء، والمثقفين، يعتنقون عقيدة السلف، ويدعون إليها، ويدافعون عنها، باعتبارهم نماذج تعبر عن وجود الفكر السلفي في عدد من الطبقة المتعلمة التي تمثل ثقافتين متنافستين في موريتانيا المعاصرة، وهما:

* ثقافة المحاضر العتيقة.

* وثقافة المؤسسات التعليمية الحديثة [الجامعات والمعاهد].

وفيما يلي نبذة عن كل واحد من هؤلاء الفقهاء والمثقفين، نلقي الضوء على شخصيته العلمية، ومنهجه السلفي.

* * *

١ ـ الشيخ محمد يحيى[(١)] بن عمر:

يعتبر الشيخ محمد يحيى بن عمر من الفقهاء الزهاد الملتزمين بمنهج السلف، وعقيدتهم، وسلوكهم، وقد قابلته عدة مرات، وسألته عن النهج الإسلامي الذي يدين الله عز وجل به، ويسير وفقه، فرد بقوله:

«إن الطريق الوحيد إلى العقيدة الإسلامية هو الطريق الذي كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ والتابعون وأئمة المذاهب، وعامة أهل الحديث.

وهو الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة، وإثبات جميع الصفات الواردة فيهما من غير تأويل لها، ولا صرف لها عن ظاهرها، مع كامل التنزيه لله عز وجل، وذاته العلية، عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوقات، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وهذا المذهب هو الذي عبر عنه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بقوله للذي سأله عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

هذا ـ يقول الشيخ محمد يحيى ـ هو المنهج الذي نسير وفقه وهو الاقتداء بسلف هذه الأمة، والتمسك بالكتاب والسنة، والوقوف عند

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٣٠ م وحفظ القرآن ودرس مبادىء من علوم الدين على والده عمر بن الحسين، ثم رحل في طلب العلم إلى عدد من مشاهير علماء المنطقة، فدرس علوم القرآن، وتجويده على الشيخ سيد المختار بن عبد المالك وأجازه في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، كما درس العقيدة والفقه المالكي، واللغة العربية، والنحو، والصرف، على علماء آخرين من أشهرهم أحمد بن الداد، وأحمد الأمين بن عبد الرحمن، ثم جلس للمطالعة والتدريس.. وقد اشتهر بالزهد والتقوى، وتورع عن العمل في الحكومة، وفضل أن يعيش حياة زهدية بسيطة اقتداء بالسلف الصالح، رضي الله عنهم، حصلت على هذه المادة العلمية من صاحب الترجمة في مقابلة أجريتها معه في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٤ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

نصوصهما، والإذعان لها، وعدم تجاوزها، لا نخوض في التأويل، ولا ندخل علم الكلام، والفلسفة في العقيدة، لأن ذلك من البدع في الدين.

أما بدع الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد - يقول الشيخ محمد يحيى - فقد عصمنا الله - تعالى - منها، - ولله الحمد - فلم تكن لنا علاقة بالصوفية، لأن الدين الإسلامي موجود في الكتاب والسنة كاملاً، والقدوة الصالحة التي ينبغي للمسلم أن يترسم خطاها هي: سلف هذه الأمة أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير، وعلماء المسلمين الذين اتبعوهم بإحسان، وتمسكوا بالسنة على مر العصور.

وبالنسبة لفروع الدين يقول: أنا مالكي المذهب، ولكن إذا خالف قول الإمام مالك - رحمه الله - أو من دونه من علماء المذهب آية من القرآن الكريم، أو حديثاً صح عن النبي ﷺ تركت أقوال أهل المذهب، وعملت بما جاء في الكتاب والسنة[1].

* * *

٢ - الشيخ محمد بن مود[2]

يعتبر الشيخ محمد بن مود من مشاهير الفقهاء السلفيين في بلاده،

---

(١) مقابلة محمد يحيى بن عمر السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٤ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) هو محمد بن أحمد مود ولد في موريتانيا عام ١٣٥٦ هـ وحفظ القرآن ودرس مبادىء من علوم الدين واللغة العربية على والده، وتنقل بين عدد من مشاهير علماء المنطقة، فدرس العقيدة، والفقه، وأصوله، والنحو، والصرف، أما غير هذه المواد من معارفه العلمية فقد حصل عليه بالمطالعة، تولى القضاء في عدد من مدن بلاده، وسار فيه سيرة حسنة، وفي سنة ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ استقدمته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أستاذاً زائراً ودرس مادة التفسير في كلية اللغة العربية بها، في تلك السنة، ثم عمل بعد ذلك في وزارة الأوقاف في دولة قطر، بالإضافة إلى التعاون مع المحاكم الشرعية فيها، حيث كان يحضر الجلسات القضائية، له عدة مؤلفات طبع منها كتابه: [واضح البرهان والدليل في أن الذبيح إسماعيل] أما مؤلفاته التي قال إنها تحت الطبع فهي =

قال عنه الشيخ بداه ابن البصيري: إنه العالم السني السني[1].

ولقبه الشيخ محمد عبد الله بن الإمام رحمه الله (أبو الفتاوي)[2].

ووصفه الشيخ محمد سالم بن المحبوب بأنه (العالم الشهير)[3].

قال عن نفسه: «إنّ العقيدة التي ندين الله عزّ وجلّ بها هي عقيدة السلف الصالح المستمدة من الكتاب، والسنّة، وقد نظمت في بيان مذهب السلف قصيدة ضاعت مني - وللأسف - وركزت في هذه القصيدة - يقول الشيخ محمد - علىٰ مذهب السلف في الصفات، وهو إثبات كل ما جاء في الكتاب، وصح في السنة من صفات الجلال، والكمال، وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ، من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تأويل، ولا تعطيل، كما هو نهج السلف الصالح - رضي الله عنهم -.

والواقع أنني - يقول الشيخ محمد - قد تأثرت بكتب الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - رحمه الله - في اتجاه عقيدة السلف ومنهجهم وخاصة كتابه: أضواء البيان وكتابه آداب البحث والمناظرة،

= [فصل النزاع في أن مكة أفضل البقاع] ورسالته [موعظة الطلاب من السنة إلى أن البدعة ليس فيها حسنة] وأهم كتبه هو [شرح خليل بالدليل] ولم يتم، والشيخ محمد بعد خدمته في دولة قطر عاد إلى بلاده عام ١٤١١ هـ وقد قابلته في منزله بمدينة نواكشوط بعد ذلك عام ١٤١٢ هـ وأخبرني بأنه لم يعين في عمل، وأن حالته الصحية غير لائقة لممارسته العمل. حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٤/١/١٩٩٢ م.

(١) أسنىٰ المسالك المرجع السابق ص ٢٧٤.

(٢) تقاريظ كتاب الشيخ محمد بن مود واضح البرهان والدليل في أن الذبيح إسماعيل، ص ٣، الطبعة الأولى، دار الثقافة، قطر ١٩٩٠ م.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٤.

ومحاضرته: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.

وقد أعجبني منهجه السلفي وبيانه لعقيدة السلف في هذه الكتب ومن ذلك قوله إنّ عقيدة السلف مبنية علىٰ ثلاث أسس كلها صرح الله بها في كتابه وصرح بها رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وأن هذه الأسس الثلاثة هي معتقد السلف، وهي:

* تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة مخلوقاته.

* والإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إيماناً مبنياً علىٰ أساس ذلك التنزيه.

* وقطع الطمع عن الإحاطة بالكيفية[1].

هذه هي عقيدة السلف في الإيمان بنصوص الكتاب والسنة.

يقول الشيخ محمد ـ. أما الخوض في التأويل الكلامي فهو بدعة نتجت عن ترجمة المنطق، والفلسفة، وإدخالهما في الأسماء والصفات، لإجرائها على القوانين المنطقية العقلية، والعقول البشرية عاجزة عن إدراك حقيقة الذات الإلهية، وكيفية اتصافها بصفات الجلال والكمال. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[2].

أما التصوف فذكر الشيخ محمد بن مود أنه كان قد اعتنقه، وبعد أن تبين له أنه مخالف للسنة تركه حيث يقول:

«كنت قد أخذت التصوف في فترة ماضية، وبعد أن ظهر لي أنه مخالف لهدي النبي ﷺ تركته، ورجعت إلىٰ الكتاب والسنّة، وتعلمت منهما

(١) تقدم الكلام عن هذه الأسس في الفصل الثامن.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

علم السلوك، وتبين لي أن تعلمه منهما أولىٰ وأسهل من تعلمه من مشايخ الصوفية وكتبها..»..

وبالنسبة لفروع الدين يقول: إنه مالكي المذهب، ولكنه غير جامد على أقوال أهل المذهب، بل يعرض آراء الفقهاء علىٰ الأدلة الشرعية، فما تؤيده الأدلة أخذ به دون التعصب لرأي معين..»[1].

٣ ـ الشيخ محمد يسلم[2] بن أح

هو الفقيه السلفي، محمد يسلم بن أح المحضري، عمل مدرساً في وزارة التعليم الأساسي والثانوي ما يزيد على عقدين من الزمن، وقد عرف عنه حسن السلوك، وطيب الشمائل، وكرم السجايا، وقد قابلته عدة مرات في منزله، وحدثني عن نهجه الإسلامي حديثاً طويلاً قال فيه:

«إنّ المذهب الذي أتبناه هو مذهب السلف الصالح، أهل القرون الثلاثة، التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون، وهو إمرار ظواهر الكتاب والسنّة كما جاءت مع كمال تنزيه الله عزّ وجلّ عن مشابهة شيء من ذوات المخلوقين أو صفاتهم، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

ويمثل هذا الاتجاه جواب الإمام مالك لمن سأله عن الاستواء في

---

(١) مقابلة الشيخ محمد بن مود السابقة بتاريخ ٤/١/١٩٩٢ م.

(٢) ولد في موريتانيا عام ١٩٣٨ م وحفظ القرآن ودرس رسمه وتجويده، ومبادىء من علوم الدين في صغره، ثم رحل في طلب العلم إلى عدد من الفقهاء، في المنطقة من أبرزهم الحاج بن السالك بن فحف، ومحمد المصطفى بن [اعلنبطالب] ودرس بعض المتون في العقيدة والفقه، والنحو، والسيرة النبوية، والمنطق، والبيان، وشارك في مسابقة لاختيار مدرسين في وزارة التعليم الأساسي والثانوي في بلاده ونجح فيها، وعين مدرساً في هذه الوزارة عام ١٩٦١ م، وظل في هذا العمل حتى عام ١٩٨٨ م حيث فرغ للإمامة والتدريس في جامع [سقطار] في مدينة [كيفا] حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة [كيفا] خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٨/٧/١٤١٢ هـ.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فأجاب بقوله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فهذا الجواب يمثل مذهب السلف حيث أن الإمام مالكاً ـ رحمه الله ـ آمن بالنص، ووقف عنده، ولم يكيف، ولم يؤوِّل، وهذا هو الطريق الوحيد إلى العقيدة الصحيحة، وهو الأخذ بما جاء في الكتاب وصحيح السنة وإثبات كل ما أثبته الله عزّ وجلّ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه تعالى، أو نفاه رسوله الكريم ﷺ.

فهذا هو طريق السلف ومنهجهم، وهو الذي ندين الله عزّ وجلّ به.

يقول الشيخ محمد يسلم فنثبت لله ـ تعالى ـ أسماءه الحسنى، وصفاته العليا، صفات الجلال والكمال، على الوجه اللائق به عزّ وجلّ، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

أما الخوض في التأويل وإدخال علم الكلام والفلسفة في العقيدة الإسلامية فهذا بدعة في الدين، قد تؤدي بصاحبها إلى الضلال والعياذ بالله تعالى، ونبرأ إلى الله من كل بدعة في الدين.

وأما بدع المتصوفة فهي كثيرة حيث أنّ نظام الزوايا الصوفية يقوم على مخالفة السنة في الغالب، ومن الأمثلة على ذلك ـ والأمثلة كثيرة ـ ما نقل عن بعض مشايخ الطرق الصوفية من أنه قال: إن المريد إذا وجد شيخه يرتكب المعصية فلا يجوز له أن ينكر عليه ولو بقلبه»[1].

فهذا ـ يقول الشيخ محمد يسلم ـ يهدم المبدأ الإسلامي العظيم، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالف لقول الرسول ﷺ: من رأى

---

(١) تقدم الرد على هذا الزعم الفاسد في الفصل التاسع.

منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان..

والمقصود أنّ الله تعالى ـ قد عصمنا ـ بفضله من هذه البدع المنتشرة في هذه البلاد، وله الحمد والمنة على ذلك»[1].

* * *

٤ ـ الشيخ الناجي[2] بن محمد عبد الله

يعتبر الشيخ الناجي بن محمد عبد الله من أبرز طلاب المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية الذين تخرجوا منه، وشغلوا مناصب عالية في الدولة، ساعدتهم على القيام بالدعوة، وتحقيق فائدة منها.

وقد حدثني عن العقيدة التي يعتنقها ويدعو لها فقال: «إن العقيدة التي اعتنقها وأدعو إخواني المسلمين إلى اعتناقها هي: عقيدة السلف الصالح المأخوذة من الكتاب والسنّة، وما كان عليه أهل القرون الثلاثة التي وصفها النبي ﷺ بأنها خير القرون.

إن الكتاب والسنّة كانا في صدر الإسلام هما المصدران اللذان تؤخذ

---

(١) مقابلة محمد يسلم بن أح، السابقة بتاريخ ١٨/٧/١٤١٢ هـ وقد تقدم تخريج هذا الحديث في الفصل الثاني.

(٢) ولد في موريتانيا عام ١٩٣٩ م، وحفظ القرآن الكريم، وهو في السنة التاسعة من عمره، ودرس مبادىء من علوم الدين على والده محمد عبد الله بن أمحود، ورحل في طلب العلم إلى عدد من مشاهير الفقهاء في المنطقة، فدرس بعض المتون في العقيدة، والفقه، والنحو، والتحق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية في نواكشوط، وتخرج منه بالإجازة العالية (الليسانس) من شعبة القضاء، وعين نائب وكيل الجمهورية في النيابة العامة للدولة، وهو الآن يعمل في إدارة الدراسات والإصلاح بوزارة العدل.. حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط، خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٠/٧/١٤١٢ هـ.

منهما العقيدة والصحابة، رضي الله عنهم - والتابعون لهم بإحسان كانوا جميعاً يقفون عند نصوص الكتاب والسنّة، ويمرونها كما جاءت، ويثبتون لله أسماءه الحسنى، وصفاته العليا التي أثبتها لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبتها له رسوله ﷺ في الذي صح عنه في سنته على الوجه اللائق به تعالى.

هذا هو المنهج الذي كان المسلمون يعرفونه حتى ظهر القول بالتعطيل في أسماء الله وصفاته على يد الجعد بن درهم[1]، وتلميذه جهم بن صفوان السمرقندي.

وبعد ترجمة المنطق أصبحت السمة العامة عند طوائف المتكلمين هي تقديم العقل على النقل، ونتج عن ذلك تأويل صفات الله عزّ وجلّ، وصرف نصوص الكتاب والسنّة عن ظاهرها، للتوفيق بين العقل والنقل، كما قال المتكلمون، وسار على هذا المنهج الكلامي كثير من علماء المسلمين وللأسف.

وبالنسبة لي - يقول الشيخ الناجي - فقد كنت متأثراً بهذا المنهج الذي انتشر في العالم الإسلامي وقرر في مدارسه، وقد هداني الله سبحانه وتعالى إلى الرجوع إلى عقيدة السلف ومنهجهم، وكان السبب في ذلك أنني قرأت كتاب صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام للسيوطي، وكذلك قرأت منهج الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي في آيات

---

(١) الجعد بن درهم ضال مضل من بلاد حران قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد قيل: إن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو: الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال: أيها الناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم إني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصيري وغيره، وكان ذلك في عام ١٢٤ هـ راجع الفرقان بين الحق والباطل ص ١١٤ والفتوى الحموية الكبرى ص ٢٤ والشهرستاني: الملل والنحل ١/٨٦.

الأسماء والصفات، ومن يومها اقتنعت بترك التأويل في صفات الله عزّ وجلّ، وابتعدت عن الخوض في علم الكلام، ورجعت إلى مذهب السلف في الوقوف عند النص وإمرار ظواهر الكتاب والسنّة كما جاءت وعلى هذا المنهج سرت وإليه دعوت.

هذا المنهج الذي عبر عنه الإمام مالك حين سئل عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فوقف الإمام مالك عند النص وأجاب بقوله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وما قاله الإمام مالك رحمه الله ـ في صفة الاستواء يصلح جواباً في جميع الصفات لأن صفات الباري عزّ وجلّ من باب واحد فنقول في النزول مثلاً: النزول غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا في جميع الصفات.

كما أنني ـ يقول الشيخ الناجي ـ كنت قد اعتنقت الطريقة القادرية في بداية شبابي، وبعد التبصر والبحث تبين لي أنّ التصوف فيه مخاطر فتركته طلباً للسلامة.

وفي فروع الدين فهو مالكي غير متعصب يقول عن نفسه: نحن مالكيون ولكن إذا خالفت أقوال أهل المذهب ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح، تركنا آراء الفقهاء واتبعنا ما جاء في الكتاب والسنّة»[١].

٥ ـ الشيخ محمد[٢] بن محمد الأمين بن محمد بن دحان

يعتبر الشيخ محمد بن دحان من أبرز الدعاة السلفيين في موريتانيا،

(١) مقابلة الناجي بن محمد عبد الله السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/١ هـ، وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

(٢) ولد في ولاية العصابة عام ١٩٥١ م، وحفظ القرآن في صغره، وحصل فيه على=

ومن أكثرهم نشاطاً وتأثيراً، وحرصاً على استفادة الناس، وكان في بداية أمره أشعري العقيدة، ولكنه رجع إلى عقيدة السلف ومنهجهم، وقد بين ذلك بقوله:

كنت على العقيدة الأشعرية ولكني رجعت عنها إلى عقيدة السلف بعد أن ظهر لي أن مذهب السلف هو الحق، وأن حجج الخلف واهية، ومخالفة للكتاب والسنة، وكان لهذا الرجوع عدة أسباب منها:

١ - دراسة ومطالعة مؤلفات العلماء السلفيين مثل مؤلفات ابن عبد البر وخاصة: كتابه التمهيد ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، وخاصة محاضرته منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.

٢ - الحوار والمناقشات مع بعض المشايخ السلفيين وخاصة الدكتور محمد بن سيدي الحبيب، والدكتور محمد الخضر الناجي ضيف الله.

٣ - توصلت بعد المطالعة والبحث إلى أن أدلة السلف قوية وواضحة، وأدلة الخلف واهية، ومتناقضة، ولا يطمئن القلب لها.

= إجازة في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، من الشيخ محمد بن البنيه الإدبهمى، وتابع عليه دراسته، فدرس عليه الآجرومية في النحو، ونصوصا في الأدب، وبعض أشعار العرب، وبعض مختصر خليل في الفقه، وتنقل بين عدد من المشايخ فدرس في العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، واللغة العربية، ثم وقف على بعض مؤلفات الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار وتأثر بها، وسافر إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك الحج، وطلب العلم، والتحق بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة، وفي فترة دراسته بها قنع قناعة كاملة بأن مذهب السلف هو المنجي عند الله عزّ وجلّ، وأن مذهب الخلف فيه مخاطر، وبعد تخرجه من دار الحديث عاد إلى بلاده وهو داعية إلى عقيدة السلف، ومنهجهم وهو الآن في دولة الإمارات العربية المتحدة، ويعمل في الشؤون الدينية في القوات المسلحة في إمارة أبو ظبي.. حصلت على هذه المادة العلمية في مراسلة جرت بيني وبين الشيخ محمد بن دحان حيث أرسل إلي المعلومات التي طلبت منه مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤/٥/١٤١٣ هـ جزاه الله خير الجزاء.

وأضاف يقول: إنّ المفهوم السلفي في نظري يقول الشيخ محمد ـ هو التمسك بالكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان في منهجهم وعقيدتهم، وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

ومن ذلك أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله الكريم ﷺ، من غير تأويل ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تشبيه، على الوجه اللائق به عزّ وجلّ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ مع ترك البدع والمحدثات في الدين، والابتعاد عن مناهج المتكلمين والفلاسفة، وأصحاب الطرق الصوفية، وكل بدعة وضلالة سواء كانت في أصول الدين أو فروعه، أو في السلوك[1].

* * *

٦ ـ الشيخ المختار[2] بن عمر

يعتبر المختار بن عمر بن الحسين واحداً من أبرز الدعاة السلفيين

---

(١) مراسلة محمد بن دحان السابقة بتاريخ ١٤/٥/١٤١٣ هـ وقد أضفت إلى ما جاء في رسالته ما أعرفه عنه.

(٢) ولد في موريتانيا بولاية [تكانت] عام ١٣٧٦ هـ وحفظ القرآن الكريم بروايتي قالون وورش، عن نافع، ودرس مبادىء من علوم الدين على والده عمر بن الحسين، ثم تابع دراسته في عدد من المحاضر في المنطقة، فدرس بعض المتون في علوم القرآن والعقيدة، والفقه المالكي، والنحو، ونصوصا في الأدب العربي، ومن أشهر العلماء الدين درس عليهم الشيخ محمد عبد الله بن الإمام ـ رحمه الله ـ والشيخ سيدي محمد بن الطالب أعلى، وأثناء هذه الدراسة حصل على بعض كتب الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وطالع فيها، وأعجب بفكر مؤلفها، ومنهجه السلفي، وقد التحق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتابع دراسته فيها حتى حصل على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الشريعة عام ١٤٠٧ هـ وهو من أوائل الدفعة التي تخرج فيها، ويعمل الآن مرشداً في الجيش بدولة الإمارات العربية المتحدة، حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة بتاريخ ٥/١١/١٤١٢ هـ وقد سبق ذكرها.

المعاصرين من حيث المستوىٰ العلمي، والاستقامة في السلوك، والجرأة في بيان الحق، والرغبة في نشر المذهب السلفي، الخالي من البدع، والخرافات، وهو يحظى بثقة عدد كبير من طلاب العلم الموريتانيين.

وقد سألته عن نهجه الإسلامي فقال: إنّ النهج الإسلامي الذي ندين الله عزّ وجلّ به هو: التمسك بالكتاب والسنّة والوقوف عند ما وقف رعيل هذه الأمّة الأول لا نتجاوز ذلك إن شاء الله تعالىٰ، لأنه لا سبيل إلى معرفة الإسلام وفهمه فهماً صحيحاً إلا من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية المبينة له والسير في مسارهما وترسم خطى السلف الصالح في فهمهما في العقيدة والشريعة والسلوك.

ففي العقيدة نرى ـ يقول الشيخ المختار ـ أن الطريق الوحيد إلى العقيدة الصحيحة هو طريق السلف ومنهجهم المتمثل في الأخذ بما جاء في الكتاب والسنّة، وإثبات كل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ ونفي كل ما نفاه الله عزّ وجلّ عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ.

لأنه لا أحد أعلم بالله من الله عزّ وجلّ، ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ.

وليس للعقل إلا التصديق والإذعان لما نطقت به نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة.

أما السلوك الإسلامي ـ كما يقول الشيخ المختار ـ فهو موجود في الكتاب والسنّة، وتعلمه منهما أولىٰ وأسهل من تعلمه من غيرهما، ولا شك أن الاقتداء بالنبي ﷺ في خلقه وعبادته، وزهده، وتطبيق سنته، هو السلوك الإسلامي السليم.

وكان الصحابة رضي الله عنهم ـ والتابعون لهم بإحسان أهل عبادة وزهد، ووفاء، لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد تحول الزهد السني في العالم الإسلامي إلى ما يسمى بالتصوف.

وكان التصوف في بداية أمره غير مخالف لتعاليم الإسلام مخالفة صريحة، ولكنه سرعان ما تأثر بالفلسفات الإلحادية، وصار غالبية دعاته مبتدعة يتظاهرون بالدين ليضلوا المسلمين، ويأكلوا أموالهم بالباطل، وليتخذوا منهم أنصاراً وأتباعاً، بالإضافة إلىٰ ذلك كله فإن التصوف يعتبر واحداً من عوامل الضعف الذي أصيب به المسلمون في عصورهم المتأخرة.

أما بالنسبة للتشريع فيقول: أنا مالكي المذهب، ولكن إذا تبين لي أنّ بعض أقوال أهل المذهب مخالف للدليل من الكتاب أو السنّة، تركت أقوال أهل المذهب، وأخذت بما يؤيده الدليل، لأن المسلم يجب عليه أن يلتزم باتباع ما جاء في القرآن الكريم، وما صحّ من سنّة رسول الله ﷺ، دون تعصب لمذهب معين، وهذا هو مقتضىٰ الإيمان.

يقول تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[١].

ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[٢].

فمقتضى الإيمان أن نحكم كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ في كل أمور الدين، دون تحيز إلىٰ رأي معين[٣].

* * *

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) مقابلة المختار بن عمر السابقة بتاريخ ١٤١٢/١١/٥ هـ وقد أضفت إلى ما حدثني به ما أعرفه عنه.

٧ ـ الشيخ جمال[1] بن الشيخ أحمد

يعتبر الشيخ جمال بن الشيخ أحمد من أبرز الدعاة السلفيين في بلاده، ومن أكثرهم اهتماماً بالقضايا الإسلامية، ونصرة لها، وهو صاحب فكر جيد، وشاعر مجيد.

وقد التقيت به عدّة مرات، فطلبت منه أن يبين لي منهجه الإسلامي الذي يدين الله عزّ وجلّ به فقال:

«إنّ المنهج الإسلامي الذي ندين الله عزّ وجلّ به هو العمل بما جاء في الكتاب والسنّة، واتباع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعون لهم بإحسان في فهم الإسلام وتطبيقه سواء فيما يتعلق بالمعتقد، أو السلوك، أو مسائل فروع الدين.

ففي العقيدة نرىٰ ـ يقول الشيخ جمال ـ أنّ الطريق الوحيد إلىٰ العقيدة الصحيحة هو الاستسلام والإذعان لنصوص الكتاب والسنّة وما حرره السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ وإفراد الله عزّ وجلّ بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وفي أسمائه، وصفاته، وإثبات كل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من صفات الجلال والكمال علىٰ طريقة السلف في

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٥٤ م وحفظ القرآن الكريم في صغره، بروايتي قالون وورش عن نافع، ودرس على والده محمد بن الشيخ أحمد وعلى عمه القاضي محمد المصطفى بن الشيخ أحمد، وكذلك درس أيضاً على عمه الآخر محمد الأمين ابن الشيخ أحمد، ورحل إلى الشيخ الحاج بن فحف فدرس عليه بعض المتون في العقيدة، والفقه، والنحو، ثم التحق بمعهد القرآن الكريم في نواكشوط التابع لرابطة العالم الإسلامي، وقد حصل على الإجازة العالية (الليسانس) من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، عام ١٩٧٧ م، بالانتساب، وهو الآن يعمل في إدارة التوجيه الإسلامي، وإمام جامع عرفات في مدينة نواكشوط، حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٢/١/١٩٩٢ م.

الإيمان بنصوص الكتاب والسنّة، وإمرارها كما جاءت من غير تأويل، ولا صرف لها عن ظاهرها، مع التنزيه للباري عزّ وجلّ وذاته العلية عن أن تشبه الذوات، وتتصف بصفات المخلوقين على حد قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ولا نرى الخوض في علم الكلام والفلسفة من عمل المهتدين، ولا ندخل شيئاً من ذلك في المعتقد. بل نؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنّة، ولا نتجاوزه، لأن ذلك هو شأن الراسخين في العلم، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

أما السلوك الإسلامي المثالي ـ كما يقول الشيخ جمال ـ فهو موجود في القرآن الكريم، والسنّة النبوية المطهرة، وفي حياة الصحابة رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسان.

وبالنسبة لمسائل فروع الدين يقول: إذا خالف قول إمامي في الفقه آية من القرآن قطعية الدلالة، أو حديثاً صحيحاً عن النبي ﷺ تركت قول إمامي وأخذت بما جاء في الكتاب والسنّة دون تحيز لرأي معين[2].

* * *

٨ ـ الشيخ محمد[3] بن مولاي

الشيخ محمد بن مولاي الشريف الحسني العلوي، كان زميلاً لي في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) مقابلة الشيخ جمال بن الشيخ أحمد السابقة بتاريخ ١٢/١/١٩٩٣ م.

(٣) ولد في موريتانيا بولاية [العصابة] عام ١٩٥٥ م، وحفظ القرآن صغيراً وأخذ فيه سنداً في قراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، ودرس بعض المتون في العقيدة والفقه، وأصوله، وقواعده، والحديث، ومصطلحه، والنحو، والصرف، وبعد نهاية دراسته في المحاضر شارك في مسابقة نظمتها وأشرفت عليها وزارة العدل والشؤون الإسلامية في =

الدراسة، فقد كنا ندرس معاً عند الشيخ الحاج بن السالك بن فحف[1] في عام ١٣٩٢ هـ، وهو من طلاب العلم الأذكياء، وقد تخرج من المحاضر بحصيلة علمية جيدة، أهلته للنجاح في مسابقة أجرتها وزارة العدل والشؤون الإسلامية لعدد من الفقهاء لاختيار قضاة شرعيين، وكان ذلك قبل أن يدرس الدراسة النظامية.

وقد التقيت بالشيخ محمد وأجريت معه مقابلة حدثني فيها عن منهجه في العقيدة فقال:

«إنّ الطريق السليم إلىٰ معرفة العقيدة الإسلامية هو طريق السلف الصالح ومنهجهم، المتمثل في أخذ العقيدة من الكتاب والسنّة، وعدم الخوض في التأويل وعلم الكلام، والفلسفة، وهذا المنهج هو الذي ندين الله عزّ وجلّ به في المعتقد.

ولذلك، فإننا نرىٰ ـ يقول الشيخ محمد ـ أن الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح، يزيد وينقص، وأنّ القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ونؤمن بالقدر خيره وشره، من الله عزّ وجلّ،

= موريتانيا لاختيار قضاة شرعيين، ونجح فيها وعين قاضياً في مدينة ولاته، وبعد أن قضى فترة من الزمن يعمل قاضياً قدم استقالته، رغبة في متابعة دراسته والتحق بمعهد رابطة العالم الإسلامي، لتحفيظ القرآن الكريم في نواكشوط، ثم انتسب في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، وحصل منه على الإجازة العالية (الليسانس) وهو الآن مدرس بهذا المعهد نفسه، ومنتسب في جامعة محمد الخامس بالرباط (شعبة الفقه والأصول) مرحلة الماجستير، حصلت على هذه المادة العلمية في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٤ هـ.

(١) الحاج بن السالك بن فحف المسومي عالم أشعري العقيدة، وهو من أبرز العلماء المعاصرين في بلاده، ومن أكثرهم شهرة، له اليد الطولى في علم القراءات، والفقه المالكي، والنحو، اشتهر بالتقوى والورع والزهد، والإنكار على المتصوفة، وقد درست عليه منظومة ابن بري المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، وراجعت عليه نص القرآن الكريم عدة مرات، بروايتي قالون وورش عن نافع.

ونؤمن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وصح في السنّة النبوية المطهرة، من أسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العليا، من غير تأويل لها، ولا صرف لها عن ظاهرها، مع تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة مخلوقاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

والمعروف أنّ مبحث الأسماء والصفات هو أعظم مباحث العقيدة خطراً وقد زلت فيه أقدام كثير من العلماء، ولا سيما بعد فتح أبواب الترجمة للمنطق، والفلسفة، وإدخالهما في الأسماء والصفات لإجراء القوانين المنطقية عليهما، وقد أدت الترجمة إلىٰ انحرافات في عقائد كثير من المسلمين، وتحول التوحيد من معرفة بالله عزّ وجلّ من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلىٰ علوم جدلية لا صلة لها بالإسلام، وتشغل عن مدارسة الكتاب والسنّة. وقد أراد المخلصون ممن اشتغلوا بهذه العلوم خيراً فضروا من غير قصد.

ويذكر الشيخ محمد بن مولاي أن أهم أسباب الانحراف عن النهج السلفي في البلاد يعود إلى ثلاثة أمور، حيث قال:

«في الواقع أن أهم أسباب انحراف بعض أهل هذه البلاد عن النهج الإسلامي السلفي يعود إلى ثلاثة أمور أساسية هي:

* علم الكلام.

* الطرق الصوفية.

* التعصب المذهبي[1].

* * *

---

(١) مقابلة محمد بن مولاي السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٤ هـ.

٩ ـ الشيخ أحمد فال[1] بن صالح

الشيخ أحمد فال بن صالح، كان زميلاً لي في الدراسة مدة سبع سنوات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو من أبرز الدفعة التي تخرج فيها من كلية الشريعة بهذه الجامعة، ومن أكثرهم قياماً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعد نهاية دراسته في المملكة العربية السعودية عاد إلى بلاده ومارس فيها الدعوة إلى عقيدة السلف، ومنهجهم، وقد زرته عدة مرات في مكتبه بمدينة نواكشوط وحدثني عن نهجه الإسلامي السلفي، وما لاقاه في سبيل الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، ومما حدثني به في ذلك قوله:

«عقيدتي هي إخلاص التوحيد لله عزّ وجلّ، وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأمر به ودعا إليه، وجاء الأمر به في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ..﴾[2].

والمعروف أنّ توحيد الله عزّ وجلّ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ القسم الأول: توحيده عزّ وجلّ في ربوبيته وهذا النوع من التوحيد يقرّ به المشركون، يقول تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3].

---

(١) ولد في موريتانيا عام ١٩٥٨ م وحفظ القرآن الكريم في صغره بروايتي قالون وورش، عن نافع، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، في المحاضر، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتابع دراسته فيها حتى حصل منها على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية الشريعة في عام ١٤٠٨ هـ، وهو الآن يعمل في فرع هيئة الإغاثة العالمية في موريتانيا، حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة في مدينة نواكشوط خلال الرحلة العلمية التي قمت بها لموريتانيا، والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٧/٧ هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

٢ ـ القسم الثاني: توحيده عزّ وجلّ في ألوهيته وهو إفراده تعالى بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه في كتابه العزيز وسنّة نبيه ﷺ.

٣ ـ القسم الثالث: توحيده عزّ وجلّ في أسمائه وصفاته.

وهذان القسمان الأخيران يوجد فيهما عند كثير من الناس انحراف عن النهج الصحيح فيهما لأن كثيراً من العوام المنتسبين للإسلام إذا مسهم الضر دعوا غير الله عزّ وجلّ، ممن يعتقدون فيه الصلاح من المخلوقين، فيطلبون منه ما هو من خصائص الله عزّ وجلّ، مثل شفاء المريض، وحصول الولد، والنصر، وغير ذلك من حقوق الله تعالى التي لا يشاركه فيها غيره.

وقد بينا في عدة مناسبات ـ يقول الشيخ أحمد فال ـ أنّ توحيد الألوهية هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وهي تتضمن النفي والإثبات.

* فمعنىٰ النفي منها ترك كل معبود غير الله عزّ وجلّ في جميع أنواع العبادات ومن ذلك الدعاء، لأنه مخ العبادة.

* ومعنىٰ الإثبات منها هو: إفراد الله جلّ شأنه بكل أنواع العبادات بحيث لا يشاركه في شيء منها أحد من المخلوقين لا نبي ولا ملك ولا ولي، فمن أشرك في أي شيء منها غيره فهو مشرك، والعياذ بالله تعالىٰ.

أما القسم الأخير من أقسام التوحيد الثلاثة وهو توحيد الأسماء والصفات فهذا هو أصعب مباحث العقيدة في هذه البلاد، لأن المتكلمين الأشاعرة يزعمون أنّ إثبات جميع الصفات لله تعالى بدون تأويل يلزم منه التجسيم أو التشبيه، ويدافعون عن ذلك بالحجج العقلية.

وقد بينت لمن لقيته من هؤلاء ـ يقول الشيخ أحمد فقال ـ أن الطريق الوحيد الذي يضمن السلامة للمسلم في معتقده هو: طريق السلف ومنهجهم المتمثل في أخذ العقيدة من الكتاب والسنّة، ونبذ علم الكلام حيث أن السلف آمنوا بكل الصفات الواردة في الكتاب والسنّة، من غير

تأويل لها، ولا صرف لها عن ظاهرها، مع كامل التنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين في شيء من ذواتهم، أو صفاتهم، وقطع الطمع عن إدراك الكيفية.

وقد سألت الشيخ أحمد فال عن موقفه من التصوف والتعصب المذهبي فأجاب بقوله:

«لقد أعددت بحثاً في التصوف خلاصته أن التصوف إذا كان هو ما في الكتاب والسنّة فلا حاجة إلى هذه التسمية المبتدعة، وإن كان غير ذلك فهو بدعة مردودة على صاحبها كغيرها من البدع.

أما التعصب المذهبي: فإن آراء الفقهاء ينبغي أن تعرض على الكتاب والسنّة، فما كان موافقاً لهما أخذ وما كان بخلاف ذلك ترك، طبقاً لتوجيهات الأئمة رحمهم الله ـ مع احترام العلماء وتقدير جهودهم[1].

* * *

١٠ ـ الشيخ يعقوب[2] بن محمد بن بوب

يعتبر الشيخ يعقوب بن محمد من أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين في

---

(١) مقابلة أحمد فال بن صالح السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/٧ هـ.

(٢) ولد في الناحية الغربية من موريتانيا عام ١٩٦٠ م، وحفظ القرآن الكريم، ودرس رسمه وتجويده، ومبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، في صغره، ثم رحل في طلب العلم إلى عدد من العلماء، فدرس إضاءة الدجنة لأحمد المقري في العقيدة الأشعرية، ومختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، وأثناء دراسته وقف على بعض مؤلفات الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، وخاصة محاضرته منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وكتابه أضواء البيان فتأثر بمنهجه السلفي، ومن ذلك الوقت رجع إلى عقيدة السلف، وبدأ يدرس العقيدة السلفية من مصادرها الكتاب والسنّة، وأقوال السلف الصالح، رضي الله عنهم ـ واتجه إلى دراسة التفسير والحديث، وهو يعمل الآن في فرع هيئة الإغاثة العالمية في موريتانيا، حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع صاحب الترجمة خلال الرحلة العلمية التي قمت =

بلاده، ومن أشدهم عداء لأهل البدع، وقد قابلته في مكتبه بمدينة نواكشوط عدة مرات، ولمست فيه رغبة جادة في نشر العقيدة السلفية في البلاد، وقد سألته عن نهجه الإسلامي فرد بقوله:

«إنّ النهج الذي ندين الله عزّ وجلّ به هو نهج السلف الصالح المتمثل في التمسك بنصوص الكتاب والسنّة، وترك الخوض في علم الكلام، والفلسفة، ولذلك نرفض التأويل الكلامي، ونؤمن بكل ما ورد في القرآن الكريم أو صح في السنّة النبوية المطهرة، من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، على الوجه اللائق به تعالى، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل، كما هو معتقد السلف ومنهجهم، وكما هو شأن الراسخين في العلم، حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

فالإيمان بالنص والوقوف عنده، وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، على الوجه اللائق به عزّ وجلّ هو المنهج الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان جيلاً بعد جيل.

وهو الطريق الذي ينبغي للمسلم الراغب في النجاة من عذاب الآخرة أن يختاره لنفسه.

أما مذاهب المتكلمين التي أدت بهم إلى تقديم العقل على نصوص الكتاب، والسنة، فهي مذاهب مبتدعة في الإسلام، وقد انتهت بكثير من أصحابها إلى الضلال، والحيرة، لأن أصول المتكلمين متناقضة، وآراءهم متعارضة.

وأما الطرق الصوفية: يقول الشيخ يعقوب ـ فإذا كانت موافقة لما في الكتاب والسنّة، كما يزعم أصحابها، فلا حاجة إلى هذه التسمية التي

= بها لموريتانيا والمقابلة عندي مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ١٤١٢/٧/١٤ هـ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ابتدعوها [الصوفية] وإن كانت مخالفة لما في الكتاب والسنّة فهي ضلالة لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[1].

ومع أن الحكم على الصوفية كلها بالضلال أمر لا ينبغي لأن من مشايخها من هو من أهل العمل بالكتاب والسنّة والاقتداء بالسلف كالشيخ الجنيد بن محمد النهاوندي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وأمثالهما، إلا أن التصوف امتزج بالفلسفات ولم يتقيد غالبية أصحابه بالقيود الشرعية، وانتشرت عن طريقه الخرافات والمفاهيم الضالة، وأصبح عاملاً من عوامل الضعف والانحطاط في الأمّة الإسلامية.

هذا بغض النظر عن التصوف الفلسفي الإلحادي الذي صرح أصحابه بالكفر البواح مثل مذهب الحلول عند الحسين بن منصور الحلاج، ومذهب وحدة الوجود عند محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي، ومن سار على منوالهما..

وبالنسبة لفروع الدين، يقول: إن الميزان الفارق بين الحق والباطل هو الكتاب والسنّة، فينبغي عرض آراء الفقهاء عليهما بدون تعصب لرأي إمام معين وأخذ ما يؤيده الدليل من الآراء أياً كان القائل به، مع تقدير جهود العلماء والترحم عليهم وإنصافهم فيما أداهم إليه اجتهادهم[2].

١١ ـ الشيخ محمد محمود[3] بن المصطفى

يعتبر الشيخ محمد محمود من أبرز الشباب السلفيين المعاصرين من

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٢) مقابلة يعقوب بن محمد السابقة، بتاريخ ١٤/٧/١٤١٢ هـ.

(٣) ولد عام ١٩٦٤ م، بولاية [العصابة] وحفظ القرآن في صغره، وأتقن رسمه، وضبطه وتجويده، بقراءة الإمام نافع بروايتي قالون وورش، ودرس مبادىء من علوم الدين، واللغة العربية، ثم تنقل بين عدد من المشايخ، فدرس عليهم: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، ومختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، =

الناحية العلمية، وهو ذو سلوك مستقيم، وأخلاق عالية، وقد التقيت به عدة مرات، ولمست فيه الرغبة والتحمس للدعوة السلفية، وقد سألته عن نهجه الإسلامي فقال:

إن النهج الإسلامي الذي أدين الله باتباعه هو نهج السلف الصالح رضي الله عنهم ـ وهو العمل بالكتاب، والسنّة، في أصول الدين، وفروعه، وفي السلوك، وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، بلا تكييف، ولا تأويل، كما هو نهج الصحابة، رضي الله عنهم ـ ولا شك أنهم القدوة المثلى.

والذي أراه ـ يقول الشيخ محمد محمود ـ أنّ الطريق الوحيد إلى فهم الإسلام فهماً صحيحاً هو طريق السلف ومنهجهم، لأنه لا سبيل إلى معرفة الدين الإسلامي إلا من خلال الكتاب والسنّة، والسير في مسارهما، ونبذ ما يخالفهما، والابتعاد عن البدع، والمحدثات، سواء في أصول الدين أو فروعه أو في السلوك.

هذا هو النهج السليم الذي ينبغي للمسلم أن يلتزم به طلباً للسلامة، أما إدخال الفلسفة وعلم الكلام في العقيدة الإسلامية، والخوض في التأويل، فهو بدعة، وضلالة، كما أن الفكر الصوفي الذي يتظاهر دعاته بالدين قد انحرف كثير من أهله عن منهج السلف وعقيدتهم، وطريقتهم، وانتشرت عن طريقه البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وكان من نتائجه السلبية ترك التعليم، والاكتفاء بالأوراد بدلاً عنه[1].

= كما درس بعد ذلك الخزرجية في العروض على الشيخ محمد عبد الله بن الصديق، وقد التحق بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية وحصل منه على الإجازة العالية (الليسانس) في سنة ١٩٨٦ م ـ ١٩٨٧ م، وهو الآن يعمل في الشؤون الدينية بالقوات المسلحة في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، حصلت على هذه المادة العلمية في مراسلة جرت بيني وبين صاحب الترجمة حيث أرسل إلي المعلومات التي طلبت منه مكتوبة وموقعة منه بتاريخ ٢٤/٤/١٤١٣ هـ. جزاه الله خير الجزاء.

(١) مراسلة محمد محمود بن المصطفى السابقة بتاريخ ٢٤/٤/١٤١٣ هـ.

وبعد هذه النماذج من الفقهاء والمثقفين من أصحاب الفكر السلفي، أريد أن أذكر هنا أنّ كل من لقيتهم من العلماء، والدعاة السلفيين، العارفين بمسار الفكر الإسلامي في القطر الموريتاني، والمهتمين بنشر العقيدة السلفية فيه، لا يختلفون في وجود اتجاه سلفي متزايد في هذا القطر ـ وخاصة في طلاب العلوم الشرعية من الشباب ـ وإنما يختلفون في تقدير أصحاب هذا الاتجاه من حيث الكثرة والقلة، وهذه تصريحات لبعض هذه الشخصيات تلقي الضوء على وجهة نظرهم في هذا الموضوع.

يقول الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين: «إنّ موريتانيا حصل فيها انقلاب فكري، فبينما كانت السلفية في الماضي محصورة في أفراد من العلماء أصبح اليوم كثير من طلاب العلم يعتنقها»[(١)].

ويقول الشيخ محمد بن مولاي: «إن السلفيين في موريتانيا الآن كثيرون وهم على قسمين:

* قسم يتجنب الكلام في العقيدة ويغلق الباب عن المناقشة فيها ويرى أن السلامة في ذلك، وأن السلف حذروا من كثرة الكلام والخوض في المسائل الاعتقادية.

* وقسم آخر يحاول دائماً إثارة الكلام في العقيدة، وقصدهم من ذلك تصحيح المفاهيم العقدية، وتوضيح مذهب السلف، والرد على الإشاعات والمزاعم والشبه التي توجه إلى السلفيين من طرف خصومهم المتكلمين، والمتصوفة»[(٢)].

ويقدر الشيخ محمد الأمين بن الإمام أصحاب الاتجاه السلفي في طلاب العلوم الشرعية من الشباب بحوالي ٤٣٪ بينما يقدر أصحاب هذا الاتجاه بين المشايخ كبار السن من فقهاء المحاضر بحوالي ٦٪[(٣)].

---

(١) د/عبد الله بن محمد الأمين، المقابلة السابقة بتاريخ ٢٨/٤/١٤١١ هـ.
(٢) محمد بن مولاي المقابلة السابقة بتاريخ ٢٤/٦/١٤١٢ هـ.
(٣) محمد الأمين بن الإمام، المقابلة السابقة بتاريخ ١٦/٧/١٤١٢ هـ.

أما الشيخ أحمد بن المرابط فيقول: إن حاضر هذه البلاد يشهد تقدماً متزايداً نحو الاتجاه السلفي وأصحاب هذا الاتجاه لا يقلون في طلاب الدراسات الإسلامية من الشباب عن ٤٠٪، أما فقهاء المحاضر الأقدمون فمعظمهم أشاعرة وقد حصل فيهم بعض التغيير في المواقف، وأتصور ـ يقول الشيخ أحمد ـ أنّ نسبة ٥٪ منهم على عقيدة السلف»[١].

ويذكر الشيخ أحمد بن أحمد المختار وجهة نظره في هذا الموضوع فيقول: «في هذه البلاد سلفيون، وخاصة في مدينة نواكشوط، التي بها عدد من المدارس والمعاهد السلفية، وقد التقيت مراراً ـ يقول الشيخ أحمد ـ بطلاب علم سلفيين، يرغبون في الأخذ بالكتاب والسنّة، على طريقة السلف الصالح، ومن هؤلاء تلاميذ الشيخ بداه بن البصيري، وبعض طلاب المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أما الموريتانيون الكبار فجلهم أشاعرة متعصبون»[٢].

أما الشيخ بداه بن البصيري، وهو أعرف هؤلاء بمسار الفكر الإسلامي في موريتانيا فيقول: «الذي أراه أنّ السلفيين في موريتانيا موجودون ولكن ليسوا على كثرة، وفي نظري ـ يقول الشيخ بداه ـ أن مستقبل السلفية في هذه البلاد جيد إذا وجدت دعماً ومؤازرة»[٣].

كانت هذه تصريحات من شخصيات علمية مطلعة في هذا الموضوع، وهي كلها متفقة على وجود الفكر السلفي في موريتانيا، وإن كانت تتفاوت في التقدير، وقد حصلت على أقوال كثيرة ممن التقيت بهم من العارفين بمسار الفكر الإسلامي، والاتجاهات الدينية في تلك البلاد، ولكنني أعرضت عنها خوف الإطالة، ولأنها لا تخرج عن مضمون ما ذكرته.

---

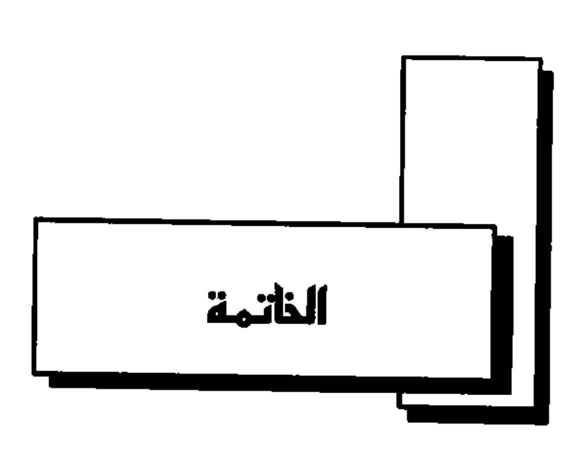
(١) أحمد بن المرابط، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٣ هـ.
(٢) أحمد بن أحمد المختار، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/١٨ هـ.
(٣) بداه بن البصيري، المقابلة السابقة بتاريخ ١٤١٢/٧/٥ هـ.

وفي الحقيقة، أن القطر الموريتاني أصبح فيه اتجاه سلفي قوي يزداد يوماً بعد يوم، ولا سيما في المنطقة الغربية من البلاد، وخاصة في مدينتي نواكشوط وبتلميت اللتين يوجد بهما ازدهار علمي، وحركة ثقافية لامعة، نتج عنها تصحيح بعض المفاهيم الدينية عند كثير من الناس.

وقبل نهاية هذا البحث، ينبغي التنبيه على نقطة قد تخفى على بعض الناس وهي: أنّ عوام المسلمين الأصل فيهم أنهم على عقيدة السلف، فكل من لم تلقنه المبتدعة بدعتهم، ويدرسوه كتبهم، فليس من حق أي فرقة أن تدعيه إلا أهل السنّة والجماعة[1]..

والله الموفق للصواب

(١) د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مناهج الأشاعرة في العقيدة ص ٢٣.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الرسالات.. وبعد:

فبفضل الله ـ تعالى ـ ونعمه، قد أنهيت هذا الكتاب، بعد أن عشت ثلاث سنوات في البحث في عقيدة السلف، والأعلام الذين تمسكوا بها في القطر الموريتاني، على مدى تاريخ الإسلام في المنطقة.

ويعلم الله أني بذلت في هذا البحث قصارىٰ جهدي، وغاية وسعي، وآمل أن أكون قد وفقت في إبراز العقيدة السلفية، وأعلامها في بلاد موريتانيا بالصورة اللائقة.. وأن أكون قد حققت هدف البحث في الوصول إلى الفائدة العلمية المنشودة.

وفي الخاتمة ـ نسأل الله حسنها ـ أود أن أضع بين يدي القارىء أهم ما توصلت إليه من نتائج، وما تمخض عنه البحث من توصيات ومقترحات..

أهم نتائج البحث

١ ـ إنّ الإسلام دخل في موريتانيا ما بين عامي ٦٣ ـ ٦٤ هـ خلافاً لما ذهب إليه كثير من الباحثين، من أنه لم يدخل في تلك البلاد إلا بعد نهاية القرن الأول للهجرة، ودعمت ما ذهبت إليه بكلام العارفين بالتاريخ، وبعض الوقائع التي تؤكد ذلك.

٢ ـ إنّ العقيدة السلفية قامت في المنطقة منذ دخول الإسلام فيها، وتعززت وتوطدت على يد المرابطين طيلة فترة حكمهم.

٣ ـ إن مكان رباط عبد الله بن ياسين الجزولي ـ الذي عضد عقيدة السلف ومنهجهم ـ يقع في إحدى جزر التيدرة شمال رأس تيمريس على بعد ثلاثين ك م، من مدينة نواكشوط العاصمة الحالية للدولة الموريتانية، ورددت على القائلين بأن مكانه في جزيرة صغيرة بمنحنى النيجر.

٤ ـ إنّ سبب إحراق المرابطين لكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي يعود بالدرجة الأولى إلى ما تضمنه الكتاب من الفكر الصوفي الفلسفي، وليس للخلاف المذهبي في الفقه دخل في هذه القضية.

٥ ـ إن العقيدة الأشعرية دخلت إلى بلاد المغرب قبل ظهور دعوة ابن تومرت ولكن وجودها ظل قليلاً منحصراً في أفراد من العلماء، ولم تدخل في مناهج التعليم، وتنتشر في الساحة العامة إلا في عهد الموحدين.

٦ ـ إن دعوة ابن تومرت قامت على الزيف، والخداع، والابتداع، وسفك الدماء، وأن المهدية ما هي إلا قناع مزيف، تقنّع به محمد بن تومرت تمهيداً للخروج على دولة المرابطين السلفية، وليعظم اعتقاد الناس فيه وتزداد طاعتهم له.

٧ ـ إن العقيدة السلفية اغتيلت في المنطقة ـ ظلماً وعدواناً ـ على يد ابن تومرت، وأتباعه الذين سماهم بالموحدين، وأن اتهام محمد بن تومرت للمرابطين بالتجسيم والكفر، اتهام لأهل السنّة والجماعة عامة، لأن سببه إثبات صفات الجلال والكمال لله عزّ وجلّ، على الوجه اللائق به تعالى، ورفض التأويل الكلامي، ونبذ علم الكلام وأهله.

٨ ـ إن العقيدة السلفية عادت إلى البلاد بعد عهد المرابطين في القرن الحادي عشر، على يد الإمام ناصر الدين، ومكثت في القطر متسلسلة إلى الآن.

٩ ـ إن فرنسا، وقبائل بني حسان، تعاوناً على القضاء على الحركة السلفية الإصلاحية التي قادها الإمام ناصر الدين، ونجحا في ذلك.

١٠ ـ إن العقيدة السلفية تعززت في البلاد بظهور [باب] بن الشيخ سيدي داعية سلفياً، فأصبح لها بعد ذلك وجود قوي في الساحة العلمية وأتباع ومؤلفات إلى يومنا هذا.

١١ ـ إن العقيدة الإسلامية في القطر الموريتاني لم تكن ذات مسار واحد وإنما ظل يتنازعها مذهبا السلف والأشاعرة على مرّ العصور.

١٢ ـ إن العقيدة السلفية الآن في القطر الموريتاني في ازدياد ملموس يتمثل في عدد من المدارس والمعاهد السلفية، بالإضافة إلى عدد كبير من الدعاة السلفيين في مناطق مختلفة من البلاد.

* * *

التوصيات والمقترحات

١ ـ نظراً لأن الكثير من الناس ـ حتى من طلبة العلم والباحثين ـ يظنون أن جميع الموريتانيين أشاعرة، وليس لمذهب السلف وجود فيهم، فإنني أوصي طلاب العلم، والباحثين بتناول موضوع السلفية في موريتانيا في البحوث، والمحاضرات، والندوات، حتى يتم تصحيح هذا المفهوم الذي يخطىء الكثير فيه.

٢ ـ إن الدعاة السلفيين في موريتانيا يحتاجون إلى مد يد العون لهم في مجابهة المبتدعة، والتيارات المعادية للإسلام، لذا فإنني أوصي القائمين على أمر المؤسسات السلفية، وخاصة في المملكة العربية السعودية بتشجيعهم ودعمهم ومؤازرتهم، حتى يتمكنوا من السير في الدعوة السلفية بنجاح.

٣ ـ إن المخطوطات الموريتانية وخاصة مؤلفات السلفيين ما زالت

تنتظر من ينفض عنها الغبار، ويخرجها من الظلمات إلى النور، والبعض منها بحاجة إلى التصنيف، والتبويب، والتحقيق.

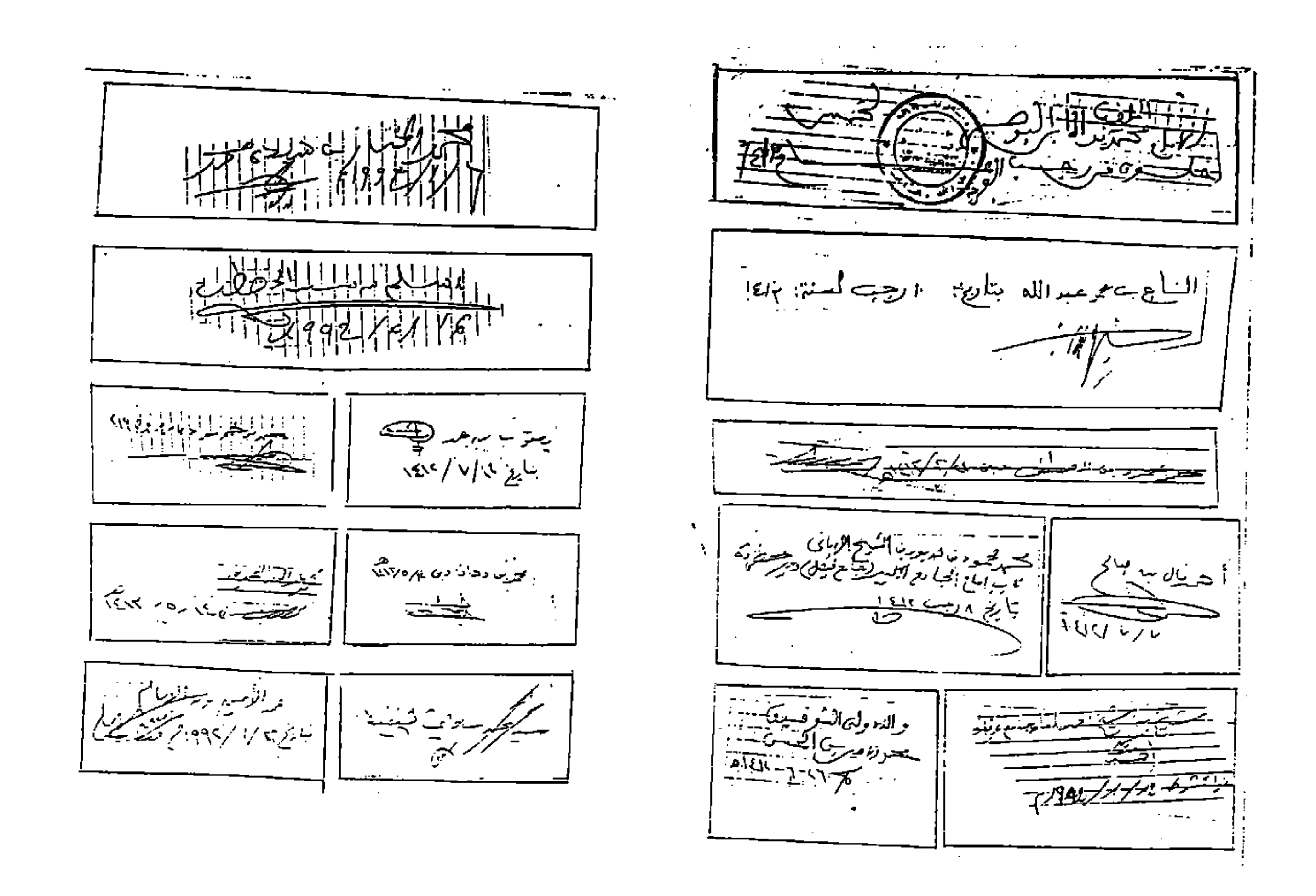
لذا فإنني أوصي المسؤولين عن الدراسات العليا في جامعات المملكة العربية السعودية، والجامعات الإسلامية كلها، بالعناية بهذا التراث ضمن عنايتها بالتراث الإسلامي عامة.

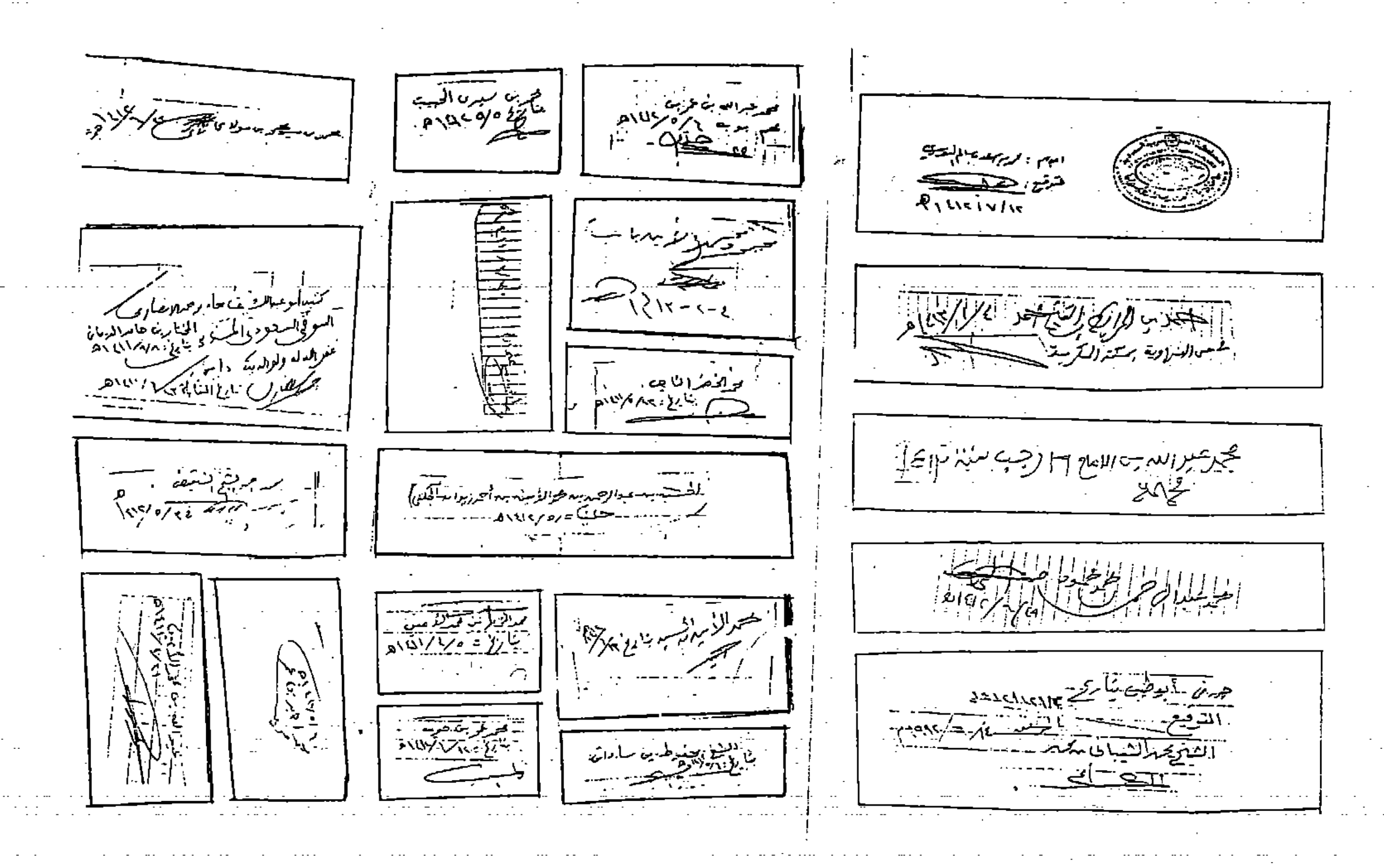
٤ ـ تقديراً للجهد الذي قام به المعهد الموريتاني للبحث العلمي ـ رغم ضعف وسائله ـ فإنني أقترح على المؤسسات الإسلامية والعربية دعم هذا المعهد ومؤازرته لكي يتمكن من أداء مهمته في البحث عن المخطوطات وجمعها وحفظها وفهرستها، حتى يستطيع طلاب العلم والباحثون أن يستفيدوا من هذه المصنفات.

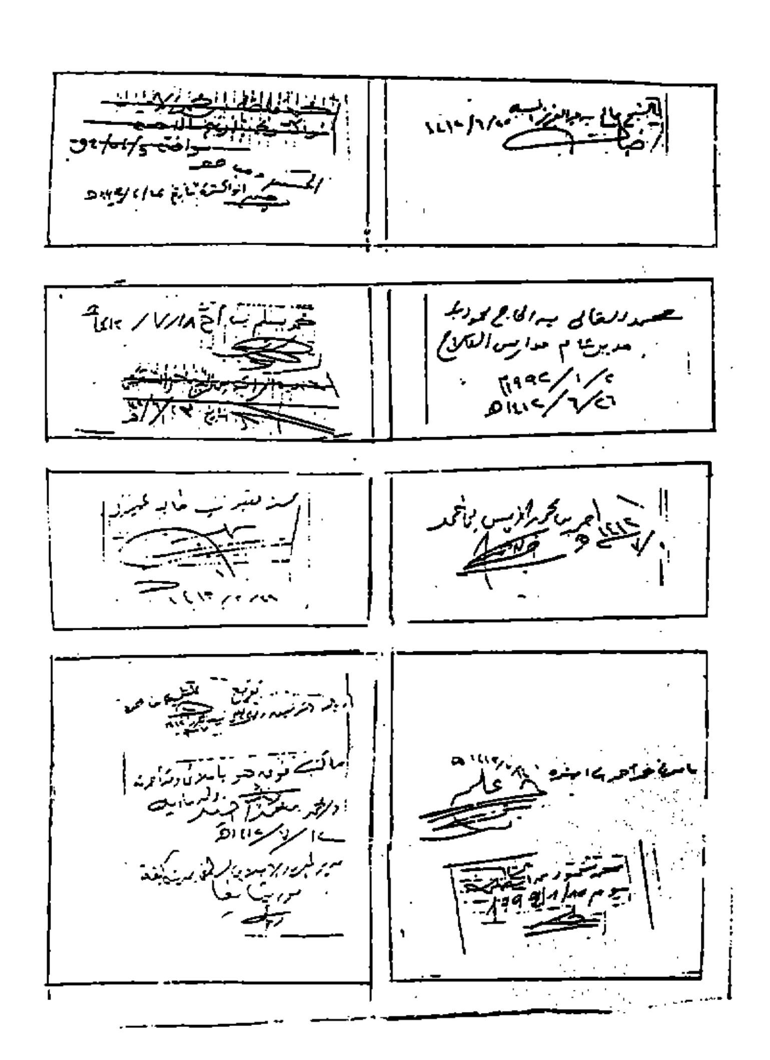
٥ ـ بناءً على أن المحاضر أثبتت جديتها ونجاحها في نشر الإسلام والثقافة العربية، وفي تخريج العلماء الأجلاء، على مدى قرون عديدة، فإن من الضروري المحافظة عليها، وتنقية مناهجها من كل ما يخالف منهج السلف وعقيدتهم وتطوير نظامها ومناهجها، بما يتلاءم ومقتضيات العصر.

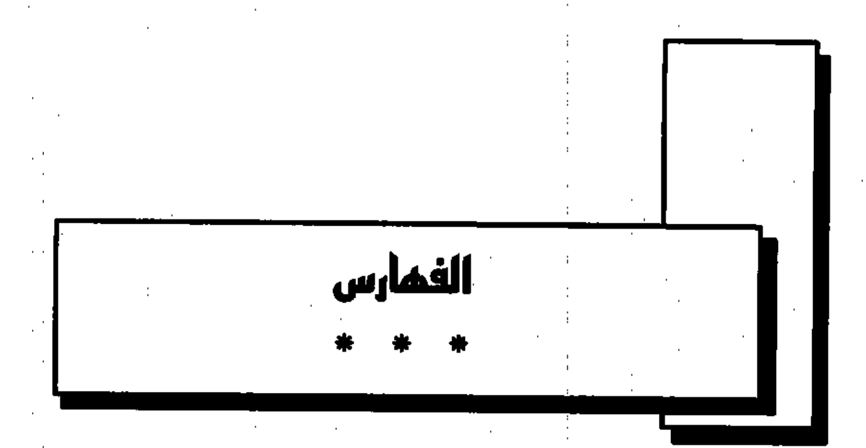
وفي هذا الصدد أقترح على كتابة الدولة للتعليم الأصلي ومحو الأمية في الحكومة الموريتانية أن تقوم بمبادرة فعالة بإدخال إصلاحات في مناهج المحاضر ونظامها، وتشجيعها، ودعمها المتواصل، حتى يستمر وجودها على المستوى اللائق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.









الفهارس

* * *

فهرس
لأهم مصادر ومراجع الكتاب

المراجع والمصادر المخطوطة:

* **أحمد بن حبت القلاوي. ت، ١٩٩٢ م.**

١ ـ تاريخ ابن حبت مخطوط شخصي.

* **أحمد بن المرابط.**

٢ ـ قصيدة في بيان عقيدة السلف، مخطوط عندي نسخة منه.

* **باب بن الشيخ سيدي (ت ١٣٤٢ هـ).**

٣ ـ عقيدة مخطوط عندي صورة منه.

٤ ـ الذكر المشروع وغير المشروع، مخطوط شخصي.

٥ ـ تاريخ البيضان وإمارتي إدوعيش ومشظوف مخطوط عندي صورة منه.

* **بداه بن البصيري.**

٦ ـ الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، مخطوط عندي صورة منه.

٧ ـ الحجر الأساس لمن أراد شرعة خير الناس، مخطوط عندي صورة منه.

٨ ـ الكتائب الشرعية في صد هجوم القوانين الوضعية، مخطوط شخصي.

٩ ـ قصيدة في مدح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مخطوط شخصي.

* **البزيوي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله.**

١٠ ـ تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى، صورة من مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم ٤١٣، فرغ من تأليفه ١٩٣٨ م.

* **أبوه بن سيد الأنصاري.**

١١ ـ بحث حول معهد الفاروق، مخطوط عندي صورة منه.

* **سيد محمد فال بن محمد الديماني.**

١٢ ـ شرح قصيدة المختار بن بون، مخطوط عندي صورة منه.

* **صالح بن عبد الوهاب الناصري، (ت ١٢٧٢ هـ).**
١٣ ـ الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، مخطوط شخصي.
* **عبد القادر بن محمد سالم المجلسي (ت ١٣٣٧ هـ).**
١٤ ـ المباحث الجليلة في شرح الوسيلة، مخطوط شخصي.
* **المجيدري «كمال الدين محمد بن حبيب الله اليعقوبي ت ١٢٠٤ هـ».**
١٥ ـ الأسئلة ضمن كتاب بداه بن البصيري، الدر النضيد في علم الكلام وحقيقة التوحيد، مخطوط عندي صورة منه.
* **محمد بن أبي زمنين (ت ٣٣٨ هـ).**
١٦ ـ أصول اعتقاد أهل السنة، مخطوط بمكتبة حماد الأنصاري في المدينة المنورة رقم ١٧.
* **محمد بن أبي مدين (ت ١٣٩٦ هـ).**
١٧ ـ شن الغارات على أهل وحدة الوجود وأهل معية الذات، مخطوط شخصي.
* **محمد بن سعيد اليدالي (ت ١١٦٦ هـ).**
١٨ ـ مناقب الإمام ناصر الدين، مخطوط شخصي.
* **محمد الأمين بن الحسن:**
١٩ ـ خطاب موجه إلى هيئة الإغاثة العالمية بتاريخ ١٠/٢/١٤١٢ هـ مخطوط عندي صورة منه.
* **محمد الأمين بن محمد محمود «انقاي بن الطلبة» ت ١٩٨٧ م.**
٢٠ ـ نبذة في التوحيد لمن يريد الحق والتفويض، مخطوط توجد نسخة منه بمكتبة الشيخ الحسين بن عبد الرحمن الجكني الشنقيطي بالمدينة المنورة.
* **محمد فاضل بن محمد الأمين:**
٢١ ـ شخصية محمد الأمين بن الحسن، مخطوط عندي صورة منه.
* **المختار بن بون، ت ١٢٢٠ هـ**
٢٢ ـ وسيلة السعادة، مخطوط عندي صورة منه.
* **المختار بن جنكي الديماني.**
٢٣ ـ غزوات الإمام ناصر الدين، مخطوط شخصي.
* **المختار بن حامد:**
٢٤ ـ حياة موريتانيا، الجزء الخاص بقبيلة إدولحاج، مخطوط توجد منه نسخة في المعهد العلمي في نواكشوط.
* **معهد الفاروق:**
٢٥ ـ سجل الزيارات والتزكيات بمعهد الفاروق.

المصادر المطبوعة:

* **ابن أبي زيد: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني ت ٣٨٦ هـ.**
٢٦ ـ الرسالة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر [د. ت].
٢٧ ـ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣ هـ.
* **ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله، ت ٧٢٦ هـ.**
٢٨ ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور بالرباط ١٩٧٢ م.
* **ابن أبي العز: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، ت ٧٩٢ هـ.**
٢٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية، حقَّقها جماعة من العلماء، وخرَّج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩١ هـ.
* **ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي ت ٦٥٨ هـ.**
٣٠ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، طبعة مدريد ١٨٨٥ م.
* **ابن الأثير: المبارك بن محمد الشيباني ت ٦٠٦ هـ.**
٣١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ.
* **ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الوهاب الشيباني ت ٦٣٠ هـ.**
٣٢ ـ الكامل في التاريخ، راجع أصوله وعلق عليه: نخبة من العلماء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي [د. ت].
* **ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، ت ٧٧٩ هـ.**
٣٣ ـ رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، بيروت، [د. ت].
* **ابن تومرت: محمد بن تومرت، ت ٥٢٤ هـ.**
٣٤ ـ أعز ما يطلب: تحقيق الدكتور عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥ م.
* **ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت ٧٢٨ هـ.**
٣٥ ـ الفتوىٰ الحموية الكبرى، تقديم عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية ١٤٠٣ هـ.
٣٦ ـ الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٣٧ ـ الرسالة التدمرية، الطبعة الثالثة، نشر قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ١٤٠٠ هـ.
٣٨ ـ مجموع الفتاوىٰ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم الحنبلي وابنه محمد، طبع في القاهرة، ١٤٠٤ هـ.
٣٩ ـ النبوات: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.
٤٠ ـ معارج القبول، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤١٢ هـ.
* **ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ.**
٤١ ـ تلبيس إبليس تصحيح وتعليق إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر، طبعة دار الفكر، [د. ت].
٤٢ ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩ هـ.
* **ابن حجر: أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ.**
٤٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة السلفية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [د. ت].
٤٤ ـ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر مع شرحه، راجعه وقدم له الدكتور عوض وعلق عليه محمد غياث الصباغ، الطبعة الثانية، مكتبة الغزالي، دمشق ١٤١٠ هـ.
* **ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بلسان الدين ت ٧٦٦ هـ.**
٤٥ ـ القسم الثالث من أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.
* **ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨ هـ.**
٤٦ ـ المقدمة: الطبعة الخامسة، دار القلم بيروت ١٩٨٤ م.
٤٧ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال الدين للطباعة والنشر بيروت، ١٣٩٩ هـ.
* **ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ت ٦٨١ هـ.**
٤٨ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣ م.
* **ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦ هـ.**
٤٩ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ١٤٠٥ هـ.

* **ابن رجب: عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد ت ٧٩٥ هـ.**
٥٠ ـ فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، الطبعة الأولى، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٤ هـ.
* **ابن رشد الحفيد: محمد بن أحمد القرطبي ت ٥٩٥ هـ.**
٥١ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة السادسة، دار المعرفة ١٤٠٣ هـ.
* **ابن عاشر: عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري، ت ١٠٤٠ هـ.**
٥٢ ـ المرشد المعين على الضروري من علوم الدين مع شرحه الحبل المتين لمحمد بن محمد المراكشي، الناشر: مكتبة القاهرة شارع الصنادقية بميدان الأزهر، ١٣٩١ هـ.
* **ابن عذارى: محمد أو أحمد بن محمد المراكشي، ت ٦٩٥ هـ.**
٥٣ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، دار الثقافة، بيروت، [د. ت] والجزء الرابع تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣ م.
* **ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي ت ٢٥٧ هـ.**
٥٤ ـ فتوح مصر وأخبارها، طبعة ليدن ١٩٣٠ م.
* **ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ت ٤٦٣ هـ.**
٥٥ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد ومحمد عبد الكبير وعبد الله بن الصديق، الجزء الأول، طبع ١٤٠٢ هـ والسابع ١٣٩٩ هـ.
٥٦ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، طبعة دار الفكر بيروت، [د. ت].
* **ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأندلسي، ت ٥٤٣ هـ.**
٥٧ ـ قانون التأويل: تحقيق محمد السليماني، الطبعة الأولىٰ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ١٤٠٦ هـ.
* **ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ت ٥٧١ هـ.**
٥٨ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري، تقديم وتعليق: محمد زاهد الكوثري، الناشر، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٩ هـ.
* **ابن فرحون: برهان الدين ابراهيم بن علي ت ٧٩٩ هـ.**
٥٩ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، طبعة دار الكتب العلمية

بيروت، [د. ت] وبهامشه نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي.

* **ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد الزرعي ت ٧٥١ هـ.**

٦٠ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، [د. ت].

٦١ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق أحمد عبد الشافي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ.

* **ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ.**

٦٢ ـ تفسير القرآن العظيم، طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨ هـ.

٦٣ ـ البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، [د. ت].

* **ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١ هـ.**

٦٤ ـ لسان العرب، نسخة مصورة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة [د. ت].

* **أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت ٤١٨ هـ.**

٦٥ ـ أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٢ هـ.

* **أبو داود: سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥ هـ.**

٦٦ ـ السنن: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، [د. ت].

* **أبو المظفر السمعاني: منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بالسمعاني ت ٤٨٩ هـ.**

٦٧ ـ الانتصار لأهل الحديث، تلخيص السيوطي في صون المنطق، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، والسيدة سعاد عبد الرزاق، الطبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٨٩ هـ.

* **أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١ هـ.**

٦٨ ـ المسند وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، فهرس محمد ناصر الدين لرواته من الصحابة، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ.

٦٩ ـ كتاب الزهد، الطبعة الأولى، دار الديان للتراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٨ هـ.

* **أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي ت ١٢٤١ هـ.**

٧٠ ـ حاشية على تفسير الجلالين، دار الفكر ١٣٩٣ هـ.

* **أحمد بن محمد الميداني، ت ٥١٨ هـ.**
٧١ ـ مجمع الأمثال، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ.
* **الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٢٤ هـ.**
٧٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ.
٧٣ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩ هـ.
* **الأصفهاني: الحسين بن محمد الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ.**
٧٤ ـ المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت [د. ت].
* **البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ.**
٧٥ ـ صحيح البخاري، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت [د. ت] وصحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، الطبعة السلفية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع [د. ت].
٧٦ ـ خلق أفعال العباد، ضمن كتاب العقائد السلفية، تحقيق علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١ م.
* **البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩ هـ.**
٧٧ ـ الفرق بين الفرق، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، [د. ت].
* **البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ت ٤٨٦ هـ.**
٧٨ ـ المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الطبعة ١٩١٣ م.
* **البيجوري: إبراهيم البيجوري.**
٧٩ ـ حاشية على متن السنوسية، دار إحياء الكتب العربية في مصر [د. ت].
* **التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى، ت ٦١٧ هـ.**
٨٠ ـ التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
* **الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ.**
٨١ ـ السنن: تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ، وطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ مراجعة عبد الرحمن

محمد عثمان.

* **الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣ هـ.**

٨٢ ـ الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشيلي، وأسامة مرعشيلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤ م.

* **الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ٣٨٨ هـ.**

٨٣ ـ رسالة الغنية عن الكلام، نشرت في صون المنطق للسيوطي.

* **خليل بن إسحاق بن موسى ت ٧٧٦ هـ.**

٨٤ ـ مختصر خليل، تعليق أحمد نصر، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٩٢ هـ.

* **الدسوقي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الدسوقي ت ١٢٣٠ هـ.**

٨٥ ـ شرح على أم البراهين للسنوسي، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت].

* **الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ.**

٨٦ ـ سير أعلام النبلاء: تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٠ هـ.

٨٧ ـ تذكرة الحفاظ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت [د. ت].

٨٨ ـ العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها، تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المطبعة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ.

* **الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم عاش في القرن الخامس الهجري.**

٨٩ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق الدكتور المنجي الكعبي طبعة تونس ١٩٦٧ م.

* **السنوسي: أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، ت ٨٩٥ هـ.**

٩٠ ـ أم البراهين، طبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت] وضمن مهمات المتون، الطبعة الرابعة، دار الفكر ١٣٦٩ هـ.

* **السبكي: تقي الدين أبو الحسن علي السبكي ت ٧٥٦ هـ.**

٩١ ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام، الطبعة عام ١٣٧١ هـ.

* **السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١ هـ.**

٩٢ ـ الحاوي للفتاوي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ.

٩٣ ـ صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق الدكتور علي سامي النشار والسيدة سعاد عبد الرزاق، الطبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٨٩ هـ.

* **الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي ت ٧٩٠ هـ.**
٩٤ ـ الاعتصام، دار المعرفة، بيروت، [د. ت] ودار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ.
* **الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ت ٥٤٨ هـ.**
٩٥ ـ الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دارا لمعرفة، بيروت ١٤٠٤ هـ.
* **الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني: ت ١٢٥٠ هـ.**
٩٦ ـ التحف في مذاهب السلف تقديم وتعليق سليم بن عيد الهلالي وعلي حسن علي عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء ١٤٠٩ هـ.
٩٧ ـ فتح القدير في التفسير، طبعة بيروت [د. ت].
٩٨ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة بيروت [د. ت].
* **صالح عبد السميع الأبي الأزهري.**
٩٩ ـ الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت [د. ت].
١٠٠ ـجواهر الإكليل شرح مختصر خليل، دار الفكر بيروت [د. ت].
* **الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ.**
١٠١ ـجامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة الثالثة، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٨ هـ.
* **عبد الكريم بن منصور السمعاني ت ٦١٥ هـ.**
١٠٢ ـالأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨ هـ.
* **عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥ هـ.**
١٠٣ ـشرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة القاهرة ١٣٨٤ هـ.
* **عبد الواحد المراكشي: محيي الدين أبو محمد عبد الواحد التميمي ت ٦٢١ هـ.**
١٠٤ ـالمعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٦٨ هـ.
* **عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي ت ٦١١ هـ.**
١٠٥ ـتاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث في دار الآفاق الجديدة، طبعة دار الآفاق الجديدة نفسها، بيروت ١٤٠٠ هـ.
* **عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت ٥٤٤ هـ.**
١٠٦ ـترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك طبعة وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، تحقيق عبد القادر الصحراوي، وآخرون.

* **الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ.**

١٠٧ ـالقاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧ هـ.

* **القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١ هـ.**

١٠٨ ـالجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ.

* **القرافي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي ت ٦٨٤ هـ.**

١٠٩ ـالفروق فهرس له الدكتور محمد رواس، طبعة دار المعرفة، بيروت [د. ت].

* **محمد بن أبي بكر الرازي، توفي حوالي ٦٦٦ هـ.**

١١٠ ـمختار الصحاح، تحقيق وترتيب حمزة فتح الله ومحمود خاطر طبعة مؤسسة الرسالة، دار البصائر، دمشق، بيروت ١٤٠٥ هـ.

* **محمد الطالب بن حمدون الفاسي ت ١٢٧٣ هـ.**

١١١ ـحاشية على ميارة شرح المرشد المعين لابن عاشر، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ.

* **محمد المحلي: أبو عبد الله محمد المحلي ت ٨٦٤ هـ.**

١١٢ ـشرح جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢ هـ.

* **محمد مرتضى الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ.**

١١٣ ـتاج العروس نشر المطبعة الوهبية ١٢٧٧ هـ.

* **محمد علي الفارقي التهانوني ت ١١٥٨ هـ.**

١١٤ ـكشاف اصطلاحات الفنون، حققه الدكتور لطفي عبد البديع وترجم نصوصه الفارسية الدكتور عبد المنعم محمد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

* **مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١ هـ.**

١١٥ ـصحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت [د. ت].

* **المقري: أحمد بن محمد بن أحمد المقري ١٠٤١ هـ.**

١١٦ ـإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة بشرح محمد بن أحمد الشنقيطي، دار العلم للجميع [د. ت].

* **المنذري: عبد العظيم عبد القوي، ت ٦٥٦ هـ.**
١١٧ ـمختصر صحيح مسلم، تحقيق الألباني، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي بيروت دمشق ١٤٠٥ هـ.
١١٨ ـاختصار سنن أبي داود مع معالم السنن للخطابي، تهذيب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، طبعة مكتبة السنّة المحمدية [د. ت].
* **المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ.**
١١٩ ـكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة العربية بالقاهرة، [د. ت].
* **النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦ هـ.**
١٢٠ ـشرح صحيح مسلم، الطبعة المصرية، [د. ت] ودار إحياء التراث العربي بيروت، [د. ت].
* **الهروي: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري ت ٤٨١ هـ.**
١٢١ ـذم الكلام تلخيص السيوطي في صون المنطق، تحقيق الدكتور علي سامي النشار والسيدة سعاد عبد الرزاق، الطبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٨٩ هـ.
* **الونشريسي: أحمد بن يحيى الونشريسي، ت ٩١٤ هـ.**
١٢٢ ـالمعيار المعرب عن فتاوى إفريقية والمغرب، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠١ هـ.

المراجع الحديثة المطبوعة:

* **إبراهيم الجمل:**
١٢٣ ـالإمام عبد الله بن ياسين، طبعة دار الإصلاح ١٩٨١ م.
* **إبراهيم حركات:**
١٢٤ ـالمغرب عبر التاريخ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ م.
* **أحمد بن أحمد المختار:**
١٢٥ ـإكمال وتعليق على تحفة الألباب شرح الأنساب، لحماد بن الأمين المجلسي، طبعة قطر [د. ت].
١٢٦ ـمواهب الجليل على مختصر خليل، طبعة قطر.
١٢٧ ـإعداد المهج للاستفادة من المنهج، طبعة إحياء التراث الإسلامي في دولة قطر ١٤٠٣ هـ.

* أحمد أمين.
١٢٨ ـظهر الإسلام، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي بيروت [د. ت].
* أحمد بن حجر آل أبو طامي.
١٢٩ ـالعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، الطبعة ١٣٩٠ هـ.
* أحمد بن الأمين الشنقيطي.
١٣٠ ـالوسيط في تراجم أدباء شنقيط، طبعة مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ هـ.
* أحمد عطية الله.
١٣١ ـالقاموس السياسي طبعة دار النهضة القاهرة ١٩٨٠ م.
* أحمد محمد شاكر:
١٣٢ ـالباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تقديم محمد عبد الرزاق حمزة، الطبعة الثالثة، مكتبة دار التراث القاهرة ١٣٩٩ هـ.
* أحمد مختار العبادي:
١٣٣ ـفي تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨ م.
* أحمد محمد البناني:
١٣٤ ـموقف ابن تيمية من التصوف والصوفية، الطبعة الأولى كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى بمكة المكرمة].
* أحمد محمد جلي:
١٣٥ ـدراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، الطبعة الثانية مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٨ هـ.
* أمين الريحاني:
١٣٦ ـملوك العرب، الطبعة الثالثة، مطابع صادر ريحاني، بيروت ١٩٥١ م.
* الأمين الحاج:
١٣٧ ـحجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد، الطبعة الأولى، دار المطبوعات الحديثة جدة ١٤١٠ هـ.
* الألباني: محمد ناصر الدين الألباني:
١٣٨ ـصحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي بيروت دمشق ١٤٠٦ هـ.
١٣٩ ـحجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق ١٤٠٥ هـ.
* بداه بن البصيري:

١٤٠ ـتنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر، الطبعة الأولى، نواكشوط ١٤١٠ هـ.
١٤١ ـأسنىٰ المسالك في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك، طبعة نواكشوط ١٩٧٣ م.
* **بكر أبو زيد.**
١٤٢ ـطبقات النسابين، الطبعة الأولى، دار الرشيد بالرياض ١٤٠٧ هـ.
* **بول مارتي:**
١٤٣ ـكنتة الشرقيون، عربه وعلق عليه ووضع له ملحقات محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت بدمشق، [د. ت].
* **حسن إبراهيم حسن:**
١٤٤ ـتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧ م.
* **حسن أحمد محمود:**
١٤٥ ـقيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي [د. ت].
١٤٦ ـالإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة ١٩٥٨ م.
* **الحسن دنب صو:**
١٤٧ ـكتاب جمعية الدعوة السنية السلفية، نواكشوط [د. ت].
* **حسن المشاط:**
١٤٨ ـرفع الأستار على ظلعة الأنوار الطبعة بدون تاريخ ولا مكان.
* **الحسن السائح:**
١٤٩ ـالحضارة المغربية عبر التاريخ، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٧٥ م.
* **الخليل النحوي:**
١٥٠ ـبلاد شنقيط المنارة والرباط، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧ م.
* **الزركلي: خير الدين الزركلي.**
١٥١ ـالأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩ هـ.
* **سعد غراب:**
١٥٢ ـالمذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي، الطبعة بدون.

* سفر بن عبد الرحمن الحوالي:
١٥٣ ـمناهج الأشاعرة في العقيدة، الطبعة الأولى، الدار السلفية الكويت ١٤٠٧ هـ.
* السيد عبد العزيز سالم:
١٥٤ ـتاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية [د. ت].
١٥٥ ـتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ م.
* سيد قطب:
١٥٦ ـفي ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة ١٤٠٠ هـ.
* سلامة محمد سلمان الهرفي:
١٥٧ ـدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ.
* سيد الأمين المامي:
١٥٨ ـالمعين والزاد في الدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى مكة المكرمة ١٣٩٦ هـ.
١٥٩ ـلمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، الطبعة الثانية، مكة المكرمة ١٣٩٦ هـ.
* السيد محمد أبو العزم:
١٦٠ ـالأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ.
* شريف بن صالح أحمد الخطيب:
١٦١ ـالإمام زيد بن علي المفترى عليه، دار الندوة الجديدة بيروت منشورات المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ.
* صالح بن العزيز بن محمد:
١٦٢ ـهذه مفاهيمنا، الطبعة عام ١٤٠٧ هـ بدون تحديد مكان.
* صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان:
١٦٣ ـنظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان من الهفوات، الطبعة الثانية، الرياض ١٤١١ هـ.
* عبد الغني الدقر:
١٦٤ ـالإمام مالك بن أنس، دار القلم، الطبعة الثانية دمشق ١٤١٠ هـ.
* عبد القادر زبادية:
١٦٥ ـمملكة سنغاي في عهد الإسيقيين، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

بالجزائر، [د. ت].
* عبد اللطيف الدليشي الخالدي:
١٦٦ ـمن أعلام الفكر الإسلامي في البصرة الشيخ محمد أمين الشنقيطي، الطبعة الأولى، مؤسسة المطبوعات العربية بيروت ١٤٠١ هـ.
* عبد الله بن محمد الغنيمان:
١٦٧ ـشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار المدني جدة ١٤٠٥ هـ.
* عبد المجيد التركي:
١٦٨ ـمناظرات في أصول الشريعة، ترجمة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، ومراجعة الدكتور محمد عبد الحليم محمود، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٦ هـ.
* عبد المحسن بن حماد العباد:
١٦٩ ـالرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، الطبعة الأولى، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ.
* عبد الهادي أبو طالب وآخرون:
١٧٠ ـندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية بالرباط، شعبان ١٤٠٩ هـ.
* عصمت عبد اللطيف:
١٧١ ـدور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
* علي سامي النشار:
١٧٢ ـمقدمة كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، الطبعة الأولى، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٠١ هـ.
* عمر الأشقر:
١٧٣ ـالعقيدة في الله، الطبعة الخامسة، مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٨٤ م.
* علي بن محمد الدخيل الله:
١٧٤ ـالتجانية، دار طيبة، الرياض، [د، ت].
* ألفرد بل:
١٧٥ ـالفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن

الفرنسية عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٧٧ م.
* **اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:**
١٧٦ ـبحث مختصر عن الطائفة التجانية، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، الرياض ١٤١١ هـ.
* **مأمون محمد أحمد:**
١٧٧ ـمقدمة فتح الودود للشيخ سيدي المختار الكنتي، الطبعة الثانية مطبعة الكاتب العربي، [د. ت].
* **محمد بن أبي مدين:**
١٧٨ ـالصوارم والأسنة في الذب عن السنّة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ.
* **محمد أبو شهبة:**
١٧٩ ـالمدخل لدراسة القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٧ هـ.
* **محمد أحمد أبو زهرة:**
١٨٠ ـتاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي [د. ت].
* **محمد بن أحمد الشنقيطي:**
١٨١ ـشرح إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنّة، لأحمد المقري، دار العلم للجميع [د. ت].
* **محمد بن أحمد:**
١٨٢ ـالقول الجلي في حكم التوسل بالنبي، دار صبح الإسلامي [د. ت].
* **محمد حبيب الله بن مايابي:**
١٨٣ ـزاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت].
* **محمد رشيد رضا:**
١٨٤ ـمقدمة كتاب مجموعة الأحاديث النجدية لمجموعة من العلماء، الطبعة الثالثة، دار الكتب القطرية ١٣٨٢ هـ.
* **محمد الأمين بن محمد الخضر:**
١٨٥ ـمقدمة كوثر المعاني للشيخ محمد الخضر بن مايابي، الطبعة الأولى دار البشير، عمان ١٤٠٨ هـ.

* **محمد الأمين بن محمد المختار:**

١٨٦ ـأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، طبعة مؤسسة المدني ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م، وطبعة عالم الكتب بيروت [د. ت]، وهذه الطبعة الأخيرة تضمن الجزء العاشر منها ترجمة موسعة عن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بقلم تلميذه عطية محمد سالم.

١٨٧ ـمنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، طبعة الجامعة الإسلامية ١٤٠٠ هـ.

١٨٨ ـآداب البحث والمناظرة، طبعة دار ابن تيمية للطباعة والنشر القاهرة [د. ت].

١٨٩ ـرحلة الحج إلى بيت الله الحرام، تقديم عطية محمد سالم، الطبعة الأولى دار الشروق ١٤٠٣ هـ.

* **محمد الخضر بن مايابي:**

١٩٠ ـمشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، الطبعة الأولى دار البشير عمان ١٤٠٥ هـ.

* **محمد بن سعيد بن دهاه:**

١٩١ ـشرح وتحقيق لديوان ابن رزاكه، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

* **محمد السيد الجليند:**

١٩٢ ـالإمام ابن تيمية وقضية التأويل، الناشر شركة عكاظ بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

* **محمد بن عبد الله النقيرة:**

١٩٣ ـالتأثير الإسلامي في غرب إفريقية، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية الرياض ١٤٠٨ هـ.

* **محمد بن عبد الله بن سليمان:**

١٩٤ ـدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، الطبعة ١٤٠٧ هـ، بواسطة وكالة الفرقان.

* **محمد عبد الله عنان:**

١٩٥ ـدول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٨٩ هـ.

١٩٦ ـعصر المرابطين والموحدين في المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٣ هـ.

* **محمد الغربي:**

١٩٧ ـالساقية الحمراء ووادي الذهب، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء [د. ت].
* **محمد فاضل بن مامين:**
١٩٨ ـنعت البدايات وتوصيف النهايات، طبعة دار الفكر [د. ت].
* **محمد فال بن البناني:**
١٩٩ ـالجمهورية الإسلامية الموريتانية، الناشر: شركة المدينة للطباعة والنشر جدة ١٣٩١ هـ.
* **محمد المامي ابن الشيخ ماء العينين:**
٢٠٠ ـالجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، مطبوعات دار العلم، الدار البيضاء ١٩٥٧ م.
* **محمد المجذوب:**
٢٠١ ـعلماء ومفكرون عرفتهم، الطبعة الأولى، دار النفائس بيروت ١٣٩٧ هـ.
* **محمد مخلوف:**
٢٠٢ ـشجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، طبعة دار الفكر [د. ت].
* **محمد المختار بن أباه:**
٢٠٣ ـالشعر والشعراء في موريتانيا، طبعة الشركة الوطنية للتوزيع تونس ١٩٨٧ م.
* **محمد بن مود:**
٢٠٤ ـواضح البرهان والدليل في أن الذبيح إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الثقافة، قطر ١٩٩٠ م.
* **محمد الهبراوي:**
٢٠٥ ـعقيدة ابن تيمية الحنبلي، تحقيق للعقيدة السلفية ودراسة للمنهج السلفي التيمي، والأشعري، منشورات دار الحكمة، دمشق، بيروت [د. ت].
* **محمد يوسف مقلد:**
٢٠٦ ـموريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٠ م.
٢٠٧ ـشعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٢ م.
* **محمود أحمد خفاجي:**
٢٠٨ ـفي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، تحليل ونقد، الطبعة الأولى، مطبعة الأمانة القاهرة [د. ت].
* **المختار بن حامد:**
٢٠٩ ـحياة موريتانيا، طبعة الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٩٠ م.
* **المرابط بن عبد العزيز:**

٢١٠ ـتاريخ موريتانيا من حياة العلامة محمد المامي نواكشوط ١٩٨٢ م.

* **مصطفى حلمي:**

٢١١ ـقواعد المنهج السلفي، الطبعة الثانية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٤٠٥ هـ.

٢١٢ ـابن تيمية والتصوف، دار الدعوة، الإسكندرية [د. ت].

* **مصطفى عبد القادر عطا:**

٢١٣ ـمقدمة كتاب السيوطي لقط المرجان في أحكام الجان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦ هـ.

* **معهد البحوث والدراسات العربية:**

٢١٤ ـالجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة. جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧٨ م.

* **الناصري: أبو العباس الناصري السلاوي ت ١٣١٥ هـ:**

٢١٥ ـالاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤.

المراجع المكتوبة على الآلة الكاتبة والحاسب الآلي:

* **أبو بكر خالد باه:**

٢١٦ ـأثر الحركة الثقافية في قيام الدولة الإسلامية بفوتا، مكتوب على الآلة الكاتبة، [د. ت].

* **أحمد ولد أبو مدين:**

٢١٧ ـمحمد ولد أبو مدين، حياته وآثاره، بحث مكتوب على الآلة الكاتبة، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين ١٩٨٣ م.

* **أحمد سالم بن مولاي أعلى:**

٢١٨ ـدراسة لشخصية المختار بن أبلول، بحث مكتوب على الآلة الكاتبة، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بنواكشوط ١٩٨٤ م ١٩٨٥ م.

* **أحمد محمود عبد الوهاب:**

٢١٩ ـخبر الواحد وحجيته، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة، قدمت في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة

جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

* **أحمد بن المفيد:**

٢٢٠ ـ شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي في منتصف القرن ١٩ إلى منتصف القرن ٢٠، بحث غير منشور، مكتوب على الآلة الكاتبة، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين بنواكشوط ١٩٨١ م ١٩٨٢ م.

* **رشود محمد السلمي:**

٢٢١ ـ شعر الزهد في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، قسم الدراسات العليا شعبة الأدب والبلاغة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٠ هـ.

* **سميرة بنت صقر:**

٢٢٢ ـ الشنقيطي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٩ هـ ١٤١٠ هـ.

* **الطالب بن حمود بن محمد عبد الله:**

٢٢٣ ـ مقدمة كتاب الحجج المتكاثرة في صحة الصلاة في الطائرة للشيخ بداه بن البصيري بحث غير منشور مكتوب على الآلة الكاتبة، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] في العلوم الشرعية من معهد ابن عباس للدراسات الإسلامية بنواكشوط ١٤٠٩ هـ ١٤١٠ هـ.

* **عبد الله بن حسن بن حميدة:**

٢٢٤ ـ نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة، كلية الآداب ١٩٨٦ م.

* **عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس.**

٢٢٥ ـ منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤١٠ هـ.

* **المجيدري كمال الدين محمد حبيب الله اليعقوبي:**

٢٢٦ ـ مبين الصراط المستقيم، حققته آمنة بنت عبد الوهاب في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] مكتوب على الآلة الكاتبة ١٩٨٩ م ١٩٩٠ م.

* **محمد بن أبي مدين:**

٢٢٧ ـحياة باب بن الشيخ سيدي وعقيدته، مكتوب على الآلة الكاتبة [د. ت].

* **محمد الأمجد بن محمد الأمين:**

٢٢٨ ـكمال الدين محمد المجيدري اليعقوبي، حياته وآثاره بحث غير منشور مكتوب على الآلة الكاتبة قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من كلية الآداب بجامعة نواكشوط ١٩٨٩ م ١٩٩٠ م.

* **محمد الأمين بن داداه:**

٢٢٩ ـمحمد بن محمد سالم: بحث مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط ١٩٨٤ م.

* **محمد الصوفي بن محمد الأمين:**

٢٣٠ ـالمحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية التربية ١٤٠٦ هـ.

* **محمد عبد الرحمن بن محمد محمود:**

٢٣١ ـعرض موجز عن معهد الفاروق، مكتوب على الآلة الكاتبة [د. ت].

* **محمد عبد الله بن سيد أحمد:**

٢٣٢ ـالفكر النهوضي عند المختار بن أبلول بحث غير منشور مكتوب على الآلة الكاتبة، قدم للحصول على الإجازة العالية [الليسانس] من جامعة نواكشوط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية ١٩٨٨ م ١٩٨٩ م.

* **محمد غالي بن الحاج محمود باه:**

٢٣٣ ـدليل المدرسة الفلاحية في الجمهورية الإسلامية الموريتانية، مكتوب على الآلة الكاتبة، نواكشوط ١٤٠٨ هـ.

* **محمد المختار بن السعد:**

٢٣٤ ـنظرة تاريخية إلى شربية، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط ١٩٨٢ م.

* **محمد المهابة بن سيدي محمد:**

٢٣٥ ـمذهب السلف في التفويض في آيات الصفات وأحاديثها قدم له وحققه الطالب أحمد بن سيدي حمود، مكتوب على الحاسب الآلي في شوال عام ١٤١٠ هـ. بجدة.

* **محمد فاضل بن محمد الأمين:**

٢٣٦ ـاستمارة معهد ابن عباس، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط ١٩٨٨ م.

٢٣٧ ـمنظومة في توحيد العبادة مكتوبة على الآلة الكاتبة، نشرها معهد ابن عباس عام ١٤١١ هـ تحت عنوان: وقت إحسان الغافلين.

٢٣٨ ـمنظومة في التقليد والاجتهاد، مكتوبة على الآلة الكاتبة في نواكشوط بتاريخ

١١/٨/١٩٩١ م. تحت عنوان [المقلد الأعمى].

* **محمد بن ماديك:**

٢٣٩ ـ رسالة المعهد الإسلامي السلفي في التوحيد، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط بتاريخ ١٤١١ هـ.

* **محمد المختار بن محمد الأمين:**

٢٤٠ ـ دراسة وتحقيق لكتاب مراقي السعود إلى مراقي السعود لمحمد الأمين بن أحمد زيدان، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتوبة على الآلة الكاتبة، قدمت للحصول على الماجستير من قسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٠ هـ ١٤٠١ هـ.

* **مدرسة العون:**

٢٤١ ـ منهجية الدراسة عن طريق المتون في مدرسة العون، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط بتاريخ ١/٥/١٤٠٠ هـ.

* **معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا:**

٢٤٢ ـ بيان المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية التي نظمها وينظمها المعهد، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط [د. ت].

٢٤٣ ـ تعريف موجز عن أعمال معهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا مكتوب على الآلة الكاتبة [د. ت].

* **معهد الفاروق:**

٢٤٤ ـ إفادة عن معهد الفاروق، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط ١٤٠٦ هـ.

* **موسى الحسن دنب صو:**

٢٤٥ ـ ترجمة الوالد الحسن دنب صو، مكتوب على الآلة الكاتبة في نواكشوط [د. ت].

* **وزارة الشؤون الإسلامية في موريتانيا:**

٢٤٦ ـ كتاب التهذيب، مكتوب على الآلة الكاتبة، ١٩٧٨ م.

المقالات الصحفية والدوريات:

* **الدكتور أحمد مختار أنبو، المدير العام لمنظمة التربية والعلوم والثقافة [اليونسكو] سابقاً.**

١ ـ نداء لإحياء المدن العلمية والتاريخية في موريتانيا، مقال نشرته جريدة الشعب الموريتانية بتاريخ ١٦/٥/١٩٨٦ م.

* **محمد المصطفى الندي:**

٢ ـ محاضرنا رمز أصالتنا الثقافية، مجلة الشعب الموريتانية، العدد الأول، رمضان ١٤٠٢ هـ.

* **الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:**

٣ ـ خطاب بمناسبة الحملة الدولية لإنقاذ المدن التاريخية: شنقيط، ودان، تشيت، ولاته، نشرته جريدة الشعب الموريتانية، في العدد ١٧٠٢، في ١٣/٤/١٤٠١ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٥
المقدمة	٧
منهج البحث	١٤
التمهيد: السلف والسلفية ومنهجهم في العقيدة	١٧
السلف والسلفية في اللغة	١٨
مفهوم السلف والسلفية في الاصطلاح	٢٠
منهج السلف في دراسة العقيدة	٣٢
الفوارق الأساسية بين منهج السلف والمناهج الكلامية	٣٧
العمل بخبر الواحد في أصول الدين وفروعه	٤٠
موقف السلف من الخوض في علم الكلام	٤٥
منهج السلف يضمن السلامة في الدين والدنيا	٥٣
رجوع عدد من المتكلمين إلى عقيدة السلف	٥٥
الفصل الأول: نبذة عن موريتانيا	٥٩ ـ ١٣٤
التعريف بموريتانيا	٦٠
لمحة عن الديانات السائدة في المنطقة قبل دخول الإسلام	٦٤
دخول الإسلام في بلاد المغرب	٦٦
الخلاف في تاريخ فتح موريتانيا	٦٧
وصول عقبة بن نافع إلى المحيط الأطلسي	٦٩
موقعة تهودة واستشهاد عقبة بن نافع	٧٠
حملة حبيب بن أبي عبيدة تجاوزت السوس الأقصى	٧٢
انضواء الملثمين تحت لواء الأدارسة	٧٤
الحلف الصنهاجي تمخض عن إسهام فعال في نشر الإسلام	٧٥
المجتمع الموريتاني طابعه وطبقاته	٧٧

الموضوع	الصفحة

المجتمع الموريتاني يغلب عليه الطابع القبلي ٧٨
شيم قبائل الزوايا ودورهم في المجتمع ٧٩
بنو حسان ودورهم في المجتمع ٨٠
الاتباع وطوائفهم ٨١
الأقلية الزنجية في المجتمع الموريتاني ٨٣
ثقافة المجتمع الموريتاني من خلال الحاضر ٨٥
بداية التعليم الإسلامي قبل نشأة المحاضر ٨٦
التعريف بالمحاضر نشأتها وتطورها ٨٧
المحاضر فريدة من نوعها ٨٨
تاريخ نشأة أهم المحاضر ٨٩
محضرة شنقيط تفرع عنها معظم المحاضر في البوادي ٩٢
أهداف المحاضر ٩٣
عوامل انتشار التعليم المحضري ٩٥
الإسلام يأمر بالتعلم ويحث عليه ويرفع من شأنه ٩٥
الهجرة والرحلات العلمية والدينية ٩٦
الحروب القبلية ١٠٠
نظام المحاضر ١٠٣
نظام المحاضر يكاد يكون منقطع النظير ١٠٦
ظروف الدراسة في المحاضر ١٠٧
مقارنة أحمد بن الأمين بين ظروف الطلبة في المشرق وفي بلاد شنقيط ١٠٧
الحياة العلمية في المحاضر مليئة بصور الكد والعناء ١٠٨
المناهج الدراسية في المحاضر ١٠٩
مراحل الدراسة في المحاضر والمتون التي تدرس فيها ١١٠
المحاضر خرجت أجيالاً من العلماء حملوا العلم معهم في الحل والترحال ... ١١٤
علماء المحاضر ما حلوا بأرض إلا وخلفوا فيها ذكراً حسناً ١١٥
أمثلة من علماء المحاضر الذين اشتهروا خارج بلادهم ١١٦
حركة التأليف في المحاضر ١٢١
المعهد الموريتاني للبحث العلمي وجهوده في جمع المخطوطات ١٢٢
الاتجاهات الدينية في المجتمع الموريتاني ١٢٣

الموضوع	الصفحة

السلفيون والأشاعرة ١٢٤
لمحة عن بداية ظهور الصوفية في المنطقة ١٢٥
القادرية ١٢٦
الشاذلية ١٢٩
التجانية ١٣١
الفصل الثاني: المرابطون وأسس دعوتهم .... ١٣٥ ـ ١٧٤
التعريف بالمرابطين ١٣٦
الرباط وفضله ١٣٩
مكان رباط ابن ياسين ١٤٠
بداية دعوة المرابطين ١٤٢
التعريف بعبدالله بن ياسين ١٤٣
عقيدة عبدالله بن ياسين ١٤٥
أسس دعوة المرابطين ١٤٧
الأساس الأول: التعليم والتربية الإسلامية ١٤٧
لقاء ابن ياسين بالملثمين ١٤٨
تعاليم ابن ياسين في رباط التيدرة ١٤٩
رباط ابن ياسين برز في نواحي ثلاث ١٥٠
الأساس الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٥١
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٥٢
فقهاء المالكية وجرأتهم في بيان الحق ١٥٣
عبدالله بن ياسين أسس دولة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٥٤
ابن ياسين حرب على البدع والفساد ١٥٥
أخلاق ابن ياسين وتلاميذه ١٥٦
الأساس الثالث: الجهاد في سبيل الله ١٥٧
مكانة الجهاد في المغرب الإسلامي ١٥٩
حركة الجهاد التي قادها المرابطون ١٦٠
انطلاق المرابطين في الجهاد ١٦١
قسمة الغنائم في عهد المرابطين ١٦٢
القضاء على الفرق الضالة في عهد المرابطين ١٦٤

الموضوع	الصفحة

استشهاد ابن ياسين ومبايعة أبي بكر بن عمر ١٦٥
استشهاد أبي بكر بن عمر ١٦٧
المرابطون توغلوا في غرب إفريقيا ١٦٧
تولي يوسف بن تاشفين قيادة المرابطين ١٦٨
نجاح ابن تاشفين في التمكين للعقيدة السلفية ١٦٩
دخول ابن تاشفين للأندلس وموقعة الزلاقة ١٦٩
جهاد المرابطين صفحة مشرقة في تاريخ الدعوة الإسلامية ١٧٠
الأساس الرابع: العدالة الاقتصادية ١٧٠
المرابطون رفعوا المغارم الجائرة ١٧١
الدولة المرابطية قامت على نظام اقتصادي إسلامي ١٧٢
المرابطون أصحاب رسالة إسلامية يريدون رضى الله تعالى ١٧٢
دعوة المرابطين لقيت الترحيب في كل بلد حلوا به ١٧٣
الفصل الثالث: منهج المرابطين العقدي والرد على تهم ابن تومرت .. ١٧٥ ـ ٢١٧
السلفية قبل قيام دولة المرابطين ١٧٦
أهل المغرب الإسلامي كان أغلبهم على عقيدة السلف قبل ظهور دعوة ابن تومرت ١٧٧
مقاومة فقهاء المالكية للمعتزلة في القيروان ١٧٨
اعتناق الأغالبة لعقيدة المعتزلة زاد أهل السنة صموداً على الحق ١٧٩
محنة سحنون وتلاميذه بسبب رفضهم لعقيدة المعتزلة ١٨٠
انتصار أهل السنة وهزيمة المعتزلة في المغرب الإسلامي ١٨١
كلام القاضي عياض عن مذهب مالك ١٨١
أمثلة من العلماء السلفيين قبل قيام دولة المرابطين ١٨٢
منهج المرابطين العقدي ١٨٨
الغلبة ظلت للاتجاه السلفي في عهد المرابطين ١٨٩
انحطاط الفلسفة وعلم الكلام في العهد المرابطي ١٩٠
الدولة المرابطية قامت على عقيدة السلف ١٩٠
المرابطون أعداء البدعة والضلالة ١٩١
المستشرقون يصفون منهج المرابطين السلفي بالسذاجة ١٩١
موقف المرابطين من التصوف ١٩٢

الموضوع	الصفحة
الصراع بين المتصوفة وفقهاء المرابطين	١٩٢
إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي	١٩٣
حادثة إحراق الإحياء تمثل موقفاً حازماً ضد التصوف الفلسفي	١٩٥
انتصار بعض فقهاء المرابطين للغزالي وإحيائه	١٩٧
مطاردة كتب الغزالي استمرت بعد وفاة علي بن يوسف	١٩٨
تهم ابن تومرت للمرابطين والرد عليها	١٩٩
لمحة عن شخصية ابن تومرت	١٩٩
رحلة ابن تومرت إلى المشرق واتصاله بالغزالي	٢٠٠
عودة ابن تومرت من رحلته المشرقية	٢٠١
دعوة ابن تومرت قامت على الزيف والخداع والابتداع	٢٠٢
تهمة ابن تومرت للمرابطين بالتجسيم والرد عليها	٢٠٤
تهمة ابن تومرت للمرابطين بالظلم والباطل والرد عليها	٢٠٧
سفور وجوه النساء لا يعتبر تشبهاً بالرجال كما زعم ابن تومرت	٢١٣
اختلاف العلماء فيما يجوز للمرأة أن تكشفه من بدنها	٢١٣
الفصل الرابع: دخول الأشعرية في المغرب وانتشارها في موريتانيا	٢١٩ ـ ٢٤٠
دخول الأشعرية في المغرب	٢٢٠
تمكين ابن تومرت للعقيدة الأشعرية في المغرب	٢٢٣
انتشار العقيدة الأشعرية في موريتانيا	٢٢٥
رحلة المغاربة إلى بلاد شنقيط استمرت لفترة طويلة	٢٢٦
كلام اللمتوني عن الحالة الدينية في شنقيط بعد عهد المرابطين	٢٢٨
بداية الانتشار الحقيقي للأشعرية وأسبابه	٢٢٩
عناية الموريتانيين بمؤلفات العلماء المغاربة في العقيدة الأشعرية	٢٢٩
نصوص من المؤلفات الأشعرية المعتمدة في محاضر موريتانيا	٢٣١
صلة الموريتانيين بالمراكز العلمية والدينية في المغرب	٢٣٤
أمثلة من علماء الشناقطة الأشاعرة والمتصوفة الذين درسوا في المغرب	٢٣٥
علاقة الثقافة المحضرية بالمصادر المغربية والأندلسية	٢٣٨
اتقان تآليف السنوسي هو طريق الإيمان الصحيح عند أشاعرة موريتانيا	٢٣٩
الفصل الخامس: عودة الفكر السلفي إلى البلاد	٢٤١ ـ ٢٨٠
حالة البلاد قبل دعوة الإمام ناصر الدين	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
الإمام ناصر الدين، دعوته وجهاده	٢٤٥
ناصر الدين داعية فهم الإسلام فهماً صحيحاً وطبقه	٢٤٦
دعوة الإمام ناصر الدين دعوة سلفية	٢٤٦
الإمام ناصر الدين نسج دعوته على منوال المرابطين	٢٤٧
ناصر الدين أسس دولة على هدى الكتاب والسنة	٢٥٠
مبدأ الجهاد أخذ الأولوية من اهتمام الإمام ناصر الدين	٢٥٠
حركة الإمام ناصر الدين أغضبت الفرنسيين وبني حسان	٢٥١
اندلاع حرب شرببه	٢٥٢
هزيمة حركة الإمام ناصر الدين العسكرية كانت سبباً في ازدهار علمي	٢٥٤
الاتجاهات الفكرية التي تمحض عنها الازدهار العلمي بعد حرب شرببه	٢٥٤
نشأة مدرسة المجيدري	٢٥٦
التعريف بالمجيدري	٢٥٨
الصراع بين مدرسة المجيدري ومدرسة المختار بن بون	٢٦٠
مؤلفات المجيدري	٢٦٠
وفاة المجيدري	٢٦١
المأمون بن محمد اليعقوبي ودفاعه عن عقيدة السلف	٢٦٢
مؤلفات المأمون بن محمد اليعقوبي	٢٦٣
مولود بن أحمد الجواد وموقفه ضد المدرسة الأشعرية	٢٦٣
منهج مدرسة المجيدري في العقيدة	٢٦٥
موقف مدرسة المجيدري من علم الكلام	٢٦٨
موقف الأشاعرة من المجيدري	٢٧٠
جواب المجيدري للأشاعرة في اتهامهم له بالابتداع والضلال	٢٧٢
المساجلات الشعرية التي دارت بين مدرسة المجيدري والمختار بن بون	٢٧٢
موقف مدرسة المجيدري من التصوف	٢٧٦
الفصل السادس: الشيخ باب ومنهجه في العقيدة	٢٨١ ـ ٢٩٨
التعريف بالشيخ باب	٢٨٢
أقوال العلماء فيه	٢٨٦
مؤلفاته	٢٨٧
وفاته	٢٨٩

الموضوع	الصفحة
منهج الشيخ باب في العقيدة	٢٩٠
أبياته في التوسل	٢٩٣
موقفه من التصوف	٢٩٥
الفصل السابع: تلاميذ الشيخ باب وتأثيره العام على العقيدة	٢٩٩ ـ ٣٤٢
تلاميذه	٣٠٠
الشيخ محمد المهابة بن سيدي محمد	٣٠٠
اشتغال الشيخ محمد المهابة بالتدريس والقضاء والفتيا	٣٠٢
مؤلفات محمد المهابة بن سيدي محمد	٣٠٣
منهج محمد المهابة في العقيدة	٣٠٤
رأي الشيخ محمد المهابة في المعية	٣٠٦
رد الشيخ محمد المهابة على الأشاعرة في تقسيم الصفات الإلهية	٣٠٨
دعوة الشيخ محمد المهابة إلى تحقيق توحيد العبادة لله تعالى	٣١٠
الشيخ محمد بن أبي مدين	٣١١
مهنة الشيخ محمد بن أبي مدين ومؤلفاته	٣١٣
نشاط محمد بن أبي مدين في الدعوة السلفية	٣١٤
منهج محمد بن أبي مدين السلفي	٣١٦
موقف محمد بن أبي مدين من قضية التفويض والتأويل	٣١٨
قوله في مسألة كلام الله تعالى	٣١٨
قوله في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة	٣١٩
رأيه في معية الله تعالى	٣١٩
نصرته للسنة	٣٢٠
محاربته للبدعة	٣٢٢
رده على أهل معية الذات	٣٢٣
رده على أهل وحدة الوجود	٣٢٤
رده على بعض الزنادقة	٣٢٧
عبد الودود بن عبد الملك ومؤلفاته	٣٢٨
منهجه السلفي	٣٢٩
تأثير الشيخ باب العام على العقيدة	٣٣١
الشيخ المختار بن حامد واعتناقه لعقيدة السلف	٣٣٢

الموضوع	الصفحة

موقف المختار بن حامد من التصوف ٣٣٣
الشيخ سيد المختار بن عبد المالك ومنهجه السلفي ٣٣٤
الشيخ محمد الشيباني ومنهجه السلفي ٣٣٧
موقف محمد الشيباني من التصوف ٣٤٠
الفصل الثامن: الشيخ الأمين، منهجه في العقيدة وأثره في موريتانيا ٣٤٣ ـ ٣٩٠
التعريف بالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار ٣٤٤
أعماله وجهوده قبل قدومه إلى المملكة العربية السعودية ٣٤٩
جهوده في نشر العلم والدعوة بعد الاستقرار في المملكة ٣٥٠
مؤلفاته ٣٥٣
وفاته ومراثيه ٣٥٦
منهجه في العقيدة ٣٥٨
رده على المبتدعة والضلال ٣٦٦
أثر الشيخ محمد الأمين المباشر على العقيدة في موريتانيا ٣٧١
الجدل حول مؤلفاته وأثرها في موريتانيا ٣٨٠
الفصل التاسع: نشاط تلاميذ الشيخ الأمين في الدعوة السلفية في موريتانيا .... ٣٩١ ـ ٤٤٤
عناية الشيخ الأمين بتلاميذه ٣٩٢
غالبية تلاميذ الشيخ الأمين دعاة إلى منهج السلف ٣٩٤
أحمد بن أحمد المختار وجهوده في الدعوة السلفية ٣٩٥
محمد عبدالله بن الصديق ونشاطه في نشر العقيدة السلفية ٣٩٩
محمد المختار بن سيدي محمد وجهوده في نشر عقيدة السلف ٤٠٢
محمد بن ماديك وجهوده في الدعوة إلى العقيدة السلفية ٤٠٤
محمد الخضر الناجي وجهوده في بيان عقيدة السلف ٤٠٧
محمد بن سيدي الحبيب ونشاطه في الدعوة السلفية ٤١٢
الحسين بن عبد الرحمن ونشاطه في الدعوة إلى توحيد العبادة لله عز وجل ... ٤١٣
محمد الأمين بن الحسين ونشاطه في الدعوة السلفية وإصلاح ذات البين ٤١٧
محمد عمر بن حويه ونشاطه في بيان عقيدة السلف والدعوة إليها ٤٢٠
سيد محمد ساداتي ونشاطه في بيان منهج السلف والدعوة إليه ٤٢٢
عبدالله بن محمد الأمين ونشاطه في الدعوة السلفية ٤٢٥

الموضوع	الصفحة
محمد عبدالله بن عمر ونشاطه في الدعوة إلى منهج السلف والتحذير من البدع	٤٢٧
محمود محمد الأمين ونشاطه في الدعوة السلفية	٤٢٨
محمد يعقوب طالب عبيدي ونشاطه في الدعوة إلى عقيدة السلف ومنهجهم	٤٣١
محمد أحمد دادح ونشاطه في الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة واتباع منهج السلف	٤٣٤
محمد أحيد بن عمر ونشاطه في بيان منهج السلف والدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة	٤٣٦
إبراهيم بن عثمان ودعوته إلى العمل بالكتاب والسنّة واتباع منهج السلف	٤٣٧
التلميد بن محمود ودعوته إلى اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح	٤٣٨
محفوظ بن سيدات ونشاطه في الدعوة السلفية	٤٤٠
محمد عبدالله بن أحمد مزيد ونشاطه في الدعوة إلى التمسك بما كان عليه السلف	٤٤١
مأمون محمد أحمد ونشاطه في الدعوة إلى عقيدة السلف ومنهجهم	٤٤٢
الفصل العاشر: الشيخ بداه، نشاطه ومنهجه في العقيدة	٤٤٥ ـ ٤٧٢
التعريف بالشيخ بداه بن البصيري	٤٤٦
أقوال العلماء فيه	٤٤٩
مؤلفاته	٤٥١
نشاطه	٤٥٤
مدرسته	٤٥٤
إمامة الجامع والتدريس والفتيا به	٤٥٦
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٥٧
منهج الشيخ بداه في العقيدة	٤٥٩
معتقده في كلام الله تعالى	٤٦٤
انتصاره للسلفيين	٤٦٥
موقفه من علم الكلام	٤٧٠
موقفه من التصوف	٤٧١
الفصل الحادي عشر: المدارس المتفرعة عن مدرسة بداه	٤٧٣ ـ ٤٨٦
مدرسة العون للتعاليم الإسلامية ودورها	٤٧٤
المواد المقررة في مدرسة العون للتعاليم الإسلامية	٤٧٥

الموضوع	الصفحة

المنهج السلفي في مدرسة العون ٤٧٥
معهد الفاروق تأسيسه وأهدافه ٤٧٧
المنهج السلفي في معهد الفاروق ٤٧٨
الكتب المقررة في مادة العقيدة في معهد الفاروق ٤٧٩
مدرسة أحمد بن المرابط تأسيسها والمواد التي تدرس فيها ٤٨٠
منهج مدرسة أحمد بن المرابط في العقيدة ٤٨٣
مدرسة محمد محمود بن أحمد يور، تأسيسها والمواد التي تدرس فيها ٤٨٤
منهج مدرسة محمد محمود بن أحمد يور في العقيدة ٤٨٥
الفصل الثاني عشر: مؤسسات سلفية ذات طابع مختلف .... ٤٨٧ ـ ٥٢٢
لمحة عن أسباب كثرة المعاهد والمدارس السلفية في موريتانيا المعاصرة ٤٨٨
مدرسة الفلاح تأسيسها وجهودها في نشر العقيدة السلفية ٤٩٠
المنهج السلفي في مدرسة الفلاح ٤٩٢
الكتب المقررة في مادة العقيدة بمدرسة الفلاح ٤٩٣
جمعية الدعوة السنية السلفية وجهودها في الدعوة الإسلامية ٤٩٤
أهداف جمعية الدعوة السنية ومنهجها السلفي ٤٩٦
الكتب المقررة في مادة العقيدة بجمعية الدعوة السنية ٤٩٨
معهد العلوم الإسلامية والعربية والتطورات التي مر بها ٤٩٩
نشاط معهد العلوم الإسلامية في الدعوة إلى منهج السلف ٤٩٩
الكتب المقررة في مادة العقيدة بمعهد العلوم الإسلامية ٥٠١
تأسيس مركز الدعوة السعودي في نواكشوط ٥٠٣
نشاط المركز في الدعوة السلفية ٥٠٤
المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية وأهدافه ٥٠٦
المنهج السلفي في المعهد العالي ٥٠٨
معهد ابن عباس أهدافه ونشاطه في الدعوة الإسلامية ٥٠٩
المنهج السلفي في معهد ابن عباس ٥١١
نبذ معهد ابن عباس للبدع ٥١٢
مدرسة الهدى والمواد المقررة فيها وأهدافها ٥١٤
المعهد الإسلامي السلفي في كيفا ونشاطه في بيان عقيدة السلف ٥١٧
أبيات محمد الأمين بن محمد محمود في إثبات الصفات ٥٢٠

الموضوع	الصفحة

الكتب المقررة في مادة العقيدة في المعهد الإسلامي في كيفا ٥٢٠

الفصل الثالث عشر: فقهاء ومثقفون سلفيون .... ٥٢٢ ـ ٥٤٨

محمد يحيىٰ بن عمر ٥٢٣

محمد بن مود ومنهجه السلفي ٥٢٤

محمد يسلم بن أح ومنهجه السلفي ٥٢٧

الناجي بن محمد عبدالله ومنهجه السلفي ٥٢٩

محمد بن دحان ومنهجه السلفي ٥٣١

المختار بن عمر ومنهجه السلفي ٥٣٣

جمال بن الشيخ أحمد ومنهجه السلفي ٥٣٦

محمد بن مولاي ومنهجه السلفي ٥٣٧

أحمد فال بن صالح منهجه ونشاطه في الدعوة السلفية ٥٤٠

يعقوب بن محمد بن بوب ومنهجه السلفي ٥٤٢

محمد محمود بن المصطفى ومنهجه العقدي ٥٤٤

السلفيون يزدادون في القطر الموريتاني ٥٤٦

الأصل في عوام المسلمين أنهم على عقيدة السلف ٥٤٨

الخاتمة ٥٤٩

التوصيات والمقترحات ٥٥١

الملحقات ٥٥٣

الفهارس ٥٥٦

فهرس المصادر والمراجع ٥٥٧

فهرس الموضوعات ٥٨٠